



العلماء
على

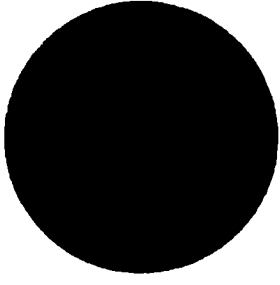
علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

الجميلة





الحياتية

موسوعة، اسلامية، علمية، موضوعية،
تُخطِّطُ مناهجَ الحياةِ الحرةِ الصاعدة، للفردِ
والمجتمع، وتدعو الى دَعْمِ نظامِ إنسانيٍّ
صالح، في جميعِ آفاقِ الارضِ .

الجزءُ الثالثُ

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

- * الحياة
- * محمد رضا الحكيمي، محمد الحكيمي، علي الحكيمي .
- * الجزء الثالث .
- * ١٠٠٠٠ نسخة .
- * الطبعة الاولى (١٤٠٨ هـ .ق - ١٣٦٧ هـ .ش) .
- * مكتب نشر الثقافة الاسلاميّة (دفتر نشر فرهنگ اسلامي) - طهران .
- * حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين .

الى

السيد موسى الزرّآبادي القزويني

(١٣٥٣ هـ ق.)

الميرزا مهدي الاصفهاني (الخراساني)

(١٣٦٥ هـ ق.)

الشيخ علي اكبر الهيان الرامسري التنكابني

(١٣٨٠ هـ ق.)

الشيخ مجتبي القزويني الخراساني

(١٣٨٦ هـ ق.)

* رأينا من المناسب، أن نُقدِّم هذه الأجزاء الأربعة إلى أربعة من أكابر العلماء
القرآنيين، في القرن الرابع عشر الهجري، الذين جاهدوا وصبروا وثابروا على نشر
«التصوُّر القرآني» الخالص ودَعَمِهِ في النفوس . وكان لهم - مباشرين وغير مباشرين -
أكبر الأثر في إلفاتِ أنظارنا إلى طلب الهداية والمعرفة والعلم من المنبعين الوحيين
(الثقلين المنشودين)؛ فبينهم وبين الكتابِ صلة ..
ونسألُ اللهَ تعالى، أن يجزيَ بالإحسانِ كلَّ مَنْ له حقُّ علينا، أو أحسنَ إلينا .. ولا
حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله ..

الفهرست

١٩	تصدير
٥٣	الباب الحادي عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (خطوط عامة)
٥٥	الفصل ١- المال في التصور الاسلامي (١)
٥٥	أ- المؤشر العام
٦٢	ب- المال مال الله تعالى
٦٧	ج- الاموال، ودائع وعوار
٦٨	د- الاموال، قوام وقيام (الموضع الالهي للمال)
٦٩	هـ- الاموال، انفاق وبذل
٧١	نظرة الى الفصل
٩٦	الفصل ٢- المال في التصور الاسلامي (٢)
٩٦	أ- الاموال، تصرفات محدودة
٩٨	ب- من بواعث بقاء المجتمع وفنائه
٩٨	١- بقاء المجتمع والمال (اذا كان عند من يعرف فيه الحق)
١٠٠	٢- فناء المجتمع والمال (اذا كان عند من لا يعرف فيه الحق)
١٠١	٣- هلاك المجتمع بايدي المستأثرين

- ١٠٢ ٤- هلاك المجتمع بايدي المترفين
- ١٠٣ ج- اكل اموال الناس بالباطل وشجبه
- ١٠٣ ١- الاكل بالباطل باسباب عامة
- ١٠٥ ٢- الاكل بالباطل باسباب خاصة
- ١٠٦ د- اموال اليتامى والتأكيد على صيانتها
- ١٠٧ هـ- لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
- ١٠٨ و- القيام لليتامى بالقسط
- ز- رفض السلطات المالية والاسترقاق الاقتصادي، الفردي والاجتماعي
- ١٠٩
- ١١١ ح- لا ضرر ولا ضرار
- ١١٤ تذييل : الدين واهمية ادائه
- ١١٦ نظرة الى الفصل
- ١٤٥ - تنبيه وايقاظ
- ١٥٧ - تنبيه هام : شجب الضرر السياسي في قواعده
- ١٥٨ الفصل ٣- المال في التصور الاسلامي (٣)
- ١٥٨ أ- حرمة المال والتأكيد عليها (الامن الاقتصادي)
- ١٦٠ ب- شجب كون المال دولة بين الاغنياء
- ١٦١ ج- التحذير من تسليط السفهاء وغير الملتزمين على الاموال
- ١٦١ د- الغايات الصالحة لطلب المال
- هـ- الردع عن ترك طلب المال والتأكيد على اهمية الكسب وصيانة المال
- ١٦٣ و- بعض آثار المال الايجابية :
- ١٦٤ ١- الآثار الفردية
- ١٦٦ ٢- الآثار الاجتماعية
- ز- بعض آثار المال السلبية :
- ١٦٧ ١- الآثار الفردية

الفهرست

- ١٦٨ ٢- الآثار الاجتماعية
- ١٦٩ ح- العمل والتأكيد عليه بوصفه منشأً للامتلاك
- ١٧٢ ط- حفظ الاموال العامة وبيت المال والتأكيد الحاسم عليه
- ١٧٣ ي- الاعتدال في طلب المال والحث عليه
- ١٧٥ تنبيه
- ١٧٥ يا- لا يجتمع المال الكثير من حلال
- ١٧٦ احتياط
- ١٧٧ يب- التعريف بالمال
- ١٧٧ تذييل هام (١): تعريف المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه
- ١٧٨ تذييل هام (٢): حرمة اموال المعاهدين
- ١٨٠ نظرة الى الفصل
- ١٨٢ - تذييل : الاحتياط في جمع الاموال واستهلاكها
- ١٨٦ - شرح لحديثين
- ١٩٤ - اشارات وتنبيهات
- ٢٠٠ - استنتاج هام
- ٢٠٧ الفصل ٤- المؤشرات التوجيهية (١)
- أ- الامداد الالهية بالاموال (المنابع الطبيعية، المناجم، الزراعة،
التجارة، الصناعة ..)
- ٢٠٧
- ٢٠٩ ب- الحث على طلب البلغة والاكتفاء الذاتي
- ٢١١ ج- الاقتصاد في المعيشة والتأكيد الحاسم عليه
- ٢١٣ د- التقدير في المعيشة واهميته
- ٢١٤ هـ- حدود الاستهلاك
- ٢١٥ نظرة الى الفصل
- ٢١٩ - تنبيه هام
- ٢٢١ الفصل ٥- المؤشرات التوجيهية (٢)

	أ - دور المؤمن المادية في الحياة الروحية و في اداء الفرائض	
٢٢١	واقامة الشعائر	
٢٢٤	١ - حياة الدين في الامة والمال	
٢٢٥	٢ - المال عون على طلب الآخرة	
٢٢٥	٣ - اللهم لا تفرق بيننا وبين الخبز	
٢٢٥	٤ - لا صلاة الا بالخبز	
٢٢٦	٥ - لا صوم الا بالخبز	
٢٢٦	٦ - لا اداء للفرائض الا بالخبز	
٢٢٦	٧ - رأس الحياة الخبز	
٢٢٧	٨ - بناء الجسد على الخبز	
٢٢٧	٩ - تعظيم الخبز و اكرامه	
٢٢٧	١٠ - طعم الخبز	
٢٢٨	ب - حق جسد كل انسان	
٢٢٩	ج - حق جسد كل ذي رمق، انسان او حيوان	
٢٢٩	د - دور المال في صيانة الاعراض	
٢٣٠		نظرة الى الفصل
٢٣٦		- تنبيه
٢٤٣		- تذييل
٢٤٤		- تذييل
٢٤٦		- ايقاظ
٢٤٨		الفصل ٦ - العمل في التصور الاسلامي
٢٥٠		نظرة الى الفصل
٢٥١		الفصل ٧ - الطاغوت الاقتصادي والاقتصاد الطاغوتي
		تذييلان :
٢٧٢	١ - تعميم الكفاح ضد الطاغوت سياسيا كان او اقتصاديا	

٢- لزوم التعجيل في ازالة المظالم المالية (لا إهمال في التغيير) :

٢٧٣ أ- الاموال الشعبية

٢٧٤ ب- الاموال الفردية

٢٧٦

نظرة الى الفصل

٢٨٥ الفصل ٨- الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (١)

- ضربات دامغة على هيكل النظام :

٢٨٦ أ- شجب التكاثر وطرده

٢٩٢ ب- التنديد بالاغنياء والمتكاثرين وبمزاومهم الفاسدة

٢٩٣ ج- الاغنياء وموقفهم من الامة

٢٩٥ تنبيه هام

٢٩٦ د- الاغنياء واكلهم للضعفاء والبائيسين

٢٩٧ هـ- الاغنياء والتجار فجار الا المتقون

٢٩٨ و- هلع وتكالب، افتضاح وحسرة

٢٩٩ ز- سعي بائر

ح- الاغنياء، مواصفات :

٣٠٠ ١- مستكبرون

٣٠٢ ٢- منافقون

٣٠٣ ٣- مفتونون

٣٠٤ ٤- مغرورون

٣٠٥ ٥- لاعبون لاهون

٣٠٦ ٦- طاغون

٧- ظالمون :

٣٠٨ أ- لانفسهم

٣٠٨ ب- للناس

٣٠٩ ٨- غاصبون

٣١٠ تنبيه

- ٣١٠ - ٩- سارقون
- ٣١١ - ١٠- مترفون
- ٣١٢ تنبيه
- ٣١٢ - ١١- مستدرجون
- ٣١٣ - ١٢- هالكون
- ٣١٥ - ١٣- اموات
- ٣١٦ - ١٤- فقراء
- ٣١٧ - ١٥- وارثوا الفراعنة وتابعوهم
- ٣١٨ - ١٦- واهنوا المعتقد في دينهم
- ٣٢٠ نظرة الى الفصل
- ٣٢٣ - تبين : من اساليب الاسلام للاطاحة بالنظام التكاثري
- ٣٣١ الفصل ٩- الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٢)
- القضاء على الاكتناز
- ٣٣٣ نظرة الى الفصل
- ٣٣٦ الفصل ١٠- الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٣)
- دعم القيم المثلى والمقاييس السامية وهدم القيم التكاثرية و
الاعراف الاترافية، مجابهة للتكاثر والادخار:
- ٣٣٦ أ- الغنى بالله تعالى لا بالمال
- ٢٣٧ ب- الغنى بما عند الله تعالى
- ٣٣٨ ج- الغنى بالقرآن
- ٣٣٩ د- الغنى بالتقوى واليقين
- ٣٤٠ هـ- الغنى بالعقل والعلم
- ٣٤١ و- الغنى بالقناعة
- ٣٤٢ ز- الغنى غنى النفس

الفهرست

- ٣٤٣ ح- اشرف الغنى ترك المنى
٣٤٤ ط- الغنى الاكبر
٣٤٤ ي- لا دور للمال في كيان الغنى الحقيقي
تذييلات :

- ٣٤٥ ١- استكبار ووردع
٣٤٦ ٢- تحقير معيشة الاغنياء
٣٤٧ ٣- لا تواضع للغني
٣٤٧ ٤- لا فضل للثرياء
٣٤٨ ٥- لا تفاضل بالاموال
٣٤٨ ٦- شجب قيمة المال في المقياس النهائي

تكميلات :

- ٣٤٨ ١- الالباء امام الاغنياء و اظهار الاستغناء عنهم
٣٤٩ ٢- اللسان الصالح خير من المال
٣٤٩ ٣- الغنى والفقير بعد العرض الاكبر
٣٥٠ ٤- لا فقر اشد من الجهل
٣٥٠ ٥- هدم بناء

٣٥١

نظرة الى الفصل

- ٣٦١ الفصل ١١- الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٤)
- تصوير الحياتين : التكاثرية والاسلامية :
٣٦١ أ- ملامح من الحياة التكاثرية
٣٦٤ ب- ملامح من الحياة الاسلامية
تذييل : لا امان للاغنياء والمترفين :
٣٦٧ أ- على المستوى التكويني
٣٦٧ تنبيه
٣٦٨ ب- على المستوى التشريعي

٣٧٠

نظرة الى الفصل

١٣

- ٣٧٦ - تذكير هام
- ٣٨١ - تنبيه هام
- ٣٨٣ الفصل ١٢ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٥)
- التضاد بين الحياتين : التكاثرية والاسلامية
- ٣٨٥ نظرة الى الفصل
- ٣٨٦ الفصل ١٣ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٦)
- التكاثر والاستغلال :
- ٣٨٦ أ- اتخاذ الناس سخريا
- ٣٨٧ ب- بخس الناس اشياءهم
- ٣٨٨ ج- الآكل والمأكل الاقتصاديان
- ٣٩٠ د- الاحتياي في البيع والشراء
- ٣٩٢ هـ- التطفيف في المكيال
- ٣٩٣ و- الاستفادة على حساب بيت المال
- ٣٩٤ ز- اغتصاب المواهب العامة
- ٣٩٥ ح- ظلم الاجراء والفلاحين
- ٣٩٦ واعي توحيدى هام
- ٣٩٦ ط- بيع الحاضر لباد
- ٣٩٧ ي- تلقي الركبان
- ٣٩٧ يا- الزيادة في الاجارة الاولى
- ٣٩٨ يب- الزيادة في حقوق الاراضي
- ٣٩٩ نظرة الى الفصل
- تذييلان :
- ٤٠٢ ١ - في الآكل والمأكل الاقتصاديين
- ٤٠٤ ٢ - في استغلال الناس وبخسهم حقوقهم واشياءهم

الفهرست

- ٤٠٧ الفصل ١٤ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٧)
- التكاثر والاستضعاف :
- ٤٠٧ أ - الاستضعاف الاقتصادي
- ٤٠٨ ب - الاستضعاف الثقافي
- ٤١٣ تنبيه
- ٤١٦ نظرة الى الفصل
- ٤١٨ الفصل ١٥ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٨)
- التكاثر تصاعد بلانهاية
- ٤٢٠ نظرة الى الفصل
- ٤٢١ - تذييل وتفصيل
- ٤٢٣ - شرح لحديثين
- ٤٢٥ - تنبيه وتفريق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...

تصدير

لقد أَلْمَحْنَا فِي مُسْتَهَلِّ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ، إِلَى الْخُطُوطِ الْعَامَّةِ لِهَذَا الْكِتَابِ وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنْ أَهْدَافٍ وَغَايَاتٍ. وَالْمَرْجُوُّ الْآنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْإِلْمَاحُ نَصَبَ عَيْنِ الْقُرَّاءِ الْأَعْرَاءِ. لِذَلِكَ لَا نَرَى أَنْفُسَنَا مُحْتَاجِينَ إِلَى إِعَادَةِ الْحَدِيثِ حَوْلَ تِلْكَ الْأَهْدَافِ وَالْغَايَاتِ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نُشِيرَ هُنَا إِلَى نِقَاطٍ ضَرْوِيَّةٍ وَلَوْ فِي اقْتِضَابٍ:

١ - لَقَدْ رَأَيْنَا مِنَ الْمُنَاسِبِ، فِي تَتَابُعِ أَجْزَاءِ كِتَابِ «الْحَيَاةِ» وَأَبْوَابِهِ، أَنْ نَتَنَاوَلَ - بَعْدَ الْأَبْوَابِ الْعَشْرَةِ الْمَاضِيَةِ - الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَسَائِلَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْأُمُورِ الْمَالِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأُمُورٍ:

أ - مِنْ أَهَمِّ أَهْدَافِ الْأَنْبِيَاءِ «ع» - الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ - وَغَايَاتِ بَعْثِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ، هُوَ قِيَامُ النَّاسِ بِالْقِسْطِ (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..)؛^١ فَالشَّرَائِعُ الْإِلَهِيَّةُ إِنَّمَا جَاءَتْ لِأَنَّ تَبْنِيَّ مَجْتَمَعًا إِنْسَانِيًّا لَا يَعْرِفُ سِوَى الْعَدَالَةِ وَلَا يَقُومُ إِلَّا بِالْقِسْطِ. وَهَذِهِ الْغَايَةُ الْعَظِيمَةُ لَا تَتَجَسَّدُ إِلَّا بِشَجَبِ الْأُمُورِ: الْاسْتِكْبَارِ وَالْإِسْتِضْعَافِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ، وَإِجَادِ نِظَامٍ اِقْتِصَادِيٍّ مُتَوَازِنٍ.

ب - أَنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْمُتَوَازِنَةَ فِي الْمَجْتَمَعِ، هِيَ الَّتِي تَخْلُقُ الْقَوَامَ الْاجْتِمَاعِيَّ وَالْاِقْتِصَادِيَّ وَالْأَخْلَاقِيَّ وَالثَّقَافِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ وَالِدِّفَاعِيَّ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ الْكِيَانُ الدِّينِيَّ، إِذِ «الْعَدْلُ حَيَاةُ الْإِحْكَامِ»^٢، وَبِالتَّوَازِنِ يُطَبَّقُ الْعَدْلُ وَالْقِسْطُ؛ فَانزَالُ «الْمِيزَانِ» مَعَ «الْكِتَابِ» يُدَلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى أَنَّ بَيْنَ «الْمِيزَانِ» وَ«الْقِسْطِ» صِلَةٌ الْعَلِيَّةُ وَالْمَعْلُولِيَّةُ، فَلِاقْسَاطِ بَدُونِ التَّوَازِنِ.

١ - سُورَةُ الْحَدِيدِ (٥٧) : ٢٥.

٢ - غُرُورُ الْحِكْمِ / ٣٠؛ رَاجِعْ: الْفَصْلُ ٤٧، مِنْ الْبَابِ ١٢.

ج - أن للمال موقعا هيا قواميا حياتيا - كما ورد في القرآن الكريم^١ - يجب أن لا يخرج منه الى غيره. وهذا الموضع لا يُصان إلا بتطبيق نظام اقتصادي متوازن، اذ في ذلك النظام يُصبح المال قواما للحياة الانسانية في جميع القطاعات، فيتحقق مجتمع قرآني - انساني.

نعم، إن للاموال وكيفية توزيعها وتداولها بين الناس، وشيخ صلة بالتربية الانسانية والقوام الاجتماعي وحضور الدين وتعاليمه في المجتمع. فالاموال في استثمارها السالم وتوزيعها العادل، تُصبح قواما للحياة الاسلامية الفاضلة - كما جعلها الله تعالى قواما - لا في غير ذلك الاستثمار وذلك التوزيع.

د - أن الافراط والتفريط الاقتصاديين (التكاثر والفقير)، يميعان الحياة الانسانية ويسوقانها الى التذني والسقوط؛ فالتأكيد الحاسم على اقامة القسط والتوازن، انما يتوفر عليه لازاحة هاتين المفسدتين الكبيرتين، اللتين تهددان حياة الانسان وبقاء الاسلام وكيان المسلمين.

ففي هذا الضوء، يتجلى أن الغاية من تدوين هذه المسائل الاقتصادية، بهذه الصورة الاسلامية، المبتنية على الاصلين الاساسيين (القرآن، الحديث)، هي خطوة للوصول الى غاية الدين الاصلية واحيائها في المجتمعات الانسانية حتى تسعد بتبنيها.

٢ - أن مشكلة الانسان العظمى - عبر تاريخه الطويل - كانت هي الظلم الاقتصادي لا الظلم السياسي والاجتماعي، لأن هذين الظلمين كانا تابعين من ذلك الظلم، تابعين له^٢. وأن القرآن الكريم انما قام بذلك الكفاح الرحب المعق

١ - راجع: الفصول ١ و ٢ و ٣، من الباب ١١.

٢ - ولعل القراء النابهين لا ينسون الظلم الثقافي واهمية الكفاح الجاد ضده - كما كافحه الانبياء

ضدَّ التَّكَاثُرِ وَالمُتَكَاثِرِينَ وَالمُتَرَفِّينَ وَالمُتَرَفِّينَ، لِيُوقِفَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ الخَطَرِ العَظِيمِ بِإِعَادِهِ، وَيُؤَلِّفَ انظَارَ الجُمَاهِيرِ إِلَى ضَرُورَةِ مُحَارَبَتِهِ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَى عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ - الَّذِينَ يَعْمَدُونَ إِلَى تَحْكِيمِ أُسُسِ الدِّينِ الإِلَهِيِّ وَإِنْقَاذِ المَجْتَمَعِ البَشَرِيِّ وَتَطْوِيرِ حَيَاةِ المُسْلِمِينَ عَلَى إِسَاسِ الإِحْكَامِ الإِسْلَامِيَّةِ - أَنْ يَصْطَفُوا دَوْمًا فِي جِهَةِ الدَّفَاعِ عَنِ المَحْرُومِينَ وَالمُسْتَضْعَفِينَ، وَحَقُوقِهِمُ المَسْلُوبَةَ، وَارزَاقِهِمُ المَسْرُوقَةَ، وَمَسَاكِينِهِمُ المَغْضُوبَةَ، وَكِرَامَتِهِمُ المَهْدُورَةَ، وَشَخْصِيَّتِهِمُ المُضْطَّهَدَةَ، وَأَنْ يَقْتَدُوا بِالأنبياءِ فِي شَجَبِ الجَبَابِرَةِ الإِقْتِصَادِيِّينَ وَالمُطَوَّاعِينَ المَالِيِّينَ - مِثْلَ الجَبَابِرَةِ السِّيَاسِيِّينَ - فَيُكَافِحُوهُمْ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا حَقُوقَ المَحْرُومِينَ وَيُخْرِجُوهَا مِنْ حَلْقُومِ أَوْلِيكَ الغَاصِبِينَ وَيُرُدُّوهَا إِلَى أَهْلِهَا المَغْضُوبِينَ، حَتَّى تَتِمَّكَنَ بِذَلِكَ الجُمَاهِيرُ المُضْطَّهَدَةُ وَالمَنْسِيَّةُ مِنْ أَنْ تُقِيمَ الدِّينَ وَمَنَاسِكَهَ، وَتُؤَدِّيَ فَرَائِضَ اللَّهِ، مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ وَسَائِرِ الإِحْكَامِ، بِصُورَةٍ صَاحِبَةٍ، وَتُرَبِّيَ نَاشِئَتَهَا تَرْبِيَةً يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ «ص».

لَوْ كَانَ الأَنْبِيَاءُ «ع» مَأْمُورِينَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - لِتَعْلِيمِ العِبَادَةَ وَإِقْيَافِ النَّاسِ عَلَى المَنَاسِكِ الشَّرْعِيَّةِ فَحَسْبُ، لَمَا قَامُوا بِتِلْكَ الثُّورَاتِ وَالحُرُوبِ العَظِيمَةِ وَالدَّامِيَّةِ، وَلَمَا يَقُولُ القُرْآنُ: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ»^١ وَإِنَّ تِلْكَ الحُرُوبَ لَمْ تُكُنْ مَقْصُورَةً عَلَى حَرْبِ المُطَوَّاعِينَ السِّيَاسِيِّينَ فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ

وَالأَوْصِيَاءُ «ع»؛ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ وَعَمِيقَةٍ وَشَامِلَةٍ. وَجَاءَ ذِكْرُ كِفَاحَاتِهِمْ فِي هَذَا المَجَالِ أَيْضًا فِي القُرْآنِ وَالتَّعَالِيمِ - وَذَلِكَ لِمَا يَسْتَتْبِعُهُ ذَلِكَ الظُّلْمُ مِنَ الأَضْرَارِ الهَامَةِ وَالمُضَلَّلَةِ لِلوَعْيِ الإِنْسَانِيِّ، حَيْثُ يُخْضَعُ الجُمَاهِيرُ لِتَبَنِّيِ الإِسْتِسْلَامِ وَالتَّدْنِيِ وَالمُضَلَّلِ؛ فَيُوطَأُ بِذَلِكَ لِلظُّلْمِ المَذْكُورِينَ أَيْضًا.

وَالكَلَامُ عَنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَجَالٍ مُسْتَقِلٍّ. وَلَقَدْ أَشْرْنَا إِلَيْهِ إِشَارَةً مُقْتَضِبَةً، فِي الفَصْلِ ١٤، مِنَ البَابِ ١١.

عند الكلام عن «التكاثر والاستضعاف».

١ - راجع: الفصل ٥، من الباب ١١.

٢ - سورة آل عمران (٣): ١٤٦.

تُشَنُّ عَلَى الطَّوَاغِيتِ المَالِيِّينَ (المُكذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الكِتَابِ السَّمَاوِيِّ)¹ اَيْضاً، الَّذِينَ كَانُوا نَفْسَ الطَّوَاغِيتِ السِّيَاسِيِّينَ، أَوْ كَانُوا مُؤَاوِرِيهِمْ وَحَافِظِي عُرُوشِهِمْ، حَتَّى يُتَاحَ لَهُمْ فِي ظِلِّ تِلْكَ العُرُوشِ اِيُّ عَدْوَانٍ وَامْتِصَاصٍ. نَعَمْ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى «ع»، قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الطَّاغُوتَيْنِ: السِّيَاسِيَّ وَالاِقْتِصَادِيَّ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ..²

٣ - أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْتَمُّ بِالمَسَائِلِ المَالِيَّةِ وَتَعْدِيلِ حَرَكَةِ الامْوَالِ فِي اَيْدِي النَّاسِ، لِيَتَوَسَّلَ بِذَلِكَ إِلَى تَجْسِيدِ مَبْدَأِ القِسْطِ فِي المَجْتَمَعِ. وَالاِهْتِمَامُ بِالمَسَائِلِ الاِقْتِصَادِيَّةِ وَامُورِ المَعَاشِ الْاِنْسَانِيَّ بِهَذَا الشَّكْلِ الجَادِّ الَّذِي تَبَنَاهُ الْإِسْلَامُ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَوَاصِّ هَذَا الدِّينِ الْاِلَهِيِّ، الَّذِي يُوَاكِبُ الوَاقِعَ وَالنَّوَامِيسَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي طَبَعَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ وَالْأَشْخَاصَ عَلَيْهَا. فَالْإِنْسَانُ - بِحَسَبِ جِبَلَّتِهِ وَغَرَائِزِهِ - مَحْتَاجٌ إِلَى المَعِيشَةِ وَالمُسْتَلْزَمَاتِ المَادِيَّةِ، مِنْ الغِذَاءِ وَالمَلْبَاسِ وَالصِّحَّةِ وَالسَّكَنِ.. وَلَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخْطُو خُطْوَةً وَاحِدَةً بِدُونِهَا فِي آيَّةِ جِهَةٍ كَانَتْ. لِذَلِكَ يَهْتَمُّ الدِّينُ السَّمَاوِيُّ بِأَمْرِ المَعَاشِ الْاِنْسَانِيَّ، وَيُبْرِمُجُ لِتَأْمِينِ حَاجِيَّاتِ الْإِنْسَانِ، وَيُعَدُّ المَالَ قَوَاماً لِلنَّاسِ وَقِيَاماً، وَالمُخْبِزَ سَبَباً لِاقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالمُصَوِّمِ وَالحَجِّ وَادَاءِ سَائِرِ الفَرَائِضِ فيقول: «لَوْلَا المُخْبِزُ مَا صَلَّيْنَا..»³. فيَجْعَلُ المُخْبِزَ عَمُودَ الصَّلَاةِ؛ وَالمُصَلِّاةُ عَمُودَ الدِّينِ، وَعَمُودَ العَمُودِ عَمُودٌ؛ فَالَّذِينَ بِدُونِ المُخْبِزِ (المَالِ)، نَعَمْ: «كَأَدَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»⁴.

١ - سورة المزمل (٧٣) : ١١.

٢ - راجع: الفصل ٧، من الباب ١١.

٣ - من حديث النبي «ص»: راجع: الفصل ٥، من الباب ١١.

٤ - من حديث النبي «ص»: راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١.

٤ - أن الظلم الاقتصادي من أخطر أنواع الظلم، بل هو الظلم كله في الواقع، الذي يستتبع سائر أشكال الظلم وصوره - كما اشرنا اليه - ولذلك كانت غاية الانبياء من تعاليمهم وتربيتهم الناس وتشجيعهم الجماهير، ومن مجابهااتهم وحروبهم، شجب هذا الظلم وسحقه .

ومن الواضح لدى من له أدنى نباهة ووعي، أن الحرية في «الامتلاك» و«الاستهلاك»، تمهد ارضية الظلم الاقتصادي وتشق طرق التكاثر والأتراف، وتُشيع روح الطبقة والاستئثار، وتسحق كل لون من ألوان العدالة والقسط. وعليه فهل يمكن أن لا يتخذ الإسلام تجاه هذه الظاهرة المدمرة موقفاً حاسماً؟! ولقد قامت الفصول والدراسات التالية بدور الإشعاع على هذا الموقف، فسيقف القارئ على الحسم الإسلامي في العدالة الاقتصادية، في فصول هذين البابين،^١ بادن الله تعالى.

٥ - أن الإسلام يُعطي «الاقتصاد» أصالة.^٢ وهذا أمر مُحرز - كما سلفت الإشارة إليه - فلقد ورد فيه كثير من التعاليم مما يرجع الى القضايا الاقتصادية والمالية، وتأمين مؤن الناس، والدفاع عن حقوق المحرومين، بل ازاحة الحرمان والفقير عن ساحة المجتمعات وتركيز مستوى معيشي متقارب للجماهير.^٣ فالإسلام يتصدى لتأمين معيشة الناس وخبزهم ومائهم وسكناتهم، وتعديل صلاتهم المالية، ويراقب هذه الصلات بدقة وحسم، حتى لا يتفشى الظلم في الناس بإطلاق ايدي الطواغيت الاقتصادية في القضايا المالية والبرمجة الاقتصادية.

١ - نقصد بهذين البابين (كلما نقوله)، الباب الحادي عشر والباب الثاني عشر، من الكتاب، اللذين يختصان

بدراسة «الاقتصاد الإسلامي» (يعني حقيقة المال وحركته في المجتمع الإسلامي). ويستوعبان الجزء

الحاضر (٣) الى الجزء ٦ .

٢ - راجع: الفصل ٤٤، من الباب ١١.

٣ - راجع: الفصلين ٤٦ و ٤٧، من الباب ١١، والفصول ٢٧ الى ٣١، من الباب ١٢.

في هذا الضوء، فكلُّ اتِّجاهٍ يَتَّهَمُ الاسلامَ بعدمِ الاعتدالِ بمحاربةِ العُدوانِ الاقتصاديِّ وبإهماله استردادَ حقوقِ المحرومين والمفصولين فهو مرفوض، إذ الاسلامُ يأمرُ بالعدلِ ويدعو الى اقامةِ القسطِ، وَيَشْجُبُ التَّكَاثُرَ وَالِاتِّرَافَ، وَيَرَى أَنَّ المَجْتَمَعَ البَشَرِيَّ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا العَدْلُ - كما يأتي في الفِقرةِ التَّالِيَةِ ..

٦- أَنَّ المَجْتَمَعَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا العَدْلُ،^١ وَأَنَّ الاصلاحَ الاجتماعيَّ لَا يُجَسِّدُ بدونِ اقامةِ العَدْلِ الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ، وَأَنَّ التَّقْوَى والفضيلةَ لَا تَتَحَقَّقَانِ بدونِ تَطْبِيقِ مَبْدَأِ القَسْطِ فِي النّاسِ ..
فالقرآنُ الكَرِيمُ يَصْرُخُ بِهَذَا الصُّرَاخِ الرِّئَاسِيِّ: «إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ».^٢

وَالنَّبِيُّ الاَعْظَمُ «ص» يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ الخَلْقِ عَلَى اللّٰهِ، مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ».^٣

والامامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع» يُنَادِي: «الرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا العَدْلُ».^٤ وَيَقُولُ (عِنْدَ تَعْلِيمِ اَسَاسِيَّاتِ الْإِسْلَامِ، فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ): «اعْرِفُوا .. اُولِي الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ».^٥

وَإِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبَيْتِ «ع» كَانَ قَائِمًا عَلَى العَدْلِ وَتَطْبِيقِهِ، وَاحْتِقاقِ حَقُوقِ الْمَحْرُومِينَ مِنَ الْقِطَاعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلِذَلِكَ قَامُوا بِأَكْبَرِ الثَّوَرَاتِ وَأَعْظَمِ الْفِدَاءِ - عَبْرَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ - فِي سَبِيلِ هَذَا الْمَبْدَأِ السَّامِيِّ، وَلَقَدْ اَنْعَكَسَ ذَلِكَ فِي ادبِ التَّابِعِينَ لَهُمْ، فَيَقُولُ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْإِسْدِيِّ:

١ - راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

٢ - سورة النحل (١٦) / ٩٠.

٣ - البحار ٧٥ / ٣٥٢، عن «جامع الاخبار».

٤ - غرر الحكم / ٢٩.

٥ - الكافي / ١ / ٨٥.

وَقُلْ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ حَيْثُ حَلُّوا
وَأِنْ خِفْتَ الْمُهَنْدَ وَالْقَطِيعَا
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ
وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَّورِكُمْ أَجِيعَا

فكانت مشكلة الجائعين مشكلتهم، والكفاح ضد المتخومين والمترفين أصلاً من أصولهم، ومزيجاً لمنطقهم الشعري الفياض. نعم، لم يكونوا يُقَارُون على كِظَّة ظالمٍ ولا على سَعَبِ مَظْلُومٍ. وقد تَغَلَّغَتْ هذه السيرة الدنيئة الاجتماعية - السيرة العلوية المُلتزِمة - في نفوسهم من تعليمٍ وتربيةٍ أئمتهم، أئمة الهداية والعدل. فعلى كلِّ مسلمٍ أَنْ يُقْتَدِيَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ، فَيُدَافِعَ عَنِ المَغْصُوبِينَ والمَحْرُومِينَ، وَيُجَابِهَ أَبَالِسَةَ التَّكَاثُرِ وَالتَّارَافِ، وَلَا يُقَارَّ عَلَى ظَلَمِ الظَّالِمِينَ وَاضْطِهَادِ المَظْلُومِينَ.

٧ - لا يُمكنُ أَنْ يَكُونَ فِي المَجْتَمَعِ تَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَمتكاثرون، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ اتِّرَافٌ وَاسْرَافٌ، فَالتَّكَاثُرُ وَالتَّارَافُ مُتَلَازِمَانِ. وَمِنَ اللَّاحِبِ أَنْ المَعِيشَةُ التَّرْفِيَّةُ تُهْدِرُ حَقُوقَ الآخَرِينَ، فَلَيْسَ مِنَ الإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، السَّكُوتُ أَمَامَ المُتَكَاثِرِينَ وَالمُتَرَفِينَ وَالمُسْرِفِينَ، فَضْلاً عَنِ تَبْرِيرِ أَعْمَالِهِمُ الفَاسِدةِ وَسِيرَتِهِمُ المُفْسِدةِ.

ولقد نَدَّدَ القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ بِأَوْلئِكَ وَسِيرَتِهِمْ وَرَفَضَهُمْ وَرَفَضَهَا. وَبِذَلِكَ خَطُّ لَنَا بِرِنَامَجاً حَاسِماً فِي هَذَا المَوْقِفِ الإِجْتِمَاعِيِّ وَالإنْسَانِيِّ. وَكَذَلِكَ التَّعَالِيمُ الحَدِيثِيَّةُ قَدْ ضَعُضَتْ قَوَاعِدَهُمْ مِنْ جَوَانِبِ شَتَّى، بِحَيْثُ لَوْ طُبِّقَتْ تِلْكَ التَّعَالِيمُ لَأَبْقَى لَهُمْ كِيَانٌ.

١ - راجع: النظرة الى الفصل ٤٨، من الباب ١١، الايقاظ ٨.

٨ - كذلك لا يُمكنُ أن يكونَ هناك في المجتمعِ تكاثُرٌ ومتكاثرون، بدون أن ينفذوا الى الحكمِ وَيُسَيِّطُروا عليه. ١ اذ التكاثرُ بدونِ النُفوذِ الى الحكمِ لا يكونُ تكاثراً (او لا يبقى)، فهو يسعى دوماً لآن ينفذَ الى الحكمِ وأجهزته ويستولي عليه وعليها. لذلك ناضلَ الاسلامُ ضدَّ هذه الظاهرة المدمرة نضالاً شاملاً، ممَّا سيمرُّ عليك في الكتاب؛ وذلك كعدِّه المالَ الكثيرَ غيرَ حلال، وعدِّه حياةَ التكاثرِ والإترافِ حياةً شيطانيةً، وعدِّه المتكاثرين والمُترفين غاصبين ظالمين، ٢ وكدعوته العلماء والناس الى تركِ مجالسةِ الاغنياءِ ومخالطتهم، حتى يسقطوا من مُستواهم الاجتماعيِّ. ٣

وهذا من عظمةِ تعاليمِ الاسلامِ الناهضِ، حيث نددَ باعداءِ البشريةِ وغاصبي حقوقِ الانسان، قبلَ اربعةِ عَشَرَ قرناً، لكيلا يتمتعوا في المجتمعاتِ بكيانٍ مرموق، فلا يُتاحَ لهم أن يستولوا على الامورِ المصيرية، وأن يعثوا في الارضِ مفسدين، وأن يستغلوا الناسَ ويمتصوهم، وأن يشيعوا التَّميعَ والتَّسببَ في القطاعات.

وهنا امورٌ ينبغي التيقُّظُ لها :

أ - إنَّ الاسلامَ لم يكتفِ بالتَّنديدِ بالتكاثرِ والمُتكاثرين وشجبهم الكامل، بل نددَ بمعيشتهم الترفيَّةَ ايضاً كلَّ تَنديد، حتى يلمسَ المجتمعُ مفسادهم العمليَّةَ وضلالهم المعيشيَّ باليد، ويضعُ قواعدهم من الاساس.

ب - إنَّ التكاثرَ الماليَّ (ومن اشكاله الرأسماليَّةُ المعاصرة) والأترافَ المعيشيَّ، يُؤدِّيان الى التَّبعيةِ الاقتصادية. وهذه هي التي تهدمُ كيانَ الاسلامِ

١ - راجع : الفصل ٢٠، من الباب ١١.

٢ - راجع : الفصول المتعددة المناسبة لهذه الموضوعات، من الباب ١١.

٣ - راجع : الفصل ٢٢، من الباب ١١.

والمسلمين، لَأَجْلِ ذَلِكَ قَدْ رَفَضَهَا الْإِسْلَامُ بَتَاتًا، «وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا»^١. فعلى المسلمين أَنْ يُخَلِّصُوا بِلَادَهُمْ مِنْ بَرَاثِنِ هَذَا الْأَخْطُوطِ.
ج - إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ كَافَحَ الْفَقْرَ وَعَلَّلَهُ، بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَشَرَحَ سَلْبِيَّاتِهِ بِوُضُوحٍ وَصُمُودٍ، وَقَامَ بِتَوْعِيَةِ النَّاسِ وَإِقَاظِهِمْ لِحَرْبِ ظَاهِرَةِ الْفَقْرِ الْمُدْمِرَةِ، حَتَّى لَا يَحْتَمِلَ الْمُحْرَمُونَ الظَّلْمَ الْاِقْتِصَادِيَّ بَلْ يَثُورُونَ فِي وَجْهِهِ^٢.

٩ - مِمَّا دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ، أَنَّ حَرَمَانَ الْمُحْرَمِينَ وَجُوعَ الْجَائِعِينَ وَعُرْيَ الْعَارِينَ وَاحْتِيَاجَ الْمُحْتَاجِينَ وَمَسْكَنَةَ الْمَسَاكِينِ، لَيْسَ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ - تَعَالَى شَأْنُهُ - فَإِنَّهُ خَلَقَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَمَاتَقَوْمٌ بِهِ حَيَاتُهُمْ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)^٣، بَلْ أَخْرَجَ لَهُمُ الزَّيْنَةَ وَالْحَلِيَّ أَيْضًا (قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ؟)^٤، فَالْخَلَاتِقُ عِيَالَهُ، قَدْ «ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ اقْوَاتَهُمْ»^٥؛ فَتِلْكَ الْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَنْشَأُ وَتَتَّبَعُ؟ إِنَّ الْأُمُورَ الْفُظِيْعَةَ الْمَذْكُورَةَ أُمُورٌ مَفْرُوضَةٌ تَجْتَرُّهَا إِلَى الْمَجْتَمَعِ ذُنُوبُ الْاِغْنِيَاءِ وَاغْتِصَابُ الْغَاصِبِينَ وَظَلْمُ الظَّالِمِينَ الْاِقْتِصَادِيِّينَ.

١ - سورة النساء (٤) : ١٤١.

٢ - راجع: الفصل ٣٠، الى الفصل ٣٩، من الباب ١١.

٣ - سورة الزخرف (٤٣) : ٣٢. يقول الامام الصادق «ع» في قسمة المال بين الجماهير: «إِنَّ الْمَالَ مَقْسُومٌ مَضْمُونٌ لَكُمْ، قَدْ قَسَمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ...» (- الكافي ١/ ٣٠). وهذا يدلُّ على أَنَّ لِلْكَلِّ فِي قِسْمَةِ اللَّهِ نَصِيبًا، فَمَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ نَصِيبُهُ فَلَيْسَ إِلَّا مِنْ اغْتِصَابِ الْغَاصِبِينَ وَعُدْوَانِ الظَّالِمِينَ الْاِقْتِصَادِيِّينَ، وَتَسَاهُلِ الْعُلَمَاءِ وَضَعْفِ الْحُكْمِ وَأَجْهَزَتِهِ فِي إِقَامَةِ الْعَدْلِ. وَفِي الْاِتِّبَانِ بِالْوَصْفِ (عَادِلٌ)، دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى الْعِلِّيَّةِ. فَالْعَادِلُ لَا يُقْسِمُ إِلَّا عَلَى مَقْتَضَى الْعَدْلِ. وَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ التَّكَاتُرُ وَلَا الْفَقْرُ، فَهَمَا مِنَ الظَّلْمِ. وَلَا يُظْلِمُ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا، فَالنَّاسُ يُظْلَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَأْكُلُ قَوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ - كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَيَأْتِي أَحَادِيثُهُ - وَمَنْ اللَّاحِبِ أَنْ هَذَا الْاِتِّجَاهُ الْقُرْآنِيُّ وَالْحَدِيثِيُّ (كُونَ الْمَعَايِشَ لِلْكَلِّ)، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُجَسَّدًا فِي الْفِقَاهَةِ وَالْاِفْتَاءِ وَالتَّقْنِينِ وَالتَّطْبِيقِ.

٤ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢. ولعلَّ المسلمَ الملتزمَ لَا يُعْتَقَدُ بَأَنَّ الزَّيْنَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، تَخْتَصُّ بِالْاِغْنِيَاءِ وَالمُتَرَفِّينَ، وَأَنَّ عِبَادَ اللَّهِ هُمُ الْاِغْنِيَاءُ لَا غَيْرُهُمْ.

٥ - نهج البلاغة / ٢٣١؛ عبده ١ / ١٥٩.

فاليك بيان الاسلام الحاسم بهذا الصدد :

أ - يقول النبي الاعظم «ص» : «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ارزاقَ الفقراءِ في اموالِ الاغنياءِ، فإن جاعُوا وعرُوا فبذنبِ الاغنياءِ»^١.

ب - يقول الامام علي بن ابي طالب «ع» : «ما جاعَ فقيرٌ الا بما منعَ غنيٌّ»^٢.

ج - يقول الامام جعفر الصادق «ع» : «... إنَّ الناسَ ما افتقرُوا، ولا احتاجُوا، ولا جاعُوا، ولا عرُوا، الا بذنوبِ الاغنياءِ»^٣.

د - يقول الامام موسى الكاظم «ع» : «... لو عُدِلَ في الناسِ لاسْتغْنَوْا»^٤.

هـ - ويقول الامام الحسن العسكري «ع» : «... اغنياؤُهُم يسْرِقونَ زادَ الفقراءِ»^٥.

وكلُّ هذه التعاليمُ الحيَّة - الموافقةُ لهداياتِ القرآنِ الكريمِ، المتعاضدةُ والمُتناصرَةُ والمتضافرةُ في الاسلام - التي تُشكِّلُ اساسياتِ هذا الدين في «المجتمع» و«الاقتصاد»، تُمثِّلُ امامَ الشَّعبِ المسلمِ، والحُكْمِ الاسلاميِّ، وعلماءِ الاسلامِ، واجباً شرعياً عظيماً، ألا! وهو القيامُ باحياءِ العدلِ الاقتصاديِّ ومُحاربةِ الظلمِ الاقتصاديِّ، وضَعْفَةِ قواعدِ الطَّواغيتِ الاقتصاديينِ الاجتماعيَّةِ، وإبعادِهِم عن جميعِ مَنْصَّاتِ السُّلْطَةِ والتَّقْنينِ والتَّجْسيدِ، كما أمرَ اللهُ تعالى بذلكِ النبيُّ «ص» ليلةَ المعراجِ، حيثُ قال له، فيما روي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» : «يا احمد! .. بَعْدِ الاغنياءِ وَبَعْدَ مجلسِهِم منك ...»^٦ وَلَتَكُنْ لِرِجالِ عَماءِ المِجْتَمَعِ الاسلاميِّ، من رجالِ الدينِ او الحُكْمِ، في النبيِّ «ص» أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

١ - المُسْتَدْرَكُ ١ / ٥٠٩.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٤٢؛ عبده ٣ / ٢٣١. وفي الاخير: «الا بما مُنِعَ به غنيٌّ».

٣ - الوسائل ٤ / ٤.

٤ - الكافي ١ / ٥٤٢.

٥ - المستدرک ٢ / ٣٢٢.

٦ - ارشاد القلوب / ٢٠١، و ٢٧٩ - ٢٨٠، من طبعة. راجع: الفصل ٢٢، من الباب ١١.

بتبعيدهم الاغنياء وتبعيد مجلسهم منهم، ان كانوا مُتَّبِعِينَ لِلسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الواقع والعمل. ووجوب الاهتمام بالامور المذكورة، يُصْبِحُ فِي العالمِ المعاصر اوضحَ وَأَوْعَى، خصوصاً بالنسبة الى «الحياة الحديثة»، و«الانسان الحديث»، و«الثقافة الحديثة»، و«الاقتصاد الحديث». وَإِنَّ وَعْيَ «الحوادث الواقعية الاقتصادية» يُرشدنا الى ذلك بجلاء، وَإِنَّ هَذَا الوَعْيَ مِنْ أَهَمِّ الواجباتِ فِي الظروفِ المعاصرةِ التي تجتازها البشرية بما فيها مِنْ ملايينَ وملايينَ من المغصوبين والمُضْطَّهَدِينَ. ونحن معاشرَ المسلمين مكلفون بانقاذهم جميعاً، المسلمين منهم وغير المسلمين، فَإِنَّهُمْ خَلَقَ اللهُ وَعِيَالَهُ.

ويجبُ أَنْ يَكُونَ القيامُ باداءِ الواجبِ المذكورِ، بريئاً من آيةِ صورةٍ من صورِ المداهنةِ وعدمِ الصراحةِ، او المضارعةِ، او الطمعِ، لِأَنَّهُ «لَا يُقِيمُ امرَ اللهِ سبحانه، إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ، وَلَا يُضَارِعُ، وَلَا يَتَّبِعُ المَطَامِعَ»^١.

١٠ - يتجلّى من مباحثِ هذينِ البابينِ وفصوليهما، أَنَّ الاسلامَ دينٌ انسانيٌّ، حيثُ يَهْتَمُّ بامورِ الانسانِ وشؤونِهِ الحياتيةِ، اهتمامَ الآبِ الرَّحِيمِ، فلا يَغْفُلُ عنِ مثقالِ ذرَّةٍ من الظلمِ الاقتصاديِّ، ولا يَسْكُتُ عنِ استردادِ حقوقِ المغصوبينِ والمظلومينِ بوجه. فليكنْ هذا منهجَ الذين يَنْتُمُونَ الى الاسلامِ ويدْعُونَ تطبيقَهُ.

١١ - لقد جاءت من قِبَلِ الاقتصاديِّينِ الأخصائيِّينِ تَنْبؤاتٌ بالنسبةِ الى مُستقبلِ البشريةِ، من جهةِ استِغناءِ الانسانِ عنِ العملِ والشغلِ وبلوغهِ الى كمالِ الرِّفاهِ وسهولةِ المعيشةِ. وهذه الحالةُ إن سادت، لا تخلو من أضرارٍ فادحةٍ إن لم تَتَمَعَّ الحياةُ الانسانيةُ بمضامينِ روحيةٍ راقيةٍ، واعمالٍ تَمَلُّأُ فراغَ الانسانِ بصورةٍ غنيةٍ.

١ - نهج البلاغة / ١١٣٧؛ عبده ٣ / ١٧٦.

ولعلَّ الاسلامَ يرمي الى هدفٍ كبير، في تأشيراته الاقتصادية، حيث يحضُّ على شجبِ العدوانِ الاقتصاديِّ باقامةِ التوازنِ والقسط، حتى يتفرَّغَ الناسُ من المهامِّ المعيشيةِ بصورها الباهظة، ويتمكَّنوا من درسِ الحقائقِ ووعيتها، ويظفروا بتخصيصِ قسمٍ صالحٍ من اوقاتهم للسيرِ في اجواءِ الحياةِ الحقيقية، بالفكرِ والعبادةِ الخالصة، والانصهارِ بالواقعِ الحيِّ، والتعاملِ المباشرِ مع الحقيقةِ الابديةِ المتعالية.

١٢ - أنَّ الهدفَ الذي يرمي اليه الاسلام، في بناءِ المجتمعِ وصنعه، ويستنبطُ من مذهبِ اهلِ البيتِ «ع»، هو أنَّ يزاحَ الغنى المفرطُ والمعيشةُ الترفيةُ والسرفيةُ، وكذلك المسكنةُ والفقر، من ساحةِ الحياةِ البشرية،^١ وأن تصل الجماهيرُ الى مُستوى معيشيٍّ مُعترفٍ به. فالاسلامُ يعدُّ المسرفَ آكلًا ما ليس له؛^٢ ويوسِّعُ على الفقيرِ حتى يلحقَ عائلتهُ بالناسِ؛^٣ بل يحبُّ للناسِ أن يتبنوا «المواساة» و«المساواة» مبدأً في المعيشةِ والاقتصاد.^٤

١٣ - لم نحاولُ بما عرضناه في هذينِ البابين، أن نعطيَ صورةً تامَّةً للمذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلام، بالمعنى المصطلحِ للمذهبِ الاقتصاديِّ، فإنَّ ذلك امرٌ آخر يتطلَّبُ (بعد التوقُّرِ على ما جاء في الاسلامِ بصدِّ القضايا الاقتصادية، وما رَسَمَهُ من مؤشرات، وما أبانَهُ من حُلُول)^٥ محاولةً فنيةً موسَّعةً مُستوعبةً، من جانبِ
١ - إنَّ ازاحةَ «الغنى المفرطِ» و«المعيشةِ الترفيةِ» و«السرفيةِ» - التي يدعو اليها الاسلامُ دعوةً حاسمةً - تُساوِقُ
إزاحةَ المسكنةِ والفقر، ضرورةً ازاحةِ المعلولِ بازاحةِ العلة. فلاتبقى حاجةٌ بعدَ ازاحةِ الأولى، الى
الازاحةِ الثانية.

٢ - راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١١.

٣ - راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١٢، فقرة «ج».

٤ - راجع: الفصول ٤٥ و ٤٦ و ٤٧، من الباب ١١.

٥ - وإنَّ من تلكِ المؤشراتِ والحُلُول، ما حواه هذانِ البابين.

لجنة كبيرة من عدة من علماء الاقتصاد الأخصائيين، وجمع من الفقهاء الرساليين المتضلعين والمتفتحين، فإننا عبر تلك المحاولة الفنية المستوعبة الجادة، بيد تلك اللجنة المركبة النابهة المذكورة، نحصل على صورة صحيحة وناضجة وشاملة، لمذهب الاسلام الاقتصادي، في حياة الانسان الحديث. لكن الامر الذي يجب أن نكون واقفين عليه، نابهن له، ومهتمين به، هو أن المؤلفين والمفكرين المسلمين، الذين حاولوا أن يستخلصوا المذهب الاقتصادي للاسلام من خلال التعاليم الاسلامية، ووصلوا الى نظرات بناءة - شكر الله سعيهم - لم يعمدوا الى جمع وترتيب ما هنالك من اصول عامة، ومبادئ اولية، وتعاليم رئيسية، ونقاط نظر كلية، وتأشيرات موجهة، من التي ترسم أمامنا صورة جلية وسديدة للمباني الاقتصادية في الاسلام. وكذلك لم يعمدوا الى كشف تلك الصلات الجوهرية بين الاصول والاحكام بصورة مركزة وشاملة؛ فهم لم يتوفروا على استخراج الهيكل العام والخطوط البنائية التي رسمتها المعالم الاسلامية لصور المال والملكية، ولتعريف «المال» وأطر الاستفادة منه، ولشكل تداوله بين الناس، ولطرق استثماره، ولكيفية الانتاج والاستيراد والتوزيع والاستهلاك، بشكل تتطلبه موضوعية هذا البحث المصيري الهام، في الحياة المعاصرة؛ مع أن هذا الجمع والترتيب والكشف،^١ امور ضرورية لكل من يقصد أن يستخلص من التعاليم الاسلامية صورة ناضجة لمذهب الاسلام الاقتصادي.

وبكلام آخر: يجب على اي فقيه وعالم اسلامي يروم أن يصدر فتوى اقتصادية، او أي باحث واقتصادي اسلامي - اخصائي وغيره - يريد أن يستنبط المسائل الاقتصادية، وأن يضع مخططاً اقتصادياً في مجتمع اسلامي، أن يقوم قبل كل شيء، باستخلاص نظرات الاسلام الرئيسية - الشاملة والعادلة - حول امور منها مايلي :

١ - مع رعاية الجهتين : «المركز» و«الترايط» في كل حكم، مما سنشير اليه، في الفقرة ١٦.

- أ - دعوة الاسلام الناس الى القسط والقيام به.
- ب - حُضُّه المجتمع على إلحاق الفقراء والمحرومين بمستوى معيشة الآخرين.
- ج - نظرته الى المال والملكية، حيث لا يُعطي المال نفسه وملكيته اصالة، ولا يُقَرُّ أن يكون دولةً بين الاغنياء.
- د - نظرته الى الاراضي وما يتعلَّق بامتلاكها وعدمه.
- هـ - تأكيدُه الدائب على إنفاق المال بصورة مستمرة، لتتداوله ايدي الجماهير.
- و - جعلُه المالَ ذا موضعٍ قواميٍّ لحياة الفرد.
- ز - عدُّه المالَ ذا طابعٍ اجتماعيٍّ في حياة المجتمع.
- ح - نظرته الى استثمار الاموال وكيفيتها ورفضه المال الساكن.
- ط - نظرته الى الإنتاج.
- ي - نظرته الى الاستيراد.
- يا - نظرته الى التوزيع.
- يب - الحدودُ الكيفيَّة والكميَّة التي يجعلها للامتلاك، برفضه للتكاثر.
- يج - الحدودُ الكيفيَّة والكميَّة التي يجعلها للاستهلاك، برفضه للمعيشة الترفيَّة.
- يد - كفاحه ضدَّ الاسرافِ وعدُّه المسرفين آكلين ما ليس لهم.
- يه - عدُّه الفقراء شركاء الاغنياء في اموالهم.
- يو - عدُّه الفقرَ امرأ مفروضاً على الفقراء والمحرومين، من جرَّاء ظلم الاغنياء وامتصاصهم.
- يز - عدُّه ارزاق الفقراء مسروقةً بايدي الاغنياء.
- يح - ما قام به من الحربِ ضدَّ الفقرِ والاستضعافِ الاقتصاديِّ.
- يط - سَحْقُه كثرة المالِ بتاتاَ وتصريحه بأنَّ المالَ الكثيرَ لا يجتمعُ من حلال.

ك - إسنادُه بقاء المجتمع وفناءه الى الاموالِ وكيفية تداولها والتصرفِ فيها، من صالحةٍ او فاسدة.

فبعدَ وعيِ هذه المسائلِ الحياتيةِ الهامةِ وما اليها والوقوفِ عليها بصورةٍ مُركزةٍ ودقيقةٍ وشاملة، يتسنى للعالمِ المُستنبطِ الاقتصادي، أن يستنبطَ المذهبَ الاقتصاديَّ الاسلاميَّ بصورةٍ مطمئنةٍ وناضجةٍ ومعاصرة؛ ويتأخُّ للفقيهِ المجتهدِ أن يُفتيَ في قضايا الملكيةِ ومايُمتُّ اليها، بصورةٍ مطمئنةٍ وناضجةٍ ومعاصرة.

وهذا الذي ذكرناه، هو ما رأيناهُ لازماً في الوصولِ الى ذلك المقصد. لأجلِ ذلك قمنا بتلك المحاولةِ التي يُشاهدُها القراء في هذين البابين، وهي:

- تبينُ الارضياتِ العامةِ الرئيسيةِ .

- كشفُ الصّلاتِ الجوهريةِ بينِ الاصولِ والاحكام.

- ابداءُ النظراتِ البنائيةِ للاسلام وتأشيراته الصّامدةِ لجعلِ الاموالِ قواماً للناسِ واخراجها من كونها دُولةً بينَ الاغنياء.

- بيانُ المواقفِ الحاسمةِ التي اتخذها امامَ الغنى والفقير.

- الحلولُ البنايةُ التي جاء بها حولَ القضاياِ الماليةِ والاقتصاديةِ.

- ما يُوجبُه لكلِّ احد، من امكانياتِ المعيشةِ وتلبيةِ حاجاتِ الحياةِ الطبيعيةِ

وادواتِ الرِّفاهِ والصّحةِ والتربيةِ والتعليمِ.

- ما يُبديه من رفضِ الفقرِ وعدمِ الاعترافِ به، وما يشترعُ للقضاءِ عليه.

- وما يقومُ به من مُنافحةِ التكاثرِ والاكتنازِ والاستهلاكِ الباذخِ ..

١٤ - في ضوءِ هذه المؤشراتِ (القرآنيةِ والحديثيةِ)، نُشاهدُ أنَّ الاسلامَ

يَجعلُ الانسانَ نقطةَ الهدفِ في جميعِ ما يُشرعُه من طُقوسٍ واحكام، لا المالَ

والملكيةِ؛ فالانسانُ وكرامتهُ هما المحورُ في نظرِ الاسلامِ حتى في المسائلِ

المعيشيةِ والقضاياِ الماليةِ؛ فلاكيانَ للمالِ مستقلاً تجاهَ الكيانِ الانسانيِّ وكيانِ

المجتمع الانساني، فلا كرامة للمال اذا لم تُضمَّن به كرامة الانسان والانسانية، ولا يكون لأي شيء - نفيسٍ او رخيصٍ - تقدُّمٌ على ما للانسان من قيمة وكرامة .

١٥ - من هنا يشطبُ الاسلامُ بقلمٍ عريضٍ، اي نوعٍ من انواعِ الثراءِ والتموُّلِ او آيةً صورةً من صورِ الملكية، اذا ادبنا الى تحطيمِ قدرِ الانسان ودحضِ المرامي الانسانية، وهدمِ اساسِ العدلِ والقسطِ، وتمزيقِ البناءِ الاجتماعي والاقتصادي المتوازن، وتفشي الفقرِ والمسكنة بين الناس. وهما الثراءُ التكاثريُّ والملكيَّةُ الحرَّةُ غيرُ المحدودة، او الغنى والملكيَّةُ اللذان لم تُراعَ فيهما حقوقُ الله وحدوده وحقوقُ الناس - في مراحلِ الامتلاكِ والاستهلاكِ - ولم يُؤدَّ اصحابُهما ما عليهم من الحقوق، ظاهرةً وباطنة.

ولا فرق في تلكم المفاسدِ المُدمِّرة، اكانت في جانبِ الاغنياء والمالكين (باخراجهم من الفضائلِ الخلقية والمُسْتَوَى الانساني الرفيعِ وجرهم الى مهاوي التغطُّرسِ والاستكبارِ والظلم، واغتصابِ الاموال واستغلالِ الكادحين، وتسيبِ معنوياتهم التي بها يكونون اناسي)، ام كانت في جانبِ المحرومين والمساكين (بجرهم الى هوة الضعة وتسليمهم الى مساقطِ الانهيار)؛ فلا كرامة ولا قداسةً لملكية تُوجبُ هدماً لاسسِ العدلِ والاحسان، وتغطُّرساً في الاثرياء، او مهانةً في المُقْلين، آيةً كانت، ولا شرعيةً لامتلاكٍ او استهلاكٍ يُوجبانِ افقارَ الناسِ فاكفارهم - كما ورد في الحديث النبوي الشريف^١ - فليستِ القواعدُ حجةً على الاسلام ومثاليته، بل الاسلامُ حجةٌ على القواعد. وليستِ القيمُ القرآنيةُ المثلى خاضعةً للتدهورِ في هواتِ الميولِ والنزعاتِ والتقاليدِ والتَّحيزِ، ولو اتَّسمتْ باسمِ صالح؛ بل يجبُ على كلِّ قاعدةٍ او تقليدٍ ان يكونَ خاضعاً امامَ مقاصدِ الاسلامِ الرئيسية، واتجاهاته الصَّامدة في بناءِ المجتمعاتِ وتقويمِ الافراد، مواكباً لمثاليته الفدَّة في

١ - الكافي ١ / ٤٠٦؛ راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١ .

العالمِ البشريِّ كله.

لم يَجِيءْ دِينُ الاسلامِ لِأَن تَعِيشَ تَحْتَ هُتَافَاتِهِ وَبِاسْمِ احكامِهِ شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ مِنَ المَتَكاثِرِينَ المَتَغَطِّرِيسِينَ وَالمُتَرَفِّينَ المُسْرِفِينَ، وَهناك فِي النّاسِ قِطاعاتٌ وَقِطاعاتٌ يَتَكَبَّدُونَ آمَمَ الجِوعِ وَالإِقلالِ وَيقاسُونَ اوجاعَ المَسْكِنَةِ وَالحَرمانِ! فَإِن كانَ هَذا، فَإِنَّ القِسطُ الَّذِي جاءَ الانبياءُ ليقومَ بِهِ النّاسُ؟!!

لم يَجِيءْ دِينُ الاسلامِ لِأَن تَعِيشَ فِي مَجتمِعِهِ فَتَهُ تَسْكُنُ قِصَوراً شاهقةً وَدُوراً مُزخرفةً ذاتَ جَنّاتٍ وَنَهَرٍ، وَفِي النّاسِ زِرافاتٌ تَسْكُنُ الاكواخَ وَالأَعشاشَ، بل هَناك أَناسٌ لا يَجِدُونَ الى ظِلَّةٍ سَبيلًا! فَإِن كانَ هَذا، فَإِنَّ القِسطُ الَّذِي جاءَ الانبياءُ ليقومَ بِهِ النّاسُ؟!!

لم يَجِيءْ دِينُ الاسلامِ لِأَن يَعِيشَ فِي مَجتمِعِهِ أَناسٌ يَنعَمُونَ فِي الوانِ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ، وَيَسْتَهْلِكُونَ لِلأَعبابِ صَبيانِهِم اموالاً طائِلةً، وَالى جَنبِهِم أَناسِيٌّ لا يَجِدُونَ لِطِفلِهِم المَشْرِفِ على المِوتِ دِواءً زهيداً! فَإِن كانَ هَذا، فَإِنَّ القِسطُ الَّذِي جاءَ الانبياءُ ليقومَ بِهِ النّاسُ؟!!

لم يَجِيءْ دِينُ الاسلامِ لِأَن تَعِيشَ فِي مَحيطِهِ قِطاعٌ يَتَمَتَّعُ ابناؤُهُ وَبَناتُهُ بِجَميعِ امكانياتِ التَّربِيَةِ وَالتَّعَلِيمِ وَنيلِ المِدارِجِ العالِيَةِ فِي العِلمِ وَالاختصاصِ، وَهناك فِي أبنائِ النّاسِ وَبناتِهِم كَثيرونَ لا يَقْدِرُونَ على الالْتِحاقِ بِالتَّعَلِيمِ الِابْتِدايِّ! فَإِن كانَ هَذا، فَإِنَّ القِسطُ الَّذِي جاءَ الانبياءُ ليقومَ بِهِ النّاسُ؟!!

لم يَجِيءْ دِينُ الاسلامِ لِأَن يَمْتَصَّ الأُمَّةُ اشرارُها^١، وَلِأَن يَغْرُقُوا فِي الوانِ اللذاتِ وَاللَّهُوِ، وَيَسْتَهْلِكُوا اموالَ الجِماهيرِ المَغصُوبَةِ هَنا وَهناك - فِي أنحاءِ العالَمِ المُتَرَفِّ وَالسَّواحِلِ النُّصْرَةِ وَالأَريافِ الخِصْرَةِ - وَيتَقَلَّبَ ابناؤُهُم وَبناتُهُم فِي بِحارِ مِنَ الجِدَّةِ وَالنَّعِيمِ الطَّائِلِ، مِمَّا سَرَقَ آباؤُهُم وَاغْتَصَبُوهُ مِنَ اموالِ الآخِرِينَ - بِاسْمِ صالِحَةٍ وَمُموَّهَةٍ - وَكُلُّ ذلكِ فِي احوالِ تَفْعُمِ البِلاَدِ - حَتَّى

١ - راجع لعرفان هؤلاء الاشرار: النصوص النبوية التي جاءت في الفصل ٨، من الباب ١١.

الاسلامية منها - جماهير وجماهير تربةٌ مُستسلمةٌ لضغوطِ العوزِ المُبِيرِ .. فإن كان هذا، فأين القسطُ الذي جاء الانبياءُ ليقومَ به الناسُ؟! إنَّ الاسلامَ - كما قالوا - «دينٌ تجديدٍ، واقدامٍ، وبناءٍ، وانشاءٍ، وقوةٍ، وامنٍ، وسلامٍ، ومحبةٍ، وإخاءٍ، وتأميمٍ»؛ وإنَّ ديناً كهذا لا يُواكبُ - بجوهره واحكامه - تلكم الخُطَطَ الجهنميةَ بوجه .

كلمة عن المنهج وتطبيقه

١٦ - من المناسب أن نُشيرَ هنا ايضاً، الى المنهجِ الذي اتَّخذناه في هذه الدِّراسةِ والعرضِ، بصورةٍ مختصرة (أما التَّفصيلُ فتجدُه في صفحاتِ الكتابِ)، وهو على ما يلي :

أ - الرَّجوعُ الى كتابِ الله تعالى، مع رعايةِ المنطقِ الذي يَخُصُّه، كما اشرنا اليه في مُستَهَلِّ الجزءِ الاوَّلِ.

ب - الرَّجوعُ الى الحديثِ، فإنَّه مُستَقَى من القرآنِ وشارحٌ له، ومُبيِّنٌ لمغازيه الكميَّةِ والكيفيَّةِ، ومُؤشِّرٌ لأُطرِهِ الفكريَّةِ والعمليةِ. وهو ما أفيضُ على الأُمَّةِ - خلالَ سبعينَ ومِثَّتينَ عاماً - من تعاليمِ النَّبِيِّ «ص» واوصيائه المعصومين «ع»، حيث أوضحوها ما جاء في القرآنِ بجَدارةٍ وعلمٍ.

ج - النَّظَرُ في ما جاء في القرآنِ والحديثِ من التَّعاليمِ والاحكامِ، بصورةٍ منظومةٍ وموضوعيةٍ، والفحصُ عنها في حالةِ صلةٍ بعضها ببعض - بعدَ كشفِ تلكم الصِّلاتِ، ما تيسَّرَ لنا الكشفِ - وذلك لِإِنَّ وَعْيَ صِلَاتِ الاحكامِ المتشابهةِ والمِلاكاتِ الفرديَّةِ والاجتماعيةِ الملحوظةِ فيها، من أهمِّ ما يُعينُ على بلورتها ويمنعُ من الفهمِ المنحرفِ - او الضَّئيلِ، او المُتخلفِ - لها؛ بل لا نصلُ الى فهمٍ صحيحٍ لايِّ تعليمٍ او حكمٍ بدونِ الوَعْيِ المذكورِ، فلكلِّ حكمٍ جهتان :

(١) - المركز.

(٢) - الترابط.

يعني : أن لكل حكمٍ مركزاً في حد ذاته، وترابطاً مع سائر الاصول^١ والاحكام، فيجب أن يُشخَّص ذلك «المركز» (المحور)، ويُوعى ذلك «الترابط»، ويُطبَّق الحكم مع المحافظة على المركز الاصيلي له مترابطاً مع سائر الاحكام والاصول. وبذلك يتم التفقه في كل حكمٍ او تعليمٍ، ويلتحم كل حكمٍ او تعليمٍ مع نظام الاسلام الشامل العام^٢.

د- جعل الاصول الرئيسية التي جاء بها القرآن، ملاكاً اصلياً لسائر الاحكام الاصلية والفرعية، ومقياساً باتاً للقبول او الرفض. خذ اليك في هذا الموقف ثلاثة امثلة :

(١) - اصل تجسيد العدالة والقسط.

(٢) - اصل شجب التكاثر والاطراف.

(٣) - اصل حماية المستضعفين.

اما الاصل الاول (القائم على الميزان، الداعي الى التوازن)، فهو اصل قرآني رئيسي، فيصبح لا محالة مقياساً لكل الاحكام الاسلامية - الاقتصادية منها او غيرها - فكل حكمٍ او فتوى كان مناقضاً لهذا الاصل الرئيسي، او معيقاً عن

١- نريد بالاصول هنا، الاصول العقيدية والاصول العامة التي جاء بها الدين لصنع الفرد والمجتمع. اما الاصول العقيدية فصلتها القويمه بالاتجاهات الفقهية والاحكام واضحة، فإن ديناً يكون العدل من اصوله ويعتقد بأن الله تعالى عادل، لا يمكن أن يوجد فيه حكمٌ او تشريعٌ يستتبع الظلم (كما في التكاثر والفقير). فالفقيه المجتهد العدلي لا يسعه أن يغمض العين في الاستنباط عما يرجع الى تجسيد العدالة ويزيح العقبات عن سبيلها، فهو لا يتخذ في الفتيا موقفاً يضاؤ العدل ويسحق القسط في الناس. فالقول بالعدل له تأثير عظيم وتأثير كبير في الاتجاهات الفقهية - كما هو لاجب، وبذلك يتلاحم الجانبان : العقيدتي والتشريعي، ولا تتنلم الوحدة الدينية في المعتقد والفقاهة. واما الاصول العملية البناءة للأفراد والمجتمعات، فهي التي ذكرنا عدة منها في الباب ٥، في الجزء ٢، فراجعها.

٢- راجع ايضاً: النظرة الى الفصل ٢٥، من هذا الباب، الفقرة ١٣.

تجسيده، فهو خارج عن الاطار القرآني بالضرورة.
والاصل الثاني، اصل قرآني رئيسي ايضاً، حيث صدع به القرآن الكريم في
ايقاعات حاسمة، فهو ايضاً مقياس لكل الاحكام الاسلامية - الاقتصادية منها
او غيرها - فكل حكم او فتوى لا يرمي الى غرض تجسيده في المجتمعات، فهو
خارج عن الاطار القرآني بالضرورة.

والاصل الثالث ايضاً اصل قرآني رئيسي، فهو ايضاً مقياس لكل الاحكام
الاسلامية - الاقتصادية منها او غيرها - فكل حكم او فتوى لا يكون مترابطاً معه،
باعثاً على تطبيق مضمونه، فهو خارج عن الاطار القرآني بالضرورة.
ففي هذه الدراسة، يصبح الامران التاليان من عمدة المقاييس الاصلية
لاستنباط الاحكام الاسلامية وفهمها على وجهها والتفقه الصحيح فيها، اذ بهما
تضمن اسلامية الاحكام المستنبطة، بصورة مطمئنة، الا وهما:

(١) - جعل الاصول الرئيسية الغائية للدين ملاكاً باتاً لكل الاحكام.

(٢) - التوفر على كشف الصلات الواقعة بين الاحكام.

هـ - العمد الى معرفة حياة الانسان المعاصر، بما فيها من التطورات، في
المعيشة والعمل والتربية والثقافة والانتاج والاستيراد والتقنية والفن والسياسة
والدفاع، وما يكتنفها من الحاجات المستجدة، مما يختلف عن حياة الانسان
الغابر اختلافاً اساسياً. ومن اللائح ان المعرفة المذكورة ووعي الواقع المتطور
الذي يعيشه انسان اليوم، يجب ان لا تكون مغفولة بوجه، لدى من يروم ان يستنبط
الاحكام الاسلامية ويفتي فيها - على حين معرفة بمواضعها وصلاتها ومبانيها -
ويعمل على استقائتها من القرآن والحديث، الجارين مع كل زمان.^٢

١ - ولعل التطور الباهظ الذي حصل في حقل «العمل» و«الانتاج» و«الاستيراد»، امر لا يغفل عنه اي ناب؛ ولا
ينكر ضرورة تجديد النظر في الاحكام والمسائل التي ترتبط بها وتمت اليها اي فقيه يقظ، واي متشرع
محتاج، لكيلا يبخس حق او يظلم محق.

٢ - لاحظ: الفقر الآتية (٢٢ و ٢٣ و ٢٥)، من هذه المقدمة بامعان.

و- التعامل مع «الحوادث الواقعية الاقتصادية» ووعيتها في واقعها، من غير ايّ ركونٍ الى سائر ما هنالك من مدارس وافكار. وَلْيُعْلَمَ أَنَّ اتِّجَاهَنَا فِي هَذِهِ الدَّرَاسَةِ والعرض، وما رُمناه من تبيين احكام الاسلام الاقتصادية، بما لها من «المركز» و«الترايط»، وتأطيرها بصورة جامعة عملية مُلَبِّية لحاجات المجتمعات، ليس ردّ فعلٍ لايّ امرٍ او شيء، بل هو مقتضى الرجوع الى «الثقلين المنشودين»^١ واستقاء تعاليم حياتيةٍ منهما لحلّ مشكلةٍ هي من اعظم مشاكل الحياة الانسانية، وهي مشكلة «الغنى» و«الفقر»؛ وعرضه على المجتمع البشريّ، في هذه المضائق الحرجة التي يعبرها الانسان المعاصر، وخصوصاً المحرومين والمضطهدين.

١٧ - في هذا الضوء، فالكتاب في مجموعهِ حصيلةٌ من كتاب الله (القرآن) واحاديث مفسريه العالمين به، وشارحيه الواقعيين، المُبينين لاغراضه، والموضحين لتعاليمه وهداياته.

١٨ - وَلُنَشِرْهُنَا إِلَى أَنَّ الآياتِ والاحاديثَ التي نوردها في الفصول والمباحث، ليست هي جميع آيات الموضوع واحاديثه بصورة مُستقصاة، بل هي نماذجٌ ولَمْعٌ نوردها لِرَسْمِ خطوطِ البحثِ وتخطيطِ حدوده، مُلَفِّتِينَ انظارَ القراء والباحثين اليها والى مغازيها - ومغازي مثيلاتها - للقيام بدراسة بناءة شاملة في حوزة الاسلام وتعاليمه.

١٩ - أَنَّ الاحاديثَ المذكورةَ واردةٌ في خطِّ الهُدَى القرآنيِّ وإطاره، وموافقةٌ له، وشارحةٌ لمغازيه، وراسمةٌ لمنهاجِ الكتابِ السماويِّ؛ كما يُشاهدُه القارئُ حينما يقرأ التنزيلَ الواردَ في مستهلِّ المباحثِ والفصول. وهذا من اهمِّ الأدلة على

١ - كما يلمسه القارئ باليد، عند رجوعه الى ابواب الكتاب وفصوله.

اعتبار الحديث.

٢٠ - بالاضافة الى ما اشرنا اليه في اعتبار الحديث الوارد في الكتاب، نُلفتُ

نظرَ القارئِ الباحثِ الى امور:

أ - أن تلك الاحاديث مُتَقَوِّ بعضها ببعض، ومتناصرة ومتضافرة ومتعاضة

بمضا مينها المتكررة - كما سلف الایعازُ اليه.

ب - أنها قد رواها مشايخنا العظام - رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى - في كتبهم، نُظراء:

- الشيخ الحسين بن سعيد الكوفي الاهوازي، في كتبه.

- الشيخ ابي العباس الحميري القمي، في كتبه.

- الشيخ ابي جعفر الكليني، في «الكافي».

- الشيخ ابي جعفر الصدوق، في «من لا يحضره الفقيه» و سائر كتبه.

- الشيخ الحسن، ابن شعبة الحراني، في «تحف العقول».

- الشيخ محمد بن النعمان المفيد البغدادي، في كتبه.

- الشيخ ابي جعفر الطوسي، في «التهديب» و «الاستبصار» و سائر كتبه.

- الشيخ علي بن ابراهيم القمي، في «التفسير».

- الشيخ ابي النضر العياشي السمرقندي، في «التفسير».

- الشريف ابي الحسن الرضي البغدادي، في «نهج البلاغة»^١.

- الشيخ ابي القاسم، ابن قولويه القمي، في كتبه.

- الشيخ ابي علي الطبرسي، في «مجمع البيان» و «إعلام الوري».

- الشيخ احمد، ابن فهد الحلبي، في «عُدَّة الداعي» و كتبه الأخرى.

١ - بعد ما حذَفَ الاسناد، وقد جاءت احاديثه ومنقولاته في «نهج البلاغة»، في كتب المتقدمين عليه والمتأخرين عنه؛ وقد ذَكَرَ كثيرٌ من هؤلاء المؤلفين اسنادهم. ولقد أُلِّفَ عن اسناد «نهج البلاغة» واستناده، كتبٌ ورسائل.

- السيد رضي الدين، ابن طاووس الحسني الحلبي البغدادي، في كتبه.
- الشيخ فخرالدين، ابن ادريس الحلبي، في «السرائر».
- الشيخ محمد بن مكّي، الشهيد الاول، في كتبه.
- الشيخ زين الدين، الشهيد الثاني، في كتبه.
- الشيخ محمد بن علي، ابن شهر آشوب السروي، في «المناقب» و كتبه الأخرى.

- الشيخ ابي منصور الطبرسي، في «الاحتجاج».
 - القاضي نعمان المصري، في «دعائم الاسلام».. و من اليهم^١..
- ولقد اخرجها مشايخنا المتأخرون في كتبهم، عن المشايخ المذكورين و أترابهم^٢..

ج - أن مشايخنا المتقدمين، من الفقهاء والمحدثين، كانوا يعملون بالاحاديث التي يثقون بصدورها - وإن حصل الوثوق بقرائن خارجية غير السند^٣ - ويفتنون بمقتضاها. ولقد حذا المتأخرون من الفقهاء حذوهم حتى هذا العصر. فاعتبار الحديث والاختذ به اعم عندهم^٤ عملاً مما اضطلع عليه العلمان، السيد احمد، ابن طاووس الحلبي (م - ٦٧٣)، وتلميذه العلامة الحلبي (م - ٧٢٦)، في أخريات القرن السابع وأوليات الثامن. ولقد عمل بهذه السيرة واشادبها، شيخنا العالم الرباني، والمثاله القرآني، الواقف على حقائق معارف القرآن والحديث،

١ و ٢ - وقد ذكرت اسامي الرواة في كتب هؤلاء الاعلام او في مصادرها.

٣ - وهذه القرائن قد ذكرها عدة من العلماء، منهم صاحب «الوافي»، في مقدمات الجزء الأول. لاحظ ايضاً ما قاله الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي في «الدرية»، عند الكلام عن «الصحيح». وراجع: خاتمة «الوسائل» (الجزء ٢٠)، وما جاء فيها من ذكر كتب الحديث المعتمدة، وشهادة العلماء بصحتها، وذكر القرائن على وثاقه الراوي.

٤ - كما صرح به الاستاذ الاكبر الوحيد البهبهاني بقوله: «إن بين صحيح القدماء وصحيح المتأخرين العموم المطلق» - راجع: مقدمة «الكافي»، لعلي اكبر الغفاري، من طبعة المكتبة الاسلامية، طهران (١٣٨٨ هـ - ق).

الشيخ مجتبي القزويني الخراساني (م - ١٣٨٦ هـ . ق).
د- ونحن أتبعنا هذه السيرة^١، واتخذناها منهاجاً نسيرُ عليه، إلا إذا كان هناك حافزٌ يدفعنا الى الإعراضِ عنها، من دليلٍ عقليٍّ صحيح، او مُقتضى شرعيٍّ باتٍّ، فإنهما مُحَكَّمان لا محالة. على أن العرضَ على «القرآن»، مقياسٌ قويم، كما أمرنا به ائمتنا الهادون «ع»؛ وفي كونِ المضمونِ الحديثيِّ مطابقاً للمغزى القرآني، اكبرُ مُستند^٢.

٢١ - أن الآياتِ والاحاديثَ المنقولةَ قد يُكرَّرُ ايرادها، وذلك للاستفادة من أبعادِ مغازيها المختلفةِ وتعاليمها المتنوعة، ذاتِ الأغوارِ والأبعاد، فهو ليس في الحقيقة تكراراً بمعناه. ونحن نحضُّ القراءَ بهذا التذكير على إمعانِ النظرِ في تلكمُ التعبيراتِ والتعاليم، بروحِ الملاحظة.

٢٢ - من المرجو أن تقع هذه المجموعة في مُتناولِ علماءِ الاسلام وفقهائه - مازالوا مؤيدين مُسددين - وتصيرَ ارضيةً خصبَةً لتوسيعِ دائرةِ الفقهية والاجتهادِ بالنسبةِ الى هذه المواضيع وما يرتبط بها، مما يُمسُّ الاقتصادَ والمذهبَ الاقتصاديَّ في الاسلام، لأنَّ استنباطَ مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديِّ يحتاجُ الى تمحيصٍ وتفقهٍ واجتهادٍ من جديد، اجتهاداً يَسْتَوْعِبُ كُلَّ «الحوادثِ الواقعةِ الاقتصادية» بشكلٍ

١ - وهذه سيرةٌ عقلانيةٌ يعتمدُ عليها العقلاء في كلِّ عصرٍ ومصر، وتقتضيها طبيعةُ المعاشيةِ الانسانيةِ في المجتمعات، عندَ الإخبارِ والاستخبارِ والتعليمِ والتعلمِ وغير ذلك، كما اعتمدَ عليها فقهاؤنا سلفاً وخلفاً. وهذا لا يعني الاعتمادَ على كلِّ ما جاء في كتبِ الحديثِ او وردَ باسمِ الحديث - كما هو واضح.

٢ - وهناك طريقةٌ علميةٌ هامةٌ للوقوفِ على صدورِ الحديثِ وعدمه والاطمينانِ بصحته. وهي التي دَعَمَهَا العالمُ القرآنيُّ الكبير، والمحققُ المؤسس، الميرزا مهدي الغرويُّ الاصفهانيُّ (م - ١٣٦٥ هـ . ق)، شيخُ شيخنا القزويني - قدسَ اللهُ تعالى سرهما - وهذه الطريقةُ بَحَثَ عنها وخطَطَ معالمها في كتابه «المعارض».

مدرّوس، يَقُومُ بهِ أَهْلُ النَّظَرِ وَالْوَعْيِ النَّابِهُونَ، مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ الْكِبَارِ^١.
نعم، إِنَّ الْمَسَائِلَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ وَالْمَعِيشِيَّةَ الْحَدِيثَةَ وَالْمُسْتَجِدَّةَ - بِأَفَاقِهَا
الْفَسِيحَةَ، وَفُرُوعِهَا الْكَثِيرَةَ، وَقَضَايَاهَا الْمُنَوَّعَةَ، وَبِمَا فِيهَا مِنْ آرَاءٍ وَنظَرَاتٍ عِلْمِيَّةٍ،
وَتَعَقُّدٍ وَتَطَوُّرٍ، وَبِمَا يَلْزَمُهَا مِنْ أَخْصَائِيَّةٍ - لَا يَسُوعُ، بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَلَقَّهَا بِصُورَةٍ
بَسِيطَةٍ وَقَدِيمَةٍ، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نُوسِّعَ آفَاقَ التَّفَقُّهِ فِي هَذَا الْحَقْلِ (وَخُصُوصاً بَعْدَمَا
نُشَاهِدُ كَثْرَةَ التَّعَالِيمِ وَالْمُؤَشِّرَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بِهَذَا الصَّدَدِ، ذَاتِ
مَنَاحٍ حَيَاتِيَّةٍ وَتَوْجِيهَاتٍ مُصِيرِيَّةٍ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا)، حَتَّى نَخْرُجَ بِرَأْيٍ مُرَكِّزٍ مُؤَصَّلٍ،
وَنَاتِيَّ بِنظَرَاتٍ قِيَمَةٍ رَاشِدَةٍ يُتَاحُ بِهَا لـ «الْفَقَاهَةُ الْاِسْلَامِيَّةُ» أَنْ تُجِيبَ عَلَى جَمِيعِ
أَسْئَلَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، الْهَامَّةِ وَالْمُعَقَّدَةِ، فِي هَذَا الْعَصْرِ.^٢

٢٣ - وَمِنِ الْوَاضِحِ أَنَّ التَّفَقُّهَ وَالْاِجْتِهَادَ فِي الْمَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ وَ«الْحَوَادِثِ
الْوَاقِعَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ»^٣ بِأَغْوَارِهَا الْبَعِيدَةِ وَشُعْبِهَا الْمُعَقَّدَةِ وَالْأَخْصَائِيَّةِ - الَّتِي اِشْرْنَا
إِلَيْهَا - يَمْتَازُ عَنِ التَّفَقُّهِ وَالْاِجْتِهَادِ فِي مَسَائِلِ الْمَلِكِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ السَّابِقَةِ؛ فَنَامُوسُ

١ - وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا قَلْنَا فِي الْفُقْرَةِ ١٣، مِنْ أَنَّ اسْتِنْبَاطَ الْمَذْهَبِ الْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْاِسْلَامِ يَتَطَلَّبُ قِيَامَ لَجْنَةٍ
مُرَكَّبَةٍ، بِمُحَاوَلَةٍ فَنِيَّةٍ مُوسَّعَةٍ وَمُسْتَوْعِبَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ الْكِبَارِ أَنْ يَقُومُوا بِقِسْمٍ يَخُصُّهُمْ مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ، مُسْتَفْرِغِينَ الْوُسْعَ، مُتَّبِعِينَ الدَّلَائِلَ وَالنُّصُوصَ، حَتَّى يَتِمَّ كُنُوفُهَا مِنْ تَرْوِيدِ تِلْكَ اللَّجْنَةِ وَتَطْعِيمِهَا.

٢ - فَنَحْنُ اِصُولِيُونَ لِأَنقُولُ الْآبَالَاجْتِهَادَ، وَلَا نَجْنَحُ فِي نِظَامِ الْاِجْتِهَادِ إِلَى «التَّبْدِيلِ»، بَلْ نَجْنَحُ إِلَى «التَّوْسِيعِ». وَذَلِكَ لِحِكْمَةٍ وَاضِحَةٍ، وَهِيَ أَنَّ التَّبْدِيلَ فِي نِظَامِ الْاِجْتِهَادِ هَدْمٌ لِأَسَاسِهِ، وَأَنَّ التَّوْسِيعَ فِي حَقْوِلِهِ ضَمَانٌ لِبَقَايِهِ وَشُمُولِهِ وَتَجْسِيدِهِ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَعدُوعَنهُ - بَعْدَ الْوَقُوفِ عَلَيْهِ - أَيُّ نَابِهٍ يَفْهَمُ الزَّمْنَ وَالْعَصْرِيَّةَ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ.

٣ - وَخُصُوصاً فِي هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ:

أ - الْعَمَلُ.

ب - الْاِنتَاجُ.

ج - الْاِسْتِيرَادُ.

د - التَّسْعِيرُ.

هـ - التَّوْزِيعُ.

التطوُّر في الحياة الانسانية والصَّلاتِ الاقتصادية، وتحوُّل الموضوعاتِ الحُكْمِيَّةِ ولزومُ وَعَیْهَا المناسب (الَّذِي هَدَانَا إِلَيْهِ الْاِئْمَةُ الْهَادُونَ «ع» بالتَّعْبِيرِ بِكَلِمَةِ «الْحَوَادِثُ»)،^١ إِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ لَمْ يَحْدِثْ عَنْ رُكُونِ إِلَيْهَا، وَالتَّوْفُرِ عَلَيْهَا. إِذِ «الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ»، غَيْرُ «الْوَقَائِعِ السَّابِقَةِ» - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ؛ وَمَعْرِفَةُ الزَّمَانِ بِأَبْعَادِهِ وَمَحْتَوِيَاتِهِ رَمَزٌ لِلْبَقَاءِ - كَمَا هُوَ بَيِّنٌ؛ وَالتَّخَلُّفُ وَالْجُمُودُ وَضِيقُ الْأَفْقِ، أَوْ الْاِنْخِدَاعُ بِتَمْوِيهَاتِ الْاَغْنِيَاءِ وَ الْمُتْرَفِينَ، أُمُورٌ تَهْدِمُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا - كَمَا هُوَ لَاحِظٌ.

٢٤ - فنحن لم نقصد بهذا العرضِ والتصنيف، الآ :

- خدمة الدين واهله.

- احياء عِدَّةٍ مِنَ الْقِيَمِ وَالتَّعَالِيمِ وَالْاَصُولِ مِمَّا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِصُنْعِ الْمَجْتَمَعِ

الاسلامي.

- تزويد الفقهة الاسلاميَّةِ بهذه التَّعَالِيمِ الْمُحْيِيَّةِ، تَابِعِينَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا يُقَرُّهُ

الاجتهادُ النَّابِهُ الْوَاعِي الرَّسَالِيُّ الْمُلتَزِمُ - كَمَا اِشْرْنَا اِلَيْهِ.

- اعزاز المسلمين و بلادهم بتطبيق هذا المؤشراتِ والاصول.

- عرض ما جاء في الاسلام للدِّفاعِ عَنِ الْجُمَاهِيرِ الْمُسْتَضْعَفَةِ وَالْمُسْتَظْهَدَةِ

المحرومة، ولاستردادِ حقوقهم ورفعِ مستواهم المعيشيِّ وَالْحَاقِمِهِم بِالْآخِرِينَ.

- تشجيع ناشئة المسلمين والشبابِ وَالثَّوَارِ عَلَى الْاِلْتِفَافِ دَوْلِ الْمَرْكَزِ الدِّينِيِّ

لِاِنْقَاذِ الْجُمَاهِيرِ، وَتَحْصِيْنِهِمْ ضَدَّ الْجُنُوحِ اِلَى الْمَدَارِسِ الْاِلْحَادِيَّةِ وَالْمُضِلَّةِ.

- شَجَبَ الطَّاغُوتِيَّةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ.

- اعلاء كلمة الحقِّ والعدل، وارساء قواعد القسطِ القرآنيِّ فِي الْمَجْتَمَعِ

١ - بِالْاِضَافَةِ اِلَى مَا جَاءَ فِي تَعَالِيمِهِمْ فِي الْحَثِّ عَلَى مَعْرِفَةِ الزَّمَانِ وَمَحْتَوِيَاتِهِ، وَقَوْلِهِمْ: «الْعَالَمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ الْاَلْوَابِسُ» (تحف العقول / ٢٦١). وَهَذَا التَّعْلِيمُ يَعْنِي اَنَّ غَيْرَ الْعَالَمِ بِزَمَانِهِ وَمَافِيهِ، تَلْتَبَسُ عَلَيْهِ الْاُمُورُ التَّبَاسًا. وَهَذَا مَا يَقْتَضِيهِ الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ وَالتَّجْرِبِيُّ اَيْضًا.

والاقتصاد، كل ذلك بفضل ما أسداه الاسلام (كتاباً وحديثاً)، الى الانسان والانسانية.

- دعوة القوم الى رد الاموال الى مواضعها الالهية القوامية.
- اصلاح المجتمع بازاحة الداهيتين، التكاثر والفقر، من ساحاته.
- ايجاد تربة صالحة لتجسيد القسط الذي جاء الانبياء «ع» لان يقوم به الناس.

- دعاء مفكري العالم الى دراسة القيم والتعاليم الاسلامية من جديد.

٢٥ - كذلك نرجو ان ينصهر طلاب العلوم الاسلامية بروح هذه التعاليم القرآنية والحديثية - المحيية المطورة - فيقوموا باشاعة العدل، واحقاق الحق، وتركيز أسس القسط القرآني في المجتمعات الاسلامية، وبمناقحة التكاثر والفقر؛ فانهم الذين تأمل الأمة المسلمة ان يكونوا في المستقبل علماء عاملين، وفقهاء رساليين، وزعماء متفتحين قائدين للحركات البناء، واعين لكل ما هنالك من تطور ومفهوم، عارفين بمضامين الزمن ومتطلباته، غير ناكبين عن الحضور في طلائع الحركات التقدمية للمسلمين، ممهدين لحكومة العدل العالمية التي تملأ آفاق الحياة البشرية وجميع مناطق الارض ..

فالغاية القصوى التي يتبناها هذان البابان من كتاب «الحياة»، هي ان يتبلور امام القارئ النابه، ولا سيما الفقهاء والمجتهدين والاساتذة المحققين والباحثين المثقفين وطلاب العلوم الاسلامية الواعين، مواضع الكلم الاقتصادي الالهي والاحكام الاقتصادية الاسلامية بجميع تأشيراتها، في حالة صلتها بكل ما هنالك من حكم، اقتصادي وغير اقتصادي؛ وان يتضح ان هذه الصلة هي التي لا

١ - وهي حركات يجب عليهم تجسيدها، لتخليص دينهم وقلوبهم وكيانهم وبلادهم وثرواتهم وعلومهم وثقافتهم واخلاقهم، من براثن الاستعمار والاستكبار العالمي .

يَسْعُ الباحثُ الفقيهَ والمجتهدَ المستنبطَ الجهلُ بها، او غَضُّ الطَّرْفِ عنها واهمالها، اذ برعايتها يُتَأَحُّ لايِّ مستنبطٍ اَنْ يَصِلَ الى نظراتِ الاسلامِ الاصليةِ المطمئنةِ الى المالِ ومواضعِهِ وحقائقِهِ، وحُلُولِ الاسلامِ الجذريةِ لقضايا الاموالِ وتداولِها بين الناسِ، ومالها من الأَطْرِ والمسائلِ، وما يُعَدُّ تحريفاً لموضعِ المالِ وما لا يُعَدُّ؛ فبِوَعْيِ الصَّلَةِ المذكورةِ ورعايتها يُتَأَحُّ اَنْ تُسْتَنْبَطَ المسائلُ الماليةُ استنباطاً اسلامياً مستوعباً، لا يَشُدُّ عن مجموعةِ ما قاله الاسلامُ بحقِّ الاموالِ، وعن الغاياتِ الفرديةِ والاجتماعيةِ الصحيحةِ للاستفادةِ منها في شتى المجالاتِ. وبهذه الصورةِ تُصَبِّحُ المسائلُ المستنبطةُ قابلةً للتجسيدِ هنا وهناك، من غيرِ ايِّ تخلفٍ او عُرْلةٍ.

٢٦ - لم نَرَأْفَسْنَا محتاجين، في تدوينِ مقاصدِ الكتابِ الى الاستفادةِ من المصطلحاتِ الحديثةِ، بعدَ ما جاءت في القرآنِ الكريمِ كلماتٌ حيةٌ غنيةٌ نفى بالمضامينِ المقصودةِ باحسنِ وجهٍ وأوعاه؛ فكلمةُ «التكاثر» (الواردةُ في القرآن) و كلمةُ «الإتراف» (المتخذةُ من التعبيراتِ القرآنيةِ)، تكفيانِ لالقاءِ المفاهيمِ التي نرومها في مقاصدِ الفصولِ، بصورةٍ جليةٍ ومستوعبةٍ؛ ففي هذا الضوءِ، اذا جئنا بكلمةٍ من المصطلحاتِ الحديثةِ، انما نجيءُ بها لاستيناسِ الاذهانِ بها، بشكلٍ تأكيديٍّ وتوضيحيٍّ، لا تأسيسيٍّ.

ومن المعلومِ اننا لانقصدُ بالتكاثرِ تلكَ الرأسماليةِ المصطلحةِ، بل نقصدُ المعنى القرآنيَّ للكلمةِ^١ وهو واسعٌ رَحْبٌ، فيعمُّ هذه المصطلحاتِ ايضاً، وإن كان بعضها فرعاً لذلك المعنى، او شعبةً من شعبه، او نتيجةً له.

واذا ضَمَمْنَا الى كلمةِ «التكاثر»، كلمةَ «الإتراف» - كما فعلناه - تتَبَلَّورُ سَعَةً

١ - لقد أتينا بشيءٍ من الايضاحِ حولَ كلمتي «التكاثر» و «الإتراف»، في مُسْتَهَلِّ الفصلِ ٨، من البابِ ١١، فراجع.

نطاق الكفاح القرآني ضد الغنى الوافر والمعيشة الترفيية، ويرتقي الى مستوى عالٍ لم يرتق اليه اي مذهب او مدرسة؛ اذ القرآن لا يخص كفاحه بمجابهة الغني التكاثري والاغنياء فقط، بل ينافح معيشتهم الترفيية ايضاً - كما اشرنا اليه - وبذلك يكمل هذا الكفاح ويثمر،^١ لأنهما من اهم العوامل المدمرة والمعاول الهدامة لكيان المجتمعات، الساحقة لصلاح البشرية وسعادة ابنائها.

٢٧ - بعد ما وصل الجزء ان الاول والثاني، من كتاب «الحياة»، الى ايدي الناس، وراهما العلماء والمحققون والاساتذة والمثقفون وطلاب العلوم الاسلامية وطلاب الجامعات وغيرهم، ونظروا في الكتاب بعين الحُب والتشجيع، طلب منا البعض ان نبسط الكلام فيما نعلق على الآيات والاحاديث، من الفاتات ونظرات، وان ناتي في تضاعيف الفصول والمسائل ببيان اوفى وشرح ايسط، لاستيفاء الافكار وتحقيق الاهداف. ونحن في هذين البابين قمنا ببعض الاستجابة لهذا المقصود في حدود مناسبة. ولأجل ذلك قدّمنا النظرات، فجئنا بـ «النظرة الى الفصل»، بدّل «النظرة الى الباب».^٢ ومع هذا فإننا لم نخرج عن وضع الكتاب خروجاً كلياً، فبسطنا النظرات عندما رأينا البسط مناسباً، واقتضيناها في مواضع أخرى بقدر ما يحتمل الاقتضاب، فلم نسترسل في الكلام عن المسائل المطروحة هنا وهناك، لئلا نبتعد عن الغرض الذي نرمي اليه، وهو عرض الآيات والاحاديث عرضاً مجموعياً متشابكاً موضوعياً «منظوماً»، مرتباً ضمن ابواب،

١ - اضف اليه : كفاح الاسلام ضد الاسراف والمسرفين، من الذين يغبون ما للآخرين، حيث يأكلون ما ليس لهم، ويشربون ما ليس لهم، ويلبسون ما ليس لهم، وينكحون ما ليس لهم، ويسكنون ما ليس لهم، ويركبون ما ليس لهم - على ما جاء تأشيرته في القرآن والحديث - ولا تجد منافحاً للاسراف والمسرفين مثل الاسلام، غير ان من المؤسف ان هذه المنافحة لم تتجسد بعد في الفتوى والتربية والاقتصاد والبرمجة والتطبيق، حتى تستتبع شيئاً كثيراً من احقاق حقوق المحرومين والمغضوبين وصيانتها.

٢ - مع ان هذين البابين قد توسع نطاقهما، فلوجئنا بالنظرات في ختام الباب، لتقع بمنأى عن متناول القارئ.

لمقاصد رئيسية اشرفنا اليها في افتتاحية الجزء الاول.
 فعلى ما ذكرناه، نرجى استر سال البحث حول هذه الموضوعات والتعاليم
 والهدايات والمضامين البناءة، الى كتاب «تفسير الحياة» - إن شاء الله تعالى -
 الذي أضمرنا أن نخرجه لتحقيق تلك الرغبة، التي نراها نحن ايضاً امرأ لازماً. فمن
 الله تعالى نستمد أن يوفقنا لانجازه واخراجه.
 واتباعاً لما قلناه، نطلب من القراء الكرام الذين يريدون شيئاً من التفصيل،
 ان يراجعوا النظرات الى الفصول، وأن يمعنوا فيها النظر، مواصلين معنا السير؛
 فلقد جاء فيها شيء من التفصيل حول مغازي الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة
 وتعاليمها وهداياتها.

٢٨ - ونحن نأمل أن تحظى هذه الاجزاء ايضاً، عند العلماء والفقهاء
 والمفكرين والمصلحين التغييريين والمثقفين والاقتصاديين الملتزمين وحماة
 المستضعفين والمؤمنين الصادقين والاستاذة النابهين و الطلاب الاحرار
 والكتاب والفنانين وغيرهم، خطوة الجزئين الاولين، وان تنجز بعض آمالنا المعلقة
 بنشر العدالة الاجتماعية والاقتصادية في الناس، وارساء قواعد دين الله الحنيف،
 وسائر ما ألمحنا اليه في الفقرة الرابعة والعشرين، وأن تسوق المؤمنين الصامدين^٢
 الى الكفاح ضد الطاغوتية الاقتصادية، حيث لا تزال تحكم قطاعات واسعة لحد
 الآن ..

١ - وهناك أمل كبير في شبيبة طلاب العلوم الاسلامية المتفتحين، لشق هذا الطريق المصيري المنشود.

٢ - والمتعبدين المحتاطين المتخرجين ايضاً، الذين تقتضي طبيعة موقفهم وتدينهم واحتياطهم، ان لا يرضوا بهذه

المظالم المالية والمعيشية الكبيرة التي تلحق المغصوبين والمعدمين والفقراء والمساكين وترض عظامهم.

مما يوجب الشبهة في سائر التصرفات ويقضي على كل تقوى واحتياط.

٢٩ - ولعلَّ المصلحين الذين يُريدون إصلاح المجتمعِ بصدَاقَةٍ وإخلاصٍ، والمُتَنَاولين لهذه المناحي والاعراض، لا يخفَى عليهم أَنَّ المؤشَّراتِ التي جاءت في هذين البابين، ترسُّمٌ منهاجاً عملياً (خاضعاً للتجسيد)، لحلِّ المشاكل الاقتصادية، ودَعْمِ نظامِ ماليٍّ قواميٍّ متوازن، وتركيزِ مبدأِ «القسطِ القرآنيِّ» في الجماهير، بشرطِ أن يكونَ العاملون :

- تائرين تغييريّين ..
- مُتَفَتِّحين غيرِ مُتَخَلِّفين ..
- صامدين في الاتِّجاه ..
- صادقين في النزعة ..
- صادعين بما أنزلَ اللهُ تعالى وأبانهُ اوليأؤه ..
- مُتَوَفِّرين على مرِّ الحقِّ ..
- سالكين سُبُلَ الحُرِّيَّةِ والصِّراحةِ ..
- مُجَبِّين للانسان ..
- قرآنيّين في اقامةِ العدلِ ..
- نبويّين في مقاطعةِ الاغنياء والمُتَرَفِّين والالتحامِ مع المحرومين والمغضوبين والمستضعفين (بصورةٍ موضوعيةٍ) ..
- علويّين في عدمِ القرارِ على كِظَّةِ الظالمين وسَغْبِ المظلومين (في ارغامِ القويِّ بأخذِ الحقِّ منه، وانعاشِ الضَّعيفِ بردِّ الحقِّ اليه) ..
- جعفريّين في دعوةِ النَّاسِ الى تبنِّيِ مبدأِ «المساواة»، في المعيشة والحياة ..
- غيرِ مُنخَدِعين بدَجَلِ المتكاثرين ولاخائفين من شَغْبِهِمْ ..
- غيرِ مُستَسَلِّمين لايِّ ضعفٍ، او مداهنةٍ، او تخلُّفٍ، او مطامعٍ، او انحيازاتٍ ..
- وبكلمةٍ قرآنيةٍ قصيرةٍ، اذا كانوا «قَوَّامين بسـالقسطِ،

شُهداءً لله» .. ١

وأما التغييريون الصّامدون فهم يَجِدُونَ مُبتَغاهم في هذه التّعاليم، لتمهيد حركةٍ تغييريّةٍ هَدّامةٍ بِناءةٍ، «يُساطُ بها المجتمع سَوَطَ القِدر، حتّى يعودَ اسفلُه اعلاه، واعلاه اسفلُه» - بصورةٍ يُقرُّها الاسلام.

٣٠- واللّهُ تعالى نَسألُ أَنْ يُوفِّقَ المسلمين - وهم الذين بايديهم هذه التّعاليمُ الحيّةُ الثّريّةُ الثّوريّةُ - لِأَنْ يَدْرُسُوا تلكَ التّعاليمَ من جديد، دراسةً مخلصَةً ودقيقةً وواعيةً، لا يَنفَكُ بعضها عن بعض؛ وَأَنْ يَسْعُوا لِصُنْعِ مجتمعٍ انسانيٍّ قرآنيٍّ صالحٍ متقدّم، عسى أن يُصبحَ أُسوةً لسائرِ المجتمعاتِ البشريّةِ التي تحيا على ظهرِ الارض، رافعةً مشاعلَ الهدايةِ لجماهيرِ وجماهيرِ من الانسانيةِ المضطّهدةِ تحتِ نيرِ التّكاثرِ والإترافِ، في أكنافِ الآفاقِ - وما ذلكَ على اللّهِ بعزير، وما التّوفيقُ إلّا باللّهِ، وما النّصرُ إلّا من عندِ اللّهِ العزيزِ الحكيمِ.

اللّهُم! صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد، وعجّل فرَجَهُم، وفرِّجِ الحقَّ والعدلِ والانسانيةَ بهم ..

اللّهُم! وفّقنا لما تُحبُّ وترضى .. وأرضِ عَنّا اولياءك ..

اللّهُم! اغفرلنا ولآبائنا وأمّهاتنا، ولاساتدتنا واساتدتهم، ولأقربائنا واصدقائنا وجيراننا، ولمن له حقٌّ علينا، ولمن أحسنَ إلينا، ولاخواننا الذين سَبُّونا بالايمن .. واجعلنا من المصلحين.

اللّهُم! أعلِّ درجاتِ علمائنا الرّبّانيين، وفقهائنا العاملين، النّابهين المجاهدين ..

اللَّهُمَّ! زِدْ فِي دَرَجَاتِ شُهَدَاءِ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ رَفَعُوا بِفِدَائِهِمْ قَدْرَ الْحَيَاةِ،
وَلَوَّنُوا بِدِمَائِهِمُ الْمُتَوَهَّجَةَ سُرُوقَ الشَّمْسِ، وَالْحَقَّهُمُ بِالْمُسْتَشْهِدِينَ
فِي «بَدْرِ» وَفِي «عَاشُورَاءِ» ..

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ يَخْدُمُ الْحَقَّ لِدَاتِ الْحَقِّ، وَيَسْعَى لِإِقَامَةِ الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ ..
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ..

شعبان المعظم، من سنة ١٤٠٦ هـ - ق: ١٣٦٥ هـ - ش.

البابُ الحادي عشر

البابُ الحادي عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (خطوط عامّة): وفيه
فصول :

الفصلُ الاوّل

المال في التّصوّر الاسلاميّ (١)

أ - المؤشّر العامّ

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *^١
- ٢ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا..^٢
- ٣ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ..^٣
- ٤ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..^٤
- ٥ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..^٥

١ - سورة الجمعة (٤٢) : ١٠.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٨٨.

٤ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٥ - سورة الأنفال (٨) : ٤١.

- ٦ واقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ..^١
- ٧ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ ..^٢
- ٨ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ،
وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا *^٣
- ٩ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلنَّاسِ وَالْمَحْرُومِ *^٤
- ١٠ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ..^٥
- ١١ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى *^٦
- ١٢ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ *^٧
- ١٣ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ..^٨
- ١٤ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى *^٩
- ١٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ..^{١٠}
- ١٦ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا *^{١١}
- ١٧ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ..^{١٢}

١ - سورة البقرة (٢) : ٤٣ .

٢ - سورة النساء (٤) : ٣٢ .

٣ - سورة النساء (٤) : ٣٧ .

٤ - سورة المعارج (٧٠) : ٢٤ - ٢٥ .

٥ - سورة الحديد (٥٧) : ٧ .

٦ - سورة الليل (٩٢) : ١٨ .

٧ - سورة الانفال (٨) : ٢٨ .

٨ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠ .

٩ - سورة الليل (٩٢) : ١١ .

١٠ - سورة المنافقون (٦٣) : ٩ .

١١ - سورة الفجر (٨٩) : ٢٠ .

١٢ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

- ١٨ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَإَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ *^١
- ١٩ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى *^٢
- ٢٠ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا زَرَعْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ، فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ..^٣
- ٢١ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا ..^٤
- ٢٢ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ..^٥
- ٢٣ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ..^٦
- ٢٤ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ..^٧
- ٢٥ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ..^٨
- ٢٦ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ *^٩
- ٢٧ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا :^{١٠}
- ٢٨ .. إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ *^{١١}

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

٢ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧.

٣ - سورة طه (٢٠) : ٨١.

٤ - سورة الفتح (٤٨) : ١١.

٥ - سورة آل عمران (٣) : ١٨٦.

٦ - سورة التوبة (٩) : ٤١.

٧ - سورة النساء (٤) : ٩٥.

٨ - سورة التوبة (٩) : ١١١.

٩ - سورة الاعراف (٧) : ٣١.

١٠ - سورة الإسراء (١٧) : ١٦.

١١ - سورة الواقعة (٥٦) : ٤٥.

الفات نظر

امعن النظر في هذا الآيات السماوية وأقرأها بتعمق، ثم اقرأها .. ثم خض في غمار تعاليمها الحياتية، الشارقة شروق الشمس، النابضة نبضان القلب، المتدفقة تدفق السيل، المنحدرة انحدار الحياة من قُلل الوجود.. هل ترى بعدها شيئاً مَدخراً لمذهب ماليّ او اقتصاديٍّ لِأَن يَجِيءَ وَيُبينُهُ حتى يُمهّدَ به لسعادة الانسان ولاقامة العدل الاجتماعيّ؟

نعم، إِنَّ هناك عَقَبَةٌ صعبة، وهي العمل بما في تلك الآيات. واليك عرضاً عابراً - في هذا المُستَهَلِّ - لعدّة من ابواب تعاليمها، الاوهي :

- ١ - السعي والانتشار في الارض للاكتساب ..
- ٢ - الاستمداد من الله في السعي والعمل باكثر ذكره .
- ٣ - منع السفهاء وغير الاخصائيين عن التصرف في الاموال، والتدخل في البرمجة الاقتصادية .
- ٤ - عدّ الاموال قياماً للناس وقواماً .
- ٥ - منع اكل اموال الناس باسباب باطلة .
- ٦ - منع ادلاء الاموال الى الحكام والطواغيت والعلماء المائلين الى الدنيا .
- ٧ - التأكيد الحاسم على ما لليتامى والمساكين وابناء السبيل من حق .
- ٨ - التحذير من صيرورة الاموال دولة بين الاغنياء .
- ٩ - الامر بايتاء الزكاة وجعله كاقامة الصلاة .
- ١٠ - اعطاء نصيب لكل من اكتسب وتكبّد المشاق في سبيل

الفصل الأول : المال في التصور الاسلامي (١)

الاكتساب .

١١ - الكفاح الحاسم ضد البخل والانصهار بروحيات

البُخلاء .

١٢ - البُخلاء وغير المنفقين لا يُمسيكون مال انفسهم بل

يُمسيكون ما آتاهم الله من فضله .

١٣ - عد البُخلاء والمُمسيكين في عداد الكافرين .

١٤ - التأكيد على إخراج الزكاة الباطنة (وهي الحق

المعلوم)، وتأديتها الى السائلين والمحرومين .

١٥ - جعل الانفاق ردفاً للايمان بالله تعالى .

١٦ - الانفاق عمل استخلافي، فالذي ينفق لا ينفق من مال

نفسه، بل ينفق مما جعل مستخلفاً فيه .

١٧ - أن التزكي لا يمكن الا بالانفاق .

١٨ - الاموال في حد نفسها فتنة، فلا يستقطبها الانسان الذي

يعتق التوحيد ويدعي الالتزام الديني .

١٩ - شجب التكاثر والتفاخر بالاموال الحاسم .

٢٠ - تَفَهُ المال في حد نفسه وعدم اغنائه المالك اذا تردى في

المهاوي .

٢١ - النظر الساخط الى تراكم الاموال .. لكونها مُلهية عن

ذكر الله تعالى .

٢٢ - التثديد بحب المال والتهالك في اقتنائه .

٢٣ - الامر بالانفاق وان تركه هلاك وتهلكة، وان البُخلاء انما

يَبْخُلون عن انفسهم، وان الامر سينتهي الى استبدال قوم مكان

قوم .

٢٤ - التلازم بين الاستغناء والطغيان، وان الطاغوت المالي

ايضاً طاغوت.

٢٥ - النهي عن الغطرسة والطغيان في الاستمتاع باموال
الله وارضاقه، التي خول الناس اياها.

٢٦ - الاموال والهأؤها الناس عن القيام بالتكاليف الانسانية
والدينية والاجتماعية .

٢٧ - الاموال ذرائع للتمحيص والاختبار .

٢٨ - الجهاد بالاموال كالجهد بالنفوس .

٢٩ - الاشادة بفضل المجاهدين بالاموال والانفس .

٣٠ - شراء الله الاموال ممن له قدرة البذل والانفاق .

٣١ - شجب الاسراف والنهي الحاسم عنه.

٣٢ - رفض الحياة الباذخة ومعيشة المترفين .

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام جعفر الصادق : لم نبعث لجمع المال، ولكن
بُعثنا لانفاقه.

٢ النبي «ص» : طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالا من غير معصية، وانفقه
في غير معصية، وعاد به على اهل المسكنة؛ وجانب اهل الخيلاء والتفاخر
والرغبة في الدنيا، المبتدعين خلاف سنتي، العاملين بغير سيرتي .^٢

١ - مشكاة الانوار / ١٨٣ .

٢ - تحف العقول / ٢٨؛ الكافي / ٨ / ١٦٩ .

٣ النبي «ص»: أمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق، أما الطبقة الأولى، فلا يحبون جمع المال وأدخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، وإنما رضاهم من الدنيا سدُّ جوعَةٍ وسترُ عورة، وغناهم منها ما بلغ بهم الآخرة؛ فأولئك الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما الطبقة الثانية، فإنهم يحبون جمع المال من أطيب وجوهه واحسن سبله، يصلون به ارحامهم، ويبرون به إخوانهم، ويؤاسون به فقراءهم، ولعوض أحدهم على الرضف أيسر عليه من أن يكتسب درهماً من غير حله، أو يمنعه من حقه، أو يكون له خازناً إلى يوم موته؛ فأولئك الذين إن نوقش عنهم عذبوا، وإن عفي عنهم سلموا.

وأما الطبقة الثالثة، فإنهم يحبون جمع المال مما حلَّ وحرَّم، ومنعه مما افترض ووجب؛ إن أنفقوه أنفقوا اسرافاً وبداراً، وإن أمسكوه أمسكوا بخلاً واحتكاراً؛ أولئك الذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم، حتى أوردتهم النار بذنوبهم.^١

٤ الامام علي «ع»: يا كميل! البركة في مال من أتى الزكاة، وواسى المؤمنين، ووصل الأقربين.^٢

٥ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: هي (الدنانير والدراهم) خواتيم الله في أرضه..^٣

٦ الامام الرضا «ع»: إن الله يبيغض.. إضاعة المال..^٤

١ - البحار ١٠٣ / ٢٣-٢٤؛ عُدَّة الداعي / ٩٢-٩٣، مع اختلاف يسير.

٢ - تحف العقول / ١٢٠.

٣ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

٤ - تحف العقول / ٣٢٦.

ب - المال، مال الله تعالى

الكتاب

١ وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ..^١

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: قال رسول الله «ص»: يَا تِي عَلِي النَّاسِ زَمَانٌ يَشْكُونَ فِيهِ رَبَّهُمْ .. يَقُولُ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا رَبِحْتُ شَيْئاً مِّنْذُ كَذَا وَكَذَا، وَلَا أَكُلُ وَلَا أَشْرَبُ إِلَّا مِنْ رَأْسِ مَالِي! وَيُحَكِّ، وَهَلْ أَصْلُ مَالِكَ وَذُرْوَتُهُ إِلَّا مِنْ رَبِّكَ؟^٢

٢ النبي «ص»: إِنَّ اللَّهَ لَا يُطَاعُ جَبْرًا، وَلَا يُعْصَى مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ مِنَ الْمَمْلِكَةِ، وَلَكِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، وَالْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ أَيَّاهُ ..^٣

٣ الامام الصادق «ع» - في حديثٍ عُنوانِ البصريِّ المعروف: قلتُ: يَا أَبَا-عَبْدِ اللَّهِ! مَا حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: أَنْ لَا يَرَى الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللَّهُ مَلَكًا، لِأَنَّ الْعَبِيدَ لَا يَكُونُ لَهُمْ مَلِكٌ، يَرُونَ الْمَالَ مَالَ اللَّهِ،

١ - سورة النور (٢٤): ٣٣.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٤٠.

٣ - تحف العقول / ٣٢.

يَضْعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ .. ١

٤ الامام الصادق «ع» - فيما رواه أبان بن تغلب: أَرَى اللَّهَ أَعْطَى مَنْ أَعْطَى مِنْ كِرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ مَنْ مَنَعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ؟ لا، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ يَضَعُهُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَدَائِعِ .. ٢

٥ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عيسى بن موسى: يَا عَيْسَى! الْمَالُ مَالُ اللَّهِ .. ٣

الفات نظر

هذا التوجيه الصاعد والتعليم المحيي، يعني عدّ المال مال الله والبخوع به كاصل، قد جاء في التعاليم الإسلامية بكثير، بل هو أصل من أصول الإيمان الإلهي، لأنّ الأشياء بحسب هذا الإيمان كلّها لله تعالى:

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ٤

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ٥

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ٦

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ٧

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ٨

١ - البحار ١ / ٢٢٥: عن خطّ شيخنا بهاء الدين العاملي .

٢ - تفسير العياشي ٢ / ١٣ .

٣ - المُستدرك ٢ / ٤٢٣ .

٤ - سورة البقرة (٢): ٢٨٤ .

٥ و ٦ - سورة آل عمران (٣): ١٠٩ و ١٢٩ .

٧ و ٨ - سورة النساء (٤): ١٢٦ و ١٣١ .

وللّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ١..

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٢..

الى بَقِيَّةِ الْآيَاتِ النَّازِلَةِ فِي الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ؛ بَلْ إِنَّ الْمُعْتَقِدَ
الدِّينِيَّ التَّوْحِيدِيَّ يُعَدُّ نَفْسَ الْمَالِكِ أَيْضاً - وَهُوَ الْإِنْسَانُ - مُلْكاً لِلّهِ
تعالى :

أَلَا إِنَّ لِلّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ٣..

ففي ضوءِ هذا المعتقدِ التَّوْحِيدِيَّ، تُضْحِي كُلُّ الْأَمْوَالِ
وَالْأَشْيَاءِ وَالْمَوَاهِبِ وَالنَّعْمِ وَالْإِمْتِعَةِ وَالْعُرُوضِ الَّتِي تُوجَدُ عِنْدَ
الْإِنْسَانِ وَتَكُونُ فِي يَدِهِ وَلَدَى تَنَاوُلِهِ، غَيْرَ مَمْلُوكَةٍ لَهُ فِي أَصُولِهَا، بَلْ
هِيَ لِلّهِ وَمَنْ أَلَّهِ وَمَنْ رَزَقَهُ وَنِعْمَانِهِ، الَّتِي خَوَّلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ أَيَّاهَا
وَوَهَبَهَا لَهُ هِبَةً وَدِيعةً وَاسْتِخْلَافًا، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِمَّا هُوَ
حَلَالٌ طَيِّبٌ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا)؛^٤ وَأَنْ لَا
يَتَّبِعَ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ)؛^٥ وَأَنْ يَشْكُرَ
النَّعْمَةَ (وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ)؛^٦ وَأَنْ لَا يُسْرِفَ (وَلَا تُسْرِفُوا)؛^٧ وَأَنْ لَا
يَدْعَ التَّقْوَى جَانِبًا (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ)؛^٨ وَأَنْ
لَا يَسِيرَ فِيهِ بِسِيرَةِ الطَّوَاغِيتِ (وَلَا تَطْفُوا فِيهِ)؛^٩ وَأَنْ لَا يُمْسِكَهُ فِي
يَدِهِ بَلْ يُنْفِقَ مِنْهُ وَيُنْفِقَ (وَأَنْفِقُوا .. وَأَنْفِقُوا ..)؛^{١٠}

١ و ٢ - سورة النساء (٤) : ١٣٢ و ١٧١ .

٣ - سورة يونس (١٠) : ٦٦ .

٤ و ٥ - سورة البقرة (٢) : ١٦٨ .

٦ - سورة النحل (١٦) : ١١٤ .

٧ - سورة الانعام (٦) : ١٤١؛ سورة الاعراف (٧) : ٣١ .

٨ - سورة الانفال (٨) : ٦٩ .

٩ - سورة طه (٢٠) : ٨١ .

١٠ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ و ٢٥٤ و ٢٦٧؛ سورة التوبة (٩) : ٥٣؛ سورة الحديد (٥٧) : ٧؛ سورة

المنافقون (٦٣) : ١٠؛ سورة التغابن (٦٤) : ١٦ .

الفصل الأول : المال في التصور الاسلامي (١)

فبناءً على هذا الاصل العقيدى الاساسي، تُصبح مالكية الله للاشياء والاموال والامتعة ولكل ما يُعدُّ مالاً وله ثمن وقيمة، مالكية حقيقية، ومالكية الانسان لها مالكية مجازية اعتبارية توكيلية، بحسب ما اعطاه الله له وجعله في يده.

وهذا الاصل سارٍ في المصنوعات والمخترعات البشرية ايضاً، وفي سائر ما يُنتجُه الانسان عن طريق الصناعة والزراعة والتجارة واستغلال ثروات الارض وغيرها، لان الصناعات والمخترعين والمُنتجين وكل مالديهم من حول وطول وفكرة جبارة واستعداد موهوب، والمواد التي يُنجزون فيها الصنعة، والظواهر الطبيعية التي يُتاح لهم بسببها الاختراع والانتاج، وكل شيء صُنِعَ منه شيء آخر، هذه كلها ليست الا لله وحده لا لغيره. فهل يجد الانسان في العالم الفسح شيئاً اوجده هو من لا شيء؟ وهل يجد من ذاته وبذاته حولاً وقوة على شيء بالاجاد او بالصناعة والتحويل؟ وهل يقدر هو على ان يخلق مقداراً من الهواء لان يتنفس فيه لحيظات؟ وهل جاء هو بنفسه بذرة من ذرات هذا العالم؟ وهل خلق هو بنفسه خلية من خلاياه؟ وهل قرر الانسان العائش على ظهر هذه الارض ناموساً من تلك النواميس المطردة في الكائنات، التي بها تتكون الاشياء والظواهر وتنمو وتثمر وتركب وتتجزى، والتي بمعرفة نبذة منها - معرفة ناقصة - يتوقف هو لاكتشاف او صنعة؟ لا، والف لا. وان الانسان لم يكن هو بنفسه شيئاً حتى يوجد شيئاً آخر (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه، فجعلناه سميعاً بصيراً *).^١ فلم يخلق هو شيئاً (ولن يخلقوا ذباباً ولو

اجتمعوا له)،^١ بل «وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه»،^٢ بل ما كان الانسان يعلم شيئاً حتى يقدر عليه (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً^٣، وعلم الانسان ما لم يعلم *)^٤ .. نعم، لم يخلق الانسان طبيعة من طبائع العالم ولا قرّر ناموساً من نواميسه، وهو في كل اكتشافاته وصناعاته واستغلالاته لثروات العالم وتجوّاله في جواء من الفضاء اللامحدود، يستفيد من تلك الطبائع وتلك النواميس. وليس لكل من في الارض جميعاً مقدرة لأن يأتوا يوماً واحداً بالشمس ونورها حتى تنمو الاجسام وتتفجر الانهار وتتكون المناجم، «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ..»،^٥ «... والشمس والقمر والنجوم مسخراتٍ بأمره ..»^٦ ..

هذا هو الايمان الالهي، التوحيدي، الاسلامي. وجوهره هو أنّ العالم وما فيه، من الطبيعة وما فيها من اشياء ونواميس - والاشياء غير الطبيعية - كلها لله وهي مخلوقاته ومملكه، «له ملك السماوات والارض»،^٧ وانما جعلت المواهب عند الانسان - وهو ايضاً مخلوق الله ومملك له - وديعة، واستخلفه الله لأن يتصرف فيها ويتمتع بها على حسب ما شرع سبحانه ووصى^٨.

وهنا مسائل هامة تتعلق بهذا الموضوع الرئيسي الهدام البناء (الهدام للعدوان المالي والظلم الاقتصادي، والبناء

١ و ٢ - سورة الحج (٢٢) : ٧٣.

٣ - سورة النحل (١٦) : ٧٨.

٤ - سورة العلق (٩٦) : ٥.

٥ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٨.

٦ - سورة الاعراف (٧) : ٥٤.

٧ و ٨ - سورة الحديد (٥٧) : ٥.

الفصل الأول : المال في التصور الإسلامي (١)

لمجتمعٍ عادلٍ سالمٍ قائمٍ بالقسط)، سنذكرها بتفصيلٍ - إن شاء الله - في النظرة إلى الفصل، لئلا تبسط هذه الالفات التي لم نقصد بها إلا الإشارة والإلماح.

ج - الاموال، ودائع وعوار

الكتاب

١ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ..^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: المال عارية.^٢
- ٢ الامام الصادق «ع»: اجعل مالك كعارية تردّها.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عيسى بن موسى : يا عيسى! المال مال الله، جعله وادّنع عند خلقه..^٤

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٧ .

٢ - غرر الحكم / ١٥ .

٣ - مشكاة الانوار / ٢٤٤ .

٤ - المستدرک ٢ / ٤٢٣ .

٤ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا اعطَاكُمْ اللَّهُ هَذِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْأَمْوَالِ لِتُوجَّهُوا
حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَكْتَبُوهَا.^١

٥ الامام الصادق «ع» - فيما رواه أبان بن تغلب: أَرَى اللَّهَ اعطَى مَنْ اعطَى مِنْ
كِرَامِيهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ مَنْ مَنَعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ؟ لَا، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ، يَضَعُهُ
عِنْدَ الرَّجْلِ وَدَائِعٍ ..^٢

٦ الامام الرضا «ع»: قَالَ جَلَّ وَعَلَا: «وَأَعْلَمُوا أَنَّهَا غَنِمَةٌ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ
خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى»، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَتَطَوَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ امْتِنَانًا
مِنْهُ وَرَحْمَةً، إِذْ كَانَ الْمَالُكَ لِلنُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، الْمَلِكُ
الْحَقِيقِيُّ، وَكَانَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَوَارِي، وَإِنَّهُمْ مَا لَكُونُ مَجَازًا لِاحْتِقَاقِ
لَهُ؛ وَكُلُّ مَا أَفَادَهُ النَّاسُ فَهُوَ حَقِيقَةٌ غَنِيمَةٌ ..^٣

* راجع: النظرة الى الفصل بهذا الصدد.

د - الاموال، قوام وقيام (الموضع الالهي للمال)

الكتاب

١ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا *^٤

١ - الكافي ٤ / ٣٢.

٢ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٣ - المستدرک ١ / ٥٥٢.

٤ - سورة الفرقان (٢٥): ٦٧.

الفصل الأول: المال في التصور الإسلامي (١)

* قال الشيخ ابو علي الطبرسي صاحب التفسير: «.. اي وكان إنفاقهم بين الاسراف والإقتار، لا اسرافاً يدخلون به في حدّ التبذير، ولا تضييقاً يصيرون به في حدّ المانع لما يجب. وهذا هو المحمود. والقوام من العيش ما أقامك وأغناك»^١.

٢ ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا..^٢

الحديث

١ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: انه سُئِلَ عن الدنانيرِ والدرَاهِمِ وما على الناسِ فيها؟ فقال: هي خواتيمُ الله في ارضه، جعلها اللهُ مِصْحَةً لخلقه، وبها تستقيمُ شؤونهم ومطالبهم..^٣

هـ - الاموال، انفاق وبذل

الكتاب

١ .. وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا، لَهُمْ أَجْرٌ

١ - مجمع البيان ٧ / ١٧٩.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥.

٣ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

كبير * ١

٢ وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ۚ

٣ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ * ٢

الحديث

١ النبي «ص»: لَمْ نُبْعَثْ لَجَمْعِ الْمَالِ وَلَكِنْ بُعِثْنَا لِانْفَاقِهِ ۚ

* سَنُفَصِّلُ الْكَلَامَ فِي الْانْفَاقِ تَفْصِيلاً، وَنَشْرَحُ تَأْكِدَاتِ

الاسلام الحاسمة على تفريق المال وتوزيعه بين الناس بصورة

شئى، في الفصول العشرة التي عقدها للانفاق؛ فراجع: الفصل

السادس عشر الى الفصل الخامس والعشرين، من الباب الثاني

عشر.

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٧.

٢ - سورة المنافقون (٦٣) : ١٠.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ٩٢.

٤ - مشكاة الانوار / ١٨٣.

نظرة الى الفصل

١- المؤثر العام: يتبلور من الآيات والاحاديث الواردة حول الاموال وما يتعلّق بها ويُمّت إليها - وسيُمرُّ على القارئ كثيرٌ منها في تضاعيف هذين البابين من كتاب «الحياة» - هذه المواضيع:

أ - موقف الاسلام العام من الاموال، ومن اهداف اقتنائه .
ب - اتجاهات الاسلام الاصلية والرئيسية لسياساته المالية والاقتصادية .

ج - المنهج الصحيح لتداول الاموال بين الناس .
د - طابع تفريق المال وتوزيعه، وتعديل امتلاكه واستهلاكه .
هـ - دور الانفاق المُركّز في سياسة الاسلام الاقتصادية ونظامه المالي المحدد .

فالايات والاحاديث الكثيرة - المتضافرة والمتعاضدة - المترامية الاطراف، المنوعة المضامين والهدايات، التي جاءت بصدد المسائل المالية والمواضيع الاقتصادية، قد اشرت الجانب الاصلّي والحقل العام للمال وحركته في المجتمع الاسلامي. منها تلك الآيات التي مرّت في مستهل هذا الفصل وتلك الاحاديث. ولقد الفتنا هناك الانظار الى بعض تعاليمها في اقتضاب. ومنها تلك الكلمة النبوية الموجهة: «لَمْ نُبْعَثْ لَجَمْعِ الْمَالِ ..»، فهذه الكلمة - بعمقها وحيويتها وتوجيهها - تشيد باصل حياتي مصري في الحقول الاقتصادية للمجتمعات التابعة للدين، وتعلن بصراحة وضمود: ان رسالة الاديان الالهية ومغزى دعوات الانبياء، مبنية على اصل انفاق المال وبثه وادالته بين الناس وتفريقه عليهم، لا على

جمعه واكتنازه وحبسه، وامتلاك جمعٍ قليلٍ من الناسِ الكثيرِ الهائلِ منه. وهم الذين يَسْتُرُونَ عُدْوَانَهُمَ المَالِيَّ على النَّاسِ ومظالمهم الباهظة في المصانع والمعامل والمزارع بَسْتُورِ مختلفةٍ ومُموَّهَةٍ ويُبَرِّرون استيلاءهم على تلك الثرواتِ الطائلةِ بأنَّه حصيلةٌ مواهبهم ومساعدتهم ومراساتهم .. ولقد أَلْمَحْنَا الى تزييفِ هذا الزَّعمِ في الالفاتِ الثاني من هذا الفصل. وسيأتي تفصيلُ الكلامِ في الكشفِ عن هذا الدَّجْلِ والتَّمويه.

ومما ينبغي أن نَنظُرَ فيه بامعان، أن كلمة «الانفاق» في الحديثِ المذكور، قد جاءت مقابلَ كلمةِ «الجمع»، للتأكيدِ على نفي جمعِ المالِ وشجبه. فالمفهومُ اللَّاحِبُ من التعاليمِ الالهيةِ الدينية - القرآنيةِ منها او الحديثيةِ - في القضايا المتعلقةِ بالاموال، هو أنَّ الاساسَ في المالِ انفاقه وتفريقه بينَ الناسِ وايصاله الى الايدي، لِيَسْتَدَاوَلَ في عرصاتِ حياةِ الشعوبِ، لا تكديسه عندَ حَفْنَةٍ وحبسه على فِئَةٍ وحصره في يدِ شَرِذْمَةٍ قليلةٍ من الاثرياء، لِيَكُونَ دُولَةٌ بينهم ووقفاً عليهم.

وهناك آراءٌ لا تَرى وازعاً لجمعِ المالِ وادخاره، بل تميلُ الى تحبيذِ التكاثرِ واهمالِ جانبِ التَّعْدِيلِ المَالِيِّ، واطلاقِ ايدي اصحابِ الاموالِ لأن يَعْمَلُوا كيفما شاؤوا، في استغلالِ النَّاسِ، وتعيينِ الاجور، والتَّسْعِيرِ الحُرِّ، والحريةِ في الامتلاكِ والاستهلاكِ، وفي سائرِ التَّصَرُّفاتِ المَالِيَّةِ، وتَحَمُّسِ للموسرين والاغنياءِ المتكاثرينِ باسمِ صالحة. عندئذٍ يُصْبِحُ مانوردهُ في الكتابِ من المبانيِ الموضوعيةِ الاسلاميةِ في الحقلِ المَالِيِّ، مُشجَّعاً للنابهيينِ والواعين، على ان يَحْكُمُوا على امثالِ تلكِ الآراءِ المُتَحَيِّزَةِ بأنَّها خارجةٌ عن المؤشراتِ الاسلاميةِ، منحرفةٌ عن الواقعِ الدِّينيِّ.

ولا فرقَ في الانحرافِ المذكورِ وابتعادِ تلكِ الآراءِ عن الطُّقوسِ الجوهريَّةِ للدِّينِ، وقوعه بايِّ داعٍ وحافزٍ، فلقد نَدَّدُ الدِّينُ بجمعِ المالِ

وتكديسه، أيما تنديد؛ قال شيخنا احمدُ بنُ فهدِ الحليّ: «... قد عرَفَت ما يجبُ على المكتسبِ وصاحبِ العيال، من الاقتصارِ في الاكتسابِ والأخراج، وهذا هو القانونُ الكلّي الذي أمر به الشرعُ على العموم». ولقد عقدَ شيخنا النوريّ، صاحبُ «المستدرک»، باباً بهذا العنوان: «عدم جواز جمع المال وترك الانفاقِ منه». ^٢ فعلى اساسِ هذه التعاليمِ الحقّة الحية، تُصبحُ اقامةُ الثوراتِ في وجهِ السُّلطاتِ الماليّة من اهمّ الوظائفِ الدينيّة؛ ولا تنحصرُ الثوراتُ التّكليفية في الثوراتِ في وجهِ السُّلطاتِ السياسيّة فحسب، فإنّ نبيّ الله موسى «ع» قد بُعثَ - في ثورته المعروفة التاريخيّة - الى فرعونَ وهامانَ وقارونَ - كما مرّت الاشارة اليه - وهو كما كافح فرعونَ فقد كافح قارونَ ايضاً، وكما ان فرعونَ قد غرقَ في البحر، فإنّ قارونَ ايضاً قد خُسِفَ به الارض .

وكذلك كانت ثورة الاسلام الكبري، فإنّ نبينا محمّداً «ص»، كما أنّه بُعثَ لأن يُحاربَ كفرَ قريش و شركها، كذلك قد بُعثَ لان يُجابهَ ارسقراطيّة قريش وامتلاكاتها المُستبّهة، وحياتها المُترفة الجابرة،^٣

١ - عُدة الداعي / ٨١.

٢ - المستدرک ٢ / ٦٤٥؛ راجع ايضاً: الوسائل ١٥ / ٢٦٥.

٣ - فيجبُ على كلِّ من يدرُسُ الاسلامَ ان يعي تاريخَ حياةِ النبيّ الاعظم «ص»، بما فيها من الكفاحاتِ العظيمة والدامغة، ضدّ جميع الطواغيت والمستكبرين، من الاقتصاديين والسياسيين . ولقد كانت مكة المكرمة - مهبط الوحي السماوي - اَبانَ البعثة الكريمة، مُركَزَ قواعدِ طواغيتِ الثروة والمال، من كبارِ المستوردين والعقاريين وأكلي الربا الكانزين . وكان المُنقذُ الالهي «ص» يُنافحهم ويبددُ جُموعهم، ويقرعُهم بالآياتِ الصارخة القارعة، لكي يُخلّصَ الجماهير من براثنهم التي تقطر منها دماء البُسطهدين والمحقوقين والمنسيين .

وإذا كانت هذه سيرة النبيّ الأُسوة «ص» - وهي كانت - فعلى كلِّ حُكْمٍ او مجتمعٍ اوفقاهية يدعي الاسلامَ والاسلامية، أن يتخذها سيرةً حاسمةً مُجسّدةً لامحيد عنها، حتى لا يُتهمَ دينُ الله الحنيف - العياذ بالله - بالجُوحِ الى الطاغوتية الاقتصادية وامضاء الثروات الكبيرة، المستلزم جمعها وامتلاكها لمحور القسطِ وسحقِ العدلِ ورفضِ الحقِّ وهدمِ الدينِ وخذلانِ الانسانية والانسان .

وثقافاتها الخرافية الجاهلية.

ومما هو لاجب، أن النظام المالي إذا كان قائماً على دعامة انفاق المال وتفريقه، لا على جمعه وتكديسه، لا يوجد في المجتمع فقير بائس، ولا غني مترف.

ولا يظن ظان أن الاحاديث الواردة بهذا الشأن واحد اواثنان او ثلاثة، فيخدش في السند او الدلالة، لأن هذا الامر الرئيسي قدورد فيه القرآن والحديث معاً (كباقي المسائل الرئيسية والموضوعات التي طرحتها في كتاب «الحياة»)، وأن الآيات القرآنية الرامية الى هذا الغرض حاسمة دامغة لا محيد عن البخوع بها والعمل على طبقها. فاي ردع يكون اشد وطأ على التكاثر والمتكاثرين من «سورة التكاثر» بلحنها الدامغ: «الهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ..»^١. وأية دعاية تكون اقوى للإطاحة بقواعد التمويل الكثير والأرستقراطية، من التصريح القرآني بأن الغاية من ارسال الرسل وانزال الكتاب والميزان معهم، هي قيام الناس بالقسط؟^٢ واي حُص بالغ يوجد آكد لنفي الفروق المعيشية الباهظة من هذا البلاغ الرنان: «إن الله يأمر بالعدل والاحسان»^٣؟

هذه هي الخطوط التي يخطها القرآن الكريم لبناء مجتمع قرآني . واما الاحاديث التي تُصرح بالاصول المذكورة، فهي كثيرة متضافرة ومتعاضدة، كما اشرنا اليه؛ وستمر على القارئ شذرة صالحة منها في تضايف هذين البابين.

هذا أولاً؛ واما ثانياً فنقول: إن هذا الامر (اي بث المال وتفريقه)، هو روح الاسلام وجوهره في تنظيمه الحياتي للمجتمع الانساني وتشريعه

١ - سورة التكاثر (١٠٢): ١ - ٣.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

٣ - سورة النحل (١٦): ٩٠.

نظرة الى الفصل الأول ..

المعتدل العام. وإن الأصل الاساسي المذكور، هو أحد الاصول الالهية والمباني الاسلامية في حقول السياسة المالية، التي تُستفاد من الأدلة الاسلامية من الآيات والاحاديث (على تعدد تعابيرها وتنوع بياناتها)، ومن التقارير العملية التي صدرت من النبي الهادي «ص» والائمة الهادين «ع»؛ فكل هذه المذكورات تدعم اصلاً رئيسياً في القضايا المالية، يُؤدّي الى قوام المجتمع في حدّ متناسبٍ من العدالة، متوازنٍ من القسط، متعادلٍ من القصد، متكافلٍ من الاحسان، متساندٍ الى الحق، مُتَجَنِّبٍ للتكاثُرِ والازرافِ والمُحَابَاةِ والآثَرَة، ومكافحٍ ضدّ الفقرِ وسلبِيّاته. والى القارىء اشعاعاً على هذا الموضوع :

إنّ القرآن الكريم قد عدّ المواهب الطبيعية والنعم الالهية، رزقاً للانسان وذريعة تبقى بها حياته ويدوم بها عيشه، وسبباً لبقائه وحركته الى الخير والتكامل، ومتاعاً له ولانعامه، ومؤونة لمعيشته، ومواداً لأكله وشربه؛ ولم يجعل المال وجمعه هدفاً غائياً للانسان، وغاية متوخاة من هذه الحياة ومواهبها، فقال تعالى : «والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * .. ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحبّ الحصيد * والنخل باسقاتٍ لها طلع نضيد * رزقاً للعباد ..»^١؛ وقال : «ثم شققنا الارض شققاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهةً وأباً * متاعاً لكم ولانعامكم *»^٢.

ثم إن الله - جلّت آلاؤه - حيث خلق تلك النعم والمواهب للانسان، نهاه من تحريم الطيبات على نفسه، بل أمره بأن يأكل منها ويشرب ويرزق. وإنّ هذا الخطاب ليس مختصاً بشرذمة من الاغنياء المترفين وذويهم، وبحفنة من المتكاثرين الموسرين، بل الخطاب عامٌ موجّه الى جماهير وجماهير

١ - سورة ق (٥٠) : ٧ و ٩ - ١١.

٢ - سورة عبس (٨٠) : ٢٦ - ٣٢.

من ابناء آدم «ع» - كما أَنَّ النُّظْمَ التَّكْوِينِيَّةَ ايضاً تقتضي ذلك، لَانَ لِكُلِّ ذِي رَمَقٍ قُوَّةٌ^١ - ولاجلِ ذلك، يعني أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ مُهَيَّأَةٌ لِكُلِّ، فَقَدْ مَنَعَ اللَّهُ الْاَغْنِيَاءَ مِنَ الطَّغْيَانِ وَالْاِسْرَافِ وَالتَّعَدِّيِّ عَنِ الْحُدُودِ، حَتَّى تَغْمَرَ النِّعْمُ الْجَمِيعَ، وَحَتَّى تَغْمَرَ الْاِرْزَاقُ النَّاسَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا»،^٢ وَقَالَ: «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ»،^٣ وَقَالَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^٤.

ثُمَّ إِنَّ الْمُنْعِمَ - لِأَنَّ يَحْضُرَ الْاِنْسَانَ فِي إِطَارِ التَّمَتُّعِ الْمَقْتَصِدِ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَيَرْدَعُهُ مِنَ التَّجَاوُزِ وَالْاِعْتِدَاءِ - قَدْ أَنْزَلَ الْآيَاتِ الْمُؤَكِّدَةَ عَلَى التَّقْوَى الْاِقْتِسَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ فَقَالَ: «وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ ..»^٥.

ومما هو معلوم، أَنَّ الْاِسْتِفَادَةَ مِنَ النِّعْمِ الْاِلَهِيَّةِ، عَلَى النَّهْجِ الْمَذْكُورِ، إِنَّمَا تَتَأْتِي ضَمْنَ أُمُورٍ اَرْبَعَةٍ:

- (١) - سُدُّ حَاجَاتِ الْحَيَاةِ وَمُؤَنِّيهَا بِالْمَالِ، فِي حَدِّ مَنَاسِبٍ مَقْتَصِدٍ.
- (٢) - مَجَانِبَةُ التَّكَاثُرِ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَامْتِلَاكِهِ وَادِّخَارِهِ.
- (٣) - الْاِبْتِعَادُ عَنِ الْاِتْرَافِ وَالْاِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ فِي صَرْفِ الْمَالِ وَاسْتِهْلَاكِهِ.

(٤) - اِنْفَاقُ فَضْلِ الْمَالِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ.

أَمَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، فَلِأَنَّ مَجَاوِزَةَ حَدِّ الْقَصْدِ وَالْاِعْتِدَالِ فِي الْاِسْتِهْلَاكَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ، تَدْفَعُ الْاِنْسَانَ إِلَى الْأَمْرَيْنِ الثَّانِيِ وَالثَّلَاثِ: التَّكَاثُرِ وَالْاِسْرَافِ.

أَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي، فَلِأَنَّ الْاِكْتِنَارَ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَادِّخَارِهِ وَامْتِلَاكِهِ

١ - الكافي ٨ / ٢٣، من حديث الامام علي «ع»، من خطبة «الوسيلة».

٢ - سورة المائدة (٥): ٨٧.

٣ - سورة طه (٢٠): ٨١.

٤ - سورة الاعراف (٧): ٣١.

٥ - سورة المائدة (٥): ٨٨.

نظرة الى الفصل الأول ..

الكثير منه وتكديسه، هو من أجل مصاديق التعدي عن الحدود الضرورية والإطارات الدينية للمال . وهو مظهر من مظاهر الطغيان . سواء أكان ذلك في الامتلاك (وهو التكاثر) ام في الاستهلاك (وهو الإتراف). وهذه الحالة بقطع النظر عما توجبهُ من الطغيان الاقتصادي والاجتماعي - والسياسي أيضاً - توجب الطغيان النفسي والغطرسة الروحية وتستتبع الهلاك والفساد في نفسية الفرد المتكاثر والمترف وخلفياته، فيجره الى مهاوي السقوط والدمار - كما سيأتي. وهذا أيضاً ضررٌ كبيرٌ عائدٌ على المجتمع مآلاً، وخروجٌ عن المخطط الذي رسمته المعالم الدينية . ومن الصحيح أيضاً أن نعدّ التكاثر المالي من مصاديق الاسراف، لأنه مجاوزة الحد في الامتلاك . والاسراف منهى عنه في جميع صورهِ ومظاهرهِ - كما هو واضح .

أما الأمر الثالث، فلان الإتراف والاسراف والتبذير لا تلائم الحدود الالهية للمال، فلا يكون المترف والمسرف والمبذر تابعين للمخطط الاسلامي في الحقل الاقتصادي.

وأما الأمر الرابع، فلان بذل المال وانفاقه هو المجانبة عن التعدي والطغيان في جانب الامور المالية عملاً^١، وأن تفريق المال وانفاقه وعدم التباري في امتلاك الكثير منه، هو المنهج الاسلامي الذي تؤكدُ التعاليم - كما مرّ .

فعلى ما عرضنا، ينحصر الهدف الغائي من المال واقتنائه، في منطقي التعاليم الاسلامية، في امرين :

- (١) - تأمين معيشة مقتصدة حد الكفاف، وما يقترُب منها .
- (٢) - بذل فضل المال وانفاقه وتفريقه بين الناس، حتى لا تكون دولة بين ذوي الثروة، وحتى لا تتجمد حركات الناس المعيشية والرفاهية والحياتية والتربوية والتكاملية .

١ - مضافاً الى أنه قيام باداء المسؤولية امام أعواز الناس وحاجات المجتمع.

وفي ظلّ هذا المنطقِ القرآنيّ البناء، نُشاهدُ أنّ صلةَ الانسانَ بالمال هي كصلته بالطبيعة ومواهبها ونعمها الالهية، وليست هي الاصلة التذرع لاصلة الاستقطاب. وهذه الصلة بوصفها المذكور، تكون تابعة للقوانين العامة الحاكمة على الكائنات المتلاحمة معها. وعلى ضوء هذا التعليم - الذي لا نجدُه في مدرسة او مذهب - نُشاهدُ أنّ صلاتِ الانسانِ جميعاً تكون صلاتٍ متماسكةً ومتلائمةً ومتجاوبةً. فصلةُ الانسانِ بالمال، وصلته بالطبيعة، وصلته بمواهبها، وصلته بالحياة، وصلته بالحركة والنشاط، وصلته بكلّ ما هنالك، انما هي صلاتٌ متجاوبةٌ متجانسةٌ منسجمةٌ انسجاماً كاملاً؛ وماهي الا صلةٌ عادلةٌ وقاصدةٌ وهادفةٌ.

ولقد جاء في تفسير شيخنا عليّ بن ابراهيم القمي، في شرح هذه الآية «.. وقدّر فيها اقواتها في اربعة ايامٍ سواءً للسائلين» هذا البيان: «يعني في اربعة اوقات. وهي التي يُخرجُ الله فيها اقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الارض وما في البر والبحر من الخلق، والثمار والنبات والشجر، وما يكون فيه معاش الحيوان كله، وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء؛ ففي الشتاء يُرسلُ الله الرياح والامطار والانداء والطلول من السماء، فيلقح الارض والشجر، وهو وقت بارد. ثم يجيء من بعده الربيع، وهو وقت معتدل حار وبارد، فيُخرجُ الشجر ثماره والارض نباتها فيكون اخضر ضعيفاً، ثم يجيء من بعده وقت الصيف، وهو حار، فينضج الثمار ويصلب الحبوب التي هي اقوات العالم وجميع الحيوان. ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيبه ويبرّده. ولو كان الوقت كله شيئاً واحداً لم يُخرجِ النبات من الارض، لانه لو كان الوقت كله ربيعاً لم تنضج الثمار ولم تبلغ الحبوب، ولو كان الوقت كله صيفاً لا حترق كل شيء في الارض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت؛ ولو كان الوقت كله خريفاً ولم

نظرة الى الفصل الأول ..

يَتَقَدَّمُهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ يَتَقَوَّتُ بِهِ الْعَالَمُ . فَجَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَوْقَاتِ فِي الشَّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ وَالخَرِيفِ، وَقَامَ بِهِ الْعَالَمُ وَاسْتَوَى وَبَقِيَ . وَسَمَّى اللَّهُ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ أَيَّامًا سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ، يَعْنِي الْمَحْتَاجِينَ، لِأَنَّ كُلَّ مُحْتَاجٍ سَائِلٍ . وَفِي الْعَالَمِ مِنْ حَلْقِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْأَلُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَوَانِ كَثِيرٌ، فَهَمَّ سَائِلُونَ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوا^١ . ف «قَدَّرَ (اللَّهُ) فِي الْأَرْضِ أَرْزَاقَ أَهْلِهَا عَلَى حَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، فِي قَوَامِ أِبْدَانِ النَّاسِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ»^٢

فَفِي هَذَا الضُّوءِ، إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الرَّاهِنَةِ، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ، قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ وَالْأَوْقَاتَ وَالْأُمُورَ وَالطَّبَائِعَ وَالخَوَاصَّ عَلَى نِظَامٍ دَقِيقٍ، لِمَنَافِعِ الْكُلِّ، وَلِأَنَّ اسْتِغْفَادَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ مِنَ الْمَوَاهِبِ، وَأَنْ تَكُونَ صِلَةُ الْإِنْسَانِ بِهَا صِلَةً لَا تُضُرُّ بِالْآخِرِينَ .

وهذا مبدأ عظيم لحركة الانسان التكاملية، لأن تجاوب صلات الانسان مع الكائنات - في سلسلة الكون العظيم - يوجب أن ينخرط الانسان في سلك التكامل الكلي العالمي، وأن لا يتطرف ولا يقع في شذوذ أو تهاو أو سقوط . ولكن الانسان اذا خرج من هذا الإطار العام الطبيعي الذي رسمه له الدين الالهي، بجنوحه الى تكديس المال وجمعه والطغيان فيه وترك انفاقه والاسراف في استهلاكه، فهو يتردى في مهاوي الهلاك الفردي والاجتماعي، ويتدهور في هوات الدمار؛ قال الله تعالى : «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ *»^٣، وقال : «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا

١ - تفسير القمي ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٢ - مجمع البيان ٩ / ٥ .

٣ - سورة طه (٢٠) : ٨١ .

بأيديكم الى التهلكة ..»^١، وقال الامام علي «ع»: «مَنْ يَسْتَأْثِرُ مِنَ الْاَمْوَالِ يَهْلِكُ»^٢.

فالطَّغْيَانُ فِي الْأَكْلِ، أَوْ فِي الْجَمْعِ، كِلَاهُمَا يُطْغِيَانِ الْإِنْسَانَ وَيَشُدَّانِ بِهِ عَنِ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ، وَيَسْتَبْعَانِ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ (فِيحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي)، وَيَجْرَأُنِي إِلَى الْمَهَالِكِ (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ).

ومن هنا نشاهد أنَّ الإنسانَ كما يحرمُّ عليه أن يُفْسِدَ الثَّرَوَاتِ وَالْمَنَابِعَ الطَّبِيعِيَّةَ، يحرمُّ عليه أيضاً أن يُضَيِّعَ الْمَالَ وَأَنْ يُسْرِفَ فِيهِ، وَأَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ التَّدَاوُلِ. وهذا أيضاً يدلُّ على تلك الصَّلَاتِ الْمَذْكُورَةِ، الْهَامَّةِ وَالْمُتْرَابِطَةِ.

*

وجاء في الحديثِ الثَّانِي - مِنْ نَبَوِيَّاتِ هَذَا الْفَصْلِ - تَعْلِيمُ بِنَاءِ، وَهُوَ يُصَرِّحُ بِأَنَّ امْسَاكَ الْمَالِ وَالرَّغْبَةَ فِيهِ، أَمْرٌ مُضَادٌّ لِلسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالنَّبِيُّ «ص» هُوَ الْأُسْوَةُ. وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَفَاسِدِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالانْحِطَاطَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَنَبَّهَتْ مِنْ:

أ - خُرُوجِ مُثْرِيهِمْ وَاغْنِيَائِهِمْ مِنَ السَّيْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْاِقْتِنَاءِ وَالْاِمْتِلَاكِ، بِجَمْعِهِمُ الْمَالَ وَالتَّوَفُّرِ عَلَيْهِ وَجُنُوحِهِمْ إِلَى التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ بِالْمَالِ.

ب - تَسَاهُلِ عِلْمَائِهِمْ فِي مَقَاطِعِ الْمَتَكَاثِرِينَ وَاصْحَابِ الْاَمْوَالِ الطَّائِلَةِ وَالْمَعِيشَةِ التَّرَفِيَّةِ، وَحَظْرِ الْغِنَى التَّكَاثُرِيِّ وَالْعِدْوَانِ الْاِقْتِصَادِيِّ.

ج - تَقَاعُسِ حُكْمِهِمْ وَرِجَالِهِ عَنْ مَكَاْفِحَةِ هَؤُلَاءِ الْمُدَّخِرِينَ الْمَتَكَاثِرِينَ وَالْاِغْنِيَاءِ الْمُتْرَفِينَ، بَلْ جُنُوحِهِ يَهُمُّ وَكُونِهِ مِنْهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْاِحْيَانِ.

د - مَحَامَاةِ الْبَعْضِ، مِمَّنْ يَسْمَعُ النَّاسُ كَلَامَهُمْ، عَنِ الْاِغْنِيَاءِ

١ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٢ - تحف العقول / ١٥٥.

والمُدخِرِين وتبرير أعمالهم .

هـ - تطوير التقنين والبرمجة الاقتصادية الى حيث ينفع الاغنياء الكبار والأثرياء .

اما على اساس التعليم النبويّ وسائر ماجاء بهذا الصّد في الاسلام، فيكون تضخّم المال عند حفنةٍ وخلقُ ايدي الجماهير منه، خروجاً من الموازين الدنيّة، وتعدّياً على المقاييس الاسلامية؛ وكذلك دفاع المحامين عن هذا السلوك الاقتصاديّ وتحمّس المتحمّسين له، يُعدّ قياماً في وجه السيرة المقدّسة ومجانبةً لتعاليم الاسلام البناءة.

وفي هذا الحديث المرشد الموجه، والتعليم الموقظ، مقاطع حية هامة، في بيان كيفية اكتساب المال، وحدوده المشروعة، وطرق صرفه الصحيحة، نوّد أن نلفت اليها الانظار، لما فيها من الاثر الحاسم في بناء مجتمع اسلاميّ سالم، اذا عمل بمفادها ومؤشراتها. وهذه المقاطع متكرّرة متعاضدة، بتعاليمها ومضامينها، في الآيات والاحاديث :

أ- اكتساب المال من غير معصية: «طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية»^١؛ هذا المقطع من الحديث يُشير الى أن اكتساب المال وتحصيله يجب أن يكون مبتعداً عن المعصية، مجاناً للذنب، اقتصادياً كان الذنب او غير اقتصادي؛ مع التيقّظ الى أن الذنب الاقتصاديّ هو من اكبر الذنوب الاجتماعية واوسعها مضرّة، واوخمها مغبّة. فالذنوب التي يُعدّها الامام جعفر الصادق «ع»^٢ قواعد الانهيار، وعِللاً اساسيةً لفقر الفقراء، وجوع الجائعين، وعُري العُراة، هي الذنوب الاقتصادية في الاغلب، وكذلك المعاصي التي يرتكبها الاغنياء المترفون، حيث

١- تحف العقول / ٢٨. نذكر مصدر الحديث وكذلك رقم الآية، أثناء النظرة ايضاً - وان كانا مذكورين

في الفصل - سهيلاً على القارئ الكريم.

٢ - الوسائل ٤ / ٤: راجع ايضاً: الفصل ٣٨، من هذا الباب.

يَسْتَهْلِكُونَ الْأَمْوَالَ وَالْبُضَائِعَ الطَّائِلَةَ كَمَا تَشَاءُ لَهُمْ مِمَّا مِيلُوا إِلَيْهَا لِاتِّخَاذِهَا
وَبَطُونَهُمْ الَّتِي لَا تَنْشَبُحُ؛ وَالْمُسْرِفُونَ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَيَلْبَسُونَ مَا
لَيْسَ لَهُمْ، وَيَأْكُلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ ..^١ ومن تلك الذنوب، الامساک والبخل
والاحتكار والاجحاف بالاسعار، وظلم الأجراء والعمال والكادحين
وبخس حقوقهم، وسائر ما هنالك من الذنوب والعدوان .

ب - انفاق المال في غير معصية: «.. وأنفق في غير معصية»^٢؛ هذا
المقطع يشير الى أن صرف المال وانفاقه، يجب أن يكونا مبتعدين عن
المعصية والذنب، فلا اسراف ولا تضييع . وكذلك لا وجه لصراف المال في
المقاصد الفاسدة وفي وجوه الشر والتضييع . فالمسلم المؤمن هو الذي
يكتسب المال من غير معصية، ويُنْفِقُهُ في غير معصية، فلا امساک عن الخير
والصلاح، ولا انفاق في الشر والفساد .

ج - العود بالمال على البؤساء والمساكين: «.. وعاد به على اهل
المسكنة»^٣؛ فالمقدار الزائد على عيشة سالمة اسلامية مقتصدة، يعود به
الغني المسلم على ذوي الحاجات من اهل المسكنات، او على
المشاريع الخيرية العامة، بصورها المتنوعة، المتلاحمة مع حاجيات كل
عصر ومصر، حتى يعم نفعه الناس .

وهذا الاصل هو اصل الانفاق، الذي اشره الاسلام اصلاً رئيسياً،
وحض عليه كل من يتاح له انفاق شيء، حاضاً جذرياً بعيد المدى، فسيح
الآفاق، بحيث لم نشاهد مثله في حقل التربية والاخلاق الاقتصادية في آية
فكرة او مدرسة اودين . وفلسفة الانفاق الاصلية هي تداول الاموال بين
الناس حتى تستمر حركة المال القوامية، ويشجب الاكتناز والتكاثر

١ - الخصال ١ / ١٢١ .

٢ - تحف العقول / ٢٨ .

٣ - تحف العقول / ٢٨ .

نظرة الى الفصل الأول ..

والاتراف والاسراف . وهو يشملُ فضلَ المال (وفضلُ ماله مبذولٌ) ^١ آياً كان، فلا يختصُّ بمقدارِ طعامِ يومٍ او أسبوعٍ، بل يُعمُّ جميعَ ما هنالك من المُؤنِّ والمصارفِ ، كمؤنِّ طلبِ العلمِ، ومؤنِّ الاكتسابِ والامتهانِ، ومؤنِّ الاكتشافاتِ العلميَّةِ والصَّحيَّةِ، ومؤنِّ الزَّواجِ، ومؤنِّ السَّكنِ، ومؤنِّ تربيةِ الاطفالِ والنَّاشئةِ، ومؤنِّ سفرِ الحجِّ او زيارةِ النَّبيِّ «ص». ^٢ وكلُّ ذلك يُؤدِّي الى حركةِ المالِ في المجتمعِ بصورةٍ قواميَّةٍ اسلاميَّةِ .

فعلى اساسِ هذا المبنى التَّربويِّ، يجبُ اقتناءُ المالِ وتحصيلُه لتأمينِ المعاشِ، تأمينَ كفايةٍ، لتأمينِ توسُّعٍ وبذخٍ وترَفٍ . وستمرُّ عليك تفاصيلُ هذا الموضوعِ في فصولِ هذينِ البابينِ . فالمستفادُ من الحديثِ، هو تصويرٌ حيٌّ نابضٌ، للحياةِ الاجتماعيَّةِ الاقتصاديَّةِ، المقبولةِ عندَ الاسلامِ، المرضيَّةِ عندَ النَّبيِّ الاكرمِ «ص». ولاجلِ اَنْ يتبلورَ الواقعانِ الماليَّانِ، الصَّالحُ والفاقدُ، في حقلِ التَّعاليمِ الشَّرعيَّةِ، يَعمدُ النَّبيُّ «ص» بعدَ اعطائه التَّصويرَ الاقتصاديَّ السَّالمَ للمجتمعِ الاسلاميِّ، الى بيانِ ما يضاؤُ ذلك التَّصويرِ، فيرسمُ صورةً أُخرى من الامتلاكِ والتمولِ :

د - الخيلاءُ والتَّفَاخُرُ بِالْمَالِ : «... وجانبَ اهلِ الخيلاءِ والتَّفَاخُرِ» ^٣؛ هذا المقطعُ ينددُ بهذا الشَّكلِ من الحياةِ الماليَّةِ والاقتصاديَّةِ، ويعلنُ ابتعادها عنِ المنهجِ القويمِ والمُهَيِّجِ الاسلاميِّ اللَّاحِبِ . فاهلُ الخيلاءِ المُحِبُّونَ للمالِ المتفَاخِرُونَ بهِ، همُ المُجَانِبُونَ للتَّعاليمِ الدِّينيَّةِ، والمبتعدونَ عنِ السَّيرةِ الاسلاميَّةِ، لانَّ المالَ في حياةٍ كهذهِ ليس ذريعةً لتأمينِ المُؤنِّ وسدِّ الحاجاتِ اللّازمةِ لحياةٍ سليمةٍ، بل هو ذريعةٌ يتدَّرَعُ بها الاثرياءُ الى التَّفَاخِرِ والاستكبارِ والتَّعَانُقِ مع الدُّنيا وملاذِّها .

١ - تحف العقول / ٢٨٧، من حديثِ الامامِ موسى الكاظمِ «ع».

٢ - راجع: فصول «مستوى العيش للجماهير»، من الباب ١٢.

٣ - تحف العقول / ٢٨.

هـ - الابتداعُ خلافُ السُّنَّةِ والعملُ بغيرِ السَّيرةِ: «... المُبتدِعِينِ خِلافَ سُنَّتِي، العَامِلِينَ بِغَيْرِ سِيرَتِي»^١؛ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ السَّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ - وَهِيَ سِيرَةُ الْإِسْلَامِ الْمَحْضِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَلَّى فِي عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ - هِيَ اكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَإِنْفَاقُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَالْعَوْدُ بِمَا فَضَلَ مِنْهُ عَلَى الْمَحْرُومِينَ وَاهْلِ الْمَسْكِنَةِ، وَمَجَانِبَةُ أَهْلِ الْخِيَلَاءِ وَالْفِرْعَانَةِ، يَتَّضِحُ بِجَلَاءِ أَنَّ السَّائِرِينَ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْوَتِيرَةِ هُمُ الْمُبْتَدِعُونَ خِلافَ السُّنَّةِ وَالْعَامِلُونَ بِغَيْرِ السَّيرَةِ . وَهَذَا التَّعْبِيرُ النَّبَوِيُّ هُوَ الْحُدُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي إِطَارِ التَّمَوُّلِ وَالْإِمْتِلَاكِ .

وَأَنْ مِمَّا يُكْبِرُ الْهَمَّ وَيَقْصِمُ الظَّهْرَ، مَا جَاءَ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ الْإِكْرَمِ، فِي الْحَدِيثِ الثَّلَاثِ، بِحَقِّ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ أَغْنِيَاءِ الْأُمَّةِ؛ أَمَّا الطَّبَقَةُ الْأُولَى فَهُمْ الْمَفْلِحُونَ، وَهُمْ أَقْلَاءٌ؛ وَالطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ هُمُ الْهَالِكُونَ؛ لَكِنَّ الطَّبَقَةَ الثَّانِيَةَ (وَهُمُ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الْمَالَ مِنْ أَطْيَبِ وَجُوهِهِ وَأَحْسَنِ سُبُلِهِ، وَيَصِلُونَ بِهِ الْإِرْحَامَ، وَيَبْرُونَ بِهِ الْإِخْوَانَ، وَيُوَاسُونَ بِهِ الْفُقَرَاءَ، وَلَعَضُّ أَحَدِهِمْ عَلَى الرَّضْفِ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكْتَسِبَ دَرَهْمًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنْ حَقِّهِ، أَوْ يَكُونَ لَهُ خَازِنًا إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ) فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ «ص» فِي حَقِّهِمْ: إِنَّهُمْ «إِنْ نَوَقِشَ عَنْهُمْ عَذَّبُوا»^٢ .. فَالِي اللَّهِ الْمَعَاذُ .

٢ - الْمَالُ مَالُ اللَّهِ تَعَالَى : لَقَدْ أَلْمَحْنَا فِي الْإِلْفَاتِ السَّالِفَةِ بِهَذَا الصَّدَدِ، إِلَى أَنَّ عَدَّ الْمَالَ مَالَ اللَّهِ وَالْبُخُوعَ بِهِ كَاصِلٍ ، لَيْسَ إِلَّا مِنْ صُلْبِ التَّعَالِيمِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَهَذَا نَزِيدُ إِشْعَاعًا عَلَى الْمَوْضُوعِ، وَنُشِيرُ إِلَى أَنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْإِلَهِيَّةَ فِي الْمَجْتَمَعِ مَا هِيَ وَكَيْفَ هِيَ؟ فَنَقُولُ :
إِنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْإِلَهِيَّةَ، فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ، هِيَ حَرَكَةُ جَمَاهِيرِيَّةٍ

١ - تحف العقول / ٢٨ .

٢ - البحار ١٠٣ / ٢٣ - ٢٤ .

نظرة الى الفصل الأول ..

شعبية بالضرورة، لأن المقصود من أن «المال لله» و«المال مال الله»، أنه يجب أن يكون جارياً في ايدي الناس والخلائق عامة - على حسب ما جاء في دين الله - لا مُتَكَدِّساً عندفئةٍ ومحبوساً عند قطاع .. وذلك لأن الخلق كلهم عيال لله تعالى - كما جاء في الاحاديث -^١ والمال مال الله - كما مرّت احاديثه - ومال الشخص لعياله . إن الله خلق الخلق كعائلة له وضمن ارزاقها، وخولها الطبيعة ومواهبها، فجعل المنابع والاموال لتكون ذرائع لحياة عائلته، ومؤناً لمعيشتها . فهولاء الاثرياء المتكاثرون المتسلطون على الاموال هم الذين يخونون الله في امواله، ويجهون في تقاديره، حيث يستأثرون بالاموال ويخرجونها من مداراته الالهية المقررة لها الى غيرها، ويصدون عباد الله وعياله من أن يصلوا اليها ويديروا معاشهم بها؛ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .^٢

ولقد جاء القرآن الكريم، في كثير من آياته البينات، بتصرّيات ناصّة على مالكية الله لجميع الاشياء والمواهب والنفوس - كما مرّت لمعة منها - وأنه تعالى يملك الفرد والمجتمع وحياتهما وكل ما يمت اليها مما يوجد في الطبيعة وما يكون بايدي الناس؛ وذلك لأن يحكم الاصل المذكور ويدعمه، ويلفت الانظار الى هذه القاعدة الرئيسية.^٣ ولاجل ذلك تشهدون القرآن الكريم يصرّح مراراً بأن الاكل من «رزق الله» و«رزق ربكم»، و«من طيبات ما رزقناكم». فالذي يأكله الناس - ومنهم البائسون الذين يطعمهم غيرهم - ليس هو رزق بعضهم لبعض، في المنطق القرآني، بل هو رزق الله الذي اعده للجميع وخولهم آياه «فهم فيه سواء»^٤، غير أنه

١ - نهج البلاغة / ٢٣٠؛ عبده ١ / ١٥٩؛ الكافي ٢ / ١٩٩.

٢ - سورة الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

٣ - لقد اوردنا رأي ثقة الاسلام الكليني، في نفي ملكية الناس عامة عن الاموال، فراجع: النظرة الى الفصل ٢٥، من الباب ١١، الفقرة ١٢؛ «الكافي» ١ / ٤٠٧ و ٥٣٨.

٤ - سورة النحل (١٦): ٧١.

يَصِلُ اليه البعض بنفسه، والبعض الآخر بوساطة غيره، من الاشخاص،
او الحكم، او المؤسسات الاجتماعية المُعدَّة للتأمين الاجتماعي .
وتلكم التعابير والتصريحات الناصَّة إنما جاءت في الكتاب
السماوي، لِيَعْلَمَ الانسان :

١ - أَنْ صَلَّته بِالْمَالِ لَيْسَتْ صَلَّةً بِأَمْوَالٍ شَخْصِيَّةٍ، بَلْ بِأَمْوَالِ الْهَيْئَةِ
وَبَارِزَاتِ اللَّهِ وَنِعْمَائِهِ .

٢ - أَنْ صَلَّته بِالْمَالِ لَيْسَتْ صَلَّةً مُسْتَقِلَّةً، بَلْ صَلَّةً اسْتِخْلَافِيَّةً .

٣ - أَنْ الْإِنْسَانَ الَّذِي تَرَبَّعَ عَلَى مَائِدَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى وَسُفْرَتِهِ
الْفَسِيحَةِ، لَيْسَ هُوَ الْمُخْتَصَّ بِتِلْكَ النِّعَمِ، وَلَيْسَتْ هِيَ مُخْتَصَّةً بِهِ، بَلْ هُوَ
وَاحِدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ، الْمَرْزُوقِينَ بِهَذَا الرَّزْقِ، الْمَحْتَاجِينَ إِلَيْهِ . فَاِنْ
أَسْرَفَ هُوَ أَوْ بَدَّرَ، أَوْ جَاوَزَ حَقَّهُ وَحَدَّهُ، فَأَكَلَ مَا لَيْسَ لَهُ أَكْلُهُ، فَقَدْ أَضْرَبَ بِمَالِ
الْجَمِيعِ، وَتَعَدَّى عَلَى حَقُوقِ النَّاسِ عَامَّةً .

وَإِذَا صُرِفَ الْمَالُ - وَهُوَ مَالُ اللَّهِ - فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهِيَ سَبِيلُ النَّاسِ،
تَتَفَتَّحُ آفَاقُ الْحَيَاةِ، وَتَتَبَلُّورُ الْمَوَاهِبُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَتَحَقَّقُ أَرْضِيَّاتُ النُّمُوِّ
وَالرُّقْيِيِّ فِي الْحَيَاةِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ لِكُلِّ الْإِنْفِرَادِ وَالْقِطَاعَاتِ، وَيَسْلُكُ كُلُّ
أَحَدٍ سَبِيلَ الْعُرُوجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَيْثُ يُتَأَمَّرُ لِلْكَوْنِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى
حَاجِيَّاتِهِ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ^١ . وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ تِلَاحُكُمْ بَاهِرٌ فِي أَجْزَاءِ
الْمَجْتَمَعِ وَقِطَاعَاتِهِ، فَلَا فَقِيرَ بَائِسًا هُنَاكَ لَا يَجِدُ إِلَى الْقُوْتِ سَبِيلًا، وَلَا غَنِيًّا

١- من الواضح أن للعلم وطلبه حاجيات، وكذا للعمل وإداء التكاليف الدينية أيضاً حاجيات، «فلولا
الخبر ما صلينا ولا ضمنا ولا أدينا فرائض ربنا»، كما جاء في الحديث النبوي - (الكافي ٥ / ٧٣).
والأسف المميت من أنه لا توجد تربة صالحة وتجسدية، لإنقاذ حقوق المحرومين
وردها إليهم (سوى الهتاف)، حتى يتمكن هؤلاء أيضاً من أداء واجباتهم التي تفوتهم من جراء
الفقر المدقع والزمانة والحرمان الصحي والترابي . ولقد قال الامام ابو الحسن علي بن موسى
الرضا «ع» في بيان علة تشريع الزكاة : «... وتقوية الفقراء والمعونة لهم على امر الدين» - (علل
الشرايع / ٣٦٩).

مُغَطَّرِ سَأً يَلْعَبُ بِالْإِنْسَانِ وَمَصَالِحِهِ وَبِالْمَجْتَمَعِ وَتَسَامِيهِ؛ نَعَمْ، لَا وَتَنْ
لِلوَثْنَيْنِ الْمَالِيِّينِ بِاسْمِ «الْمَالِ»، وَلَا وَازَعَ لَطْلَابِ التَّكَامُلِ مِنْ جِهَةِ
الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ. فَالْمَالُ مَالُ اللَّهِ، وَالخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، وَقَدْ صُرِفَ الْمَالُ
لِلْعِيَالِ .

٣- الاموال ودائع وعوار: إِنَّ التَّعَالِيمَ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا
المَقَامِ، تُؤَشِّرُ إِمَامَ الْمَجْتَمَعِ مُنْطَلِقَاتِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْمَسَائِلِ الْمَالِيَّةِ
وَالسِّيَاسَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَتُحَدِّدُ الْاِرْضِيَّاتِ الَّتِي يُمَهِّدُهَا الْإِسْلَامُ لِتَخْطِيطِ
بِرَامِجِ قِيَمَةٍ عَادِلَةٍ لِلْمَالِ وَكَيْفِيَّةِ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَلرَّسْمِ خُطُوطِ كَلِيَّةٍ لِمَذْهَبِ
الْإِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ . هَذِهِ التَّعَالِيمُ تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْمَالَ عَارِيَةٌ فِي أَيْدِي
الْاِغْنِيَاءِ^١، وَوَسِيلَةٌ صَالِحَةٌ يُقْضَى بِهَا عَلَى الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَيُضْمَنُ بِهَا
النَّفْعُ الْعَامُّ؛ وَهِيَ تَسْتَبِيعُ الْقِضَاءَ الْحَاسِمَ عَلَى أَيِّ لَوْنٍ مِنَ الْوَانِ اسْتَقْطَابِ
الْمَالِ وَتَبْنِيهِ غَايَةً لِلنَّشَاطَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، أَوْ ذَرَائِعَ لاسْتِغْلَالِ النَّاسِ .

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ (أَنْتِي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^٢. وَهَذِهِ الْخِلَافَةُ رِسَالَةٌ الْهَيْئَةِ الْعَظِيمَةِ، تَفْرُضُ عَلَى الْإِنْسَانِ
أَنْ يَعْمَلَ فِي الْأَرْضِ كَخَلِيفَةِ اللَّهِ، وَإِنْ يَسْتَفِيدُ مِنْ مَوَاهِبِ الْأَرْضِ وَنِعْمَاتِهَا
وَإِنْ يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَخَلِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَهَذَا التَّعْلِيمُ الْقَوِيمُ، لَا يُسَوِّغُ لِلْإِنْسَانِ حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ فِي مُمْتَلَكَاتِهِ

١- لَقَدْ بَحَثْنَا عَنِ الْغِنَى بِقِسْمِيهِ (الْكَفَافِيِّ وَالْاِتْرَافِيِّ) فِي الْفَصْلِ ٤١، مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَشَرَحْنَا هُنَاكَ أَنَّ
الْغِنَى وَالْمَالَ الْكَثِيرَ (التَّكَاثَرَ) لَا يَرْضِيهِ الْإِسْلَامُ وَلَا يُقَرُّهُ وَلَا يَرَاهُ حَاصِلًا مِنْ وَجْهِ حَلَالٍ مَشْرُوعٍ،
كَمَا شَجَّهَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ شَجْبًا حَاسِمًا . فَالْغِنَى الَّذِي يَقْبَلُهُ الْإِسْلَامُ وَيُوجِّهُ إِلَيْهِ تَكَالِيفَهُ لَيْسَ بِذَلِكَ
الرَّأْسَمَالِيِّ - فِي الْمِصْطَلَحِ الْحَدِيثِ - أَوْ الْمَتَكَاتِرِ الْمُمْتَلِكِ لِمَقَادِيرَ كَثِيرَةٍ، بَلْ هُوَ الْاِمِينُ فِيمَا بَايَدِهِ،
الْمُقْتَصِدُ فِي الْاِمْتِلَاقِ وَالْاِسْتِهْلَاقِ، الْبَارُّ الْوَصُولِ، مَمَّنْ تُسَمِّيهِمُ التَّعَالِيمُ الْإِسْلَامِيَّةَ: «أَمْنَاءٌ عَلَى
الْمَحَاوِيجِ» - (الْكَافِي ٢ / ٢٦٥). وَسَتَأْتِي الْاِشَارَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي الْمَتْنِ اِيضًا .

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ (٢): ٣٠ .

مطلقاً، لانه لا يرى الانسان العائش على ظهر الارض، موجوداً مستقلاً في امتلاكه، حراً لا محدوداً في تصرفاته واستمتاعه من النعم والمواهب - كماً وكيفاً - بل يراه خليفة الله ووكيله الذي استخلفه لان يعمل على النهج المشروع الذي وصاه به . فالمال الذي يستقر في يد المستخلف (بالفتح) ليس ملكه حقيقةً، بل هو ملك المستخلف (بالكسر) اودعها عنده لتصرفاتٍ صالحةٍ مشروعةٍ ومحدودةٍ بحدودِ الشرعِ الالهي. وهذا هو المعنى الذي نطق به الكتاب السماوي: «وَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»^١، اي: «الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها، فهي في الحقيقة له لالكم»^٢. وفي هذا التعبير الذي جاء في الآية نكتة هامة ينبغي ان لا تذهب علينا وان لا نغفل عنها . وهي في ضمير الخطاب المجموع في «جعلكم»، فهذا التعبير خطاب عام للمجتمع بأسره،^٣ فيفهم منه بالتالي هذه الحقيقة، يعني: ان الله قد جعل الناس كلهم محققين في الاموال والاستفادة منها . ولازم هذا المعنى ان تكون المجموعة المالية والثروة الموجودة في المجتمع مورد الاستخلاف، وان يكون التصرف فيها بصورة استخلافية . وذلك لا يكون الا بسريانها في الايدي وتداولها بين الناس وخروجها من كونها دولة بين الاغنياء؛ فصلات الانسان بالاموال والثروات - وكذلك التبادلات - لا تكون الا استخلافية، فيجب ان تتداول الاموال في سبيل الله وحيث وجهها الله طبقاً لشريعته تعالى .

واذا كان تداول الاموال بين الناس هكذا، يصبح التداول بالضرورة تداولاً قوامياً، يعني: يكون المال على هذا الاساس سبباً لقوام الحياة الفردية والاجتماعية، وباعثاً على تفتح القدرات والمواهب لاغير .

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٧ .

٢ - تفسير الصافي ٥ / ١٣٣ .

٣ - راجع : الفصل ٣٦، من هذا الباب؛ والفصل ٣، من الباب ١٢ .

نظرة الى الفصل الأول ..

فالنظام المالي التكاثري - الذي يقوم على ترف الاقلية وحرمان الاكثرية - ليس نظاماً استخلافياً واسلامياً؛ اذ القرآن والحديث يجابهان ذلك النظام ويرفضانه، ويؤكدان على كون الاموال مصححةً للخلق وقواماً لحياتهم، ويريان الانفاق (وهو اجراء المال وادالته بين الناس) امراً طبيعياً، اذ المنفق لا ينفق الا مما جعل مستخلفاً فيه؛ فالتعاليم الاسلامية تقول للناس: «انفقوا مما لستم مالكين له، بل انتم حراسه ووكلاء المالك الحقيقي فيه، ولكم حق التصرف . والتصرف قد حدد بالاستهلاك المقتصد من غير اسراف، وبالانفاق من غير امسك .. وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة». فامسك المال الزائد امر لا يعترف به الدين، ولا يبرره ناموس العدالة والحق، لانه مضاد للجهة الاستخلافية في المال، وتعد عن حده الودعي الالهي، وسبب لهلاك الافراد وتلاشي المجتمعات .

٤ - الاموال قوام وقيام (الموضع الالهي للمال): لشرح هذا الموضوع الهام الحياتي ضمن مسائل:

الاولى: ان موضع المال الالهي - وهو القوام .. وكان بين ذلك قواماً^١، والقيام (.. اموالكم التي جعل الله لكم قياماً)^٢ - يوجب نفي افساد المال وتضييعه في كل صورته واشكاليه، جزئية وكلية، فرعية واصلية، في الانتاج والاستيراد والتوزيع والاستهلاك، كما وكيفاً، في كل ذلك . لان افساد المال يضاد موضعه القوامي الالهي، يقول الامام الباقر «ع»: «ان رسول الله «ص» نهى عن .. فساد المال .. وقال: «ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً»^٣.

١ - سورة الفرقان (٢٥) : ٦٧.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥.

٣ - تفسير البرهان ١ / ٣٤٢.

الثانية: أن موضع المال الالهي، يرفض اكل المال بالباطل بالوانه، لأن حركة المال الباطلة تضاد حركته القوامية الصحيحة وتؤدي الى فسادِه . فالربا مثلاً - وقد عدُّ من أبرز مصاديق اكل المال بالباطل - قد جاء في عِللِ تحريمه بأنه يقتضي فساد الاموال وتلفها، يقول الامام ابوالحسن الرضا «ع»: «... فَحَرَّمَ اللهُ - تبارك وتعالى - الرَّبَا لَعَلَّةِ فَسَادِ الاموال، كما حُظِرَ على السَّفِيهِ أَنْ يُدْفَعَ مَالُهُ اليه، لِمَا يُتَخَوَّفُ عليه مِنْ اِفْسَادِهِ...»^١.

وفي هذا التعليل الرضوي، نكتة هامة استدلالية، وهي في قوله «ع»: «كما حُظِرَ على السَّفِيهِ...». هذه النكتة تفيدنا بأن قوامية المال كما توجب أن لا نسلمه الى السفيه - لأن السفيه لا يميز القوام عن غيره ويضيع ما هو القوام تضييعاً - كذلك توجب أن لا نأخذ به الربا، لأن هذين الامرين كليهما يُخرجانِ المالَ عن مداره القوامي .

الثالثة: أن الموضع المذكور يرفض حركة المال التكاثرية في المجتمع ايضاً. وذلك لنفس العلة المذكورة، لأن المال يخرج في المستوى التكاثري عن موضعه القوامي، إذ التكاثر يصاد القوام، يقول الامام الصادق «ع»: «القوام وضده المكاثر»^٢.

الرابعة: أن الموضع المذكور، هو موضع المال الانساني والجماهيري، وذلك لمايلي :

أ- أن تحقق الموضع المذكور إنما يكون بتوزيع الاموال والثروات وإداتها بين الناس واخراجها عن كونها «دولة بين الاغنياء» - كما حُصَّ عليه القرآن الكريم^٣ - اذ المال في هذه النظرة (النظرة الالهية القوامية)،

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٩٤.

٢ - الكافي ١ / ٢٢.

٣ - سورة الحشر (٥٩): ٧.

نظرة الى الفصل الأول ..

لا يكونُ الا ما تقومُ به حياة الفرد والمجتمع (وحياة الاسلام والمسلمين)،^١
لما يدخرُ للتكاثر والتفاخر (.. وتفاخرُ بينكم وتكاثرُ في الاموال)^٢، ولا ما
يؤكلُ ربوياً (.. ليربوا في اموال الناس)^٣، ولا ما يؤخذُ اضعافاً مضاعفة
(.. لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة)^٤.

ب - أن الموضع المذكور، هو الموافق للحاجة الانسانية
وتأمين معيشة الافراد في حدّ القصد بلا تكاثر ولا فقر، ولا فرق ولا تبعيضٍ
بصورة باهظة. وهذا الموضع وتجسيده سيدفع المجتمع الى تبني مبدأ
«المؤاساة» و «المساواة» الاسلاميتين،^٥ ويسحق الفروق اللانسانية
واللااسلامية. وعلى هذا:

(١) - يُصبحُ الانتاجُ انتاجاً قوامياً تابعاً لموازن الاعتدال والاجابة
على حوائج الجماهير، فيرفضُ الانتاج الكمالي والترفيُّ المبيد لحقوق
الآخرين، الأعدما غطى الجميع في حدود مناسبة.

(٢) - يُصبحُ الاستيراد استيراداً قوامياً لا يزيدُ على المقدار اللازم
للكل، فيرفضُ استيراد الامتعة الكمالية والترفية، مما يوجب «التبعية
الاقتصادية» ويهدرُ حقوق الآخرين ايضاً.

(٣) - يُصبحُ التوزيع توزيعاً قوامياً يتبعُ سنن العدالة والحق، ويتبع
مواضع الحاجة الصحيحة.

(٤) - يُصبحُ الامتلاك امتلاكاً قوامياً لا اکتناز فيه ولا تكاثر.

(٥) - واخيراً يُصبحُ الاستهلاك استهلاكاً قوامياً، فيرفضُ كل ما

١ - وسيأتي تعريف المال في الاسلام، في الفصل ٢٤، من هذا الباب.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٣ - سورة الروم (٣٠) : ٣٩.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٠.

٥ - راجع للوقوف على الاحاديث المهمة الواردة بصدد «المؤاساة» و«المساواة»: الفصل
٤٦ و ٤٧، من هذا الباب.

هنالك من مُضَلَّاتِ الاستهلاكِ التَّرفِيّ ومَضَرَّاتِهِ، سواءً أكان ذلك عائداً الى نفسِ المستهلكِ ام الى غيره، من الوانِ الضلالِ والضررِ .
وبذلك يُصِحُّ الانتاجُ طبيعياً وكذلك الاستيرادُ والتوزيعُ والامتلاكُ والاستهلاكُ . وهذه صورةٌ يُقرُّها الاسلامُ، لَأنَّها تُواكِبُ موضعَ المالِ القواميِّ والالهيِّ . والخلاصةُ أنَّ الموضعَ المذكورِ، يَسْحَقُ - سِوَى ما ذُكِرَ - كلَّ افراطٍ او تفريطٍ ماليٍّ وكلَّ اسرافٍ او تبذيرٍ او تقتيرٍ، في مرحلةِ الاستفادةِ من الطَّبيعةِ والمَنَاجِمِ الى الانتاجِ والاستيرادِ والتوزيعِ والامتلاكِ والاستهلاكِ .

الخامسة : ننتهي من كلِّ ما ذُكِرَ الى اصلِ رئيسيِّ وحياتيِّ هامٍّ، وهو أنَّ المالَ اذا أُخْرِجَ من موضِعِهِ القواميِّ و حدودِهِ الطَّبيعيَّةِ، يوجبُ ذلك الهلاكَ والدمارَ للفردِ والمجتمعِ، سواءً أكان ذلك :

أ - بطريقِ اكلِ المالِ باسبابٍ باطلةٍ، وهو انتحارٌ اجتماعيٌّ (ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)؛^١

ب - ام بطريقِ الرِّبا (إذا ارادَ اللهُ بقومٍ هلاكاً ظَهَرَ فِيهِمُ الرِّبا)^٢؛

ج - ام بطريقِ التَّكاثُرِ والاستئثارِ بالمالِ (مَنْ يَسْتَأْثِرْ مِنْ الْأَمْوَالِ يَهْلِكْ)^٣؛

د - ام بطريقِ البُخْلِ وعدمِ الانفاقِ (أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)^٤؛

هـ - ام بطريقِ الاكْتِنَازِ والتَّكْديسِ (وصاحبُ الثَّلاثينِ الفاً هالِكٌ)^٥؛

١ - سورة النساء (٤) : ٢٩ .

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٢٧، من حديثِ الامامِ الصَّادقِ «ع» .

٣ - تحف العقول / ١٥٥، من حديثِ الامامِ عليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع» .

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

٥ - تحف العقول / ٢٧٩، من حديثِ الامامِ الصَّادقِ «ع» .

نظرة الى الفصل الأول ..

و - ام بطريق الاسراف والتبذير (من لم يحسن الاقتصاد اهلكه الاسراف)^١، وما الى ذلك .

وإن الامور المذكورة تؤكد بالضرورة على وجوب صيانة موضع المال القومي والتحفظ عليه بتطبيقه في القطاعات، في كل من المجتمعات . أضف الى ذلك أن الامور التي اشرنا اليها، هي مصاديق الظلم والجور والاعتداء، فيجب ان تكافح وتنافح في مختلف الوانها، حتى ينتهي الامر الى سيادة العدالة الاقتصادية على كل المستويات؛ وأن العدل إنما يطبق اذا روعي موضع المال القومي، كما يقول الامام الباقر «ع»: «والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، القوام العدل والانفاق فيما أمر الله به»^٢. وبهذا العدل المالي والاقتصادي يسحق كل ظلم او اعتداء او حيف في حقول المعيشة والحياة الاقتصادية .

ثم إن المسائل المذكورة تُرشدنا ايضاً الى حقائق تمت الى مذهب الاسلام الاقتصادي، لا بأس بالاشارة اليها :

(١) - تبرز القرآن العلمي في المسائل الاقتصادية وحلوله الجذرية العميقة والمصلحة .

(٢) - انسجام نظام الاسلام الاقتصادي الكامل، وتجاوبه البعيد المدى مع النواميس التكوينية الحاكمة على حياة الفرد والمجتمع .

(٣) - الصلة الطبيعية العميقة بين موضع المال الالهي وسائر مباني الاسلام واصوله الاقتصادية .

(٤) - التعريف ببواعث بقاء المجتمعات الانسانية ورشدتها وتكاملها، او زوالها وفنائها ودمارها .

١ - غرر الحكم / ٢٧٤ .

٢ - تفسير نور الثقلين ٤ / ٢٧ .

(٥) - تعيينُ أصلِ قَوامِيَّةِ المالِ وحركتِهِ القِيَامِيَّةِ كشَاخِصٍ لِنِظَامِ

الاسلامِ الاقتصاديِّ والماليِّ في صميمه وبالنسبةِ الى غيره :

* - أَمَا فِي صَمِيمِهِ فَإِنَّ هَذَا الْأَصْلَ يَفْرِزُ هَذَا النِّظَامَ مِنْ سَائِرِ

الْأَنْظِمَةِ، فَاقْتِصَادُ الْإِسْلَامِ لَيْسَ اقْتِصَادًا شَرْقِيًّا (اشْتِرَاكِيًّا)، وَلَا اقْتِصَادًا

غَرْبِيًّا (رَأْسْمَالِيًّا وَامْبِرِيَالِيًّا)، بَلْ هُوَ اقْتِصَادٌ قَوَامِيٌّ . وَإِنَّ عَدَمَ الْاِعْتِدَادِ بِهَذَا

الْأَصْلِ، هُوَ السَّبَبُ الْأَصْلِيُّ لِانْحِرَافِ النِّظَامِ الْمَالِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْإِسْلَامِ .

فَمَنْ يَرُومُ أَنْ يَطْرَحَ - ضَمْنَ رَفْضِ النِّظَامَيْنِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ -

مَعْجُونًا مَرْكَبًا مِنْهُمَا كَمَذْهَبٍ اِقْتِصَادِيِّ لِلْإِسْلَامِ، لَا يَنْجَحُ بِهَذَا الصَّدَدِ، أَيِ

بِصَدَدِ تَبْيِينِ اقْتِصَادِ الْإِسْلَامِ الْقَوَامِيِّ الشَّامِلِ الْمَصْلِحِ الْبِنَاءِ .

* - وَأَمَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ، فَكُلُّ رَأْيٍ أَوْ فِتْوَى أَوْ نَظَرٍ أَوْ تَقْنِينٍ يُخْرِجُ

الْمَالَ عَنْ كَوْنِهِ قَوَامِيًّا وَيُبْعِدُهُ عَنْ مَدَارِهِ ذَلِكَ، وَيَشُقُّ الطَّرِيقَ إِلَى صَيْرُورَةِ

الْأَمْوَالِ دَوْلَةً بَيْنَ حَفْنَةٍ أَوْ حَفْنَاتٍ، فَهُوَ وَهْمٌ وَخُرُوجٌ عَنِ طَوْرِ الْمَالِ

الْإِلَهِيِّ وَالْإِطَارِ الْإِسْلَامِيِّ، فَهُوَ مَرْدُودٌ مَرْفُوضٌ .

(٦) - أَنَّ رِعَايَةَ الْأَصْلِ الْمَذْكُورِ، لَا تَسْحَقُ الْفَقْرَ نَفْسَهُ فَقَطْ، بَلْ

تَسْحَقُ أَسْبَابَ الْفَقْرِ وَعِلَلَهُ، وَهِيَ الْإِفْرَاطُ فِي الْأَمْرَيْنِ : الْاِمْتِلَاكِ

وَالْاِسْتِهْلَاكِ، فَإِنَّ قَوَامِيَّةَ الْمَالِ تَقْضِي عَلَى الْإِفْرَاطِ الْمَذْكُورِ بِالْوَانِهِ - كَمَا

سَلَفَ الْقَوْلِ - نَعَمْ، إِنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْقَوَامِيَّةَ تُضَادُّ الْفَقْرَ مُضَادَّةً جَوْهَرِيَّةً .

وَالْفَقْرُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ حَيْثُ تَنَحَّرَفُ حَرَكَةُ الْمَالِ فِي الْمَجْتَمَعِ وَيَخْرُجُ مِنْ

مَدَارِهِ الْقَوَامِيِّ . وَسَيَتَّضِحُ هَذَا الْمَوْضُوعُ جَلِيًّا فِي تَضَاعِيفِ فُصُولِ هَذَيْنِ

الْبَابَيْنِ .

إِنَّ مَوْضِعَ الْمَالِ الْقَوَامِيِّ، مَوْضِعٌ انْسَانِيٌّ يَتَنَاسَبُ مَعَ وُجُودِ الْإِنْسَانِ

وَوَاقِعِهِ الْحَيَاتِيِّ، لِأَنَّ «كُلَّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضَرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ» - عَلَى حَدِّ

تَعْبِيرِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «ع» .

نظرة الى الفصل الأول ..

(٨) - أن موضع المال القوامي، موضع اخلاقي أيضاً وثقافي وسياسي ودفاعي و.. لأن تفتح الاخلاق والثقافة، و نضع السياسة والادارة الاجتماعية، وشدة القوة الدفاعية، إن كل ذلك رهين حركة المال في المجتمع بصورة صحيحة عادلة، بلا حضور فقر مقعد ولا تكاثر مله . وإن الفساد الاقتصادي يفسد سائر جوانب الحياة الانسانية ايضاً - كما فصل في مواضع من فصول هذين البابين - فعلى هذا إن التجاوب اللازم لأبغاض المجتمع في حياته، في نواحيها المختلفة، من الاخلاقية، والثقافية، والسياسية، والادارية، والدفاعية، وحتى الفنية وما الى ذلك، إنما يوجد ويتجسد اذا دار المال مداره الصحيح القوامي، التابع للمقاييس العادلة .

(٩) - برعاية الموضع المذكور للمال، تنفى ايضاً الحوافز النفسية والارضيات الباطنة لانحراف المال وطلبه بصور زائفة . وتلك الحوافز هي عدو المال وجمعه قيمة ذاتية، اذ الموضع القوامي لا يعطي المال قيمة ذاتية ابداً، بل يعطيه قيمة اداتية لتأمين معاش الجماهير .

(١٠) - أن القوام الاجتماعي - وهو الركن في بناء المجتمع وصنعه - إنما هو معلول التوازن الاقتصادي ، وهذا التوازن لا يحصل الا باعطاء المال موضعاً قوامياً كما أكد عليه القرآن . وبذلك تتحقق الاخوة الاسلامية بمعناها الواقعي لا اللفظي . وهذه مسائل سنتكلم عنها، فيما يأتي من الفصول، في هذين البابين : الحادي عشر والثاني عشر، باذن الله تعالى ومشيتته .

الفصلُ الثاني

المال في التصوّر الاسلامي (٢)

أ - الاموال، تصرفات محدودة

الكتاب

- ١ كُلوَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ..^١
- ٢ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُلوَا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ..^٢
- ٣ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كِي لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ..^٣

الحديث

-
- ١ - سورة طه (٢٠) : ٨١.
 - ٢ - سورة البقرة (٢) : ١٦٨.
 - ٣ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

الفصل الثاني: المال في التصور الاسلامي (٢)

١ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عيسى بن موسى: يا عيسى! المال مال الله، جعله ودائع عند خلقه. وأمرهم أن يأكلوا منه قسداً، ويشربوا منه قسداً، ويلبسوا منه قسداً، وينكحوا منه قسداً، ويركبوا منه قسداً؛ ويعودوا بما سوي ذلك على فقراء المؤمنين. فمن تعدى ذلك كان أكله حراماً، وما شرب منه حراماً، وما ألبسه منه حراماً، وما أنكحه منه حراماً، وما ركبوا منه حراماً.^١

٢ الامام الصادق «ع» - فيما رواه أبان بن تغلب: المال مال الله، يضعه عند الرجل ودائع، وجوز لهم أن يأكلوا قسداً، ويشربوا قسداً، ويلبسوا قسداً، وينكحوا قسداً، ويركبوا قسداً؛ ويعودوا بما سوي ذلك على فقراء المؤمنين ويلبثوا به شعثهم. فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً؛ ومن عدا ذلك كان عليه حراماً. ثم قال: «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»^٢، أتري الله أتمن رجلاً على مال خول له، أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه فرس بعشرين درهماً؟.. وقال: «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»^٣؟

* نفهم من صريح هذا الحديث، أن الله تعالى يخول الرجل المال، حيث أتمنه عليه؛ فمن الواجب على صاحب المال أن يعمل فيه كأمين الله المؤمن. راجع بهذا الصدد أيضاً: الفصل السادس والعشرين، والفصل الثامن والعشرين، من هذا الباب.

١ - المستدرک ٢ / ٤٢٣.

٢ - سورة الانعام (٤) : ١٤١؛ سورة الاعراف (٧) : ٣١.

٣ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

ب - من بواعث بقاء المجتمع وفنائه

١ - بقاء المجتمع والمال (اذا كان عند من يعرف فيه الحقّ)

الكتاب

١ ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ۗ

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: إِنَّ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَيَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ . وَإِنَّ مِنْ فَنَاءِ الْإِسْلَامِ وَفَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ فِي أَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ ۚ

الفتاوى

قد أشرّ هذا التعلّم الصادقيّ - على اختصاره - أهمّ الاصول الاجتماعيّة واعمقها، وأسَدّ القوانين الاقتصاديّة وأقومها، واليك

١ - سورة النساء (٤) : ٥.

٢ - الوسائل ١١ / ٥٢١: الوافي ٢ (م ٦) / ٦٢.

الفصل الثاني : المال في التصور الاسلامي (٢)

البيان :

أ - أن جريانَ المالِ في المجتمع يكون على نوعين :

(١) - جريانٌ قواميٌّ سالم، في إطارِ نظامٍ ماليٍّ صحيحٍ ملتزم،

وتحت ادارةٍ نابهةٍ مسؤولة .

(٢) - جريانٌ استهلاكيٌّ غيرُ سالمٍ وضدَّ قواميٍّ، في نظامٍ

ماليٍّ زائفٍ ساقط، وتحت ادارةٍ غيرِ نابهةٍ وغيرِ مسؤولة، او خائنة .

ب - أنَّ المُهمَّ في الاموالِ وتداولِها بينَ الناسِ، هو كَيْفِيَّةُ ذلكِ

التداولِ، لا كميَّةُ المالِ الموجودِ في المجتمع؛ فليس مقدارُ المالِ

من حيثُ القلَّةِ والكثرةِ هو الملاكُ الباتُّ للمصالحِ والمفاسدِ

الاجتماعيَّةِ ولتركيزِ العدالةِ واقامةِ القسطِ، بل الملاكُ هو كَيْفِيَّةُ

جريانِ المالِ في الايدي وتداولِه بينَ الافرادِ، فبقاءُ المجتمعِ وفناؤه

من جهةِ الاموالِ ليسا رهينَي مقدارِ ما بايدي الناسِ منها، بل هما

رهنينا معيارِ ما بايديهم من القراراتِ الماليَّةِ والتشريعاتِ الاقتصاديةِ

والبرامجِ الصحيحةِ والاحوالِ الحاكمةِ في الاستثمارِ والتنميةِ

والتوزيعِ والاستهلاكِ .

ج - أنَّ صحَّةَ تداولِ المالِ في المجتمعِ وجريانهُ القواميُّ،

انما يتوقَّفُ على اصلينِ رئيسيينِ :

(١) - الاهتمامُ بالأخصائيَّةِ في المسائلِ الاقتصاديةِ والامورِ

المتعلِّقةِ بالاموالِ، والعلمُ بما هناكِ مِنَ الدقائقِ والمسائلِ، بان

تكونَ الاموالُ عندَ مَنْ يعرفُ فيها الحقَّ ويعمَلُ فيها بالعلمِ

والاختصاصِ . وهذا الاصلُ يفرضُ على ايِّ مجتمعٍ اسلاميٍّ، أن

تكونَ هيئتهُ الحاكمةُ واعضاؤها المسؤولون عارفين بحقوقِ

الاموالِ، واقفين على دورِ المالِ الحياتيِّ، مَطَّلَعين على نظرةِ

الاسلامِ الى المالِ، عالمين بالاهميَّةِ الكيفيَّةِ لحركةِ المالِ في

قطاعاتِ النَّاسِ، ولِأَشْكَالِ تَدَاوُلِهِ بَيْنِ الْإِفْرَادِ، نَابِهِينَ لِمَا هُنَاكَ
مِنَ الطَّوَارِئِ وَالْأَحْوَالِ، وَأَخْصَائِيَّيْنِ فِي جَمِيعِ مَا يَرْجَعُ إِلَى قَضَايَا
الْأَمْوَالِ وَحَقُولِهَا الْمَتَشَعِّبَةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْاِقْتِصَادِ الْحَدِيثِ .
(٢) - الْاِلْتِزَامُ وَعَرْفَانُ الْمَسْئُولِيَّةِ، بَأَن يَكُونَ الْحُكْمُ
الْإِسْلَامِيُّ وَأَعْضَاؤُهُ مُلْتَزِمِينَ بِمَا عَرَفُوا، وَعَامِلِينَ بِمَا وَعَوْا، بِتَصَلُّبٍ
وَالْتِزَامٍ، وَمَعْرِفَةٍ وَاحْسَاسٍ .

* راجع : النظرة الى الفصل ايضاً.

٢- فناء المجتمع والمال (اذا كان عندهم لا يعرف فيه الحق)

الكتاب

- ١ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ،
فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا *^١
- ٢ .. وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»- فيما رواه الامام علي بن ابي طالب : الدنيا رُوَالدَّرْهَمُ أَهْلَكَا

١ - سورة الإسراء (١٧) : ١٦.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٩.

- ١ من كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهَمَا مُهْلِكَاكُمْ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : هَلَكَ خُزَانُ الْاَمْوَالِ وَهَمَّ اَحْيَاءُ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» : .. اِنَّ مِنْ فَنَاءِ الْاِسْلَامِ وَفَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ اَنْ تَصِيرَ الْاَمْوَالُ فِي اَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ.^٣
- ٣- هلاك المجتمع بأيدي المستأثرين

الكتاب

- ١ وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِاَيْدِيكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ ..^٤
- ٢ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحُلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى *^٥

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : مَنْ يَسْتَأْثِرُ مِنَ الْاَمْوَالِ يَهْلِكُ.^٦

١- الوسائل ٦ / ٢٤.

٢- نهج البلاغة / ١١٥٦ : عبده ٣ / ١٨٧.

٣- الوسائل ١١ / ٥٢١ : الوافي (م) ٦ / ٦٢.

٤- سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٥- سورة طه (٢٠) : ٨١.

٦- تحف العقول / ١٥٥.

٢ الامام علي «ع»: إِنَّ الدُّنْيَا كَالشَّبَكَةِ تَلْتَفُّ عَلَى مَنْ رَغِبَ فِيهَا، وَتَتَحَرَّرُ عَمَّنْ أَعْرَضَ عَنْهَا؛ فَلَا تَمَلُ إِلَيْهَا بِقَلْبِكَ، وَلَا تُقْبَلُ عَلَيْهَا بِوَجْهِكَ، فَتُوقِعَكَ فِي شَبَكَتِهَا، وَتُلْقِيكَ فِي هَلَكَتِهَا ١.

٣ الامام علي «ع»: .. فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ .. وَايَاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ ٢.

٤ - هلاك المجتمع بايدي المترفين

الكتاب

- ١ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ٣
- ٢ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * ٤

الحديث

- ١ النبي «ص» - في وصاياه لابن مسعود: يَا ابْنَ مَسْعُودَ! سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِي

١ - غرر الحكم / ١١٧.

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧.

٣ - سورة الإسراء (١٧): ١٦.

٤ - سورة الانبياء (٢١): ١١ - ١٣.

اقوامٌ يأكلون طيباتِ الطعامِ والوانها، ويركبون الدواب، ويتزيّنون بزينةِ المرأةِ لزوجها، ويتبرّجون تبرّج النساء، وزيهن مثلُ زيّ الملوكِ الجبابرة؛ هم منافقوا هذه الأمة في آخر الزمان، شاربوا القهوات، لاعبون بالكعاب، راكبون الشهوات.. يبنون الدور، ويشيدون القصور، ويخرّفون المساجد.. يا ابن مسعود! محاريبهم نساؤهم، وشرفهم الدراهم والدنانير، وهمّتهم بطونهم. اولئك [هم] شرُّ الاشرار، الفتنة منهم واليهم تعود.^١

٢ الامام علي «ع»: المال للفتن سبب..^٢

٣ الامام علي «ع»: كثرة السرف يدمر.^٣

الفات نظر

من اللّاحب المسلم به، أنّ الارستقراطية وطلب الرفاه ورغادة العيش والتّرف، من اهمّ العوامل الرئيسية لفساد الانسان فهلاكه فرداً ومجتمعاً، لأنّ تلك الظواهر والاحوال تُفضي الى الفساد وتُشيعه بطرق متعدّدة، جليّة وغير جليّة، وتُهدد ارضية خصبة للتّسيّب وشيوعه بين الناس في شتى النواحي. وسنقدّم الى القارىء نبذة من تلك الطّرق والجهات في النظرة الى الفصل.

ج - اكل اموال الناس بالباطل و شجبه

١- الأكل بالباطل باسباب عامّة

١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٥ - ٥٢٦.

٢ - غرر الحكم / ٣٤.

٣ - غرر الحكم / ٢٤٥.

الكتاب

١ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ..

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: .. اما وجوه الحرام من البيع والشراء، وكل امر يكون فيه الفساد مما هو منهي عنه، من جهة اكله وشربه، او كسبه، او نكاحه، او ملكه، او امساكه، او هبته، او عاريتة، او شيء يكون فيه وجه من وجوه الفساد نظير البيع بالربا - لما في ذلك من الفساد - او البيع للميتة، او الدم، او لحم الخنزير، او لحوم السباع من صنوف سباع الوحش، او الطير، او جلودها، او الخمر، او شيء من وجوه النجس، فهذا كله حرام ومحرم، لان ذلك كله منهي عن اكله وشربه ولبسه وملكه وامساكه والتقلب فيه، بوجه من الوجوه - لما فيه من الفساد - فجميع تقلبه في ذلك حرام . وكذلك كل بيع ملهوبه، وكل منهي عنه، مما يتقرب به لغير الله، او يقوى به الكفر والشرك، من جميع وجوه المعاصي؛ او باب من الابواب يقوى به باب من ابواب الضلالة، او باب من ابواب الباطل، او باب يوهن به الحق، فهو حرام محرم، حرام بيعه وشراؤه وامساكه وملكه وهبته وعاريتة وجميع التقلب فيه، الا في حال تدعو الضرورة فيه الى ذلك .^٢

١ - سورة النساء (٤) : ٢٩ .

٢ - تحف العقول ٢٤٥ - ٢٤٦ .

* قد وردت تفاصيلُ «المكاسبِ المحرّمة» واكلِ اموالِ
النّاسِ بالباطلِ بتلكِ الاسبابِ، في كتبِ فقهاءنا - رضوانُ الله
عليهم - فراجع .

٢- الأكل بالباطل باسباب خاصّة

الكتاب

١ إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ..١

الحديث

١ الامام علي «ع» : طلبتُ هذا العلمِ على ثلاثة اصناف .. وصنفُ منهم يتعلمون
للاستطالة والختل .. فانه يستطيلُ على أشباهه من أشكاله، ويتواضعُ
للاغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم ..٢

٢ الامام الصادق «ع» : طلبتُ العلمِ ثلاثة، فأعرفهم باعيانهم وصفاتهم .. وصنفُ
يطلبه للاستطالة والختل .. وصاحبُ الاستطالة والختل، ذوخبٍ وملقٍ،
يستطيلُ على مثله من أشباهه، ويتواضعُ للاغنياء من دونه، فهو لحلوائهم
هاضم، ولدينه حاطم ..٣

١ - سورة التوبة (٩) : ٣٦.

٢ - روضة الواعظين / ٩ : الخصال ١ / ١٩٤، طبعة الفقاري. راجع لضبط كلمة «حلوائهم»، او

«حلوانهم» : ما جاء في هامش الصفحة المذكورة من «الخصال».

٣ - الكافي ١ / ٤٩.

د - اموال اليتامى والتأكيد على صيانتها

الكتاب

١ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا*^١

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ قَوْمًا يُقَدِّفُ فِي أَجْوَافِهِمُ النَّارَ وَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرَائِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا.^٢

٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّ آكَلَ مَالِ الْيَتِيمِ يَخْلُفُهُ وَبِأُلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ»^٣؛ وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا»^٤.

١ - سورة النساء (٤) : ١٠.

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨٢.

٣ - سورة النساء (٤) : ٩.

٤ - الوسائل ١٢ / ١٨١.

٣ الامام الرضا «ع»: .. وَحَرَّمَ اللَّهُ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، لَعَلَّ كَثِيرَةً مِنْ وَجْهِ
الْفَسَادِ . أَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، فَقَدْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِهِ،
إِذَا الْيَتِيمُ غَيْرُ مُسْتَعْنٍ وَلَا مُحْتَمِلٍ لِنَفْسِهِ وَلَا قَائِمٍ (عَلِيمٍ - خ ل) بِشَأْنِهِ،
وَلَا لَهُ مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِ كَقِيَامِ وَالِدَيْهِ، فَإِذَا أَكَلَ مَالَهُ فَكَأَنَّهُ قَتَلَهُ وَصَيَّرَهُ
إِلَى الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ؛ مَعَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ
وَجَلَّ: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ،
فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ». وَكَقَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ «ع»: «إِنَّ اللَّهَ أَوْعَدَ فِي أَكْلِ مَالِ
الْيَتِيمِ عِقُوبَتَيْنِ: عِقُوبَةً فِي الدُّنْيَا وَعِقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ».

ففي تحريم مال اليتيم استبقاء (استغناء - خ ل) اليتيم واستقلاله
بنفسه؛ والسَّلامَةُ لِلْعَقَبِ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُ، لِمَا أَوْعَدَ اللَّهُ فِي الْعُقُوبَةِ ..^١

هـ - لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن

الكتاب

- ١ ولا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ..^٢
- ٢ ولا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ،
إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا *^٣

١ - الوسائل ١٢ / ١٨١.

٢ - سورة الانعام (٦): ١٥٢.

٣ - سورة الاسراء (١٧): ٣٤.

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» : من الفاظِ رسولِ الله «ص» : «شَرُّ الْمَآكِلِ اَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ»^١.
- ٢ الامام الصادق «ع» : .. مَنْ عَالَ يَتِيماً حَتَّى يَنْقَطِعَ يَتُّهُ، او يَسْتَعْنِي بِنَفْسِهِ، اَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْجَنَّةَ، كَمَا اَوْجَبَ النَّارَ لِمَنْ اَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ^٢.

و- القيام لليتامى بالقسط

الكتاب

- ١ .. وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ^٣..
- ٢ وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ، إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً*^٤

الحديث

١ و ٢ - الوسائل ١٢ / ١٨١.

٣ - سورة النساء (٤) : ١٢٧.

٤ - سورة النساء (٤) : ٢.

١ الامام الصادق «ع» - في تعيين حدود الاقتراب من مال اليتيم: إن كان في دخولكم عليهم منفعة لهم فلا بأس^١. وان كان فيه ضرر فلا.. «بل الانسان على نفسه بصيرة»، فانتم لا يخفى عليكم. وقد قال الله عز وجل: «والله يعلم المصلح من المفسد»^٢.

٢ الامام الصادق «ع» - في تفسير قوله تعالى: «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»^٣: من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه، فهو يتقاضى اموالهم ويقوم في ضيعتهم، فليأكل بقدر ولا يسرف. وان كانت ضيعتهم لا تشغله عما يعالج بنفسه، فلا يرزأ من اموالهم شيئاً^٤.

ز - رفض السلطات المالية والاسترقاق الاقتصادي، الفردي والاجتماعي.

الكتاب

١ .. وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ *^٥

١- وفي التأكيد على صيانة مال اليتيم ونهي الاقتراب منه ان لم يكن نافعاً له. دلالة واضحة على أن «الاقتصاد، اصالة اسلامية». راجع: الفصل ٤٤، من هذا الباب.

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨٤.

٣ - سورة النساء (٤): ٦.

٤ - الوسائل ١٢ / ١٨٥ - ١٨٦.

٥ - سورة القصص (٢٨): ٧٧.

- ٢ ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ..
٣ .. وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ،
وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: وما أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ، أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ
وَلَا سَغْبِ مَظْلُومٍ ..
٢ الامام الحسين «ع»: اِعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، مِنْ سُوءِ
ثَنَائِهِ عَلَى الْأَخْبَارِ إِذْ يَقُولُ: «لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ
الْإِثْمَ» .. وَاِنَّمَا عَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ
بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفَسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، رَغْبَةً فِيمَا كَانُوا يَنَالُونَ
مِنْهُمْ وَرَهْبَةً مِّمَّا يَحْذَرُونَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ»،
وَقَالَ: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»، فَبَدَأَ اللَّهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
فَرِيضَةً مِنْهُ، لِعَلِمِهِ بِأَنَّهَا إِذَا أُدِّيتِ وَأُقِيمَتِ اسْتَقَامَتِ الْفَرَائِضُ كُلُّهَا، هَيَّئُهَا
وَصَعْبُهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ دُعَاءٌ إِلَى الْإِسْلَامِ،

١ - سورة غافر (٤٠): ٢٣ - ٢٤.

٢ - سورة العنكبوت (٢٩): ٤٠.

٣ - نهج البلاغة / ٥٢: عبده ١ / ٣٢.

٤ و ٥ - سورة المائدة (٥): ٦٣ و ٤٤.

٦ - سورة التوبة (٩): ٧١.

الفصل الثاني: المال في التصور الاسلامي (٢)

مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ، وَمُخَالَفَةِ الظَّالِمِ، وَقِسْمَةِ الْفِيءِ وَالْغَنَائِمِ، وَاخْذِ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَوَاضِعِهَا وَوَضِعِهَا فِي حَقِّهَا .. وَاسْتَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ؛ سَلَطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَاعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ، فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبَدٍ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ ..^١

* نَشَاهِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَنْهَى الطَّاعُونَ الْاِقْتِصَادِيَّيْنِ (قَارُونَ) عَنِ ابْتِغَاءِ الْفَسَادِ فِي الْاَرْضِ، وَعَنِ اسْتِعْبَادِ النَّاسِ وَاسْتِغْلَالِهِمْ. كَذَلِكَ نَشَاهِدُ أَنَّ شَارِحِي الْقُرْآنِ، الْاِمَامَ عَلِيَّ بْنَ اَبِي طَالِبٍ «ع» وَالْاِمَامَ الْحَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ «ع»، يُعَلِّمَانِ ذَلِكَ الْغَرَضَ الْقُرْآنِيَّ الْمُنْشُودَ وَيُؤَكِّدَانِهِ؛ وَهُوَ الْكِفَاحُ ضَدَّ الْاِسْتِغْلَالِ وَالْاِسْتِرْقَاقِ، وَيُوقِظَانِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْاِسْلَامِيَّةَ حَتَّى لَا تَقَعَ فِي شَبَكَاتِهِمَا وَلَا تَذُلَّ تَحْتَ نِيرِهِمَا، وَلَا تَنْظَهَرَ فِيهَا آيَةُ سُلْطَةٍ مَالِيَّةٍ اَوْ اسْتِرْقَاقٍ اِقْتِصَادِيٍّ .

ح- لا ضرر ولا ضرار

الكتاب

١ .. وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * ٢

١ - تحف العقول / ١٧١ - ١٧٢.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٩٠؛ سورة المائدة (٥) : ٨٧.

- ٢ .. لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ١..
- ٣ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ، وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ٢..
- ٤ .. وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ، وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ٣..
- ٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ٤..

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. خِصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَالضَّرُّ لِعِبَادِ اللَّهِ ٥.
- ٢ الامام الصادق «ع»: من أَخْرَجَ مِيزَابًا، أَوْ كَنِيفًا، أَوْ أَوْتَدَ وَتِدًا، أَوْ أَوْتَقَ دَابَّةً، أَوْ حَفَرَ شَيْئًا فِي طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ، فَاصَابَ شَيْئًا فَعَطَبَ، فَهُوَ لَهُ ضَامِنٌ ٦.
- ٣ الامام علي «ع» - فيما كتب الى عماله: أَدِقُّوا أَقْلَامَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَ سَطُورِكُمْ، وَاحْذِفُوا مِنْ فُضُولِكُمْ، وَأَقْصِدُوا قِصْدَ الْمَعَانِي؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَثَارَ، فَإِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ الْإِضْرَارَ ٧.

١ - سورة البقرة (٢): ٢٣٣.

٢ - سورة الطلاق (٦٥): ٦.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٤ - سورة التوبة (٩): ١٠٧. راجع ايضاً: «منايع فقه» / ١٢٢ - ١٢٣. للعالم المفكر، الشيخ

محمد تقي الجعفري التبريزي، طبعة طهران (١٣٤٩ هـ . ش).

٥ - تحف العقول / ٣١.

٦ - الفصول المهمة في أصول الانتماء «ع» / ١٢٤. للمحدث الكبير، الشيخ الحر العاملي، الطبعة

الحجرية (١٣٠٤ هـ . ق)

٧ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١، طبعة بيروت.

٤ الامام الباقر «ع»: «إِنَّ سَمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ كَانَ لَهُ عِدْقٌ فِي حَائِطٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْانصَارِ، وَكَانَ مَنْزَلُ الْانصَارِيِّ بِيَابِ الْبِسْتَانِ، وَكَانَ يُعْرَبُهُ إِلَى نَخْلَتِهِ وَلَا يَسْتَأْذِنُ، فَكَلَّمَهُ الْانصَارِيُّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ إِذَا جَاءَ، فَأَبَى سَمْرَةَ. فَلَمَّا تَأَبَّى جَاءَ الْانصَارِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَشَكَى إِلَيْهِ وَخَبَّرَهُ الْخَبْرَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَخَبَّرَهُ بِقَوْلِ الْانصَارِيِّ وَمَا شَكَى وَقَالَ: «إِنْ أَرَدْتَ الدُّخُولَ فَاسْتَأْذِنْ»، فَأَبَى. فَلَمَّا أَبَى سَاوَمَهُ حَتَّى بَلَغَ بِهِ مِنَ الثَّمَنِ مَا شَاءَ اللَّهُ فَأَبَى أَنْ يَبِيعَ، فَقَالَ: «لَكَ بِهَا عِدْقٌ يُمَدُّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ»، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِلانصاري: «إِذْهَبْ فَأَقْلَعْهَا وَأَرْمِ بِهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^١.

٥ الامام الصادق «ع»: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مَشَارِبِ النَّخْلِ، أَنَّهُ لَا يُمْنَعُ نَفْعُ الشَّيْءِ. وَقَضَى بَيْنَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، أَنَّهُ لَا يُمْنَعُ فَضْلُ مَاءٍ لِيُمْنَعَ بِهِ فَضْلُ كَلِّأ؛ وَقَالَ: لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^٢.

٦ الامام الصادق «ع»: «الجارُ كالنفس، غيرُ مُضارٍّ ولا آثم»^٣.

٧ الامام العسكري «ع»: «- مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ «ع»: رَجُلٌ كَانَتْ لَهُ قَنَاةٌ فِي قَرْيَةٍ فَأَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَحْفَرَ قَنَاةً أُخْرَى إِلَى قَرْيَةٍ لَهُ، كَمْ يَكُونُ بَيْنَهُمَا فِي الْبُعْدِ حَتَّى لَا يُضِرَّ بِالْأُخْرَى فِي الْأَرْضِ، إِذَا كَانَتْ صُلْبَةً أَوْ رَخْوَةً؟ فَوَقَعَ «ع»: «عَلَى حَسَبِ أَنْ لَا يُضِرَّ أَحَدُهُمَا بِالْأُخْرَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: رَجُلٌ كَانَتْ لَهُ رُحَى عَلَى نَهْرٍ قَرْيَةٍ، وَالْقَرْيَةُ لِرَجُلٍ، فَأَرَادَ صَاحِبُ الْقَرْيَةِ أَنْ يَسُوقَ إِلَى قَرْيَتِهِ الْمَاءَ فِي غَيْرِ هَذَا النَّهْرِ وَيُعْطِلَ هَذِهِ الرَّحَى، أَلَهُ ذَلِكَ أَمْ لَا؟ فَوَقَعَ: «يَتَّقِي اللَّهُ، وَيَعْمَلُ فِي ذَلِكَ

١ و ٢ - الكافي ٥ / ٢٩٢ و ٢٩٤.

٣ - الفصول المهمة / ١٢٠.

بالمعروف، ولا يضرُّ اخاه المؤمن»^١.

* راجع: «باب الضرار»، من الكافي ٥ / ٢٩٢ - ٢٩٤.

تذييل

الدين واهية ادائه

الكتاب

١ يا أيها الذين آمنوا، إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه .. ولْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً^٢.

الحديث

١ الامام الباقر «ع»: «أولُّ قطرةٍ من دمِ الشهيدِ كفارةٌ لذُنُوبِهِ إلاّ الدين، فإنَّ
كفارتَهُ قضاؤه^٣.

٢ الامام الباقر «ع» - عن ابي ثمامة قال: دخلتُ على ابي جعفر «ع» وقلتُ له:

١ - الكافي ٥ / ٢٩٣.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٣ - الفصول المهمة / ١٠٩.

جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنِّي رَجُلٌ أُرِيدُ أَنْ أُلَازِمَ مَكَّةَ، وَعَلَيَّ دَيْنٌ لِلْمُرْجِنَةِ، فَمَا تَقُولُ؟
قال: فقال: «إِرْجِعْ إِلَى مُؤَدِّي دَيْنِكَ، وَانظُرْ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ
عَلَيْكَ دَيْنٌ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَخُونُ»!

٣ الامام الصادق «ع» - عن معاوية بن وهب قال: قلت لابي عبدالله «ع»: بَلَّغْنَا
أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْإِنصَارِمَاتِ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ «ص» وَقَالَ
«لَا تُصَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ الدَّيْنُ»؟ فقال: «ذَلِكَ حَقٌّ».^٢

٤ الامام الصادق «ع»: مَنْ اسْتَدَانَ دَيْنًا فَلَمْ يَنْوِ قِضَاءَهُ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ السَّارِقِ.^٣

٥ الامام الكاظم «ع» - قيل لابي الحسن «ع»: رَجُلٌ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ كَانَتْ
لَهُ عِنْدِي أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَمَاتَ إِلَى أَنْ أُصَالِحَ وَرَثَتَهُ، وَلَا أَعْلَمُهُمْ كَمْ
كَانَ؟ قَالَ: «لَا يَجُوزُ حَتَّى تُخْبِرَهُمْ».^٤

٦ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمَرْحُومُونَ، مَا تَحَابُّوا، وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ،
وَعَمِلُوا بِالْحَقِّ.^٥

١ - البحار ٩٧ / ١٤٢ - ١٤٣، عن «علل الشرايع».

٢ - البحار ٩٧ / ١٤٣، عن «علل الشرايع».

٣ و ٤ - الفصول المهمة / ١٠٩ - ١١٠.

٥ - مشكاة الانوار / ٥٢.

نظرة الى الفصل

١ - الاموال تصرفات محدودة: إِنَّ امعَانَ النَّظَرَ فِي قاموسِ الاسلامِ الاقتصاديِّ، وما جاء فيه من النُّصوصِ الرَّئيسيَّةِ، يُرشدنا بوضوحٍ الى محدوديةِ التَّصَرُّفِ فِي الاموالِ وَالْمِلْكِيَّاتِ - بالنسبةِ الى المالكِ وغيرِه - والتَّأكيدِ عليها كاصلٍ، لا الى حُرِّيَّةِ التَّصَرُّفِ واطلاقِ ايدي المتصَرِّفين فيها؛ فبهذا الصِّدَدِ لاحتُ هذه التَّعابيرُ: «الأكل»، «الشُّرب»، «الرِّزق»، «المعيشة»، «المتاع»، «المَدَد»، «القيام»، و«القوام»، فهل تدلُّ هذه التَّعابيرُ الا على ما ذكرناه من التَّحديد؟ ان التَّعابيرَ المذكورةَ وامثالها تُعَلِّقُ بوضوحٍ أَنَّ المالَ لا يكونُ الا ذريعةً للمعيشة، ورزقاً للناسِ، ومدداً للحياة، وقواماً للمجتمعِ الانسانيِّ. وطبعُ الحالِ فِي الذَّريعةِ والمَدَدِ والرِّزقِ والقوامِ، ان لا يكونَ التَّصَرُّفُ فيها والتَّمَتُّعُ بها مُسوِّغين الا بقدرِ ما يحتاجُ اليه المُتَدَرِّعُ والمُتَمَتِّعُ، هذا. ونجدُ بالاضافةِ الى ما ذكرنا تعابيرَ قاطعةً تُحدِّدُ جوانبَ التَّصَرُّفِ الماليِّ ببيانٍ حاسمٍ، حتى بالنسبةِ الى تَصَرُّفِ الشَّخصِ فيما يَمْتَلِكُه، كهذه التَّعابيرُ: «لا تُسْرِفوا»، «لا تَعْتَدُوا»، «لا تَطْعُوا فيه» و«لا تَأْكُلُوا اموالكم بينكم بالباطل».

هذه تعابيرُ الاسلامِ وتأشيراته الاقتصادية في موضوعِ المالِ والاستهلاكِ، التي تَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ ومَتاعٍ له قيمةٌ وصلاحيةٌ للاستفادةِ والاستهلاكِ. فالاسلامُ وان لم يكنِ داعياً الى سياسةِ التَّقَشُّفِ ومروِّجاً لها، غيرَ انه لا يُصَوِّبُ حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ بصورةٍ مطلقةٍ. وتعاكسُ هذه التَّعابيرُ والحدودُ، تلكَ التي نجدُها متداولةً في قاموسِ المتكاثرينِ والموسيرينِ والرَّاسماليينِ، امثالِ «رأسِ المال»، «التَّشْمير»، «التَّئمِيَّة»، «الرَّبيع»، «تَكثيرِ

نظرة الى الفصل الثاني ..

الرَّيْبِ وَتَوْفِيرِهِ»، «التَّنَافُسِ الحُرِّ»، «الحَصْرِ الاستِرادِيّ»، «الحَصْرِ الاتِّجَاعِيّ»، «الحَصْرِ التَّوْزِيعِيّ» وما الى ذلك، من الكلمات والمصطلحات المتداوله عندهم . كلُّ هذه التَّعابِيرِ والمصطلحاتِ تعكسُ رُوحِيَّةَ التَّكَاثُرِ وطلبِ الانحصارِ، وتكشِفُ عن القِيمِ الاصلِيَّةِ التي تدورُ عليها رُحَى التَّكَاثُرِ والرَّأسمالِيَّةِ بين الافرادِ والفِئَاتِ المتكاثِرةِ .

إنَّ بناءَ الاسلامِ الاقتصاديِّ مُؤَلَّفٌ مِنْ محورِيَّةِ الانسانِ واستِقطابِه، لا محورِيَّةِ المالِ واستِقطابِه، فلذلك يَجْعَلُ الأَمْتِعةَ والمَحاصِلَ كُلَّها - سواءَ الطَّبيعيَّةِ منها او المصنوعة - ذرائعَ لخدمةِ الانسانِ وسدِّ اعوازه وِصيانَةِ كرامَتِه . واما بناءُ التَّكَاثُرِ والرَّأسمالِيَّةِ فمؤَلَّفٌ مِنْ محورِيَّةِ المالِ واستِقطابِه، فهو يَجْعَلُ المالَ غرضاً يرمي اليه ويُضَحِّي الانسانَ والانسانيَّةَ في سبيله؛ وبذلك الاتِّجاهِ الماديِّ السَّاقطِ يُخْرِجُ المالَ مِنْ مداره السَّالمِ القواميِّ المفيدِ للحياةِ الانسانيَّةِ وَيَجْعَلُهُ الغايَةَ الاصلِيَّةَ، وَيَجْعَلُ الانسانَ فِدَاءً للمالِ واقتنائِه، بَدَلِ أَنْ يَجْعَلَ المالَ فِدَاءً للانسانِ .

وللاهميَّةِ التي يَحورُها هذا الموضوعُ، في تصحيحِ مسيراتِ الاموالِ في المجتمعِ الدِّينيِّ، نزيدُ الكلامَ شيئاً من البَسْطِ، حولِ سِتَّةِ مباحثٍ :
أ - محورِيَّةِ الانسانِ واستِقطابِه : إنَّ استِقطابَ الانسانِ وجعله محوراُ واصلاً، هي الرُّوحُ الحاكمةُ على تعاليمِ الاسلامِ كُلِّها، ومنها تعاليمُهُ الاقتصاديَّةِ . إنَّ الاسلامَ يَسْتَقْطِبُ الانسانَ وَيَجْعَلُهُ محوراُ واصلاً لا تَبَعاً وفرعاً . ولاجلِ ذلكِ يَجْعَلُ الانسانَ مقياساً للمالِ ومناطاً لحركتهِ وتداولِه كماً وكيفاً، لا من جهةِ حياتِه الماديَّةِ والجسميَّةِ فقط، بل من جهةِ حياتِه الروحيَّةِ والمعنويَّةِ ايضاً، ومن جهةِ مُعتَقَدِه وفطرتِه وخصائِلِه الانسانيةِ .
ولذلك نَرى أَنَّ الامامَ علياً «ع» يقولُ : «وَأَعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ المالِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَقْسَاةٌ لِلقُلُوبِ»^١؛ فهذا التَّعليمُ يَكشِفُ السُّتارَ عن الصِّلاتِ العميقةِ

بين كثرة المال وبين حالات الانسان المعنوية واحواله القلبية. وواضح أن الامر في المذهب الاقتصادي التكاثري والرأسمالي على العكس من هذا، فإن الانسان ومعنويته ليسا مُعتدًا بهما في ذلك المذهب بوجه من الوجوه. فالمُتكاثر يُحبُّ المال حبًّا جَمًّا وَيَسْتَكْثِرُ منه، بلا اية مبالاة بما هناك من انطباعات التكاثر السيئة في النفس الانسانية، مع أن كثرة المال والغنى المفرط والرأسمالية هي بنفسها مُفسِداتُ العقل ومُضَيِّعاتُ الفطره ومُبيداتُ الدين والضمير. وحيث كان الاسلام مُهْتَمًّا بمعنويات الانسان - حتى في مذهبه الاقتصادي - يفرض عليه حدوداً في الامتلاك والتصرف، لكي ينظر الى المال كذريعة لسدِّ الأعواز لا كغاية لمساعي الحياة.

ومن المسائل المهمة التي يجب أن تُلَفَّت اليها الانظار، أن الاسلام يَطْلُبُ من الانسان أن يَحُدَّ استهلاكاته المالية تبعاً لحاجاته المعنوية. وذلك لأن صفات الانسان المعنوية واحواله الروحية تفرض عليه الحدود والمحدودية ايضاً. والمحدودية الناشئة من الاحوال المعنوية امرٌ تكويني، اذ القوانين الحاكمة على فطرة الانسان وعلى واقعه الوجودي تحدُّه وتصدُّه عن التجاوز والتكاثر والطغيان، لأن الفطرة السليمة فطرة الهية، وهي داعية الى القصد والتوازن. والخصلة التكاثرية امرٌ ضدُّ الهية وضدُّ فطري، لأنها طاغية ومعتدية، فهي امرٌ شيطاني ونفساني يستلزم مسخ الهوية الانسانية ويستتبع طمس انوار الفطرة.^١

وكذلك الطغيان الاستهلاكي والتجاوز عن الحدود المعينة للاستهلاك ايضاً، خروج عن مقتضيات الفطرة وسبب لهلاك الفرد والمجتمع، وقد منعهما الشرع، لأن النظام التشريعي مبني على النظام الفطري؛ والنظام الفطري لا يعترف بما يوجب الهلاك والدمار، اي الحرية

١ - راجع بهذا الصدد: الفصلين ١٧ و ١٨، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

المطلقة في الاستهلاك، بالنسبة الى المأكل والمشرب والملبس والمسكن وما يرتبط بهذه الجملة وغيرها مما يؤدي الى استهلاك .

ب - الاكل والاستهلاك في المذهبين : إن الأكل والتمتع اللذين يسوغهما القرآن والاسلام ليسا الا ما كان منهما بقدر الحاجة، جارياً على سنن القصد والاعتدال، واقعاً موقع القوام والكفاف . وذلك لأن الله تعالى قد امر بالاكل بصورة طبيعية (كلوا)؛ والطبيعة تقتضي الأكل الطبيعي، وهو ما يحتاج اليه الانسان ولا تقتضي اكثر من الحاجة بل تدفعه . فالأكل الطبيعي والشرعي محدودٌ بحدود الحاجة الطبيعية كماً وكيفاً، اي المقدار اللازم للحياة وادامتها وابقاء نشاطها . فالأكل والاستهلاك الترفياني الخارجان عن الحد المذكور، المتضادان لأحوال الانسان الفطرية والباعثان على الهلاك والدمار، لا يسوغها الاسلام بالضرورة، وان سوغهما مذهب الاقتصاد التكاثري الإترافي .

ج - ارضيات وبواعث على التحديد : إن هناك ارضيات وبواعث اصلية تحد استهلاكات الانسان ومصارفه وتفرض عليه مراعاة الشروط الطبيعية . ولقد جاء في تضاعيف هذا الكتاب ما يوضح للقارئ حقيقة هذا الموضوع ويجسده أمامه، غير اننا نشير هنا باختصار الى امرين مما يعد من اهم الارضيات المحددة للاستهلاك الانساني :

(١) - أن المال في نظرة الاسلام هو وديعة الله عند الانسان - كما سلف القول - فليس له أن يتصرف فيه الا بحسب ما قرره المودع فيما شرعه؛ وما هو الا المقدار الذي يحتاج اليه الانسان في اعتدال وقصد .

(٢) - لما كان المال مال الله تعالى - كما اتضح - فهو مال الناس وللناس ملاكاً، وهم عباده ومخلوقوه، فالطغيان فيه امتلاكاً واستهلاكاً انما هو اعتداء على حقوق السائرين وغصب لمعايش الآخرين .

وبكلام آخر: إن الاستهلاك الإترافي والاسرافى، في الاموال

والأمتعة والارزاق والملابس والمسكن والمراكب وسائر ما هنالك، ليس استهلاك الشخص لمال نفسه، وإن كان المُستهلك مالكا، بل هو تصرف فيا يتعلق بالغير بحسب الملاكات الإسلامية، كما يقول الامام علي بن ابي طالب «ع»: «للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشترى ما ليس له»^١. وهذا غير سائغ.

د - حقوق المجتمع في الملكيات الشخصية: من اللائح أن الانسان مدين للمجتمع في جميع ما يكسبه ويحصل عليه. وذلك لأن المجتمع - بما له من المساعي الكثيرة المتوفرة والاعمال الباهظة والصلوات والافكار والمواهب والتجارب وما يُعده من الامكانيات - قد أمكن الفرد من أن يحصل على ما حصل عليه، فلو لم تكن تلك المواهب والافكار والتجارب والكفاءات والاعمال، ولم توجد تلك المساعي والجهود، لم يُتَح للانسان أن يحصل على شيء.

في هذا الضوء، تُضحى مالكية الانسان محدودة، من جهتي الواقع والشمول، إذ المجتمع شريك الفرد - الشريك الاعظم - فيما بيده، وأن الاسراف والاتراف ليسا في الواقع الا التعدي عن حد القصد وتناول ما للآخرين من نعمة اورزق او حق. وما هو الا اكل الانسان ما ليس له، ولبس ما ليس له، وسكنه ما ليس له، كما ورد في الاحاديث الواردة بحق المسرفين. فتبعاً للآيات والاحاديث المتعددة، تُصبح الملكية في الاسلام ملكية فردية - اجتماعية واجتماعية - فردية. ولاجل ذلك نشاهد أن القرآن الكريم يرى الاموال اموال الجميع - ملاكاً - حيث يُعبر هكذا: «ولا تُؤتوا السُّفهاء اموالكم»^٢، «التي جعل الله لكم»^٣، «لا تأكلوا اموالكم»^٤ ..

١ - الخصال ١ / ٩٨؛ راجع: الفصل ٢٧، من هذا الباب.

٢ و ٣ - سورة النساء (٤): ٥.

٤ - سورة النساء (٤): ٢٩؛ راجع ايضاً: الفصل ٣٦، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

إِنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ - كَامَثَالِهِمَا الْكَثِيرَةُ - لِهَمَا نَسْجُ اقْتِصَادِيٍّ
وَاجْتِمَاعِيٍّ . وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الْإِحَادِيثِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى شَرِكَةِ الْفُقَرَاءِ
فِي أَمْوَالِ الْإِغْنِيَاءِ ؛ وَتَيَأَكَّدُ هَذَا الْمَوْضُوعَ وَيَنْحَتِمُ تَجْسِيدُهُ الْفِعْلِيُّ إِذَا
لَا حَظَّنَا أَنَّ الْإِسْلَامَ يُعْطِي الْمَجْتَمَعَ هُوِيَّةً مُسْتَقَلَّةً .

هـ- المحدودية التكوينية للإنسان وصلتها بالاستهلاك : الإنسان محدودٌ -
بحسب تكوينه - فيما يحتاج إليه من الامكانيات الطبيعية وحوائج الحياة،
فهو يشبع بمقدار محدودٍ من الغذاء، ويروى بمقدار محدودٍ من الماء،
ويتستر بمقدار محدودٍ من اللباس، ويأوي الى مساحةٍ محدودةٍ من
الارض، فالحد الطبيعي (التكويني) والشرعي في كل ذلك هو حد القصد،
يعني أن يكون الإنسان واجداً لما يحتاج إليه في الحد المذكور، بأن
لا يكون فاقداً له فيصبح مُعْدِماً بئساً، ولا يكون مُجَاوِزاً عنه فيصبح مسرفاً
ومُتْرَفاً . وإذا جاوز الإنسان المقدار المُحَدَّدَ وتعدّاه، يُضْرِبُهُ وَبِصَحَّتِهِ
ونشاطه وبمعنوياته واخلاقه، كما أنه إذا لم ينل ذلك المقدار، يُضْرِبُهُ
وبصحته ونشاطه وبمعنوياته واخلاقه . وهذه الحكمة الواقعية المعاشية،
هي التي يُشِيرُ إِلَيْهَا مَوْلَانَا اميرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» في قوله : «... فكلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ
مُضْرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ»^١ .

فالحالة الاقتصادية الصالحة للإنسان، هي التي تُلَاحِظُ الطَّبِيعَةَ
التكوينية، والتخطيطَ الشرعي؛ وهي مُلَازِمَةٌ حُدِّ الْقَصْدِ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ
الاقْتِصَادِيَّةُ الصَّالِحَةُ هِيَ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّجَّادُ «ع»
وَيَدْعُو اللَّهَ لَهَا : «... وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْمَعِيشَةِ مَا أَبْقَيْتِي، مَعِيشَةً أَقْوَى بِهَا فِي
جَمِيعِ حَالَاتِي، وَأَتَوَصَّلُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرَتِي، عَفْواً لَا تُتْرَفُنِي
فَاطْفِي، وَلَا تُقْتَرُ عَلَيَّ فَاشْقِي»^٢ .

١ - راجع : الفصل ٣٧، من هذا الباب.

٢ - الكافي ٨ / ٢١ .

٣ - البحار ٩٠ / ٨٧، عن كتاب «مصباح المُتَهَجِّدِ» و«جمال الأسبوع».

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ الدُّعَائِيَّ، أَنَّ المَعِيشَةَ الَّتِي يَقْوَى بِهَا الْإِنْسَانُ فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ، وَيَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى تَأْمِينِ حَيَاتِهِ الْخَالِدَةِ الْإِبْدِيَّةِ، هِيَ المَعِيشَةُ المَقْتَصِدَةُ المَتَوَسِّطَةُ، بِلَاتَرَفٍ مُطْعٍ وَلَا تَقْتِيرٍ مُشَقٍّ. وَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الْوَاقِعُ الْحَقُّ، فَالْحَدُّ الْمُنَاسِبُ لِلوَاقِعِ الْإِنْسَانِيِّ هُوَ الْحَدُّ الْمَعْتَدِلُ. وَهُوَ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي مُتَنَاوَلِ الْكُلِّ، حَتَّى لَا يُوجَدَ فِي المَجْتَمَعِ مَحْتَاجٌ شَقِيٌّ وَلَا مُتَرَفٌ طَاغٍ، وَحَتَّى لَا يَعُولَ فِي الجَمَاهِيرِ عَائِلٌ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع»: «... مَا عَالَ فِيكُمْ عَائِلٌ»^١، فِي بَيَانِ مُوَاصِفَاتِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ.

وَهَذَا هُوَ الْمَنْهَاجُ الْاِقْتِصَادِيُّ الَّذِي رَسَمَهُ الْإِسْلَامُ لِلنَّاسِ، يَعْنِي الْمَنْهَاجَ الْمَتَوَازِنَ الَّذِي لَا يَبْقَى فِي المَجْتَمَعِ بَعْدَ تَجْسِيدِهِ بَأْسٌ وَمَحْتَاجٌ يُعَانِي الشَّقَاءَ، وَلَا مُتَرَفٌ وَمَتَكَاتِرٌ يَجْتَرُّ الشَّقَاءَ عَلَى النَّاسِ. وَلَا يَسْعُ النَّاسُ أَنْ يَصِلُوا إِلَى هَذَا الْحَدِّ الصَّالِحِ، إِلَّا إِذَا خَضَعُوا لِمَحْدُودِيَّةِ الْإِسْتِهْلَاكِ وَالِاسْتِمْتَاعِ، فَلَا يَسْتَهْلِكُونَ أَزِيدَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ حَتَّى لَا يُتْلَفَ بِذَلِكَ مَا لِلسَّائِرِينَ مِنْ حَقٍّ وَرِزْقٍ وَسَكْنٍ وَلبَاسٍ.. فَالْإِسْلَامُ لَا يَأْذَنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ فِي مَجَاوِزَةِ الْحَدِّ الْمَذْكُورِ بِالْإِسْرَافِ وَالِاتِّرَافِ وَلَا يَرْضَى لِآخِرِ الْفَقْرِ وَالْعَوَزِ؛ فَلَا مَجَالَ فِي مَذْهَبِ الْإِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ لِلتَّكَاتُرِ وَالغِنَى الْمَفْرَطِ وَالِاسْتِهْلَاكِ التَّرَفِيِّ الزَّائِدِ، وَلَا لِلْفَقْرِ وَالْبُؤْسِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالشَّقَاءِ.

و- تَأْكِيدٌ عَلَى مَوْجِعِ الْمَالِ: لَقَدْ سَلَفَ الْقَوْلُ بَأَنَّ لِلْمَالِ مَوْجِعِيَّةَ الْهَيْئَةِ، وَمَا هِيَ إِلَّا مَوْجِعِيَّةٌ قَوَامِيَّةٌ وَقِيَامِيَّةٌ (جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)^٢. فَالْمَالُ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ بِصُورَةٍ غَايَةِ مُسْتَقَلَّةٍ، بَلْ بِصُورَةٍ مَا يَكُونُ قَوَامًا لِحَيَاةِ النَّاسِ وَقِيَامًا لَهُمْ وَلشُؤُونِهِمْ. وَالْقَوَامُ وَالْقِيَامُ الْمَالِيَانِ لَا يَتَحَقَّقَانِ بِالتَّصَرِّفَاتِ الْبَاهِظَةِ وَالِاسْتِهْلَاكَاتِ اللَّامْحُدُودَةِ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ - بَلْ يَتَحَقَّقَانِ إِذَا كَانَ تَصَرُّفُ

١ - الكافي ٨ / ٣٢: مستدرک نهج البلاغة / ٣١.

٢ - سورة النساء (٤): ٥.

نظرة الى الفصل الثاني ..

الكل في الاموال تصرفاتٍ محدودةً مشروعة، غنيهم وفقيرهم، حتى يصل بها الناس كلهم الى ما يحتاجون اليه من معاشٍ وحياةٍ بصورةٍ قوامية، لا بصورةٍ سدِّ جوعَةٍ وكسا عُرِيَةٍ، فان ذلك لا يُمثِّلُ الاقتصادَ الاسلاميَّ الجماهيريَّ بوجه . وذلك لِأَنَّ اقتصادَ الاسلامِ الجماهيريَّ هو الذي يُتاح به إثارةُ دفاثنِ العقول - التي جاء لها الانبياءُ والمرسلون «ع» - وتفتحُ المواهب والاستعدادات، من التي يسعى لها الاسلامُ بجديَّةٍ وصمود . وفي حالةِ العوزِ والمسكنةِ انى تُثارُ دفينَةُ عقل، او تُشقَّ الطريقُ الى تفتحِ موهبةٍ واستعداد؟!!

راجع بهذا الصدد: الفصل السادس والعشرين، والفصل السابع والعشرين .

٢- بقاء المجتمع بالمال : لقد سلف قولٌ مقتضب، في الالفات المتقدِّم في تضاعيفِ الفصل، عن هذا الموضوع المستفاد من القرآن والحديث، المسلم به بحسبِ الحسِّ والتَّجربة . والآن نزيدُ إشعاعاً على ما سلف فنقول :

يَجِبُ على المجتمعِ الاسلاميِّ - بناءً على التعاليمِ الدِّينيةِ - ان يكافحَ كِفاحَه وأن يسعى سعيه، لتخطيطِ برامجٍ اقتصاديةٍ راقيةٍ مُثمرةٍ وملتزمة، تقومُ بتعديلِ الطَّاقاتِ الاقتصاديةِ وتطوِّيرِها، وباجراءِ الاموالِ في طُرُقِ تأمينِ الحياةِ الانسانيةِ وتصعيدها، وتموينِ جميعِ الافرادِ والقِطاعات، من المَدَنيينِ والقَرَوِيِّينِ والرَّحالةِ وجالياتِ البراري ورُعاةِ الاحشامِ في السُّفوحِ والجبالِ .. وبسدِّ اعوازِ الناسِ المختلفةِ - المرثيةِ وغيرِ المرثيةِ - وتأمينِ اسبابِ التَّربيةِ والتَّعليمِ لكلِّ احد، ومُؤنِ السَّكنِ والصَّحَّةِ والزَّواجِ والعملِ .. وليُكن من اهمِّ الموادِّ الواردةِ في صُلبِ ذلك التَّخطيطِ، الشَّجْبُ الحاسمُ للتفريطِ الماليِّ المُضَرِّ (الفقر)، والافراطِ

الماليّ الاضرّ (التكاثر)، بحيث لا يرى لهما في المجتمع أي أثر، كما هو مطلوبُ الشّارعِ الاسلاميّ، وغايةُ كلّ مجتمعٍ سعيد، ومقتضى القسطِ الذي جاء الانبياءُ «ع» ليقومَ به الناس . وبالقيامِ الجادِّ بهذا الامرِ يُضْمَنُ للمجتمعِ بقاءه وامنه، وتُسدُّ طُرُقُ فناءه وتلاشيهِ .

وبهذا التّداولِ الايجابيّ للمال، يُنافحُ تداولُ المالِ السلبيّ ايضاً، يعني حركته في اضدادِ الحدِّالوسطِ، التي تسلبُ المالَ قيمته الاصلية وتفتصلُهُ عن أن يكونَ ذريعةً سالحةً لحياةِ الانسانِ الماديةِ والروحيّة، وقواماً للناسِ وقياماً، وسُلماً لنموِّ الشّعبِ وانمايه في مناحي العيشِ وجوانبِ الشّخصيّةِ الانسانيّةِ عامّة . وفي ضوءِ ما عرضنا يتجلّى للقارئِ موضعُ المالِ وموقعه في نظرِ الاسلامِ تجلياً كاملاً لامعدى عنه .
وهناك في التّعليمِ الصّادقيّ المنقول، جملاّتٌ موجّهةٌ، لا ينبغي أن نمرَّ عليها غيرَ واعين :

أ- «.. أن تصير الاموال ..»؛ هذه الجملةُ تُشيرُ الى لزومِ حركةِ المالِ في المجتمعِ وتداولهِ بينِ النَّاسِ، وعدمِ كَنزهِه وادّخاره وحبسه عندَ بعض، واختصاصِ حِفْنةٍ به؛ وتُصرِّحُ ايضاً باصلِ اقتصاديّ واجتماعيّ هامّ، وهو أنّ الجريانَ العامَّ للمالِ في المجتمعِ إنّما يكونُ بيدِ النّظامِ الحاكمِ، على حَسَبِ المذهبِ الاقتصاديّ السّائد، فإن كان النّظامُ السياسيّ والاقتصاديّ نظاماً تابعاً للعدالةِ والحق، عاملاً بموازينِ القسطِ، ساعياً لتطبيقها، مُكبّاً على اقامةِ المجتمعِ على التّوازنِ، مُواكباً لحدودِ الميزانِ والعدلِ التي يَتَبَنّاها الدّينُ الالهيّ القائم على الكتابِ والميزانِ (وانزلنا معهم الكتابَ والميزان)²، فإن كان النّظامُ هكذا فهو يسوقُ المجتمعَ الى العدلِ والقسطِ، ويوجدُ التّوازنَ الاجتماعيّ والاقتصاديّ في عرصاتِ حياةِ

١ - راجع : الفصلين ١٩ و ٢٠، من هذا الباب ايضاً.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

نظرة الى الفصل الثاني ..

الناس ومساعدتهم، ويُجابه طَرْفِي الحدِّ الوسطِ وهما الفقرُ والتكاثر،
ويُطِيعُ بهما ويُزيحُهما عن ساحاتِ الحياة . وعندَ ذلكَ يَصِحُّ له أن يُسمِّيَ
نفسه نظاماً اسلامياً قرآنياً ..

ففي نظرِ الاسلامِ وعلى طبقِ تعاليمه، إنَّ اهمَّ العواملِ الرَّئيسيةِ
لقوامِ المجتمعِ ودوامه، هو القسطُ واقامته والدَّأْبُ على مراعاته . وليس
القسطُ الا ايجادَ التَّوازنِ الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ في كلِّ القِطاعاتِ .
وهذا من واجباتِ الحُكمِ الاسلاميِّ الاصليةِ، لأنَّ الفقهَ الاسلاميَّ يجعلُ
الأنفالَ والأراضيَ ومنابعَ الثَّرواتِ والمَناجِمَ وانواعَ استغلالِها، كماً وكيفاً،
بيدِ الحُكمِ، وكذلك ما يكونُ بيده بالعناوينِ الثَّانويةِ والاحكامِ الولايةِ،
فعلى هذا، إنَّ القيامَ بتعديلِ الارضياتِ الماليَّةِ وازاحةِ الفقرِ عن مسيرةِ
المجتمعِ، وامانةِ التَّكاثرِ والادِّخارِ، انما يكونُ بيدِ الحُكمِ . والحُكمُ إن كان
صالحاً يعملُ كما وصفناه، وان كان غيرَ صالحٍ ووقعتِ الاموالُ والمناجمُ
والاستيرادُ والتَّوزيعُ والتَّسعيرُ بايدي شِرْذمةٍ من المتكاثرينِ والمُتَرَفِّينِ،
يَخرجُ المالُ من مستواه الالهيِّ وموقعه الحياتيِّ وحده القواميِّ وكيانه
التوازنيِّ الى غيرها، ويُفضي الحالُ الى سيادةِ اُضدادِ التَّوازنِ والتَّعادلِ
الماليِّ . وتلكِ الاوضاعُ اذا سادت في مجتمعٍ، تَبْرُزُ فيه ظاهرتان هما
الاستضعافُ والاستكبارُ الماليَّانِ، فيقسِمانِ النَّاسَ الى فقراءِ بائسينِ (وهمُ
الاکثريةِ) واغنياءَ مُتَرَفِّينِ (وهمُ الاقليةِ) . ومن المعلومِ أنَّ هذه الكيفيَّةَ
المنحرفةَ الشيطانيةَ، تَسُفُّ بالمجتمعِ الى مهاوي الانحلالِ والتَّمزُّقِ،
وتدفعُ المسلمين الى مساقطِ الاضمحلالِ والدَّمارِ- كما مرَّ في الحديثِ .
وستمرُّ عليك فصولٌ بصدِّ هذا المبحثِ ايضاً .

ب - «... يعرف فيها الحق ..»؛ هذه الجملةُ تُبيِّنُ اقوَمَ الصَّلَاتِ الموجودةِ
بينَ الحقِّ والمالِ وأعمَقَها، فهي باطلاقيها تشمُلُ ماهيةَ الحقِّ وصورةَ التي

١ - وقد يكونُ بعضُ تلكِ الشَّرْذِمَةِ من اَجهزَةِ الحُكمِ ومن اليها، فلا تَعْفُلُ .

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وُلاةُ الاموالِ على معرفةٍ بها : الاموالُ في ايدي من يَجِبُ أَنْ تكون؟ في ايدي من يَعْرِفُ فيها الحقَّ . وهل يَسْتَوِي مَنْ يَعْرِفُ الحقَّ في الاموالِ ومن لا يَعْرِفُ؟ لا، لا يَسْتَوِيان . وما هو الحقُّ في الاموالِ، اهو تركيزُها في حدّها القَواميّ ام تسليطُ فئَةٍ عليها؟ وجوابُ الاسلامِ على هذا السُّؤالِ واضح .

ج - «... وَيَصْنَعُ المعروف ..»: هذه الجملة تُصَرِّحُ بأنَّ الذين يُديرون المجتمعَ في الجانبِ الاقتصاديِّ والماليِّ يَجِبُ أَنْ يَصْنَعُوا المعروف، وان يَعْمَلُوا في الاموالِ - في جميع ما يتعلَّقُ بها من البرمجةِ و المراحلِ والشؤون - بما هو خيرٌ للناسِ كلِّهم ولجوانبِ حياتهم المختلفة، من الماديّة والروحيّة، والفردية والاجتماعية، بلا اَثَرَةٍ وانحياز، حتى يَصِحَّ أَنْ يُعَدَّ عملُهم معروفًا في مصطلحِ الشرع، لامنكرًا وزورًا . ومن المسلمِ به انه لاشيء في الحقولِ الماليّةِ اعرفُ من وضعِ الاموالِ في مواضعها الالهية ورعايةِ العدالةِ والحق فيها .

وانما قُدِّمَ - في الحديث - قوله «ع»: «يَعْرِفُ فيها الحقَّ»، على قوله : «يَصْنَعُ المعروف»، للتدليلِ على أَنَّ الاساسَ الهامَّ في الامورِ الماليّةِ والاقتصاديّةِ - كسائرِ الامورِ والحوادث - هو العلمُ والمعرفةُ والاخصائيّةُ، اذ بدون المعرفةِ الواعيةِ لما هنالك، والخبرةِ الدقيقةِ بالمسائلِ الماليّةِ، المتوفرةِ والمتنوعةِ، والاخصائيّةِ في شعبِ العلومِ الاقتصاديّةِ، لا يُتَأَمَّلُ لايِّ احد - كائناً مَنْ كان - ان يَصْنَعُ المعروفَ في الاموالِ، وأن لا يُحَرِّفَها عن مواضعها ولا يَصْرِفَها عن حقائقها، ولو كان مؤمناً ملتزماً، اذ الايمانُ والالتزامُ غيرُ الاختصاصِ، وكلاهما غيرُ النّبهِ والوعْيِ، وياحبذا لو اجتمعت ..

والتعدي عن صنيعِ المعروفِ في المالِ انما يأتي من ثلاثِ نواحٍ :
(١) - عدمُ العلمِ بالمسائلِ الاقتصاديّةِ والاختصاصِ فيها .

نظرة الى الفصل الثاني ..

(٢) - عدم معرفة «الحوادث» الواقعة الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة . وهذا من الواضحات، لأن من ليس له خبرة بمسائل العمالة والزراعة والارض والصناعة والاستيراد والانتاج والتوزيع، في اشكالها المعاصرة، ومن لا يعرف النظم الرأسمالية ومآلها من الأبعاد والأغذية، في المستويات العصرية، كيف يمكنه أن يأتي فيما يتعلق بهذه القضايا والمسائل برأي راشد يقرب من الصواب، فضلاً عن ان يصيبه؟

نعم، لقد صدق المعلم الاكبر، الامام جعفر الصادق «ع» حيث قال :
«العالمُ بزمانه لا تهجمُ عليه اللوايس» . وواضح أن المراد بالزمان، هو الزمان بمضامينه ومحتوياته وحوادثه وثقافته، لا بتاريخه وایامه .

(٣) - عدم الالتزام والصلاحية، فإن غير ملتزمين من الافراد لا يفكرون بمنافع الناس، بل يفكرون بمنافعهم فيسأومون الطواغيت الاقتصادية على حساب الجماهير .

فبناءً على ما سلف من البحوث، ومع النظر الى الصلات الاقتصادية والاجتماعية المعقدة في هذا العصر، اذا اراد مجتمع أن يركز المال تركيزاً صحيحاً وأن يجعله في المسيرات السالمة البناءة، يجب عليه أن يدعم نظاماً اقتصادياً اسلامياً علمياً تتوفر فيه عناصر الاختصاصية، مع ادارة نابهة ومؤمنة وملتزمة، حتى يكون الامر بيد من يعرف الحق في الاموال فيصنع فيها المعروف .

ولأن نصل الى دعم نظام اقتصادي علمي ملتزم - طبقاً للمواصفات المذكورة - نحتاج الى المعارف العشرة التالية :

- (١) - معرفة الفقه والمباني الاجتهادية .
- (٢) - معرفة التفقه وامكانياته المتوفرة وسعة حقله الاصيل وجوانبه، حتى نصل الى استنباط الاحكام الشرعية، بصورة نظام مجموعي

«منظوم»، لا ابوابٍ مُبَعَثَرَةٌ .

(٣) - معرفةُ الحوادثِ الواقعة، بوصفِها العامّ .

(٤) - معرفةُ «الحوادثِ الواقعة» بوصفِها الخاصّ في الحقلِ الاقتصاديِّ ومايُمْتُ الى ابعادِها الشّاسعةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ، كالعلمِ بمسائلِ الاستيرادِ المستحدثة، وجريانِ المالِ في الاقتصادِ الحديث، والانتاج، والتّوزيع، والبنك، والعمالة ومسائِلِها، والزّراعة، الى مئاتِ المسائلِ الأخرى المتعلّقةِ بهذا الحقل، ممّا لم يكن له اثرٌ في العصورِ السّالفةِ بهذه الصّورةِ الحاضرة .

(٥) - معرفةُ السُّنَنِ الالهيةِ في الأبعادِ الاقتصاديّةِ والمجتمعيّةِ .

(٦) - معرفةُ «تعريفِ المال» في الاسلام، وسيره التّكوينيِّ والفطريِّ، وصلةِ ذلك السّيرِ كمّاً وكيفاً بهويّةِ الانسان وفطرته ووجوده وبهويّةِ المجتمعِ المستقلّةِ .

(٧) - معرفةُ سلبيّاتِ الفقرِ والتّكاثرِ وآثارِهما الموضوعيّةِ الباهظةِ

في حالةِ صلتِهما بكيانِ الفردِ والمجتمعِ .

(٨) - معرفةُ حكمةِ حرمةِ المالِ و فلسفتِها الحقيقيّةِ، التي

ابانتها الاحاديثُ الواردةُ في تبينِ «عِلَلِ الشّرائعِ» وحكَمِ الاحكامِ .

(٩) - معرفةُ منزلةِ المالِ ودوره في المجتمع، وأنّه للجسدِ الاجتماعيِّ

كالدمِ لجسدِ الفردِ، وما يُمْتُ الى تجسيدِ ذلك من الاحكامِ الولائيّةِ .

(١٠) - معرفةُ النسبةِ الموضوعيّةِ بينِ العلاقاتِ التّكاثريّةِ وقداسةِ المالِ،

وأنّ تلكِ النسبةُ هي التّضادُّ الجوهريّ . وذلك لأنّ التّكاثرَ ينفي قيمةَ المالِ

القواميةِ ويحوّله الى عاملِ هلاكٍ وفسادٍ في القِطاعاتِ المرفّهةِ والمُترَفّةِ،

وعاملِ شقاءٍ وحرمانٍ في القِطاعاتِ البائسةِ، على ما فصلناه تفصيلاً، في

الفصولِ المناسبةِ لهذه المباحثِ من هذين البابين .

نظرة الى الفصل الثاني ..

٣ - فناء المجتمع من المال : إِنَّ المجتمعات البشرية مركبة من مادةٍ وصورةٍ وروحٍ ومعنى، ولكلٍّ منهما كمالٌ ونقص، وبقاءٌ وزوال . وإنَّ فناء أيِّ مجتمعٍ من المجتمعات يُمكنُ أن يكونَ فناءً صورياً ومادياً او روحياً ومعنوياً، فكما أنَّ الضَّلالاتِ العقيديةَ والتَّميعاتِ الخُلقيَّةَ والانهياراتِ الرُّوحيةَ تُصيرُ اسباباً لفناءِ الشعوبِ والمجتمعاتِ ولدمارِها، كذلكِ الضَّلالاتُ الاقتصاديةُ والتَّعدياتُ الماليَّةُ والمظالمُ المعيشيةُ تُصيرُ اسباباً لزوالِ الشعوبِ والمجتمعاتِ وفنائِها وتلاشيها، ولا سيَّما مع النَّظرِ الى ما هنالك من صلواتٍ وثيقةٍ مؤكَّدةٍ ومركَّزةٍ وجذريةٍ بين الامكانياتِ الماديةِ والظواهرِ الرُّوحيةِ والمعنويةِ، وتفاعلِ هذه الصَّلواتِ بصورةٍ مستمرةٍ . ولقد كشفَ القرآنُ الكريمُ عن هذين الاصلين في بيانِ قويم، فقال فيما يُسبِّبُ الضَّلالُ العقيدِيَّ لهلاكِ المجتمعِ : «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ..»^١ و«ما آمَنتُ قبلَهُم مِن قَريَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمُ يُؤْمِنُونَ»^٢؛ فالهلاكُ هنا مُسبَّبٌ عَمَّا جَاؤُوا بِهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالانصهارِ بِهِ . وقال فيما يُسبِّبُ الضَّلالُ الماليَّ والعدوانُ الاقتصاديَّ لهلاكِ المجتمعِ : «وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ»^٣ و«وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»^٤ .

فعلى هذا، إنَّ النِّظامَ الماليَّ الاقتصاديَّ إذا كان بيدِ أناسٍ يُعدُّونَ المالَ غايةً، وَيَسْعَوْنَ وراءَ الحُرِّيَّةِ فِي الاستغلالِ والملكيَّةِ، وَيُسَوِّغُونَ لِنَفْسِهِمُ التَّكَاثُرَ وَالاكتنازَ وَالآثَرَةَ، تُسِفُّ تلكَ الحالةُ بمعنوياتِ المجتمعِ ونفسياتِ الشَّعبِ الى مهاوي السَّقوطِ والتَّلاشي، وتُورِدُهُم مَساقِطَ التَّسْيِبِ وَالانحطاطِ، وتَخْلُقُ فِي النِّفوسِ خِصائِلَ لا تَسْتَتِيعُ الا الانهيارَ والتَّدني،

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٣٩ .

٢ و ٣ - سورة الانبياء (٢١) : ٦ و ٩ .

٤ - سورة الاسراء (١٧) : ١٦ .

وتُرَبِّي في الطَّبائعِ صفاتٍ غيرَ انسانيةٍ تورِدُ الشَّعبَ مواردَ البوارِ والفناء، كما قال الامام علي «ع»: «وَأَيَّاكَ أَنْ تَوْجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ»^١. ولقد عدَّ الامام عليّ «ع»، الطَّمَعُ والحرص، في كلامه هذا، عاملاً للهلاكِ والدمار - وهو صفةٌ نفسانيةٌ - فالمعنى والصورة في الفردِ والمجتمعِ ليسا بمنفكَّين في الحياةِ والتفاعل، فاذا فسدتِ الصورةُ فسَدَ المعنى وكذلك العكس. وانَّ ثنائِيَةَ المجتمعِ وتركُّبه من الصورةِ والمعنى، حقيقةٌ راهنةٌ تَبْرُزُ في صميمِ الواقعِ الانسانيِّ وحقاً جوهرِ الحياةِ البشريةِ. والمجتمعُ ليس الا تجمُّعُ افرادٍ من الانسانِ في بيئَةٍ واحدة، لمصالحٍ مشتركة.

فبعدَ هذه المقدمةِ الموجزةِ نقول: إنَّ تداولَ المالِ في ايدي الناسِ اذا كان زائفاً منحرفاً، يكونُ سبباً لفناءِ المجتمعِ وهلاكِ الشعبِ، اذ المالُ للجسدِ الاجتماعيِّ يكونُ كالدمِّ للجسدِ الفرديِّ. وانَّ الدمَّ اذا دار في الجسدِ الانسانيِّ دوراناً سالماً متعادلاً موزوناً يكونُ سبباً لحفظِ الحياةِ ودوامِ العيشِ واستمرارِ العمرِ وحصولِ النشاطِ، واما اذا اعتلَّ الدورانُ وتجاوزَ حدَّ التوازنِ والاعتدالِ وتراكمَ في عضوٍ وتضخَّم، اكثرَ ممَّا يلزمه، فيُصْبِحُ سبباً لفسادِ الجسدِ فالموت.

وكذلك المال، فإنه اذا دار في مجموعةِ جسدِ المجتمعِ بأسرها - على حَسَبِ ما يحتاجُ اليه كلُّ عضوٍ من اعضاءِ هذا الجسدِ المجتمعيِّ - وتمتَّعَ منه جميعُ الاعضاءِ والخلايا، كان سبباً لحياةِ المجتمعِ حياةً نشيطةً متكاملةً. واما اذا لم يَدُرْ في مجموعةِ هذا الجسدِ دوراناً سالماً متوازناً، بأن مَصَّ بعضُ الاعضاءِ مقداراً اكثر، وتضخَّم لديه تضخُّماً تكاثرياً، فيقتضي ذلك على الحياةِ ورمقها في سائرِ الاعضاءِ ويذرُّها فاقدةً لايِّ دمٍ وحيويةٍ ونشاطٍ ونموٍ. وهذه الحالةُ تُسِفُّ بكلتا الطائفتينِ (المتكاثرةِ والمُعديمةِ)

نظرة الى الفصل الثاني ..

الى حضيضِ التّعسِ والانهيار. وبهذا يتبدّل المال من عاملِ قوامِ
وكيانِ ونشاطِ الى عاملِ زوالِ وسقوطِ وتلاشٍ. ففي هذا الضوء،
لا يكونُ هلاكُ المجتمعِ وفناؤه وتسيّبه وانحطاطه منوطاً بجهاتِ الانتاجِ
والاستهلاكِ في المرتبةِ الاولى، بل هو منوطٌ بالمذهبِ الاقتصاديِّ السائدِ
فيه، ومنتجٌ من طريقةِ التوزيعِ غيرِ العادلِ وغيرِ المتوازنِ، ومن فسادِ
التداولِ الماليِّ بينَ الناسِ وزيفه.

وهذه الحقيقةُ الاجتماعيةُ، هي التي يُؤشّرها القرآنُ الكريمُ ببيانِ
صامدٍ حيٍّ، حيثُ يقولُ: «لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكونَ
تجارةً عن تراضٍ منكم، ولا تقتلوا انفسكم...»^١؛ فهذه الخطاباتُ الستةُ الواردةُ
في هذه الآيةِ السماويةِ: «لا تأكلوا» و«اموالكم» و«بينكم» و«منكم» و
«لا تقتلوا» و«انفسكم»، خطاباتٌ عامّةٌ تشملُ مجموعةَ المجتمعِ الانسانيِّ
وتعمّها وتجعلها كشيءٍ واحدٍ، وتُصوّرُها جسداً واحداً إذا اشتكى عضوٌ
تداعى له سائرُ الجسدِ بالاشتكاءِ حتى في الحوائجِ الاقتصاديةِ، بل هذه
من اهمّ مصاديقِ تداعي الاشتكاءِ في حياةِ المجتمعاتِ. وهذا التصويرُ
القرآنيُّ يُوكّدُ على امور:

١ - أن جميعَ اعضاءِ الجسدِ الاجتماعيِّ وقطاعاته وأجنحته وأقسامه
لها صلّاتٌ وثيقةٌ بالنظامِ الماليِّ والاقتصاديِّ، حياتها بحياته وانهارها
بانهاره.

٢ - أن الاهميّةَ المصيريّةَ للقضايا الماليةِ انما هي لكيفيّةِ تداولِ
المالِ في ايدي الناسِ وصورِ التمتعِ به وبمقاديره، بأن يكونَ باسبابِ
حقّة، وصورٍ معتدلةٍ متوازنة، ومقاديرٍ غيرِ مُجحفةٍ ولا مُترفة، لا بغيرها.

٣ - أن صحّةَ الصّلاتِ التبادليّةِ مُبتنيةٌ على «التراضى»، وهو امرٌ
بين طرفين، فيجبُ أن يكونَ طرفا المبادلةِ راضيين، لا أن يكونَ البائعُ

١ - سورة النساء (٤) : ٢٩.

راضياً، والمشتري مفروضاً عليه الرضا لحاجته وظروفه. كما ان التصوير الحديثي للمجتمع الاسلامي (وهو قول الامام الباقر «ع»): «المؤمنون في تبارهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، اذا اشتكى تداعى له سائرُه بالسَّهَرِ والحُمى»^(١)، يُؤكِّد ايضاً على امور، تشمل القضايا الماليَّة بوضوح وصراحة، فاي مجتمع يسعُه ان يدَّعي انه مجتمع مسلمٍ محمدي، مع انَّ الناس فيه يتفاوتون في المعاشِ تفاوتَ الثرى والثرىا، وفيه اعضاء كثيرةٌ تعاني آلامَ الفقرِ والعُدْمِ^٢ وتشتكي بجميع وجودها، ومع هذا لا يتداعى لها سائرُ الجسد؟!!

٤- هلاك المجتمع بايدي المستأثرين: انَّ الأثرَةَ والمُحاباةَ الماليَّةَ هما من اهمَّ العواملِ المؤدِّية الى التفاوتِ المعيشيِّ والعدوانِ الاقتصاديِّ. ومن اللاَّحِبِ انَّ التَّالِيَّ لهذه الكيفيَّة الزائفة في حياة ايِّ مجتمعٍ كانت، ليس الا فسادَ الافراد وسقوطَ المجتمعِ وهلاكَ الشعبِ، وهذا واضح ان لم يكن هناك بواعثُ تعملُ على اِضلالِ وعيِ الجماهيرِ واسكاتِهِم وإخضاعِهِم، وعلى تبريرِ ما يُصيِّبُهُم من الضَّغَطاتِ الاقتصاديَّة، وتَحبيذِ اعمالِ المسبِّبين لها بالوانِ التَّشْبِثِ.

وحيث عَنونا هذا المبحث بـ «هلاكِ المجتمع بايدي المُستأثرين»، نُحِبُّ ان نوردَ ايضاحاً حولَ معنى «الهلاك». انَّ الهلاكَ بالنسبة للانسانِ هو بطلانُ موجوديَّته الواقعيَّة وهويَّته الاصلية ودخُضُ مواهبه واستعداداته. وانَّ الهلاكَ للمجتمع هو بطلانُ موجوديَّته المستقلَّة الشَّخصية وقوامه الصَّامِدِ النَّشِيطِ.

١ - البحار ٧٤ / ٢٣٤.

٢ - ولا تنسَ قولَ النَّبيِّ «ص»: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره طاوي، ما آمن بي من بات كاسياً وجاره

عاري» - (المستدرک ٢ / ٨٠).

نظرة الى الفصل الثاني ..

إنَّ الفردَ او المجتمعَ اذا انحرَفَ عن مسيرَةِ السُّنَنِ التكوينيةِ التكامليّة، والنواميسِ التشريعيّةِ الحقّة، يقعُ في مَهَاوي التَّدَنِي والانهيار، كما قال الامامُ عليّ «ع»: «مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الْحَقُّ أَهْلَكَهُ الْبَاطِلُ». والحقُّ لا يَخُصُّ القضايا النظريةَ والعقائد، بل يَشْمَلُ الاعمالَ والاتجاهاتِ ايضاً، ومنها الاتجاهاتُ الماليّةُ والممارساتُ الاقتصاديّة، ففيها ايضاً حقٌّ وفيها ايضاً باطلٌ . ومن تَبِعَ الباطلَ من الاتِّجاهِ الاقتصاديِّ بالآثَرَةِ والمُحاباةِ، فقد حَادَ عن الحقِّ . ومن حَادَ عن الحقِّ لَمْ يُنْجِهِ الْحَقُّ فِيهِلِكُهُ الْبَاطِلُ بالضرورة . واذا أَرَدْنَا ان يَتَبَلُورَ اِمَامَنَا هذا الواقعَ الرَّاهِنَ، يجبُ عَلَيْنَا انْ نُمِيعَ النظرَ في صلةِ الانسانِ بِالْمَالِ وبالملكِيّة، فنَقُولُ انْ صلةَ الانسانِ بِالْمَالِ (وكلُّ ما يُعَدُّ مَالاً وَمَتَاعاً)، صلةٌ تَكُونِيَّةٌ واقعيّة، وانْ صلتهُ بِالْمَلِكِيَّةِ صلةٌ اعتباريّة، فهناك صِلَتَانِ لِلانسانِ بِالْمَالِ :

١ - صلةٌ اعتباريّة، وهي الملكيّة .

٢ - صلةٌ واقعيّة، وهي التصرفيّة والاستهلاكيّة .^٢

والصلةُ الثانيةُ ليست - بحسَبِ واقِعِهَا - الاصلةُ الانسانِ بِمعيشتِهِ التي ترتبطُ بِحَيَاتِهِ وشرائطِهَا وحاجياتِهَا ومُقومَاتِهَا . وهذه الصِّلَةُ اذا كانت صحيحةً، تكونُ تابعةً لِلانظْمَةِ الالهيةِ والقوانينِ العامّةِ الحاكمةِ على عالمِ الوجودِ وعلى المجتمعاتِ والافراد .^٣ ومن اهمُّ تلكِ الانظْمَةِ والقوانينِ في

١ - غُررُ الحِكمِ / ٢٧٣ .

٢ - هذه الصِّلَةُ امرٌ تكوينيٌّ كصلةِ الانسانِ بِالغِذاءِ، ولها في كُلِّ من الجانبينِ (الامتلاكِ والاستهلاكِ) ثلاثةُ حدودٍ : حدُّ الافراطِ وحدُّ التفریطِ وحدُّ القصدِ والوسط . ولكلُّ منها آثارٌ طبيعيّةٌ واخلاقيّةٌ واجتماعيّةٌ واقتصاديّةٌ، تكلمنا عن عدّةٍ منها في الفصلينِ ١٧ و ١٨، والفصلِ ٣١، ولاحظ ايضاً : الفصل ٤، كُلُّها من هذا الباب .

٣ - انْ الصِّلَتَيْنِ المذكورتينِ بين الانسانِ وَالْمَالِ، من الاعتباريّةِ والواقعيّةِ، تنقسمانِ الى قسمينِ : (١) - صلةٌ تابعةٌ لِلانظْمَةِ الالهيةِ العامّةِ الحاكمةِ على عالمِ الوجودِ وعلى المجتمعاتِ والافراد . وهذه الصِّلَةُ موافقةٌ للشرائعِ الالهيةِ بالضرورة .

عرصات الحياة، هو قانون التوازن والتعادل، فكلُّ شيءٍ يوجد في العالم إنما يوجد في طبيعة متعادلة وإطارٍ موزون، بحيث إذا اختلَّ ذلك التوازن اختلَّ ذلك الشيء في أصله أو في خواصه وآثاره وملاجه . فالعالم إذاً - مع ما فيه من الكائنات العظمى والآفاق الفسيحة والحقائق المتوفرة - موجود متوازن لا قوام له بدون التوازن كما يقول القرآن الكريم : «والسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ»^١، فرُفِعَ السَّمَاءُ ووضع الميزان امران متساويان .

وهذا الميزان الذي وَضَعَهُ اللهُ مع رفعِ السَّمَاءِ وخلقِ الكون، ليس الاميزان العدلِ وناموسَ التوازن، وجعلَ كلَّ شيءٍ في موضعه وقدره اللائق به، الضروريُّ له ولقوامه وحياته . وهذه الكيفية الحكيمه هي اساس التقادير الكونية العظيمة الجارية في اكبر المَجَرَّاتِ الى اصغرِ الذَّرَّاتِ، قال الامام عليُّ «ع» : «العدلُ اساسُ به قوامُ العالم»^٢.

وهذا الميزانُ العادلُ الحاكمُ على العالمِ الكبير، حاكمٌ - بحسبِ الموازينِ التكوينية - على العالمِ الصَّغيرِ ايضاً، وهو الانسانُ والمجتمعاتُ الانسانية، وبذلك يتلاحمُ العالمان، فيتجاوبان في مسيرتهما ومآلهما من الغاياتِ الكمالية . ومن هنا فاذا تركَ الانسانُ رعايةَ الميزانِ (التوازن) وتطبيقه وتعداه الى غيره، يَنسَجِبُ عن الرُّكْبِ الوجوديِّ العامِّ، ولا يُلْحَقُ - في مسرِّبه التكامليِّ - بمجموعةِ الكونِ الاعظمِ المتكاملِ .

أضفُ الى ذلك، أنَّ الانسانَ بخروجه عن هذا الميزان، الحاكمِ على وجوده تكويناً، يسعى لهلاكِ نفسه، فإنَّ خروجَ الجزءِ عمَّا هو حاكمٌ على الكلِّ، يؤدي الى هلاكِ الجزء . فالعدلُ ناموسُ يسودُ الكونَ، فيجبُ أن

(٢) - صلة تابعة للنظم الشيطانية والنفسانية والطاغوتية، التي تُفرضُ على المجتمعات والافراد.

وهذه الصلة مضادة للشرائع الالهية بالضرورة.

١ - سورة الرحمن (٥٥) : ٧.

٢ - البحار ٧٨ / ٨٣، عن «مطالب السؤل».

نظرة الى الفصل الثاني ..

يسود حياة الانسان وحياة المجتمع الانساني، حتى لا تخرجنا عن ميزانية الوجود وقوام العالم وشرائط الحياة .
ففي هذا الضوء، إنَّ اهمَّ ما يجبُ على الافراد^١ أن يُتابعوه في كلِّ افعالهم وتروكهم وحركاتهم ونشاطاتهم واتجاهاتهم ومواقفهم - طلباً لحياة سليمة طبيعية - هو ذلك الميزان التَّعادلِي العام، حتى يَنخرطوا بذلك في سلك التَّكاملِ الوجوديِّ والتَّلاحُمِ الانسانيِّ، كلُّ فردٍ مع الآخر، بل ومع سائر الموجودات . والمجتمعُ ايضاً يجبُ عليه^٢ أن يُطبَّقَ ذلك التَّعادلُ في جميعِ قطاعاته وفئاته، حتى لا يَشُدَّ عن حركة الحياة الصَّاعدة، وحتى لا يَقتَرِبَ من مهاوي الاستبدالِ والسَّقوطِ .

ومن هنا نشاهدُ أنَّ من اهمَّ رسالاتِ الانبياء «ع» ونشاطاتهم - وهم الذين بُعثوا لان يجعلوا حياة الافراد والمجتمعات تابعة للنظام الوجودي التَّعادلِي العام، خاضعة لسُننِها ونواميسها - هو تصحيحُ مسيرة المجتمعات والافراد بكفِّهم عن الانحرافِ والشُّذوذِ وردِّعهم عن العدوانِ والبغيِ والاسرافِ والتَّكاثُرِ، وايصالهم الى حدِّ التَّعادلِ والتَّوازنِ العامِّ الدقيقِ، كما صرَّح به القرآن الكريم : «لَقَدْ ارسلنا رُسُلنا بالبيناتِ وانزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ»^٣؛ فقيامُ الناسِ بالقسطِ هو المقصدُ الاقصى . فالعالمُ لَمَّا كانَ تابعاً للميزانِ قائماً بالقسطِ، وكانَ وضعُ الميزانِ ورفعُ السَّماءِ مقرونين، يَجِبُ أن يكونَ الناسُ ايضاً تابعين للميزانِ قائمين بالقسطِ.^٤

وإنَّ هذا الاصلَ التَّكوينيَّ العامِّ، يُوكِّدُ بصورةٍ خاصَّةٍ وجدِّيَّةٍ، على

١ او ٢- وهذا الواجبُ الالهَمُّ والسَّعيُّ البالغُ لتطبيقه، يقعُ على عاتقِ الحُكمِ الاسلاميِّ ورجالِ الدينِ وعلمائِهِ بصورةٍ آكدٍ واشدَّ.

٣ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٤ - تجد تفصيلَ الكلامِ عَمَّا جئنا به في هذه الفقرة، في النظرة الى الفصل ٤٦، من الباب ١٢، فراجعها.

ضرورة ايجاد التوازن في الحياة الاجتماعية ورعايته كاصل مفروض . وهذا امر لا يمكن تطبيقه الا باقامة التوازن المالي والمعيشي بين الناس، فيه يُضْمَنُ بقاء المجتمع بقاءً صالحاً لا حيف فيه ولا عدوان، ولا تمعُّع فيه ولا ملاشاة . كما أنَّ عدم العدل الاقتصادي يُؤدِّي الى حرمان الاكثريَّة وإملاقها . وهذا من اهمِّ بواعث هلاكِ النَّاسِ مادياً ومعنوياً، اذ عدم التوازن المعيشي وفقد العدل الاقتصادي هو بمعنى فقدان القسط في المجتمع، بل من اجلى مصاديقه . واذا فقد القسط كيف يقوم الناس بالقسط؟ واذا لم يُقْمِ النَّاسُ بالسقط كيف تتحقَّقُ آمالُ الانبياء ومقاصدُهم الرسالية؟ واذا لم تتحقَّقْ آمالُ الانبياء ومقاصدُهم من رسالاتهم كيف يكون دينُ الله قائماً، واحكامه مطبَّقةً وشرائعه نافذةً؟ واذا لم يكن دينُ الله قائماً مطبَّقاً كيف يقع المجتمع في مسيرة الحركة التكامليَّة الالهية ولا يتعدُّ عن الميزان الذي قُرِنَ برفع السماء واقامة الوجود وادامة الحياة .

ومن هنا يتضح معنى العنوان : «هلاك المجتمع بايدي المُستأثرين»؛ نعم، إنَّ المُستأثرين هم الذين يدحسون مرامي العدالة ويصدون عن سبيل التوازن والتلاحم، ويسحقون التواميس السارية في الوجود والحياة - ومنها حياة المجتمع ووجوده - فيجترون الى الناس ويلات الدمار والفناء، لماذا؟ لانَّ التواميس العالمية العامة لا تستسلم لاهواء هؤلاء، فلا تخضع لهم ولُمبولهم، بل تكبر عليهم وعلى اياديهم وتبيدُهم وتجعلهم كأعجاز نخل خاوية . وعند ذلك تعمُّ البلوى الناس، ويحترق الرطب واليابس معاً، فيكون فيه هلاكهم وهلاك ضياعهم واموالهم، وهلاك سائر الناس من جهتهم . وهذه نتيجة لخروج المجتمع عن المسيرة الكلية للعالم، كما أنَّ الكوكب اذا خرج عن مسيره وتعدى مداره، يتسرب الى السقوط . والمجتمع يبقى نشيطاً حياً سالكاً سبيل التقدم، اذا دار على مداره؛ ويتعرض للزوال وتموت مواهبه اذا حاد عنه، كما جاء في القرآن

نظرة الى الفصل الثاني ..

الكريم : «... وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^١. ومعنى «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»، أَنَّهُمْ يَقِيمُونَ الْعَدْلَ وَيُشِيدُونَ قَوَاعِدَ الْقِسْطِ الْاجْتِمَاعِيِّ بِخِلَافِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِشَاعَةِ الظُّلْمِ وَالْحَيْفِ .
فعلى هذا المبنى القرآني، يَجِبُ أَنْ تُحَدَّ الحَرِيَّاتُ الاِقْتِصَادِيَّةُ، حَتَّى لَا تَكُونَ الْأَمْوَالُ دَوْلَةً، بَلْ تُصْبِحَ مُتَدَاوِلَةً بَيْنَ النَّاسِ وَيَصِلَ الْمَجْتَمَعُ بِهَا إِلَى حَدِّ التَّعَادُلِ وَالْقِسْطِ، فَيُضْمَنَ بِذَلِكَ بَقَاؤَهُ، وَلَا يُخْشَى عَوَاقِبُ اسْتِبْدَالِهِ وَسُقُوطِهِ .

ومما يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرْنَا، أَنَّ لِلْمَالِ طَبِيعَةً اجْتِمَاعِيَّةً لِفَرْدِيَّةٍ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ «ع» : «هِيَ (الدَّانِيرُ وَالذَّرَاهِمُ) خَوَاتِيمُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، جَعَلَهَا اللَّهُ مِصْحَةً لَخَلْقِهِ، وَبِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤُونُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ»^٢. فَالاسْتِثْنَاءُ بِالْمَالِ يُخْرِجُهُ مِنْ طَبِيعَتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْعَامَّةِ إِلَى الطَّبِيعَةِ الْفَرْدِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَهُوَ خُرُوجٌ عَنْ مَسِيرَةِ النُّوَامِيسِ الْوُجُودِيَّةِ الْعَامَّةِ أَيْضًا .
وهناك نَوْعٌ آخَرٌ مِنَ الْهَلَاكِ الْاجْتِمَاعِيِّ تَسْتَبِيعُهُ الْآثَرَةُ وَالْمُحَابَاةُ وَالتَّبَعِيضُ . وَهَذَا النُّوعُ لَيْسَ أَقْلَ ضَرَرًا مِنَ النُّوعِ الْأَوَّلِ، بَلْ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ وَخَسْرَانُهُ أَعْظَمُ، وَهُوَ الْهَلَاكُ الرَّوْحِيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاسْتِثْنَاءَ مِنَ الْهَلَاكِ الْبَوَاعِثِ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْإِنْسَانِ وَسَحْقِ مَوَاهِبِهِ عَلَى طَرِيقِ مَصَالِحِ الْاسْتِغْلَالِ، حَيْثُ أَنَّ الْمُسْتَأْتَرِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى دُخُولِ تَكَاثُرِيَّةٍ مُتَرَفَّةٍ، وَنَسَبِيَّةٍ اسْتِهْلَاكِ عَالِيَةٍ . وَكُلُّ ذَلِكَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اسْتِغْلَالِ السَّائِرِينَ اسْتِغْلَالًا لَا يَتْرُكُ لَهُمْ مَجَالًا لِإِنْمَاءِ مَوَاهِبِهِمْ وَإِخْرَاجِهَا إِلَى عَالَمِ الْوَاقِعِ وَالْفَعْلِيَّةِ .

إِنَّ الْمُسْتَأْتَرِينَ يُفْقِرُونَ النَّاسَ وَيَفْرُضُونَ الْحَاجَةَ وَالْفَقْرَ عَلَيْهِمْ، وَيَسْرِقُونَ زَادَهُمْ - عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ «ع» - وَيَنْتَهُونَ بِهِمْ

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٢٨ .

٢ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣ .

الى حضيض الإملاق والجهل والفاقة، عن طريق امتصاص نتائج أعمالهم مقابل اجر زهيد. وهذه الحالة تُميت الانسانية وتُغلق على الانسان ابواب التفتح العقلي والنمو الفكري والثقافي. وبذلك يهلك المجتمع بايدي هؤلاء هلاكاً معنوياً، مع أنهم انفسهم ايضاً هالكون، لاجل ما يفقدونه من الشرف الانساني والالتزام الديني والمسؤولية الاجتماعية والخصائل السامية، حيث لا تحيا تلك الخصائل في نفوس المستأثرين^١. فهؤلاء يهلكون ويهلكون ويميتون ويميتون^٢. ولا ينسجم شيء من عمل هؤلاء ومسيرتهم وغاياتهم مع الاسلام، لان الاسلام ومذهبه المالي الاقتصادي، يدعوان الى احياء الناس بالعدل والقسط والمساواة المعيشية والاستهلاكية في حدود متقاربة للجميع، والى تحكيم الصلات الانسانية السامية.

٥ - هلاك المجتمع بايدي المترفين: إن الترف والبذخ والارسطراطية وطلب الرفاه الواسع والعيش الناعم الرغد، من آكد الارضيات التي تؤدي الى فساد الانسان وهلاكه. وتلك التادية انما تتحقق من طرق شتى وباساليب عديدة. والى القارئ نبذة منها:

أ - وفرة الامكانيات المادية: إن توفر الامكانيات، وارتفاع نسبة الاستهلاك التجملي الزائد على حد الاعتدال والقصد، يدفع الانسان الى طلب اللذات والتهالك على المتع الالهية والملهية، ويصدّه عن اي تهذيب وخير واقتصاد. والانصهار بالمتع الجسمية لا يدع للانسان اي مجال للتصعيد الروحي، فيفوت عليه الفرص لاي تأمل وارتداع، ويغطي القلب والضمير بأغطية الشهوات والملاذ المهية له، ويجرّه الى اعتناق

١ - راجع: الفصل ١٦، من هذا الباب.

٢ - راجع: الفصلين ١٧ و ١٨، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

مذهب «أصالة اللذة»، والنأي عن أي اتجاه صالح .

ب - التلذذ والاستمتاع: التلذذ والاستمتاع والاستغراق فيهما وال مداومة عليهما - حيث يُلازِمُ الحياةَ الإترافيةَ الاستهلاكيةَ - يهدمان قواعدَ المعنى وركائزَ الروح والاخلاق . وهذا من اهمّ الاسبابِ المؤدية الى انواعِ الفجور والخيانة والظلم وتفسّسها في قطاعاتِ المجتمع المختلفة .

ج - شيوع التمتع الخُلقي: من آكدِ لوازمِ الارستقراطية والحياة المُترفة وابرزِ آثارهما، شيوعُ الاخلاقِ الارستقراطيةِ واعمالِ المترفين ومنهجِ سلوكهم المعيشي في الناس وسريانها في سائرِ القطاعات . إنَّ الفئنةَ المترفةَ المسرفةَ لها نفوذٌ كبيرٌ في سائرِ الطبقاتِ الاجتماعيةِ، لما تتمتعُ به من القدرةِ والجاهِ والمال . والناسُ ينظرون الى هؤلاء ويتخذونهم قدوةً في السلوكِ والاعمالِ والحركاتِ والأزياء، ويحبون أن يتشبهوا بهم ولو بصورةٍ ناقصة . وهذه الحالةُ هي التي تترقّبها تلك الحفنةُ ايضاً، لأنّها تُحبُّ أن يكونَ المجتمعُ مُكبلاً بأغلالِ التبعيةِ العمياء، كاداً لكسبِ ما تفرّضه عليه حياته التبعيةُ واعباؤها الباهظة، حتى لا تجدَ هي امامَ مسيرتها الاستغلائيةَ وحياتها المترفةَ عراقيلَ .

وهذا واضح، لأنَّ المجتمعَ الذي انهارت قواعده المُركزةُ وتميَّعتُ اخلاقه القويمة، لا سبيلَ بل لا قدرةَ له على الكفاحِ والمقاومةِ في وجهِ أيِّ تعدٍّ وعدوان، اقتصادياً كان او غيرَ اقتصادي . والتمتعُ الخُلقي الذي اشرنا اليه، والذي يُغشي المجتمعَ بسرايته من حياةِ المترفين وسلوكهم المعيشي والاستهلاكي، انما يأتي من طريقين :

(١) - طريقُ معتاد، وذلك لأنَّ الحياةَ المترفةَ تستلزمُ - بطبيعتها الافراطيةُ - المفسادَ الاخلاقيةَ والغرقَ في الاستهلاكِ والاستمتاع،

١ - راجع ايضاً: الفصل ٤٠، من هذا الباب.

ونسيان المثلِ العالية، والتغافل عن واقع الانسان وجوهره الوجودي، والاخلاد الى الارض والى ما يوجد فيها من مُتَعٍ وزخارف . فاذا عاشت فئة هذه الحياة، فلا بد من أن تتسرب تلك الروحيات المُتميعة الى سائر الفئات وتنفذ فيها، حتى تتجاوب معها وتضطبع بصبغيتها .

(٢) - طريق مفروض، وهو ما يسعى اولئك المترفون لفرضه على الناس بجميع قدراتهم، حيث يسعون لتطبيع المجتمع على تلك التآسيات المُميعة، المنسجمة مع أجواء معيشتهم المترفة، فيلوثون البيئة الاجتماعية بالشكل الذي يُغيّر المقاييس والمثل، فيقضون على قوام الأمة المعنوي، ويشيعون الهوان والانهيَار الخُلقيّ فيها، حتى تتسنى لهم بذلك ادامة حياتهم الحيوانية الارستقراطية . والى هذه الحقيقة تُشير الآية القرآنية : «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ..»^١.

د - الحياة المُتطفلة ولوازمها المفروضة على المجتمع : إن حياة البذخ والترّف حياة متطفلة غارقة في البطالة والفراغ، وفي استغلال الآخرين بجميع صور الاستغلال . إن المستهلكين الباذخين يستفيدون دائماً من النعم الموفورة التي تكون في مُتناولهم، وليست هي الآ من جرّاء اغتصاب حقوق الناس وتكُدس اموال الفقراء والمحرومين والعمال والفلايح والكادحين لديهم، كما قال مولانا امير المؤمنين : «ما جاع فقير الآ بما منع غني»^٢، وقال مولانا الامام الحسن العسكري : «اغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء»^٣ ..

ومن لوازم تلك الحياة وشروط بقائها واستمرارها أن يبقى الناس جاهلين بحقوقهم، تائهين في الفتنة والفساد، غارقين في الغفلة والبساطة

١ - سورة الاسراء (١٧) : ١٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٤٢ : عبده ٣ / ٢٣١، وفي هذه النسخة : «الآ بما مُتّع به غني».

٣ - المستدرک ٢ / ٣٢٢.

نظرة الى الفصل الثاني ..

والتشاجر والتباغض، غير مفكرين بمصيرهم ومصير شعبيهم، غير مباليين بحقوقهم وقيمتهم، غير واقفين على ما جاء في تعاليمهم الدينية بصدور احقاق الحق وشجب الظلم والجور، وأن يكونوا كوسائل ومعدات في ايدي المقتدرين الماليين وكالاعيب في خدمة الاقتصاديين وميولهم .

إن الناس اذا حادوا عن مسيرة الفطرة الانسانية الالهية بتوغلهم في الدنيا والمفاسد، وبتمرغهم في استهلاك المواهب والنعم، واذا نبذوا الحق والعدل والفضيلة وراء ظهورهم، لا يحسبون بالمساوي والشُرور ولا يفرقون بين التقوى والفجور، فيصبحون امام المفاسد والمفسدين والمظالم والظالمين، لامباليين ولا ملتزمين، لا يفكرون بثورة لعدل، ولا يصمدون الى قيام لحق، فعند ذلك تنهار النفوس، وتخور العزائم، وتشتع المفاسد والمظالم، وينشط المفسدون والظالمون، حيث لا يجدون امامهم رادعاً، فيهلكون الحرث والنسل . وحينئذ يفشو الكسل في الافراد ويسود الحرمان، ويتعس اكثر قطاعات المجتمع .

واذا كان الناس على ما وصفنا من الحالات، فلو فرض أنهم أحسوا يوماً بعض ما هنالك من الفساد والظلم، مما يجنيه اصحاب الحياة الباذخة والمترفة، فلا يقدرّون على مكافحتهم والقيام في وجههم . وذلك لامور :

(١) - أن الناس في تلك الحالات قد أسروا في شبكات المفاسد الخلقية والشهوات المميعة، التي أشاعها اولئك المترفون فتغلقت في النفوس، حتى صارت عقبة امام ظهور اية ثورة او مجابهة، فلا شهامة هناك للاقدام، ولا ايثار للفداء، مثل ما يوجد عند الاحرار المكافحين للظلم والظالمين؛ فلا تصل الايدي الى عروة وثقى من الثقافة الحقة والتعاليم الدينية الحرة الصريحة الدافعة الى النهضة والكفاح . وعندئذ تصبح حياة مجتمع كهذا سبباً لادامة تلك الحياة المتطفلة، التي يعيشها اولئك المترفون، بدل أن تكون قاطعة لدائهم .

(٢) - أن المترفين المتكاثرين، يظفرون بابقاء الناس في غمار من السذاجة والجهل والجمود، بما يخلقونه في المجتمع من الأزمات ومن اضلال الافكار، فيقدرون بذلك على هدر قدرات الافراد الجسميّة وقواهم الكفرية، وعلى دفعها الى مسيراتٍ منحرفةٍ توجب ابتعاد الناس عن الانتباه وعن وعي علل تلك المفاسد وذلك الحرمان، وكيفية مما يكتنفهم من الاستهتار والظلم، فيشتغلون بما لا يهتم حياتهم ودينهم وانسانيتهم من الحوادث والمسائل الفرعية. ولاجل ذلك فإن المترفين والارستقراطيين هم اهل الفتنة واصلها، منهم تبدأ الفتن واليهم تعود - كما ورد في الحديث النبوي الشريف^١.

(٣) - أن المترفين الباذخين يقضون على ما رب المجتمع الانساني من ناحية اخرى، ويثون الفتن ويقلبون للناس الامور^٢. وذلك لانهم لا يعطون الجماهير حقوقهم الحقّة، فيهدرون موارد المستضعفين الماليّة ويدمرون بنيتهم الاقتصاديّة، ويتلفون مالهم من فرص واستعدادات، لاقتناء الاموال وسدّ الاعواز. وانما يعملون هكذا لان تبقى الجماهير بحاجة الى ما في ايدي هؤلاء فيعملون لهم كالرقيق. وهل يجد المحرومون والكادحون عند ذلك سبيلاً للمجابهة الصامدة ضد ميول المعتدين الاقتصاديين واهوائهم التي لاتحد، ونفوذهم الى جميع المستويات الاجتماعيّة والدينيّة والسياسيّة والاعلامية والثقافية والماليّة، والتشريعيّة والقضائيّة والعسكريّة، وخصوصاً بعد ما نشاهد من الصاق الاغنياء انفسهم بالدين ورجاله وانخراطهم في سلوكهم؟

هـ - تحكيم السيطرة السياسيّة والعسكريّة على الجماهير: من اللاّحِب
أن السيطرة الماليّة والاقتصاديّة على الجماهير لاتتحقق ولاتدوم الاّ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٦؛ يأتي الحديث في الفصل ١٩ .

٢ - راجع: الفصل ١٩، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

بالسيطرة السياسية. وهذه السيطرة لا تبقى ولا تدوم الا بالسيطرة العسكرية - في الاغلب - ولاجل ذلك نرى ان من اهم الاهداف التي يتبنّاها المتكاثرون والمترفون لفرض سلطتهم الاقتصادية على الجماهير واستمرارها، هو السعي الجاد لاكتساب السلطة السياسية وفرضها. ومما هو واضح ان الحياة الارستقراطية تهدد بالزوال، اذا لم يكن النظام السائد حافظاً لمنافع الارستقراطيين او عميلاً لهم، سائراً مع ميولهم ونزعاتهم في كل وردٍ وصدر. فالنظام الحاكم في المجتمعات التي لايسودها القسط ولا تُرفرف عليها اعلام العدل والاحسان، إما ان يكون بايدي المترفين والارستقراطيين انفسهم، وإما ان يكون ربيهم وعميلاً لهم.

ومن هنا نشاهد - عبر التاريخ - ان الفئة المترفة والارستقراطية إما ان تكون هي المالكة ظاهراً وباطناً، وإما ان تكونها باطناً بنفوذها ونفوذ افرادها الى الطبقة الحاكمة، ولاسيما في المصادر الاقتصادية.

ومن الواضح ان الحكم العميل - او المتحيز - لا طاقة له بنفسه لدفع الثورات التي يخلقها وعي الجماهير، وتتسع رقعتها بيد المصلحين والمفكرين والكتاب والناهين. ومن هنا نرى الارستقراطيين والمترفين يسعون سعيهم دوماً، لارساء قواعد الحكومات العميلة وصيانتها عن الفتور والتلاشي، ونشاهدهم ممارسين للأحوال والاعمال التالية:

١ - يُجابهون الحركات التحررية والثورات التغييرية اشدّ المجابهة.

٢ - يشجبون طلاب الحرية والعدل اشدّ الشجب.

٣ - يُحاربون قدرات القطاعات المحرومة والمستضعفة أقطع

المحاربة، من طريق توسيع سلطتهم الاقتصادية والاخلال بنظام المجتمع الاقتصادي.

٤ - يقومون في وجه الدعاة المحققين، ويريقون دماء شيعه الفضيلة

١- راجع: الفصل ٢٠، من هذا الباب.

والعدل .

٥ - يَتَّهَمُونَ النَّابِهِينَ الْأَبْرِيَاءَ، لِكَيْ يَسْقُطُوا فِي أَعْيُنِ الْجُمَاهِيرِ، فَلِيُتَّاحَ لَهُمْ تَدْمِيرُ قَوَاعِدِ الْأَرِسْتِقْرَاطِيَّةِ وَالْإِتْرَافِ، وَيَزْدُرُونَ الْمَفْكَرِينَ الْمَصْلِحِينَ وَافْكَارَهُمُ النَّيِّرَةَ وَالْمَوْقِطَةَ لِلشُّعُوبِ، وَيَنْسِبُونَ لَهُمُ الْيَسَارِيَّةَ مَرَّةً، وَالْيَ التَّطَرُّفِ أُخْرَى، وَالْيَ الْمَغَامِرَةَ ثَالِثَةً .

٦ - يُلِصِقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالَّذِينَ وَرَجَالِهِ، حَرْبًا لِمَنْ يُنَاوِيهِمْ مِنَ النَّائِرِينَ وَطَلَابِ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ .

٧ - يَدْفَعُونَ نَفَقَاتِ زَهِيدَةٍ - بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا بَأَيْدِيهِمْ وَمَا اغْتَصَبُوهُ مِنْ حَقُوقِ الْجُمَاهِيرِ وَارزَاقِهِمْ - هُنَا وَهُنَا بِاسْمِ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، لِتَكُونَ غَطَاءً لِاسْتِغْلَالِهِمْ وَجَشَعِهِمْ .

٨ - يَقُومُونَ بِأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الدَّعَايَةِ وَالْإِعْلَامِ، عِنْدَ دَفْعِ نَفَقَةٍ أَوْ صَرْفِ مَالٍ، حَتَّى يُغَطُّوا عَلَى ضَمِيرِ الْجُمَاهِيرِ .

٩ - يُقَدِّمُونَ عَلَى إِيجَادِ التَّنْظِيمَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْحَزْبِيَّةِ لِاحْتِلَالِ الْمَجْلِسِ الشَّعْبِيِّ، حَتَّى يَتَدَخَّلُوا فِي التَّشْرِيحِ عَلَى حِسَابِ الْجُمَاهِيرِ .

١٠ - يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُخْتَلَفِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ التَّصْوِيتِ، حَتَّى يَظْفَرُوا بِغَايَاتِهِمُ الْمُنْشُودَةَ .

وَمِنْ هُنَا وَهُنَا، نَقَفُ عَلَى سِرِّ كَبِيرٍ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ الْإِلَهِيِّينَ «ع» وَتَارِيخِ ثَوْرَاتِهِمْ، حَيْثُ نَرَاهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى مَقَاطِعِ هَوْلَاءِ الْأَرِسْتِقْرَاطِيِّينَ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ الْاِقْتِسَادِيِّينَ وَالْمَتَكَاتِرِينَ وَالْمُتَرْفِينَ، وَاقْفِينَ فِي مَنَافِحَتِهِمْ عَلَى سَاقٍ، فَكَانُوا لَا يَدْعُونَ فِرْصَةً لِهَذِهِ الْمَجَابَهَةِ إِلَّا أَنْتَهَزُوهَا وَيُنَادُونَ: «يَا قَوْمِ! لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا»^٢. وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّضَادَّ بَيْنَ الْإِدْيَانِ الْإِلَهِيَّةِ

١ - راجع: الفصل ٥٠، من هذا الباب.

٢ - سورة هود (١١): ٢٩.

نظرة الى الفصل الثاني ..

وبين اولئك المذكورين، تضادٌ جوهريٌّ جذريٌّ مستمرٌ، استمرارَ الظلمِ والطَّغيانِ من جهةٍ، والحرمانِ والاستضعافِ من جهةٍ اخرى، في تاريخِ الانسان الطَّويلِ، المَلِيءِ بالاضطهادِ والحيِفِ!
والآياتُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي نزلتْ بشأنِ الانبياءِ ورَسَمَتْ نشاطاتهم، تتلو علينا انبياءَ حَيَّةٍ من ذلك الصِّراعِ الطَّويلِ المريرِ الرَّحْبِ: «وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ»^١.

تنبيه وايقاظ

مما يجبُ أَنْ نَلْتَفِتَ اليه، وَأَنْ نَكُونَ مِنْهُ عَلَى انْتِبَاهٍ، وَأَنْ لَا نَغْفَلَ عَنْهُ أَذْنِي غَفْلَةٍ، هُوَ أَنَّ تَلَكُمُ الْعَوَارِضَ وَالْأَسْبَابَ الْهَدَامَةَ لِأُسُسِ الْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ، الشَّاجِبَةَ لِرَكَائِزِ الشَّرَفِ الْإِنْسَانِيِّ، الْمُضَادَّةَ لِلْمَثَلِ وَالْفَضَائِلِ، السَّاحِقَةَ لِقِيَمِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالتَّبَارُّ وَالْتَعَاظِفِ الْإِنْسَانِيِّ، مِنْ الَّتِي نَرَاهَا وَنُشَاهِدُهَا وَنَلْمُسُهَا فِي الْمَجْتَمَعَاتِ التَّكَاثُرِيَّةِ وَالْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ، لَيْسَتْ هِيَ مَخْتَصَّةٌ بِالْمَجْتَمَعَاتِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُكُومَاتِهِمْ، بَلْ تَتَسَرَّبُ إِلَى أَيِّ مَجْتَمَعٍ سَادَتْهُ الْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةُ وَالتَّكَاثُرُ وَالْغِنَى الْمَفْرِطُ وَالْإِتْرَافُ وَالْأَسْرَافُ وَالْآثَرَةُ وَالتَّبَعِيضُ وَأَضْدَادُ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَإِنْ اتَّسَمَ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ^٢.
إِنَّ قِيَمَ الْإِسْلَامِ وَآخْلَاقَهُ وَمَقاييسَهُ وَضَوَابِطَهُ تَدُورُ عَلَى مَحْوَرٍ، وَقِيَمَ

١ - سورة سَبَأ (٣٤) : ٣٤.

٢ - نَعَمْ، إِنَّ الْأِسْمَ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ شَيْئاً، إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِالتَّجْسِيدِ . وَالتَّجْسِيدُ أَيْضاً لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ شَيْئاً، إِلَّا إِذَا كَانَ بِكُلِّ الْأَحْكَامِ وَالتَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا بِقِسْمٍ مِنْهَا . وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْمُحْيِي لِلْبَشَرِيَّةِ لَا يُظْفَرُ بِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ أَحْكَامُهُ كُلُّهَا مُجَسَّدَةً، وَمَفَاهِيمُهُ بِأَسْرَافِهَا مُطَبَّقَةً .

المجتمع التّكاثريّ والحياة الارستقراطية واخلاقها ومقاييسها وضوابطها تدور على محور، وشتان ما بين المحورين . إنّ المحور في الحياة الاسلاميّة ليس الا الكفاف والعدل، وبهما يقوم كلُّ شيءٍ ويصلح . وإنّ المحور الاصليّ للحياة التّكاثريّة والارستقراطية الاترافيّة ليس الا المال وامتلاك الكثير منه والمعيشة المترفة الاستهلاكيّة بجميع ابعادها .

ولما كان المحور الاصليّ عند المتكاثرين والارستقراطيين هو المال، وهو المقياس الوحيد عندهم لكلِّ شيءٍ، فإنّهم يستخدمون الاشخاص والاشياء والقيم - آيةً كانت - لاقتناء المال ولحفظه وتكثيره، ويدور كلُّ شيءٍ عندهم حول ذلك المحور، حتى الدين والمعنويات، فإنّك تراهم يتذرعون بالدين الى الغايات التّكاثريّة والاترافيّة ويستغلّونه كأداة لمنافعهم ومصالحهم . وبذلك تحرف تعاليمه المكافحة للعدوان الماليّ وتفسر بصورة ثلاثيّة تلك المنافع والمصالح، وتبقى منها صورتها، او ما كان منها فاقداً لضررٍ لهم او جالب النّفع اليهم . وبالتالي يتبدّل عامل الثّورة الكبير (اي الثّورة الدّينيّة النّبويّة القائمة في وجه الطّاغوتين : السّياسي والاقتصاديّ) والعلم الخفاق لحركات المستضعفين والمحرومين، الى عامل تخدير الازهان واخماد مشاعر التّحرر؛ وينقلب التّصور الدّاعي الى الكفاح الصّامد في وجه الظلم والعدوان، الى التّصور الدّاعي الي المسالمة والقعود والرّضا بانواع الظلم والحيث وقول الزّور .

وبعد الذي عرضناه، يتبلور امامنا واقع مؤسف؛ وهو أنّ من اكبر اضرار الانظمة التّكاثريّة والاترافيّة للدين، هو هذا التحريف والتّبديل اللذان تفرّضهما تلك الانظمة على طقوس الدين واحكامه الرّساليّة، فإنّها بهذا التحريف تسدّل الستار على إحدى رسالات الدين الحنيف الجذريّة، وهي محاربة التّكاثر والارستقراطية، وانقاذ المحرومين من مخالبيهما، واستيفاء حقوقهم المضيعة .

نظرة الى الفصل الثاني ..

نعم، إن المتكاثرين والارستقراطيين باستعمالهم الاساليب السياسية والاقتصادية وباستغلالهم الشعائر المذهبية، يفسرون المذهب وتعاليمه تفسيراً مُحرفاً يُلائم غاياتهم المادية والاجتماعية، ويؤوّلونه بحيث يصير محامياً لهم ولاكتنازهم الاموال . فالمذهب عندهم - في الاغلب - وسيلة واداة تُستعمل لتلك الغايات والمقاصد . وهذا من أخطر الاضرار الفادحة التي تُهدد المذهب الحقّ، وتستتبع إخماد شعل الافكار، ويأس الناشئة من :

(١) - مُقارعة الدين للظالمين والمستغلين .

(٢) - استجابة الدين لحاجات الانسان والمجتمع الاصلية .

(٣) - فتح كوى النور على عرصات الحياة وآفاقها .

٦ - اكل الاموال بالباطل : من اهم الغايات التي يتبناها الاقتصاد الاسلامي، هو تمويل المجتمع وتأمين مابه قوامه وادامة كيانه الراقي والنشيط . إن الاسلام لا ينظر الى ظاهر وجود الانسان فقط، بل اليه والى اعماقه، فيعتد بجميع جهاته واستعداداته، ويشاء له سلامة جسمه وروجه، ويبتغي له النمو في حياتية المادية والمعنوية . الاسلام لا يفرق بين انسان وانسان وبيئة وبيئة، بل يهتم كل انسان وسعادته المنشودة من آية بيئة كان، فيخطط لاسعاده، ويسعى لمصالح الجماهير البشرية، من غير تمايز بين فئة وفئة، وقوم وقوم، وجنسية وجنسية .

وهذه النظرة الاسلامية العميقة الى الانسان بصورة عامة وغير مُفرقة، قد تجلّت في تعاليمه هنا وهناك . ومن المواقف التي قد تجلّت تلك النظرة الانسانية العامة فيها بوضوح كبير، هو الموقف الاقتصادي؛ فإن اتجاه الاسلام الاقتصادي هو اتجاه انساني عام لا يخصص بامر . فالانسان مخلوق الله تعالى، هو خلقه وهو ضمن رزقه وقسم معاشه .

إنَّ الاتِّجاهاتِ الرَّئيسيَّةَ لمذهبِ الاسلامِ الاقتصاديِّ تُتراءى بِجَلالٍ، عَبْرَ التَّعابيرِ الوارِدَةِ في القرآنِ الكريمِ، فالآياتُ الاقتصاديَّةُ الوارِدَةُ في القرآنِ، ترمي الى غاياتٍ جماهيريةٍ شاملة، وتشملُ افرادَ الانسانِ عامَّةَ والمجتمعاتِ البشريَّةَ عامَّةَ. وهذا الشُّمولُ والعموميَّةُ يَتَمَتَّعان - كما يرسمها القرآن - بِصِبغةٍ انسانيَّةٍ ساميةٍ ومثاليَّة، قلَّما يوجَدُ نظيرُها في ايِّ مذهبٍ اجتماعيٍّ او اقتصاديٍّ آخَر. من تلك الآياتِ المشارِ اليها هذه الآيةُ الكريمةُ: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا اموالَكُم بَيْنَكُم بِالباطِلِ، اِلاَّ اَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَن تِراضٍ مِنْكُم وَلا تَقْتُلُوا انْفُسَكُم...»^١.

أنظروا الى هذه الآية وخطابها العامِّ الحنون، إِنَّها تُخاطِبُ المجتمعَ وتجعله واحداً مستقلاً ذاهويةً مستقلةً، كجسدٍ واحد، وتعدُّ الخللَ الواردَ على قضايا المالِ والتَّبادلِ والمِلْكِيَّةِ (كالقمار، والاحتكار، والغرر، والتَّطفيف، والإجحافِ بالأسعار، واستغلالِ الأجرَاءِ والعُمَّالِ، وبخسِ حقوقِ الكادحين وسائرِ ما هنالك من الاسبابِ الباطلةِ لاقتناءِ الاموالِ والتَّصرفِ فيها)، سبباً للانتحارِ الاجتماعيِّ ولقتلِ النَّفوسِ الانسانيَّةِ. إنَّ القرآنَ الكريمِ، قد تصدَّى في نبذةٍ من آياته - بأسلوبه الخاصِّ -

ليبان كثيرٍ من المسائلِ المستحدثةِ للبشريةِ في حياتها الجديدة، في عصرٍ لم تكن تلك المسائلُ معروفةً ولا مطروحةً، فتبناها في شكلٍ عامٍّ وشارَ الى حلولها والتَّخلُّصِ منها بصورةٍ ثلاثٍ مصالحِ الجماهير؛ منها الآيةُ المذكورة، فتعبيرُ «الباطل» فيها (لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل)، عامٌّ وله معنى عامٌّ مستوعب، وقد فسَّرَ بـ «اسبابٍ باطلة». وقد بُحِثَ عن الآيةِ في الفقهِ الاسلاميِّ، وأشيرَ الى اسبابِ باطلةٍ كانت معروفةً في العصرِ السَّالفةِ، غيرَ أنَّ الاسبابَ الباطلةَ لاكلِ الاموالِ والطُّرقَ غيرَ المشروعةِ للتبادلاتِ الاقتصاديَّةِ لا تكونُ منحصرةً فيما عُرِفَ في سالفِ الازمانِ.

نظرة الى الفصل الثاني ..

فهناك «حوادث واقعة» في هذا الحقل، واسباب جديدة، وطرق للتبادلات واقتناء الاموال مستحدثة، تُضِرُّ بالفرد والمجتمع ايما ضرر، وتُمهدُّ السبيل للعدوان الاقتصادي، وتسحق القسط والعدل، وتهدد كيان المجتمع الاسلامي وموقع الدين الحنيف. وفي «الحوادث الواقعة» الاقتصادية، اشياء تفرض الظلم الفادح على الاجراء والعمال والفلاحين والطبقة السفلى، بل المتوسطة، من الذين يرتزقون بالعمل والكد، في المعامل والمصانع والمزارع او في غيرها من الكادحين، ممن تفتحهم العيون - على حد تعبير مولانا امير المؤمنين «ع»^١ - وهم الذين يتجرعون كاسات الفقر والمسكنة والاملاق غير المرثية. والنهي القرآني يشمل جميع هذه النماذج والموارد ايضا، كما انه يشمل نماذج وموارد سوف يبرزها الزمان والمستقبل.

فعلى ما عرضنا، يجب ان نُضيف - اما توضيحا واما تأسيسا - الى الاسباب الباطلة، ما استجد منها في هذه العصور من حياة الانسان الحديث، وفي الاقتصاد الحديث، بما له من المسائل المعقدة والشعب المختصة، التي لايسع الفقه والفقهاء الجهل بها وبتأثيراتها، في حين انهم يفتنون في الاموال وفي جميع ما يتعلق بها ويُمَتُّ اليها.

والى القارىء - تذكرة - نماذج من الاسباب الباطلة المستحدثة - في جميع صورها او بعضها - حيث تغفل الاذهان عنها:

(١) - الامتلاك من طريق إنتاج ما يضر بالافراد او المجتمع ضرراً جسيماً، او روحياً ومعنوياً، او سياسياً، او ثقافياً، او اجتماعياً، او دفاعياً، او يضر استهلاكه بحيثية الانسان المسلم او المجتمع الاسلامي.

(٢) - الامتلاك من طريق المؤامرات الاقتصادية، واتحاد الشركات الرأسمالية العالمية، وتأسيس الشركات التجارية والمنتجة والموزعة

المنحصرة، وحصر الاستيراد والانتاج والتوزيع بها، مما يوجب أن يكون تعيين الاسعار بيد اصحاب المصانع والمعامل او المستوردين الكبار، فيجعلون للمواد الخام اسعاراً زهيدة وللعمل اجرة زهيدة، ثم يجحفون بالاسعار كيفما يشاؤون .

(٣) - الامتلاك من طريق انتاج البضائع الكمالية واستهلاك المواد لانتاجها، مع ما هنالك من حاجات ضرورية في كثير من القطاعات الى البضائع الاولية للمعيشة .

(٤) - الامتلاك من طريق الدعايات الاستيرادية، المموهة الخلافة، لاجاد الطلب الكاذب لمختلف السلع لابناء الشعب .

(٥) - الامتلاك من طريق الاستيراد الحر، من غير رقابة عليه .

(٦) - الامتلاك من طريق الانتاج الحر، من غير رقابة عليه .

(٧) - الامتلاك من طريق التوزيع والتسعير الحرين، بلارقابة عليهما .

(٨) - الامتلاك من طريق الوساطة بين المتبايعين (وخصوصاً ما كان بين بلدين)، مما يخلق بالسعر بصورة باهظة، على حساب الجماهير . فكل ذلك من اسباب اكل الاموال بالباطل، وان كان جديد الظهور في جميع صوره او بعضها . وكل ذلك من تبعات الاقتصاد الرأسمالي الحديث والتكاثر المعاصر، اللذين يسعى اصحابهما لان يفرضوا على الفقه الاسلامي امضاء هما وقبول صحتهما، وهيئات الامر .

ان منهج الانتاج والاستيراد والتوزيع والاستهلاك في الاقتصاد التكاثري، يؤدي الى تضخم المال بصورة تكاثرية . وهذا من اقوى الاسباب لاجاد الخلل في حركة المال ولتسيب المجتمع الاقتصادي وانتحاره المالي والمعيشي . فعلى هذا ان ماهية الاقتصاد التكاثري مبتنية على اكل الاموال باسباب باطلة، والحال ان الاستيراد والانتاج الاسلاميين، انما هما امران قواميان ذوا موقف ضد تكاثر مبتن على

اقتناء الاموالِ بالحق . وهذا ما استثناه القرآن بقوله : «إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ»؛ واليه يُشيرُ الامامُ عليّ «ع» في قوله : «التاجرُ فاجرٌ، والفاجرُ في النار، إلا من أخذ الحقَّ وأعطى الحقَّ»^١.

وأخذ الحقِّ واعطاؤه لا يكونُ إلا في سبيلِ تأمينِ حياةٍ سليمة، بانتاجِ قواميٍّ او استيرادِ قواميٍّ، لافي تكديسِ الاموالِ والدُّخولِ (اضعافاً مضاعفة)، والآثرة التي تُهلكُ الفردَ والمجتمع، وتقومُ على منعِ الحقِّ وعدمِ اعطائه والرُّكونِ الى الباطلِ الاقتصاديِّ (من لم يُنجِهِ الحقُّ أَهْلَكَهُ الباطل)^٢؛ فالاقتصادُ التَّكاثريُّ اقتصادٌ مهلكٌ انتحاريٌّ يقومُ على اكلِ المالِ بالباطل، وَيَنْبَعُ من سُلوِكِ سبيلِ الشَّيْطان، كما قال النَّبِيُّ «ص»: «.. وان كان يَسْعَى تَفَاخُرًا وتكاثراً فهو في سبيلِ الشَّيْطان»^٣.

وهناك في الآيةِ نقطةٌ نظريَّةٌ أُخرى - ولعلنا لم نُشرُ اليها - وهي في خطابِ الجمعِ في قوله تعالى : «ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»، فهذا الخطابُ يُعلِّمنا بأنَّ تداولَ المالِ في المجتمع، اذا لم يكُنْ على القانونِ الحقِّ وناموسِ العدلِ وميزانِ التَّوازن، يَنْتَهِي الى قتلِ النَّفوسِ وإبادةِها، فالتَّلاحُمُ الحاكِمُ على الآيةِ الكريمة (النَّسْجُ الآيويِّ)، يُشعرُ بأنَّ فسادَ تداولِ المالِ عندَ فئَةٍ وقِطاع، يوجبُ الفسادَ العامَّ والقتلَ الشَّامِلَ للنَّفوس؛ فبفسادِ فئَةٍ تَفْسُدُ الفئات، وبعُدوانِ قِطاعٍ يُقتلُ المجتمعُ كُلُّهُ .

وهذه اللَّمحةُ في الآيةِ هي من مواردِ تَبَرُّزِ البَيانِ القرآنيِّ، في المسائلِ المتعلِّقةِ بالمجتمعِ الانسانيِّ من ناحيةِ الاموالِ والاقتصاد . ولمزيدِ البَيانِ وضوحاً نُشيرُ الى آياتٍ أُخرى؛ منها قوله تعالى «وأنفقوا في

١ - الكافي ٥ / ١٥٠ .

٢ - غرر الحكم / ٢٧٣ .

٣ - المَحْجَّةُ البِيضاءُ ٣ / ١٤٠ . والتفاخرُ بالمالِ والتكاثرُ مرفوضانِ بنصِّ القرآنِ ايضاً . وما كان مرفوضاً فليس مرضياً لله تعالى و في سبيله، فهو في سبيلِ الشَّيْطانِ بالضرورة .

سبيلِ الله ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ^١. تُفِيدُ هَذِهِ الْآيَةُ بِصَرَاخَةٍ أَنَّ انْفَاقَ الْمَالِ وَتَفْرِيقَهُ بَيْنَ النَّاسِ يَوْجِبُ قَوَامَ الْمَجْتَمَعِ وَسَدَّ أَعْوَاذِهِ وَيَمْنَعُ مِنْ هَلَاكِهِ . فَالانْفَاقُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ حَيَاةُ الْفَرَادِ، يَوْجِبُ سَدَّ أَعْوَاذِ النَّاسِ . وَسَدُّ أَعْوَاذِ النَّاسِ يَوْجِبُ قَوَامَ الْمَجْتَمَعِ وَاسْتِغْنَاءَهُ الْمَالِيَّ، كَمَا أَنَّ الْبَخْلَ وَالْإِمْسَاكَ وَحَبْسَ الْمَالِ، يَوْجِبُ كُلُّ مِنْهَا إِمْلَاقَ الْمَجْتَمَعِ وَفَقْرَهُ، فَيُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ الْاجْتِمَاعِيِّ .

وَحَيْثُ إِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ عَدَّ الْمَالَ سَبَبًا لِقِيَامِ الْمَجْتَمَعِ وَكِيَانِهِ (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)^٢، يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ امْتِلَاكَ الْمَالِ إِذَا كَانَ مُنْحَرِفًا عَنِ الْأَصُولِ الصَّحِيحَةِ الْعَادِلَةِ يَكُونُ سَبَبًا لِضِدِّ الْقِيَامِ وَالْكِيَانِ . وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ قَوَامُ النَّاسِ وَقِيَامُ حَيَاتِهِمْ، لَا يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ جَارِيًا عَلَى أَصُولِهِ الصَّحِيحَةِ وَمَوَازِينِهِ الْحَقَّةِ . فَامْتِلَاكُ الْأَمْوَالِ إِذَا كَانَ بِسَبَابِ بَاطِلَةٍ وَمِنْ طَرِقٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ، سَيَصِيرُ سَبَبًا لِمَا هُوَ ضِدُّ الْقَوَامِ، وَهُوَ الْهَلَاكُ وَالذَّمَارُ .

فَالْإِسْلَامُ قَدْ شَجَبَ كُلَّ مَا هُنَالِكَ مِنْ طُرُقِ الْإِنْهِيَارِ الْاِقْتِصَادِيِّ لِلْمَجْتَمَعِ، بِمَا أَشْرَهُ مِنْ طُقُوسٍ وَحُدَّةٍ مِنْ حُدُودٍ، وَأَشْتَرَعَهُ مِنْ أَحْكَامٍ قِيَمَةٍ وَحَكِيمَةٍ، كَالنَّهْيِ عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَالتَّقْتِيرِ وَتَضْيِيعِ الْمَالِ وَالْقَمَارِ وَالرِّبَا وَالْاِكْتِنَازِ . فَهُوَ قَدْ سَدَّ كُلَّ طَرِيقٍ مُنْحَرِفٍ لِكَسْبِ الْمَالِ أَوْ لِاسْتِهْلَاكِهِ، حَتَّى أَنَّهُ قَدْ نَهَى عَنِ تَصَرُّفِ الْإِنْسَانِ فِي مَالِ نَفْسِهِ بِالْإِتْلَافِ أَوْ الْإِتْرَافِ أَوْ الْإِسْرَافِ . وَذَلِكَ كُلُّهُ تَمْهِيدٌ لِأَنَّ تَقَعَّ الْأَمْوَالِ فِي مَدَارِ اِقْتِصَادِيٍّ قَوَامِيٍّ يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونُ قَوَامًا لِكُلِّ وَقِيَامًا، حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَتَتَحَقَّقَ الْحِكْمَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْعَدَالَةُ الْعَامَّةُ .

وَبِامْعَانِ النَّظَرِ فِي هَذِهِ التَّعَالِيمِ وَالتَّعَابِيرِ الْمُؤَشِّرَةِ، نَفْهَمُ بَطْلَانَ مَا

١ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

٢ - سورة النساء (٤) : ٥ .

نظرة الى الفصل الثاني ..

يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ وَيُبَدِّيه، مِنْ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَجِبُهُ الْاِقْتِصَادَ الْحُرَّ وَالتَّكَاتُرَ مِنَ الْمَالِ وَامْتِلَاكَ الْوَفْرِ الْوَفِيرِ مِنْهُ وَحَبْسَ الْأَمْوَالِ الْمَتَكَدِّسَةِ وَالْبِضَاعِ الْجَمَّةِ وَاسْتِهْلَاكَ الْبِضَاعِ الْكِمَالِيَّةِ الْبَاهِظَةِ، فِي حِينٍ أَنَّ الْمَجْتَمَعَ لَهُ حَاجَاتٌ ضَرُورِيَّةٌ، لَا، لَيْسَ هَذَا مِنَ الْإِسْلَامِ، الَّذِي يَنْهَى عَنْ صَرْفِ دَرَاهِمٍ بِاسْرَافٍ، أَوْ أَكْلِ دَرَاهِمٍ بِبَاطِلٍ. إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُبَرِّرُ مِنْهَجًا يُخْرِجُ ثَرَوَاتِ الْمَجْتَمَعِ عَنْ مَدَارِهَا الْإِلَهِيَّةِ، وَيُعَبِّدُ الطُّرُقَ لِهَلَاكِ الْمَجْتَمَعِ وَدَمَارِهِ، وَلِسُقُوطِهِ الرُّوحِيِّ وَتَمَيُّعِهِ الْمَادِّيِّ. فَهَذَا الْمَذْكُورُ ظَنٌّ بَاطِلٌ لَا يُلْصَقُ بِالْإِسْلَامِ، إِسْلَامِ الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ وَلَا بِأَحْكَامِهِ، أَحْكَامِ الصَّادِقِينَ.

٧ - رفض السُّلْطَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْاِسْتِرْقَاقِ الْاِقْتِصَادِيِّ، الْفِرْدِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ: رَاجِعْ بِهَذَا الصَّدَدُ: الْفَصْلَ السَّابِعَ وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ.

٨- لا ضرر ولا ضرار في الاسلام: إِذَا أَمَعْنَا النَّظَرَ فِي التَّعَالِيمِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ (قَاعِدَةُ «لَا ضَرَرَ») وَفِي عُمُومَاتِهِ، لِنَتَفَقَّهَ فِيهَا، نَعْلَمُ بِوَضُوحٍ أَنَّ النِّظَامَ الْمَالِيَّ فِي الْمَجْتَمَعِ لَا يَصِيرُ إِسْلَامِيًّا إِلَّا إِذَا كَانَ نَشِيطًا فِي الْحُدُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مُتَوَفِّرًا عَلَى الْمَنَافِعِ الْعَامَّةِ وَمَصَالِحِ النَّاسِ، غَيْرَ مُسْتَبْعٍ لِأَيِّ ضَرَرٍ أَوْ إِضْرَارٍ بِالْفِرْدِ وَبِالْمَجْتَمَعِ.

وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الضَّرْرُ الْمَنْفِيُّ وَالْمَنْهِيُّ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ، نَاشِئًا مِنْ نَاحِيَةِ الْاِفْرَادِ، أَوْ الْفِئَاتِ، أَوْ الْحُكُومَاتِ، أَوْ الْمَوْسَّسَاتِ وَالشَّرَكَاتِ التِّجَارِيَّةِ، وَالْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالصَّلَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاِحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا الْحَقْلِ تَنْفِي الضَّرَرَ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ، وَلَا تُسَوِّغُ أَنْ تُدَنَسَ سَاحَاتُ الْاِحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ بِتَبْرِيرِ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِضْرَارِ الَّتِي تَفْرُضُهَا النُّظْمُ الْمَالِيَّةُ غَيْرُ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرَكَاتِ التِّجَارِيَّةِ. فَإِذَا وُجِدَ فِي حُكْمٍ أَوْ

مجتمع إسلاميين أي ضررٍ أو ضرارٍ، بالنسبة إلى فردٍ أو قطاعٍ، يتضح بجلاء أنه قد وقع تحريفٌ أو انحرافٌ عن مسيرة الدين الإلهي من ناحية فردٍ أو أفراد، أو فئةٍ أو فئات، أو من ناحية الحكم أو التقنين؛ أو فهمت أحكام الدين على غير واقعها. ولقد تصدّى فقهاؤنا - رضوان الله عليهم - في كتبهم لتبيين نبذة من موارد الضرر والضرار ومصاديقهما، في أبواب مختلفة، ولاسيما في أبواب المعاملات والمكاسب المحرمة.

والذي يجب أن لا نغفل عنه - ولو يسيراً - ماورد في الإسلام حول المسائل المتعلقة بأنواع الضرر والضرار، من تعاليم أصولية تفرز الاقتصاد الإسلامي عن سائر النظم الاقتصادية فرزاً جذرياً جوهرياً، وتجعل بينه وبينها حداً لا يمكن أن يهدمه شيء. وذلك كاصل «لا ضرر ولا ضرار»، وأصل «النهي عن أكل المال بالباطل»، وأصل «حرمة المال الأصلية».

والنهي عن أكل المال بالباطل من ميزات الاقتصاد الإسلامي، إذ الحق والباطل بهذا المعنى وبهذه الحدود لا يؤبه بهما في سائر النظم المالية. والحق والباطل اللذان يُشير إليهما بعض النظم المالية ليس لهما ذلك الشمول والعمق اللذان يؤشرهما الإسلام في القضايا المالية، ولا سيما إذا نظرنا إلى سعة معنى الباطل ومصاديقه في المفهوم الإسلامي عنه، فإنه يشمل كل الأسباب الباطلة لكل الأموال، كالأسباب الأخلاقية، والدينية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، الفردية والاجتماعية، الشعبية والحكومية.

وكذلك لا نرى معنى ولا مغزى لأصل «لا ضرر» في الاقتصاد الرأسمالي، لأن المقياس السائد على الاقتصاد الرأسمالي والتكاثري ليس منوطاً بنفع الناس أو ضررهم، بل الغاية القصوى للرأسمالية والتكاثرية ليست إلا الفائدة التصاعديّة، وهي تمتاز بالضرر والإضرار

، نظرة الى الفصل الثاني ..

بالنسبة الى السائرين وتوقف عليهما لامحالة .

إن الاقتصاد التكاثري يسعى وراء الفوائد والارباح وارتفاعهما
امكن، نفع الناس او ضرهم، ولا يكون الا ضاراً لهم، والا لم يكن تكاثرياً
ولانضخماً . أجل، إن اضرار التكاثر بسائر الناس وحقوقهم من آثاره
الماهوية، والا لم يكن النبي «ص» خاشياً منه على الأمة .^١
ففي ضوء ما استفدناه من التعاليم يصبح النظام المالي التكاثري
والاقتصاد الحر والانتاج والاستيراد الحران، من اهم اسباب شيوع
الضرار بين الناس وفي اموالهم وازراقهم ومساكنهم والبستهم وصحتهم
وتعليمهم وتربيتهم . وعلة ذلك ان هذه الحالة اذا ظهرت في المجتمع
الاسلامي وسادته وسيطرت عليه وعلى مديره ومبرمجه، تجرت الى
القطاعات افذح الاضرار واسوأها، وتستتبع الفقر والحرمان والاستغلال
بالنسبة لاكثر الناس .

إن الطابع الاساسي للتكاثر والرأسمالية، اخراج المال عن مداره
النافع وعن كونه في خدمة الناس اجمعين، قواماً لهم وقياماً، الى المدار
الضار لهم المضر بهم . ولقد اشارت التعاليم الحديثة الموجهة - بالاضافة
الى التعاليم القرآنية - الى ماهية التكاثر والاقتصاد الرأسمالي الضارة
المضرة، وواقعه الاستهلاكي المبيد بتعابير موقظة وحاسمة كهذه : «هَلَك
خُرَانُ الاموال ..»^٢، و«مَنْ يَسْتَأْثِرُ مِنَ الاموالِ يَهْلِكُ»^٣، و«يَأْكُلُ عَزِيْزُهَا
ذَلِيْلَهَا»^٤، و..

وليس من المعقول أن يعمد الاسلام الشاجب للضرر والضرار

١ - كما جاء في بعض المجاميع قوله «ص» : «ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر» .
وهذا تدليل على المحتوى القرآني المنصوص . وجاء في «الخصال» (١ / ١٦٤) حديث بهذا
الصد، اوردناه في الفصل القادم، فقرة «ز»، فلاحظ .

٢ - نهج البلاغة / ١١٥٦ : عبده ٣ / ١٨٧ .

٣ و ٤ - تحف العقول / ١٥٥ و ٥٧، من حديث الامام علي «ع» .

والنّافي لهما، الى موارد جزئية ومصاديق صغيرة في حياة الفرد - كحديث سمرّة بن جندب - ثم يغفل ويتساهل عما هنالك من الموارد الهامة العامة المجتمعية والانسانية والمصاديق المطوّرة البنائية، والمراكز والقواعد الاساسية لهاتين الظاهرتين: الضرر والضرار، في حياة المجتمع الكبرى؛^١ مع أنّ الاسلام دين العقل والمنطق، ودين الانسانية العامة، وأنّ احكامه رصينة مبتنية على الحكمة والعدل . فتعم ما هواهم بطريق اولي^٢. ولقد جاء في الاحاديث ما يدلُّ على ذلك، كالذي اوردناه في الفصل . وهو قول الامام المعلم جعفر بن محمد الصادق «ع»: «قضى رسول الله بين اهل المدينة في مشارب النخل: انه لا يمنع نفع الشيء . وقضى «ص» بين اهل البادية: انه لا يمنع فضل ماءٍ ليمنع به فضل كلاً؛ فقال: «لا ضرر ولا ضرار»»^٣.

وهناك ناحية أخرى لشجب الضرر والضرار، قد تصدّت التعاليم الاسلامية لها؛ وهي تحديد الأرباح في المكاسب والبيوع،^٤ اذ تحديد ربح الفرد لدفع الضرر عن سائر الافراد - لحفظ منافع المجتمع العامة - يمتُّ الى نفي الضرر، مضافاً الى ما هناك من الاصول . ويدخل فيه التسعير اذا لزم . ولا تخفى الأضرار التي تلحق بالجماهير، من ناحية «التسعير الحرّ»، في هذه الأزمان وفي هذه الاسواق ! ففي هذا الضوء، إنّ قاعدة «نفي الضرر» واصله، لمّا يسحق عدّة كبيرة من علل الفقر والحرمان والاستضعاف الاقتصادي، إنّ فهمت على صورتها العميقة والشاملة، وتوبر على تجسيدها في جميع أبعادها ومناحيها .

١ - ولا تنس ما هناك من عموم قاعدة «لا ضرر» وشمولها.

٢ - ولقد بسط الفقهاء القاعدة على حقوق الحيوان ايضاً راجع: الجواهر ٣١ / ٣٩٦ - ٣٩٧.

٣ - الكافي ٥ / ٢٩٤.

٤ - راجع: الفصل ١٣، من الباب ١٢، فقرة «د».

تنبيه هام

شجب الضرر السياسي في قواعده

إِنَّ مِمَّا تَصَدَّىٰ لَهُ الْإِسْلَامُ، فِي حَسْمٍ وَصَرَاحَةٍ، هُوَ هَدْمُ قَوَاعِدِ الضَّرَارِ السِّيَاسِيِّ وَمَرَكَزِهِ حَتَّى لَا يُتَّخَذَ ذَرِيعَةً لِسَائِرِ الْوَانِ الضَّرَارِ، وَمِنْهَا الْاِقْتِصَادِيُّ بَلْ مِنْ أَهْمِهَا. وَذَلِكَ لِأَنَّ أَصْحَابَ الثَّرَوَاتِ وَالْأَمْوَالِ وَالذُّخُولِ وَفِرَاعِنَةَ الْمَالِ وَطَوَاغِيَتِ الْاِسْتِغْلَالِ يَسْعَوْنَ - أَوَّلَ مَا يَسْعَوْنَ، فِي كُلِّ نِظَامٍ - لِتَأْسِيسِ قَاعِدَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَحِزْبٍ وَتَجْمَعٍ، لِكَيْ يَتَدَرَّعُوا بِهَا إِلَى مَقَاصِدِهِمْ، وَيَجْعَلُوهَا سُلْمًا لِلنُّفُوزِ إِلَى التَّقْنِينِ وَالتَّجْسِيدِ وَأَجْهَزَةِ الْإِدَارَةِ وَالْحُكْمِ وَخُصُوصًا عِنْدَ التَّصْوِيتِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، صِيَانَةً لِمَنَافِعِهِمْ وَرَغْبَةً فِي اسْتِمْرَارِ عِدْوَانِهِمْ عَلَى النَّاسِ وَفِرْضًا لِغَايَاتِهِمْ الْجَهَنَّمِيَّةِ عَلَى الْجَمَاهِيرِ.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ حَارَبَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا .. وَقَضَى عَلَى تَوَطُّئِهِمْ وَسَحَقَهَا سَحَقًا؛ وَإِنَّ النَّبِيَّ «ص» قَدْ بَعَثَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَمَّارَ ابْنَ يَاسِرٍ وَآخَرَ فَحَرَقَاهُ حَرْقًا، وَأَمَرَ بَانَ يُتَّخَذَ كُنَاسَةً تُلْقَى فِيهِ الْجِيفُ .^١ وَهَذَا جِزَاءُ كُلِّ قَاعِدَةٍ أَوْ مَرْكَزٍ أَوْ تَجْمَعٍ أَوْ حِزْبٍ أَوْ مَنْظَمَةٍ تُوَسَّسُ لِأَنَّ تَضَرُّرًا بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ تَأْسِيسُهَا بِيَدِ الطَّوَاغِيَتِ الظَّالِمِينَ - مِنْ الْاِقْتِصَادِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ - عَلَى حِسَابِ الْمُحْرُومِينَ وَالْمُظْلَمِينَ . فَلْيَعْمَلِ الْمُسْلِمُونَ النَّابِهُونَ عَلَى ضَوْءِ الْهُدَى الْقُرْآنِيِّ، وَلْيَتَأَسَّوْا بِالنَّبِيِّ الْمُنْقِذِ «ص»، لِأَنَّ لَهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً .

الفصل الثالث

المال في التصور الاسلامي (٣)

أ- حرمة المال والتأكيد عليها (الأمن الاقتصادي)

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم، ولا تقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيماً *^١
- ٢ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم نارا، وسيصلون سعيراً *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: حرمةُ ماله (المؤمن) كحرمةِ دمه.^٣

١ و ٢ - سورة النساء (٤) : ٢٩ و ١٠.

٣ - الاختصاص / ٣٣٩؛ و ٣٤٣، من طبعة قم، بتصحيح علي أكبر الغفاري.

- ٢ النبي «ص»: المؤمن حرام كُله، عِرْضُه وماله ودمه^١.
- ٣ الامام علي «ع»: اعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلمٍ بغير حق^٢.
- ٤ الامام الرضا «ع»: .. حُرِّمَ اكلُ مالِ اليتيمِ ظلماً لِعَلِّلِ كثيرةٍ من وجوهِ الفساد، اولُ ذلك انه اذا اكلَ الانسانُ مالَ اليتيمِ ظلماً، فقد اعانَ على قتله، اذ اليتيمُ غيرُ مستغنٍ ولا مُحْتَمِلٍ لِنَفْسِهِ ولا عليمٍ (قائمٍ - خ ل) بشأْنِهِ، و لاله مَنْ يَقومُ عليه ويكفيه كقيامِ والديه، فاذا اكلَ ماله فكأنه قد قتله وصيره الى الفقرِ والفاقة^٣.

الفات نظر

من اهمّ الاصول التي اكد الاسلام عليها في القضايا الاقتصادية بوجه خاص، هو اصل «حرمة المال»، بيد ان العلة لهذا الاصل ربما فهمت على غير واقعها. ونحن الآن نلمح الى هذا الموضوع مقتضيين:

ان القرآن الكريم قد اوضح علة هذا الاصل بجلاء حيث قال: «... جعلَ اللهُ لَكُمْ قِياماً»^٤، فالمال له حرمة لانه سبب حياة الانسان المادية والمعنوية ومدد وقوام لها. وقد جعل القرآن «الاموال» و«الأنفس» رديفين في آيات متعددة («اموالكم وانفسكم»، «اموالهم وانفسهم»^٥). وهذا يدل ايضاً على قيمة المال الحياتية في

١ - تحف العقول / ٤٤.

٢ - البحار ٧٨ / ٥٥.

٣ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٩٢.

٤ - سورة النساء (٤): ٥.

٥ - سورة آل عمران (٣): ١٨٦؛ سورة التوبة (٩): ٤١؛ سورة الصف (٦١): ١١، سورة النساء (٤):

٩٥؛ سورة الانفال (٨): ٧٢؛ سورة التوبة (٩): ٢٠ و ٤٤ و ٨١ و ٨٨ و ١١١؛ سورة الحجرات

(٤٩): ٥١.

التعاليم الإسلامية .

ولعلَّ القارئ لا يغفلُ عن الامعانِ في التعبيرِ الواردِ في الحديثِ النبويِّ الشريفِ: «حرمةُ مالِهِ كحرمةِ دَمِهِ»، فإنَّ هذا التعبيرِ، يعني تشبيهَ حرمةِ المالِ بحرمةِ الدَّمِ، يَدُلُّ على ذلك الدَّورِ الحياتيِّ للمالِ بالنسبةِ الى كلِّ فردٍ، وأما ما جاء في التعليمِ الرضويِّ فناهيك به موضحاً لما للمالِ، من الدَّورِ الاساسيِّ في حياة الانسان .

وإذا خرج المالُ عن كونه قياماً وقواماً، فهل تبقى تلك الحرمةُ ثابتةً له؟

ب - شجب كون المال دولة بين الاغنياء

الكتاب

١ ما آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا تَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ..^١

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. وَلَمْ أَجْعَلْهَا (الاموال) دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ.^٢

١ - سورة الحشر (٥٩) : ٧ .

٢ - الكافي ٨ / ٦١ .

الفصل الثالث : المال في التصور الاسلامي (٣)

٢ الامام الرضا «ع» - فيما كتبه للمأمون في بيان «محض الاسلام»، ونقِمَ فيه على مَنْ غَيَّرَ سُنَّةَ النَّبِيِّ «ص»: .. وجَعَلَ الاموالَ دُولَةً بَيْنَ الاغنياءِ ..^١

ج - التحذير من تسليط السفهاء و غير الملتزمين على الاموال

* راجع بصدد هذا الموضوع : الفصل السابع والثلاثين، من

الباب الثاني عشر.

د - الغايات الصالحة لطلب المال

الكتاب

١ هَا أَنْتُمْ هُوَلَاءُ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..^٢

الحديث

١ الامام علي «ع» - من كلامٍ له بالبصرة، حينما دَخَلَ على العلاءِ بنِ زيادٍ

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٢٦.

٢ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

الحارثي ورأى سعة داره، وهو من اصحابه : ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا وانت اليها في الآخرة كنت أحوج؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرجم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا انت قد بلغت بها الآخرة ١.

٢ الامام الباقر «ع»: من طلب الدنيا استعفاً (استغناء - خ ل) عن الناس وسعياً على اهله وتعطفاً على جاره، لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر. ٢.

٣ الامام الصادق «ع»: لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال، يكف به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه. ٣.

٤ الامام الصادق «ع»: غني يحجزك عن الظلم، خير من فقير يحملك على الإثم. ٤.

٥ الامام الكاظم «ع»: من طلب الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله، كان كالمجاهد في سبيل الله .. ٥.

* غير خاف على الواقف على التعاليم الاسلامية، أن الأحاديث التي تحض على الغنى وطلبه، إنما تقصد الغنى الكفافي الحاصل من الحلال، لمقاصد صالحة ذكرت في الأحاديث، ككف الوجه، وقضاء الدين، وصلة الرجم، لا الغنى التكاثري المتوقف

١ - نهج البلاغة / ٦٦٣: عبده ٢ / ٢١٣.

٢ - الوسائل ١٢ / ١١.

٣ - الكافي ٥ / ٧٢.

٤ - الكافي ٥ / ٧٢.

٥ - الوسائل ١٢ / ١١.

الفصل الثالث : المال في التصور الاسلامي (٣)

حصوله على الظلم والامتصاص . فالغنى الذي يحجز الانسان عن
الظلم غير الغنى الذي يحمل الانسان على الظلم - كما هو واضح .

هـ - الردع عن ترك طلب المال والتأكيد على اهمية الكسب وصيانة
المال

الحديث

١ الامام علي «ع» : تَعَرَّضُوا لِلتَّجَارَاتِ، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا غَنًى عَمَّا فِي أَيْدِي
النَّاسِ . وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُحْتَرِفَ الْأَمِينِ . الْمَغْبُونُ غَيْرُ مَحْمُودٍ
وَلَا مَأْجُورٍ^١ .

* يُقْصَدُ بِالتَّجَارَةِ فِي الْإِحَادِيثِ مَطْلُقُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ
وَالكسبِ وَالْحِرْفَةِ، لَغَايَةِ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ وَلِعَمَلِ الْخَيْرِ .

٢ الامام الصادق «ع» : مَنْ طَلَبَ التَّجَارَةَ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ . (قال الراوي :)
قُلْتُ : وَإِنْ كَانَ مُعِيلاً؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ مُعِيلاً^٢ .

٣ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث : كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»،
إِذْ أَقْبَلَ عَلَاءُ بْنُ كَامِلٍ، فَجَلَسَ قُدَّامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» فَقَالَ : أَدْعُ اللَّهَ أَنْ

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - الوسائل ١٢ / ٤ .

- يَرْزُقَنِي فِي دَعَةٍ . قَالَ : لَا أَدْعُوكَ ، أَطْلُبُ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .^١
- ٤ الامام الصادق «ع» - كُليبُ الصّيداوي قال : قلتُ لابي عبدالله «ع» : ادْعُ اللَّهَ لي في الرّزقِ فقدِ التّأثتُ عليّ أموري ، فأجا بني مُسرِعاً : لا ، أُخْرِجُ فَاطِئُ .^٢
- ٥ الامام الصادق «ع» - قال فضيلُ بنُ يسار : قال لي ابو عبدالله «ع» : ايُّ شيءٍ تُعالجُ؟ قلتُ : ما أعالجُ اليومَ شيئاً . قال : كذلك تذهبُ اموالكم ، وَاشْتَدَّ عليه .^٣
- ٦ الامام الصادق «ع» : لا تَخْرُجْ في رمضانَ الاّ للحجِّ او العُمرة ، او مالٍ تَخافُ عليه الفوت ، او لِزراعٍ يَحِينُ حِصَادُهُ .^٤
- ٧ الامام الصادق «ع» - قال ابوبصير : سألتُ ابا عبدالله «ع» عن الخروجِ اذا دخلَ شهرُ رمضانَ قال : لا ، الاّ فيما أُخبرُكَ به : خروجٍ الى مكّة ، او غزوٍ في سبيلِ الله ، او مالٍ تَخافُ هلاكَهُ .^٥
- ٨ الامام الصادق «ع» : .. اِحْتَفِظْ بِمَالِكَ ، فَانَّهُ قَوامُ دِينِكَ .^٦

و- بعض آثار المال الايجابية

١- الآثار الفرديّة

١ و ٢- الوسائل ١٢ / ١٠ - ١١ .

٣ - الكافي ٥ / ١٤٨ .

٤ - الوسائل ٧ / ١٣٠ .

٥ - الكافي ٤ / ١٢٦ .

٦ - امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢ .

الكتاب

١ الذي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * ١

الحديث

- ١ النبي «ص»: إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوَّتَهَا، اسْتَقَرَّتْ ٢.
- ٢ الامام علي «ع»: الْمَالُ .. لِلْحَوَادِثِ سَلْبٌ ٣.
- ٣ الامام الصادق «ع» - الْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَقَدْ تَأَخَّرْتُ عَنِ السُّوقِ، فَقَالَ: أُغْدُ إِلَى عِرْكَ ٤.
- ٤ الامام الصادق «ع» - قَالَ لِمَوْلَى لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ احْفَظْ عِرْكَ. قَالَ: وَمَا عِرِّي جُعِلَتْ فِدَاكَ؟ قَالَ غُدُّوكَ إِلَى سُوقِكَ وَإِكْرَامُكَ نَفْسِكَ. وَقَالَ لِآخِرِ مَوْلَى لَهُ: مَا لِي أَرَاكَ تَرَكْتَ غُدُّوكَ إِلَى عِرْكَ؟ قَالَ: جِنَازَةٌ أَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَهَا. قَالَ: فَلَا تَدْعِ الرِّوَاحَ إِلَى عِرْكَ ٥.
- ٥ الامام الرضا «ع»: اَفْضَلُ الْمَالِ، مَا وُقِيَ بِهِ الْعِرْضُ ٦.

١ - سورة الليل (٩٢) : ١٨.

٢ - مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه ٢ / ٥٥: الوسائل ١٢ / ٣٢٠.

٣ - غرر الحكم / ٣٤.

٤ و ٥ - الوسائل ١٢ / ٣ و ٥.

٦ - البحار ٧٨ / ٣٥٢.

٢ - الآثار الاجتماعية

الكتاب

١ يسألونك ماذا يُنفقون؟ قل : ما أنفقتم من خيرٍ فلِلوالدينِ والأقربينِ واليتامىِ
والمساكينِ وابنِ السَّبيلِ ، وما تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ *^١

* قال الشيخ ابو علي الطبرسي : «ما أنفقتم من خير» اي مالٍ ، فدَلَّ على أن له مقداراً وأنه ممَّا يُنتَفَعُ به، لِأَنَّ ما لا يُنتَفَعُ به لا يُسمَّى خيراً. «فِلِلوالدينِ والأقربينِ»، والمرادُ بالوالدين : الابُ والامُّ والجدُّ والجدةُ وان عَلُوا، لِأَنَّهُمْ يدخلون في اسمِ الوالدين . والمرادُ بالأقربين اقاربُ المُعطي . «واليتامى» اي كُلُّ مَنْ لا ابَ له مع صِغَرِهِ . «والمساكين»، الفقراء . «وابنِ السَّبيلِ»، المنقطعِ به . واختلفوا في هذه النَّفَقَةِ، فقال الحسن : «المرادُ به نفقةُ التَّطَوُّعِ على مَنْ لا يجوزُ وضعُ الزَّكَاةِ عنده . والزَّكَاةُ لمنَ يجوزُ وضعُ الزَّكَاةِ عنده»، فهي عامَّةٌ في الزَّكَاةِ المفروضةِ وفي التَّطَوُّعِ . وقال السُّدي : «الآيةُ واردةٌ في الزَّكَاةِ ثُمَّ نُسِخَتْ ببيانِ مصارفِ الزَّكَاةِ» والاولُ اظهر، لانه لا دليلَ على نسخِها . واتَّفَقَ العلماءُ على أَنَّهُ لا يجوزُ دفعُ الزَّكَاةِ الى الابِ والامِّ والجدِّ والجدةِ والى الاولادِ، فامَّا النَّفَقَةُ فلا خلافَ في أَنَّ النَّفَقَةَ على الوالدينِ اذا كانا فقيرينِ واجبةً ..»^٢.

١ - سورة البقرة (٢) : ٢١٥ .

٢ - مجمع البيان ١ / ٣١٠ .

الفصل الثالث : المال في التصور الاسلامي (٣)

ولقد مرَّ من الآياتِ والاحاديثِ ما يدلُّ على اهميةِ المالِ
الاجتماعيةِ واثاره العظيمةِ في قوامِ الناسِ وكيانهم، فراجع .

ز - بعض آثار المال السلبية

١ - الآثار الفردية

الكتاب

- ١ فَاَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *^١
- ٢ مَنَّاغٌ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ ائْتِمِ *^٢
- ٣ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : المالُ مادَّةُ الشَّهَوَاتِ .^٤

١ - سورة النَّازِعَاتِ (٧٩) : ٣٧ - ٣٩ .

٢ - سورة القلم (٦٨) : ١٢ .

٣ - سورة الْهُمَزَةِ (١٠٤) : ١ - ٢ .

٤ - نهج البلاغة / ١١١٣ : عبده ٣ / ١٤٦ .

٢ الامام علي «ع»: المالُ يُفْسِدُ المَالَ، وَيُوسِّعُ الآمَالَ ١.

٢ - الآثار الاجتماعية

الكتاب

- ١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .. ٢
- ٢ .. لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ .. ٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: - انَّمَا اتَّخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُ خِصَالٍ: أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، أَوْ يَتَّبِعُوا زَلَّةَ الْعَالَمِ ٤، أَوْ يَظْهَرَ فِيهِمُ الْمَالُ حَتَّى يَطْفُوا

١ - غُرُرُ الْحِكْمِ / ٣٣.

٢ - سورة الأنفال (٨): ٣٦.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٦٤.

٤ - تنبيه: تدلُّ هذه الجملة من الحديث النبوي الشريف، على أنه يمكن أن تقع من العلماء زلةٌ وأن يتبعها الناس. وهذا مقتضى الاصل الضروري في مذهبنا، وهو اختصاص العصمة باهلها المعلومين المعدودين. فعلى هذا يجب على العالم الديني - أيًا كان - أن لا يستبدَّ برأيه، ولا يفتتر باستعداده وفهمه، ولا ينجذع باحاسيسه، بل عليه ان يقبل على المشاورة في الامور، والمشاركة في العقول - كما ورد في الاحاديث بالتأكيد - وأن يستمد من عقول كبار العلماء والمؤمنين، ومن

وَيُبْطَرُوا..^١

٢ الامام علي «ع» : اَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارَ.^٢

٣ الامام علي «ع» : اِنَّ اعْطَاءَ هَذَا الْمَالِ قُنْيَةٌ، وَإِنَّ اَمْسَاكَه فِتْنَةٌ.^٣

* ليس المالُ ذا أثرٍ سلبيٍّ بذاته، بل هو قوَامٌ لامرِ الانسانِ وحياته، غيرَ أنَّ الانسانَ يجعلُه سلبياً بجمعه المقدارَ الكثيرَ منه، او بتصرفاته غيرِ الصالحةِ فيه واستهلاكاته الفاسدة .

ح - العمل والتأكيد عليه بوصفه منشأ للإمتلاك

الاخصائيين وذوي التجارب واصحاب العقولِ الرَّاجحةِ والحُلومِ النَّاضحةِ والمِراساتِ السَّابِقَةِ والشُّعورِ الحيِّ والنَّبهِ الاجتماعيِّ والفهمِ الاقتصاديِّ النَّاضِحِ الحديثِ .. وكذلك يَجِبُ على النَّاسِ أَنْ لَا يُعَدُّوا «زَلَّةَ الْعَالَمِ» اذا وقعت منه، من الاسلامِ واحكامه، حتى لا يصيرَ دينُ الله مهجوراً . والامرُ الَّذِي اشرنا اليه، يُعْمُ كُلُّ مَسْئُولٍ فِي الْمَجْتَمَعِ الْاِسْلَامِيِّ، وَلَا سِيَّما اذا كان مُنْتَمِياً الى الدِّينِ بِشكْلِ خَاصِّ .

واما المعنى الَّذِي جاء في الجملةِ الأولى من الحديث، يعني الخِصْلَةَ الأولى الَّتِي كان النَّبِيُّ الْهَادِي «ص» يَتَخَوَّفُ منها على الأُمَّةِ من بعده، وهي تَأْوُلُ الْقُرْآنَ وتفسيرُه بِالْأَرَاءِ والمصطلحات، فلقد وقعت ايضاً بصورةٍ مُؤَسِّفَةٍ، وخصوصاً في المعارفِ الْعَقْلِيَّةِ والمباني الْعَقِيدِيَّةِ، حيثُ تَأْوَلُوهُ وَحَمَلُوا آيَاتِهِ على ما فهموه من هنا وهناك وَرَسَبَ في عقولِهِمْ وَسَبَطَ على نفوسِهِمْ، ولم يُقْبَلُوا بِكُلِّهِمْ على وُعيِ «حِكْمَتِهَا الْيَمَانِيَّةِ» وما جاء بصددِها مِنْ حَمَلَةِ الْكُتَابِ الْاَصْلِيِّينَ، وَهُمُ الْعَتْرَةُ «ع»، بذهنٍ مُسْتَخْلَصٍ مِنْ غِوَاشِي الْمِصْطَلِحَاتِ الْاِجْنَبِيَّةِ عَنِ الْقُرْآنِ وَرُوحِ تَعَالِيهِهِ . وَإِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

١ - الخصال ١ / ١٦٤ .

٢ - نهج البلاغة / ١٢٣٦ : عبده ٣ / ٢٢٩ .

٣ - غرر الحكم / ١٠١ .

الكتاب

- ١ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى *^١
- ٢ .. لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ.^٣
- ٢ النبي «ص» - سُئِلَ النَّبِيُّ «ص»: أَيُّ كَسْبِ الرَّجُلِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ».^٤
- ٣ الامام علي «ع» - فيما كَلَّمَ به عبد الله بن زَمْعَةَ، وهو من من شيعة، وذلك أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً: إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَأِنَّمَا هُوَ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنَّ شَرِكَتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَالْأَفْجَانَةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لغيرِ أَفْوَاهِهِمْ.^٥
- ٤ الامام الباقر «ع» - قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَتَقَبَّلُ الْعَمَلَ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ وَيُدْفَعُهُ إِلَى آخَرَ، يَرْبِحُ فِيهِ؟ قَالَ: لَا.^٦

١ - سورة النجم (٥٣): ٣٩.

٢ - سورة النساء (٤): ٣٢.

٣ - البحار ٦٦ / ٣١٤.

٤ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٥ - نهج البلاغة / ٧٢٨؛ عبده ٢ / ٢٥٣.

٦ - الوسائل ١٣ / ٢٦٦.

٥ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» - محمد بن مسلم، عن احدهما، قال :
سألتُه عن الرَّجْلِ الخِيَّاطِ يَتَقَبَّلُ العَمَلَ فيَقَطُّهُ وَيُعْطِيهِ مَنْ يَخِيْطُهُ
وَيَسْتَفْضِلُّ، قال : لا بأس، قد عَمِلَ فيه .^١

٦ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» - عن محمد بن مسلم، انه سُئِلَ عن الرَّجْلِ
يَتَقَبَّلُ بِالعَمَلِ فلا يَعْمَلُ فيه وَيَدْفَعُهُ الى آخَرَ، فَيَرْبِحُ فيه ؟ قال : لا، إِلاَّ اَن
يَكُونَ قد عَمِلَ فيه شَيْئاً .^٢

الفات نظر

هذه الاحاديث تُرشدنا بوضوح الى الاصل المدعوم في
«التصور الاسلامي»، وهو أَنَّ القيمة الاصلية انما هي للعملِ
والسعي (وَأَن ليس للانسان الا ما سعى)^٣، وَأَنَّ قيمة المال انما
تَنشأ من جهة ما عَمِلَ لكسبه . وبذلك يتلاحم النظامان : التشريعي
والتكويني، اذ الامر في النظام التكويني ايضا مُبتنٍ على السعي
والكد . يقول الامام جعفر الصادق «ع» بهذا الصدد : «... وَخَلَقَ لَهُ
الْوَبَرَ لِكِسْوَتِهِ، فَكَلَّفَ نَدْفَهُ وَغَزَلَهُ وَنَسَجَهُ . وَخَلَقَ لَهُ الشَّجَرَ فَكَلَّفَ
غَرَسَهَا وَسَقِيَهَا وَالْقِيَامَ عَلَيْهَا .. وَتَرَكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الاشياء
مَوْضِعَ عَمَلٍ وَحَرَكَةٍ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ .. وَجَعَلَ الخُبْزَ مُتَعَدِّراً
لَا يُنَالُ الاَّ بِالْحِيلَةِ وَالْحَرَكَةِ، لِيَكُونَ لِلانسانِ فِي ذَلِكَ شُغْلٌ يَكْفُهُ عَمَّا
يُخْرِجُهُ اليه الفَراغُ مِنَ الاَشْرِ وَالعَبَثِ» .^٤

وهذا الاصل - الذي يجعلُ المالَ محصولَ السعيِ الانسانيِّ
وعمله - اذ اُرُوغِي حَقَّ الرِّعايةِ، يَسْتَأْصِلُ شَأْفَةَ النُّظْمِ الاستغلايةِ

١ و ٢ - الوسائل ١٣ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٣ - سورة النجم (٥٣) : ٣٩ .

٤ - البحار ٣ / ٨٦ - ٨٧، عن «توحيد المفضل» .

بالوانها . وعلى هذا الاصلِ إنَّ الرِّبْحَ ايضاً يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَاصِلاً
 مِنْ جِهَةِ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ كَمَا رَأَيْنَا فِي الْحَدِيثِ : «... وَيَدْفَعُهُ إِلَى
 آخِرِ فَيْرَبْحُ فِيهِ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ عَمِلَ فِيهِ شَيْئاً» .
 وهذه التعاليمُ كُلُّهَا تُضَادُّ الْأَنْظِمَةَ التَّكَاثِرِيَّةَ وَالْقِيَمَ السَّائِدَةَ
 فِيهَا الْحَاكِمَةَ عَلَيْهَا، إِذِ الْمَالُ فِي تِلْكَ الْأَنْظِمَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ - فِي
 الْأَغْلَبِ - مِنَ الْمَالِ لَا السَّعْيِ وَالْجِدِّ . وَهَذَا هُوَ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ
 عَلَى تَفْسِي الظُّلْمِ الْأَقْتِصَادِيِّ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ . نَعَمْ، إِنَّ
 تِلْكَ الثَّرَوَاتِ الطَّائِلَةَ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا الْمُتَكَاثِرُونَ لَيْسَتْ حَصِيلَةً
 مَسَاعِيهِمْ وَكُدُودِهِمْ، أَوْ مَسَاعِي وَكُدُودِ ذَوِيهِمْ، أَوْ ابْنَانِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ،
 الْفَارِقِينَ فِي التَّرْفِ وَالنَّعِيمِ، الْفَارِغِينَ مِنْ أَيِّ سَعْيٍ وَاهْتِمَامٍ، بَلْ
 هِيَ حَصِيلَةُ كُدُودِ الْأَجْرَاءِ وَالْعُمَّالِ وَالْفَلَاحِ وَالْعَمَلَةِ
 الْمُسْتَضْعَفِينَ، الْمُسْتَغْلِينَ وَالْمُتَمَتِّعِينَ (بصيفة المفعول)، فَهِيَ
 مَغْصُوبَةٌ فِي أَكْثَرِ الْمَوَارِدِ وَالْمَقَادِيرِ .

وعلى اساسِ الاحاديثِ المذكورة - وما يُفِيدُ مَغْزَاهَا مِنْ
 الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ - يَتَّضِحُ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تِلْكَ الْأَضْعَافِ الْمَضَاعِفَةِ
 مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْبَاحِ الَّتِي تَحْصُلُ لِأَهْلِهَا بِاتِّصَالِ هَاتِفٍ أَوْ نَحْوِهِ .
 فَإِنَّ الْجَرِيَانَ التَّضَخُّمِيَّ لِلْأَرْبَاحِ وَالذُّخُولِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ مِمَّا
 لَا يَسْتَضَوُّهُ الْإِسْلَامُ، نَظَرًا إِلَى كَلِيَّةِ تَعَالِيمِهَا، الَّتِي تَشْجُبُ جَمِيعَ
 صُورِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ .

ط - حفظ الاموال العامة وبيت المال والتأكيد الحاسم عليه

الكتاب

١ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا..^١

الحديث

١ الامام علي «ع» - من كتاب له الى عماله : اَدِقُوا اَقْلَامَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَ سَطُورِكُمْ، وَاخْذَفُوا مِنْ فُضُولِكُمْ، وَأَقْصِدُوا اقْصَدَ الْمَعَانِي، وَأَيَّامَكُمْ وَالْإِكْتَارَ، فَإِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ الْإِضْرَارَ.^٢

* لقد ورد في كتاباته الى عماله في ذلك تعاليم كثيرة، فراجع :
«نهج البلاغة»، باب الكُتُبِ والرِّسَالِ . وقاعدة «لا ضرر» واحاديثها
ايضاً تعم الموضوع عمماً.

٢ الامام علي «ع» - دخل عليه عمرو بن العاص ليلةً، وهو في بيت المال، فَطَفِيءَ السُّرَّاجَ وَجَلَسَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ . وَلَمْ يَسْتَحِجَّ أَنْ يَجْلِسَ فِي الضُّوءِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ.^٣

ي - الاعتدال في طلب المال والحث عليه

١ - سورة النساء (٤) : ٥٨ .

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١ .

٣ - المناقب ٢ / ١١٠ ، من طبعة قم .

الحديث

١ النبي «ص»: فيما رواه الامام الباقر، ممّا قاله في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: اَلَا اِنَّ الرُّوحَ الْاَمِيْنَ نَفَثَ فِي رَوْعِي، اِنَّهُ لَا تَمُوْتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ وَاجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ . وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ اَنْ تَطْلُبُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ، فَاِنَّ اللّٰهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَسَمَ الْاِرْزَاقَ بَيْنَ خَلْقِهِ حَلَالًا وَلَمْ يَقْسِمْهَا حَرَامًا؛ فَمَنْ اتَّقَى اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَبَرَ، اَتَاهُ اللّٰهُ بِرِزْقِهِ مِنْ حِلِّهِ، وَمِنْ هَتَكَ حِجَابَ السِّرِّ وَعَجَّلَ فَاخَذَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، قُصَّ بِهِ مِنْ رِزْقِهِ الْحَلَالِ، وَحُوسِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١.

٢ الامام علي «ع»: وَاعْلَمْ يَقِيْنًا اَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ اَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ اَجْلَكَ، وَاِنَّكَ فِي سَبِيْلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ؛ فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَاجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ .. وَايَاكَ اَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُوْرِدَكَ مَنَاهِلُ الْهَلَكَةِ ٢.

٣ الامام الصادق «ع»: الرِّزْقُ مُقْسُوْمٌ عَلٰى ضَرْبِيْنٍ: اَحَدُهُمَا وَاَصْلٌ اِلَى صَاحِبِهِ وَاِنْ لَمْ يَطْلُبْهُ، وَاَلَاخِرُ مُعَلَّقٌ بِطَلْبِهِ، فَالَّذِي قُسِمَ لِلْعَبْدِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ اَتِيَهُ وَاِنْ لَمْ يَسْعَ لَهُ، وَالَّذِي قُسِمَ لَهُ بِالسَّعْيِ فَيَنْبَغِي اَنْ يَلْتَمِسَهُ مِنْ وُجُوْهِهِ، وَهُوَ مَا اَحَلَّهُ اللّٰهُ لَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ، فَاِنْ طَلَبَهُ مِنْ جِهَةِ الْحَرَامِ فَوَجَدَهُ حُسْبَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَحُوسِبَ بِهِ ٣.

٤ الامام الصادق «ع»: لَوْ كَانَ الْعَبْدُ فِي جُرْحٍ لَاتَاهُ اللّٰهُ بِرِزْقِهِ، فَاجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ٤.

١ - الكافي ٥ / ٨٠.

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٦ - ٥٧.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٩.

٤ - الكافي ٥ / ٨١.

٥ الامام الصادق «ع» : إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَخَلَقَ مَعَهُمْ ارْزَاقَهُمْ حَلالاً طَيِّباً، فَمَنْ تَنَاوَلَ شَيْئاً مِنْهَا حَرَاماً قُصَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْحَلالِ .^١

تنبيه

لا يَصِحُّ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَأَمْثالِهَا نَظْرَةً عَقَائِدِيَّةً أَوْ اخْلَاقِيَّةً صِرْفَةً، يَعْنِي أَنْ نَقُولَ إِنَّهَا تَرُومُ تَوْعِيَةَ النَّاسِ فِي الْقَضَايَا الْعَقِيدِيَّةِ وَمَا يُمْتُّ مِنْهَا إِلَى الْأَقْدَارِ، أَوْ إِنَّهَا تَرْمِي إِلَى دَعْمِ أَصْلِ اخْلَاقِيٍّ فِي عَفَّةِ النَّفْسِ وَاسْتِغْنَائِهَا وَعَدَمِ جَشَعِهَا فَقَطْ، لَا، بَلْ لَهَا مَغْزَى اقْتِصَادِيٌّ هَامٌّ بِنَاءً أَيْضاً. وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِينَ يَقْدِرُونَ عَلَى السَّعْيِ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَاقْتِنَاءِ الْكَثِيرِ مِنْهُ، وَلَهُمْ حَذَقٌ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاسْتِعْدَادٌ لَهُ، إِنْ كَفُّوا عَنْ ذَلِكَ وَاکْتَفَوْا بِمُسْتَلْزَمَاتِ مَعِيشَةٍ سَالِمَةٍ كَافِيَةٍ، تَصِلُ بَقِيَّةُ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْمُسْتَلْزَمَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ إِلَى الْآخِرِينَ، وَخُصُوصاً الضَّعْفَاءَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ الطَّلْبُ وَالسَّعْيُ أَوْ الْحَذَقُ وَالْإِسْتِعْدَادُ. فَالْإِسْلَامُ يَعِمِدُ فِي كُلِّ تَعَالِيمِهِ إِلَى دَعْمِ أَسَاسِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، وَإِزَاحَةِ الْفَقْرِ وَالْحَرَمَانِ، بَلِ الْمَنْعِ عَنِ وَقُوعِهِمَا وَبِقَائِهِمَا فِي الْجَمَاهِيرِ.

يا- لا يجتمع المال الكثير من حلال

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع»: .. ليس من شيعتنا من له مئة الف، ولا خمسون الفاً، ولا اربعون الفاً، ولو شئتُ أن أقول: ثلاثون الفاً لقلت. وما جمع رجل قطُّ عَشْرَةَ الآفٍ مِنْ حِلِّهَا.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: المال اربعة آلاف، واثنان عَشْرَ الفِ درهمٍ كَنْزٌ، ولم يجتمع عشرون الفاً من حلالٍ ..^٢

احتياط

ينبغي - بل يُهمّ - على حَسَبِ التَّعَالِيمِ الَّتِي وَصَلَتْ لَنَا مِنَ
الائمة الهادين «ع»، أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ بِعَيْنِ الْاِحْتِيَاظِ، أَيِ
الشُّكِّ فِي حِلِّيَّتِهِ وَمَشْرُوعِيَّتِهِ، وَأَنْ نَعَامِلَهُ مَعَامَلَةَ الْمُحْتَاطِينَ . اجل،
إِنَّ هَذِهِ الْاِحَادِيثَ الْهَامَّةَ الْبِنَاءَةَ لِسَلَامَةِ الْمَجْتَمَعِ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ
جَوْهَرَ تَعَالِيمِ الْاِئِمَّةِ «ع» وَرُوحَهَا هُوَ رَفْضُ الْمَالِ الْكَثِيرِ، وَطَرْدُ
الْمُتَكَاثِرِينَ وَالْمُتَرَفِّينَ، لَا الرُّكُونَ إِلَيْهِمْ وَالتَّقَلُّبُ مَعَهُمْ وَالانْصِهَارُ
بِرُوحِيَّاتِهِمْ، فَضْلاً عَنْ تَبْرِيرِ اَعْمَالِهِمْ وَ اِمْوَالِهِمْ^٣. وَلَيْسَ هَذَا الْاَ
جَوْهَرَ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَرُوحَهَا، فَلَا تُكَاثِرُ فِي الْاِمْوَالِ وَلَا تُفَاخِرُ بِهَا
فِي الْاِسْلَامِ.

١ - البحار ٧٢ / ٦٦، عن «السرائر».

٢ - تحف العقول / ٢٧٩؛ راجع ايضاً بهذا الصدد: الفصل ٢٥، من هذا الباب.

٣ - ولقد أعلن أحد الجهات المسؤولة العالية في القضاء، أنه لا يقف حينما يقرأ الإضرابات المتعلقة
بالاغنياء المتكاثرين، على حصول تلك الاموال والثروات من طريق حلال مشروع - (خطبة
صلاة الجمعة، ١٥ شهر صفر، من هذه السنة ١٤٠٨ هـ. ق، الموافق لـ ١٧ مرداد من ١٣٦٦ هـ.
ش).

وكلامه سندٌ وحجة، لكثرة وقوفه على الإضرابات المذكورة، استناداً الى مسؤولية القضاة
العالية. وهذا شاهد فعلي على ما هدى اليه القرآن الكريم ووَرَدَ بكثيرٍ في كلام المعصوم «ع».

الفصل الثالث : المال في التصور الاسلامي (٣)

ومن الواضح أنَّ المقاديرَ المذكورةَ في الاحاديث، تُقدَّرُ بقَدْرِها، بحَسَبِ كُلِّ عَصْرِ ومَصْرٍ، بشرطِ أَنْ لا تَبْلُغَ الى ما يُعَدُّ كَثِيراً في عُرْفِ كُلِّ بِيئَةٍ وزمانٍ، لانَّ المالَ الكَثِيرَ لا يَجْتَمِعُ من حلالٍ .
والاسلامُ لا يُثَبِّتُ القَداسَةَ الا للمالِ الحلالِ .

يب - التعريف بالمال

الحديث

١ الامام الباقر «ع» : .. هي (الدنيانيرُ والدراهم) خواتيمُ الله في أرضه، جعلها اللهُ مِصْحَةً لخلقه؛ وبها تَسْتَقِيمُ شُؤُنُهُمْ ومطالبُهُمْ ..^١

* يَقِفُ القارئُ على «تعريفِ المال» في الاسلام، ممَّا مرَّ عليه الى هنا وما يَأْتِي . ولقد أوردنا التَّعْرِيفَ في الفصلِ الرَّابِعِ والعشرين من هذا الباب، فراجع .

تذييل هام (١)

تحريف المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه

الكتاب

١ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ..^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: ألا! وإن إعطاء المال في غير حقه تبذيرٌ واسرافٌ ..^٢
- ٢ الامام السجاد «ع»: .. وأما حقُّ المال، فإن لا تأخذه الآ من حله، ولا تُنفقه الآ في حله، ولا تُحرّفه عن مواضعه، ولا تُصرفه عن حقائقه، ولا تجعله اذا كان من الله الآ اليه، وسبباً الى الله .^٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: .. ورأيتُ الرجلُ يُنفقُ المالَ في غيرِ طاعةِ الله، فلا يُنهى ولا يُؤخذُ على يديه .^٤

* راجع : النظرة الى الفصل بهذا الصدد، تلاحظ اشاراتٍ وتنبيهاتٍ هامة .

تذييل هام (٢)

حرمة اموال المعاهدين في المجتمع الاسلامي

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٨٦ .

٢ - نهج البلاغة / ٣٩٠؛ عبده ٢ / ١٠ .

٣ - تحف العقول / ١٩١ .

٤ - الكافي ٨ / ٣٨ .

* إِنَّ آيَاتِ النَّاهِيَةِ عَنِ الظُّلْمِ وَالغِصْبِ وَالسَّرْقَةِ وَالاعْتِدَاءِ
وَحَفِظِ الْعَهْدِ وَمَا إِلَيْهَا، تَشْمَلُ الْمَوْضُوعَ بوضوح .

الحديث

١ الامام علي «ع» - مما كتبه الى عُمّالِهِ على الخراج : .. وَلَا تَبِيعَنَّ لِلنَّاسِ فِي
الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ؛ وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا؛ وَلَا عَبْدًا، وَلَا
تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوَاطِئَ لِمَكَانٍ دَرَاهِمٍ؛ وَلَا تَمَسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - مُصَلٌّ وَلَا
مُعَاهَدٌ - إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدُّ بِه عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ..^١

٢ الامام الصادق «ع» - محمّدين مسلم قال : سألتُهُ عن الشِّراءِ فِي أَرْضِ
الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ؟ فَقَالَ : لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ .. وَمَا بِهِ بَأْسٌ لَوْ اشْتَرَيْتَ
مِنْهَا شَيْئًا . وَإِذَا قَوْمٌ أَحْيَوْا شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ فَعَمَّرُوهُ، فَهَمَّ أَحَقُّ بِهِ، وَهُوَ
لَهُمْ.^٢

١ - نهج البلاغة / ٩٨٤؛ عبده ٣ / ٩٠ - ٩١ .

٢ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٥١ .

نظرة الى الفصل

١ - حرمة المال والتأكيد عليها: لقد سَلَفَ أَنْ قُلْنَا أَنَّ الْمَالَ لِلْجَسَدِ الاجتماعيِّ كَالدَّمِ لِلْجَسَدِ الْفَرْدِيِّ، فعليه يكونُ تَضَخُّمُ الْمَالِ لَدَى حَفْنَةِ متناقضاً مع حركةِ الدَّمِ العامَّةِ، التي بها يحيا جسدُ المجتمعِ وتُحَفَظُ حياةُ الجماهير. فحرمةُ المال - التي صرَّحت بها التَّعاليمُ الاسلاميَّةُ وأكَّدتْ عليها - انما تكونُ لخصوصيَّةِ القواميَّةِ كالدَّمِ للجسد، فالتَّعابيرُ التي وردت في الاحاديث كقولِ النبيِّ «ص»: «حُرْمَةُ مَالِهِ (المؤمن) كحرمةِ دِمِهِ»^١، وقولِ الامامِ عليٍّ «ع»: «إِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ الْإِضْرَارَ»^٢، كلُّ ذلك يرمي الى ذلك الغرضِ المنشودِ من المال، وهو كونه قواماً للناس، ودماً جارياً دائراً في كلِّ جسدِ الجماهير، واصلاً الى كلِّ خَلِيَّةٍ من خَلَاياه، تحتَ رقابةٍ دقيقةٍ وعادلةٍ. والجريانُ التَّكاثريُّ للمالِ ليس الاجرياناَ سرطانياً لا تعادلُ فيه ولا قوام، فهو يُفْرِطُ في الامتلاكِ من جهةٍ وفي الاستهلاكِ من جهةٍ اخرى، فيَتَضَخَّمُ به عضوٌ وتهزُلُ به البقيةُ الباقيةُ من الاعضاء.

وانَّ القسمَ الكبيرَ من الاحكامِ الماليَّةِ في الاسلام، يَعِيدُ الى هذا الجانبِ، اي جانبِ المجابهةِ مع الحركةِ التَّكاثريَّةِ للمال. فحُرْمَةُ الاسرافِ والتَّبذيرِ وافسادِ المالِ وتضييعه واكله بالباطلِ والرِّبا والاكْتِنَازِ والاعتصابِ والتَّطْفِيفِ والظُّلمِ والحُكْرَةَ والاجحافاتِ السَّعْريَّةِ وامثالِ هذه الاحكامِ انما شرَّعتْ لعللٍ وحِكَمٍ من عُمدتها القضاءُ على الدُّورانِ

١ - الاختصاص / ٣٣٩.

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١.

نظرة الى الفصل الثالث ..

السّرطانيّ للمال في الجسد الاجتماعيّ، وكذلك تحديدُ الرّبح، لأنّ من يتربّح على المشتري بكثيرٍ يمتصّ من دمه الحيّاتيّ الذي به يكون قوامه ودوامُ حياته، ولاجل ذلك يقول الامامُ الصادق «ع»: «ربحُ المؤمن على المؤمن ربا، الاّ أن يشتريَ باكثر من مئة درهم، فأربح عليه قوت يومك، او يشتريه للتجارة فأربحوا عليهم وأرفقوا بهم»^١.

نعم، إنّ المال لا يجوز أن ينصبّ في اكياس الطواغيت الاقتصاديةين وحلاقيهم فإنّ «لهم اجساداً لا تشبع» كما ورد في الحديث^٢. إنّ الاموال هي دماء الناس وقوام حياتهم، فليس من السّائع أن تتبدّل الى ذرائع للطغيان والاستكبار الاقتصاديّ، وأن تجرّ بكثير من المسلمين الى معاناة حياة شقيّة تعيسة غير اسلامية، وأن تُضحّي مادةً للشّهوات عند الاثرياء (المال مادة الشّهوات)^٣. ومن الواضح أنّ المال الذي يصير مادةً للشّهوات، ليس هو القدر الذي يقوم به معيشة الفرد في حدّ كفايٍّ وقواميٍّ، او ما هو قوام للناس، بل هو المال الكثير الذي يوجد عند المتكاثرين . فنصل ممّا اوضحناه الى أنّ حرمة المال في الاسلام ليست غاية ذاتية بل هي غاية وسيلية، وانما تثبت للمال حرمة مادام كونه سبباً للحياة وقواماً لها، لا سبباً لفناء المجتمع وخذلان الجماهير . والمال المُكدّس عنه فئة لا يكون الاّ سبباً لخذلان الجماهير . في هذا الضوء، فإنّ حرمة المال في الاسلام لا تُصبح آله في يد المتكاثرين والمتحمسين لهم بوجه، لتبرير اعمالهم من الاكتناز والتكاثر والادخار وتحصين ما حصلوا عليه من اموالٍ طائلة من هنا وهناك مما لا يُبرّره الشرع، بل يكون على العكس من هذا .. والاسلام إنّما أكّد على حرمة المال و نافع عنها لغرض محاربة

١ - الكافي ٥ / ١٥٤ .

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٦، من حديث النبي «ص» .

٣ - نهج البلاغة / ١١١٣؛ عبده ٣ / ١٦٤ .

التكاثر والاكتناز لا للموافقة عليهما . ولذلك نُشاهدُ انَّ التعاليمَ الحديثيةَ تُسمِّي الاغنياءَ هالكين وامواتاً وشرارَ الامة، لانَّهم يُحوّلون المالَ من صورته الاصلية القوامية الى صورةٍ غيرِ اصليةٍ ومُهلكة .
ومن هنا نَعْلَمُ أنَّ المقاييسَ الرئيسيّةَ لقيمةِ المالِ وحُرْمَتِهِ في النظامِ الاسلاميِّ والنظامِ التكاثريِّ متضادّة؛ ففي الاول يكونُ الانسانُ هو المقياس، والمالُ انّما يُعدُّ محترماً مادام كونه في خدمةِ الانسان (وفي خدمةِ المجتمعِ الاسلامي والاسلام تبعاً). وفي الثاني يكونُ المالُ هو المقياس، والانسانُ انّما يُعدُّ محترماً اذا قيمةِ مادام كونه ذامالٍ او في خدمةِ ذوي الاموالِ وفي استغلالهمِ وأسْرِهِمُ الاقتصاديّ .

تذييل

الاحتياط في جمع الاموال واستهلاكها

إنَّ الاحتياطَ في الاموالِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يُسْتَهْلَكَ الاموالُ في غيرِ مواضعها القوامية، وأن لا يجتمعَ المقدارُ الكثيرُ منه عندَ احدٍ - كما مرّت الاشارة اليه ايضاً - لكي يتلاحمَ امرُ المالِ مع التحديدِ الالهيِّ له، ولا يخرجَ عنه الى ضده، ولا يُحَرَّفَ عن مواضعه، ولا يُصَرَفَ عن حقائقه - على حدِّ تعبيرِ مولانا الامام السّجّاد «ع» كما يأتي بيانه . ومن هنا، فإنَّ يتلاحمَ الاحتياطُ الشرعيُّ في الاموالِ عندَ المحتاطين من المُتشرِّعين مع تبريرِ تكُدُسِ الاموالِ عندَ الطّواغيتِ الماليين، او مع غضِّ البصرِ عنها والتجاهلِ في امرها، باسمِ انهم مالكون؟ اين؟
وإذا لاحظنا التّعاليمَ الحديثيةَ نراها - وفقاً للتّعاليمِ القرآنية - قد نوهتْ بقيمةِ المالِ واشادتْ بها بعنوانِ الودائعِ الالهيةِ التي جعلها قواماً لمعايشِ الناسِ ومِصْحَةً لَهُمْ ولحاجاتهم، فلاجلِ ذلكِ قد صرّحتْ تلكِ التّعاليمُ بالتّأكيداتِ التالية :

نظرة الى الفصل الثالث ..

أ - التأكيد على حفظ الاموال من التلّف والضّياح .
ب - التأكيد على الاستفادة السّالمة الاقتصادية من المال وتجنب الاسراف والتبذير والاستهلاك الزائد على القدر اللازم والاستهلاك الكمالي ..

ج - التأكيد على بذل المال وانفاقه بصور شتى .
د - التأكيد على أنّ سهام الفقراء انما هي في اموال الاغنياء .
هـ - التأكيد على حفظ الجهات الشرعية في اقتناء الاموال .

٢ - شجب كون المال دولة بين الاغنياء : إنّ صيرورة المال دولة أمر مرفوض بنصّ القرآن الكريم والحديث الشريف . وأنّ التكاثر الماليّ ليس الا كون الاموال دولا بين حفنة من الأثرياء - كما هو واضح - وهذا امر لا يُصار اليه في الاسلام باي اسم صالح تتّرس به المويرون وتستروا به .

٣ - بعض مظاهر المال السلبية : إنّ التعبير والتعاليم الواردة في هذا الفصل، تُرشد الى أنّ المال كما يكون امداداً من الامدادات الالهية، ومادّة للقيام الاجتماعي، وذريعة لتحقيق المصالح العامة، واداة لاداء التكاليف الفردية، وعُدّة لبث الخيرات وعمل الصالحات، وسبباً لبسط النواميس الحقة، وعوناً على نشر المعارف والعلوم وانجاز الاختراعات الناجعة، كذلك يكون سبباً سلبياً يوجب التّميع والبطر والغطرسة، ومادّة فساد يجتر الانسان الى المهالك، اذا لم تراغ فيه حدود الله سبحانه؛ واذا لم يتحفظ خلاله على نواميسه واحكامه، ولم يؤدبه حقوق الناس، ولم يتصرّف فيه وفق الصّالح العام ..

وسيمرّ على القارئ الكريم - في هذا الباب - ما يدُل على أنّ المال

إذا تَبَدَّلَ من كونه ذريعةً الى كونه غايةً وحَمَلَ صاحبه على الاكتناز والتكديس والاحتكار والاستغلال وسائر المظالم، يَصِيرُ من اكبر اسباب الشقاء والسقوط الفردي والاجتماعي. ولكي نأتي بشيء من الايضاح نقول:

إنَّ الله تعالى، جَعَلَ الارضَ للانسان مهذاً كبيراً هادئاً لأنَّ يَعِشَ فيه ويمشي في مناكبها ويستفيد من نعمها ويبرز مواهبه. فعلى هذا إنَّ جميع ما في الارض - من النعم والمواهب - مُعَدُّ للانسان لِأَنَّ يَسْتَمْتِعَ به بفكره السالم النشيط وسعيه المشروع المتواصل. والمال بهذا المنظار ظاهرة ايجابية لها نتائجها الايجابية للانسان، في سدّها للعوز وتأمينها للحاجة، لظاهرة سلبية ضارة ومُضِرَّة.

والامر في واقعه ايضاً كذلك، لأنَّ المال ومنابعه في النظامين الكوئني والتشريعي، امر ايجابي مفيد، وله آثار حياتية هامة للانسان وللمجتمع الانساني، وهو من الامدادات الالهية للانسان، الذي يعيش على ظهر الارض لسد ما يهيمه من العوز. بيد أنَّ الانسان هو الذي يُخْرِجُ المال من موضعه الايجابي النافع ويستعمله في مواضع سلبية منحرفة،^١ فيبدله الى امر سلبي ذي اضرار باهظة. واخراج المال من موضعه الايجابي، الذي يقع بيد الانسان، إنما يقع بطرق عديدة، منها الاربعة التالية:

- ١ - كمية الامتلاك.
- ٢ - كيفية الامتلاك.
- ٣ - كمية الاستهلاك.
- ٤ - كيفية الاستهلاك.

١ - راجع ايضاً: ما يأتي في آخر هذه النظرة، عند الكلام عن «مواضع المال».

نظرة الى الفصل الثالث ..

(١) - كميّة الامتلاك : إن امتلاك المقدارِ الباهظِ من المال، لِمَا يُخْرِجُ المالَ من مداره ويبدّلُ العاملَ الايجابيِّ لتأمينِ حاجاتِ الناسِ وحياتهم الى عاملٍ سلبيٍّ يَبْثُ الفسادَ والطَّغيانَ .

(٢) - كميّة الامتلاك : إن كميّة الامتلاكِ ايضاً من عواملِ صرفِ المالِ عن حقيقته وتبديله الى عاملٍ سلبيٍّ، إذ المالُ انما خُلِقَ لان يُمْتَلَكَ بصورةٍ صحيحةٍ ومحدودة، حتى بالنسبة الى كميّة الامتلاك . فاذا اُمتلِكَ بانواعِ الصُّورِ الزائفةِ كاستغلالِ الكادحينِ وتطفيفِ المكاييلِ وبخسِ الحقوقِ، وبالاحتكارِ والاجحافِ بالاسعارِ وبالمكاسبِ المحرّمةِ وما الى ذلك، لا يكونُ جارياً في مجاريه الايجابيةِ المعيّنة له .

(٣) - كميّة الاستهلاك : إن الاستهلاكُ الانحرافيُّ الكميُّ ايضاً ممّا يُخْرِجُ المالَ من مداره اللّائقِ به وَيَضُرُّ بوجوديّةِ المجتمعِ الماليّةِ، كالإسرافِ الكميِّ وصرفِ الكثيرِ من المالِ فيما لا يسوغُ .

(٤) - كميّة الاستهلاك : الاستهلاكُ الانحرافيُّ الكميُّ ممّا يُبدّلُ المالَ الى عاملٍ سلبيٍّ ايضاً، حيثُ يُخْرِجُهُ عن مسيرتهِ الصّحيحةِ، فيُضِرُّ بقيَمِ المجتمعِ واخلاقه كالاسرافِ الكميِّ والتبذيرِ، وتضييعِ المالِ واتلافهِ وصرفه لمقاصدٍ سيّئةٍ ومُفسدةٍ، وفي الفحشاءِ والمآثمِ، وفي إشعالِ نيرانِ الفتنِ والويلاتِ، وفي سبيلِ مجابهةِ الحقِّ والمُحقِّينِ، ولِكَبْتِ دُعاةِ العدالةِ والثوارِ المصلحينِ، وللصدِّ عن سبيلِ الله، وكانفاقه رثاءِ الناسِ، وكاستهلاكِ الأمتعةِ الكماليّةِ في حينِ أنّ في الناسِ من لا يجدُ أبسطَ الحاجياتِ وارخصَ الاشياءِ والاطعمةِ لسدِّ رمقٍ او بقاءِ حياةٍ .

فعلى هذا البيان - المُتَّخِذِ من تعاليمِ الكتابِ والسُّنةِ - إنَّ أصلَ المالِ الجاري في مداره الالهيِّ ليس عاملاً للطَّغيانِ ولا مادّةً للشّهواتِ ولا موجباً لفتنةٍ او مفسدةٍ، بل هو في حدّه الكفايِّ والقواميِّ، من جنودِ العقلِ ومن اسبابِ العفةِ والسِّدادِ، ومن بواعثِ الرُّشدِ الخُلقيِّ والتَّفَتُّحِ

العقلي والرقي الاجتماعي، لكنه اذا جاوز ذلك الحد ووقع في المواقع التكاثرية، يتبدل الى جند من جنود الجهل، ويصير مادة للشهوات ومنشأ للفجور والمآثم، ومنطلقاً للفتن والويلات . كذلك اصل المال، بالوصف المذكور، ليس من اسباب «الاختيال» و «الاغترار»^١ و«الإخلاق الى الارض»^٢ بل إن حبه المؤدي الى جمعه وتكديسه يكون سبباً لتلك الحالات الروحية الذميمة المهلكة،^٣ ولاجل ذلك يندد القرآن الكريم بمن يحب المال حباً جماً ويأكله اكلًا لماً،^٤ ومن جمع المال وعدده، ويحسب أن ماله أخلده.^٥ ويعدُّ الامام علي «ع» إمساك المال فتنة،^٦ لا اصل المال واقتناءه المعتدل واحرازه من طرقه المشروعة، للانفاق والخير .

وهذا الذي بيناه، هو من اوضح الدلائل على أن الموضع التكاثري والتكديسي للمال، ليس موضعاً الهياً اسلامياً مشروعاً بوجه، وكذلك ليس موضعاً طبيعياً للمال، اذ موضع المال الطبيعي لا يخالف موضعه التشريعي، ضرورة تطابق الموضعين في جميع الامور وصحيحها، بل هو موضع تحريفي سلبي . وهذا ما نصل اليه من معرفة الأثر والمعلول (بالبرهان الإنسي - على حسب المصطلح). فالمظاهر السلبية للمال إنما تتأتى من عمل الانسان وكيفية تصرفه فيه واعتدائه وطغيانه .

شرح لحديثين

الأول - لقد مرر علينا قول النبي «ص»: «إِنَّمَا اتَّخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي

١ و ٢ و ٣ - راجع: الفصل ١٧ و ١٨، من هذا الباب.

٤ - سورة الفجر (٨٩): ١٩ - ٢٠.

٥ - سورة الهمة (١٠٤): ٣.

٦ - غرر الحكم / ١٠١.

نظرة الى الفصل الثالث ..

من بعدي ثلاث خصالٍ : أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، أَوْ يَتَّبِعُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ، أَوْ يَظْهَرَ فِيهِمْ الْمَالُ حَتَّى يَطْفُوا وَيَبْطُرُوا^١. وفقه الحديثِ يُكَلِّفُنَا بَانَ نَمِيعَ النَّظَرِ فِيهِ وَفِي تَعَابِيرِهِ، حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَغَازِيهِ وَتَعَالِيمِهِ، خُصُوصًا تِلْكَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى سَلْبِيَّاتِ الْمَالِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ :

إِنَّ قَوْلَهُ «ص» : «أَوْ يَظْهَرَ فِيهِمْ الْمَالُ ..»، إِشَارَةٌ إِلَى النَّزَعَاتِ التَّكَاثِرِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَصِيْرُوَّةِ الْمَالِ وَطَلْبِهِ وَامْتِلَاكِ الْكَثِيرِ مِنْهُ أُمُورًا سَائِدَةً مَشْهُودَةٌ . وَهَذَا الظُّهُورُ لِلْمَالِ يُرَادُ بِهِ جُنُوحُ أَنْاسٍ إِلَى الْحَيَاةِ التَّكَاثِرِيَّةِ وَالتَّرْفِيَّةِ بِتَبْنِي الرِّأْسَمَالِيَّةِ، وَسِيَادَةِ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ الْمُدْمِرَةِ فِي شُؤُونِهِمْ . وَتِلْكَ الْحَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الْاِقْتِسَادِيَّةُ لِأَسْوَدُ إِلَّا بَانَ تُنْسَى مَوَاضِعُ الْمَالِ وَتُرْفَعُ الْحُدُودُ عَنْ كَسْبِهِ وَامْتِلَاكِهِ، وَتُزَاحَ الْعُقُبَاتُ عَنْ مَسِيرَةِ تَضَخُّمِهِ عِنْدَ قِطَاعٍ، وَتُطَلَّقَ أَيْدِي التَّجَارِ وَالْمُسْتَوْرِدِينَ وَالْمُنْتَجِينَ وَأَصْحَابِ الْمَعَامِلِ وَأَهْلِ الْمَوَاهِبِ الْفَعَّالَةِ النَشِيطَةِ فِي الْمَجَالَاتِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ، لِأَنَّ يَجْمَعُوا مِنَ الْمَالِ مَا يَشَاؤُونَ، وَيَسْتَهْلِكُوا مِنْهُ مَا يُرِيدُونَ وَيُحِبُّونَ، هُمْ وَذَوُوهُمْ، وَيَسْتَنْدُوا إِلَى الْحُرِّيَّةِ فِي الْاِمْتِلَاكِ وَالْاِسْتِهْلَاكِ، وَيَتَحَمَّسَ لِهَذَا الضَّلَالِ الْاِقْتِسَادِيِّ مِنْ يَتَحَمَّسَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوَاجِهُ الْجَمَاهِيرُ خَطْرًا عَظِيمًا يُعَدُّهُ النَّبِيُّ الْهَادِي «ص» سَبَبًا لِلطَّغْيَانِ وَالْاِسْتِكْبَارِ وَالْبَطْرِ، وَيَجْعَلُهُ فِي عِدَادِ فَادِحَتَيْنِ هُمَا مِنْ اعْظَمِ الْفَوَادِحِ :

١ - تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ .

٢ - اتِّبَاعُ زَلَّةِ الْعَالِمِ وَخَطَاةِهِ .

وَذَلِكَ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الْفَادِحَتَيْنِ تُسَبِّبَانِ مَسْخَ الْاِسْلَامِ وَفَصْمَ عُرَاهِ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ . وَكَذَلِكَ سِيَادَةُ الْمَالِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْاِسْلَامِيِّ وَذِيْوَعُ النَّزَعَاتِ التَّكَاثِرِيَّةِ وَالْحُرِّيَّاتِ الْمَالِيَّةِ، فَانْهَا أَيْضًا تُسَبِّبُ وَتُمَهِّدُ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْاِسْلَامِ، وَجُنُوحِ النَّاسِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ مَخَالِبِ الطَّوَاغِيَّتِ الْمَالِيَّيْنَ

وعدوانهم الى مبادئ وافكار الحادية مُغرية، لا سَمِحَ اللهُ . فالحقُّ مع الهادي الاكبر «ص»، حيث يَخَافُ على الأُمَّة من ظهورِ المالِ فيهم، وصيروته اصلاً وغاية .

ومن اللاَّحِبِ أن ديناً يُعَدُّ سيادةَ المال وإِحرازه الاهميَّةَ خطراً كبيراً مساوقاً لتأويلِ القرآنِ وصرفه عن مقاصده التعلّيميَّة والتربويَّة وهداياته المقصودة، لا يُسبَّبُ هو بنفسه - وباحكامه وبقاهته - لايِّ نوعٍ من انواعِ الامكانيات لهذه السيادة المُدمِّرة، ولا يُبرِّرُ آيَّةَ صورةٍ من صور التكاثر، ولا يدعُمُ كيانَ المتمولِّين والمتكاثرين .

إنَّ هذه الاحاديثَ المتعاضدةَ بالقرآن، وما فيها من التعلّيمِ المُشرِّقةِ والهُدَى البَنَاءِ، تُرشدُ المجتمعَ الى أن رسالةَ الدينِ وسياستهِ الاقتصاديةِ ليستا الا تركيزَ الملكيَّةِ في إطارها القواميِّ، والرَّقابةَ على اجراءِ المالِ في مسيراتٍ مقتصدةٍ معتدلةٍ في مدارٍ طبيعيِّ، يُمَوِّنُ المجتمعَ ويُوَمِّنُ معاشَ النَّاسِ في جميعِ قطاعاتهم، حتى لا يَنْتَهِيَ الامرُ الى «ظهورِ المال» وطُغيانِ اصحابه وبَطْرِهِم، في حالةٍ توجَدُ الى جانبيهم زرافاتٌ وزرافاتٌ لا تَجِدُ الاَفْتاتَ العيشِ الزَّهيدِ .

فعلى هذا المقياس، يُصْبِحُ كلُّ رأيٍ او نظريَّةٍ او فتوىٍ او اتِّجاهٍ يَسْتَهْدِفُ تحديداً المالَ وَيَشْجُبُ ظهوره وتكاثره ويردِّعُ تضخُّمه وكنزه، اسلامياً ملتزماً، وكلُّ ما كان على العكسِ من هذا فهو على العكس، من ايِّ شخصٍ كان . فلا اعتبارَ لِايِّ رأيٍ، امامَ القرآنِ وآياته والنبيِّ وسُنَّتهِ واقواله . اذا كان النبيُّ «ص» - وهو الأُسوة - يَخَافُ على الأُمَّة من ظهورِ المالِ فيها ومن الاتِّجاهاتِ التكاثريةِ الاترافيةِ والاستهلاكاتِ اللاهيةِ الاسرافيةِ، النَّاتِجةِ عن سيادةِ المالِ في المجتمع، فكيف يُمكنُ أن تكونَ هذه الظواهرُ مُسوَّغةً في شريعتهِ الحكيمه؟

الثاني - واليك نموذجاً آخر من التعلّيمِ النَّبويِّ الحاسِمةِ والهداياتِ

نظرة الى الفصل الثالث ..

الحكيمة : «ما أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّكَاثُرَ»^١؛ أَنْظِرْ الى هذا التَّعْلِيمِ نَظْرًا مَعَانٍ، وَرَاقِبِ اللَّهَ فِي فَهْمِهِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ، حَتَّى لَا تَصْرِفَ هَذَا التَّعْلِيمَ وَامْتَالَهُ - السَّائِرَةَ مَعَ الشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ عَلَى الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْمَوَاهِبِ الْبَشَرِيَّةِ - إِلَى مَفَاهِيمٍ اخْلَاقِيَّةٍ لِضَمَانِ لِتَطْبِيقِهَا إِلَّا قَلْبٌ عَقُولٌ أَوْ سَمْعٌ وَاعٍ!

أَيَقُولُ النَّبِيُّ «ص» : «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّكَاثُرَ»^٢، وَنَحْنُ لَا نَكْتَرِثُ لِلتَّكَاثُرِ وَلَا نَجْبُهُ الْمُتَكَاثِرِينَ، وَلَا نَخْشَى عَلَى الْأُمَّةِ - وَلَا سِيَّمَا ضَعْفَاءَهَا - مِنْ مُضَاعَفَاتِ الْغِنَى الْمَفْرِطِ وَالتَّكَاثُرِ وَالحَرِيَّاتِ الْبَاهِظَةِ فِي الْإِمْتِلَاقِ وَالِاسْتِهْلَاكِ، الْمُسْتَتَبِعَةِ لِلِاسْتِغْلَالِ وَالِامْتِصَاصِ، وَنَحْسَبُ أَنْفُسَنَا مُتَفَقِّهِينَ فِي الدِّينِ، حَافِظِينَ لِأَحْكَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَامِينَ عَنْ حَقُوقِ الْمَحْرُومِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ؟!!

أَيَقُولُ النَّبِيُّ «ص» : «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّكَاثُرَ»، وَنَحْنُ لَا نَضَعُ أَيَّ قَانُونٍ لِشُجْبِ التَّكَاثُرِ، وَلَا نُكَافِحُ غَاصِبِي أَمْوَالِ النَّاسِ بِاسْمِ الْبَيْعِ وَالِاسْتِيرَادِ الشَّرْعِيِّينَ، وَلَا نَرَى عَلَى عَاتِقِنَا أَيَّ وَاجِبٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ؟!!

كَمْ وَرَدَتْ فِي الْإِحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ كَلِمَاتٌ ذَامَّةٌ لِلْفَقْرِ، مُبَيِّنَةٌ لِسُلْبِيَّاتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ «ص» بِلَفْظٍ صَرِيحٍ : «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ..»، لِمَاذَا؟ لَعَلَّهُ لِكَوْنِ الْفَقْرِ ظَاهِرَةً غَيْرَ أُصْلِيَّةً فِي الْمَجْتَمَعِ بَلْ هُوَ ظَاهِرَةٌ مَفْرُوضَةٌ يَفْرُضُهَا التَّكَاثُرُ وَالْغِنَى الْمَفْرِطُ . فَإِذَا كُوفِحَ التَّكَاثُرُ وَشُجِبَ لَا يَبْقَى لِلْفَقْرِ عِلَّةٌ . وَمَا لِأَعْلَةٍ لَهُ لَا وَجُودَ لَهُ . نَعَمْ، لَا يَوْجَدُ الْفَقْرُ فِي مَجْتَمَعٍ عَادِلٍ إِسْلَامِيٍّ غَيْرِ تَكَاثُرِيٍّ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع» فِي وَصْفِ الْحَكَمِ

١ - جاء الحديث في بعض المجاميع الحديثية، وهو مطابق للمحتوى القرآني في «سورة التكاثر».

٢ - والحديث السابق الذي مر شرحه يرمي الى هذا الغرض - كما هو واضح - فهما متعاضان، مضافاً الى احاديث كثيرة وآيات قرآنية وردت في الموضوع.

الاسلامي السالم: «لَوْ اقْتَبَسْتُمُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ .. وَسَلَكْتُمُ الْحَقَّ مِنْ نَهْجِهِ .. مَا عَالَ فِيكُمْ عَائِلٌ ..»^١. وكما جاء في الاحاديث، انه لا يرى محتاج الى الزكاة^٢ في زمن الحكم الاسلامي الخالص (اي زمن المهدي المنتظر «ع»، الذي بشر بمجيئه النبي «ص» - كما ورد في صحاح المسلمين ومسانيدهم). نعم، لا يبقى بعد سحق التكاثر والاطراف والاسراف والاحجاف فقر حتى يخشى منه. ولعل هذا معنى قول النبي «ص»: «ما أخشى عليكم الفقر ..»، والآفان النبي «ص» أحن على الأمة وأراف على ضعفائها وعجزتها ومستضعفيها، من أن لا يخشى عليها الفقر، وهو الذي يقول: «الفقر أشد من القتل»^٣، ويقول: «اللهم اني اعود بك من الجوع، فإنه بس الضجيع»^٤. فلا يمكن ان لا يخشى النبي الحنون على الأمة، الحريص عليها، من الفقر، وهو اشد من القتل، او من الجوع، وهو بس الضجيع؛ لكن لا فقر بعد شجب العدوان المالي والاقتصادي، من الذي ينشأ من التكاثر والاطراف والاسراف .

٤- لا يجتمع المال الكثير من حلال: هذا مقتضى التعاليم الاسلامية، وقد نصت الاحاديث عليه - كما جاء نموذج منها في الفصل . وان الفقه الذي يعد عده من المكاسب محرمة، ويعتقد بالمحدودية الكيفية للامتلاك، فلا بد له من أن يعتقد بالمحدودية الكمية له ايضاً، اذ الكيف والكم في الاقتصاد والقضايا المالية متلازمان .

اجل، إن الآثار السلبية المذكورة في الآيات والاحاديث للمال الكثير، من الإلهاء وموت القلب والاستكبار ونسيان الآخرة - الى كثير مما

١ - مستدرك نهج البلاغة / ٣١ .

٢ - البحار ٥٢ / ٣٩٠ .

٣ - البحار ٧٢ / ٤٧، عن «جامع الاخبار» .

٤ - المستدرك ٢ / ٩٩؛ مضافاً الى قوله «ص»: «كاد أن يكون كفراً» .

نظرة الى الفصل الثالث ..

ذُكِرَ في الفصولِ المناسبة^١ - لا تَدْعُ مجالاً للجُنوحِ الى تسويغِ جمعِ المالِ والاكتارِ منه وتركِ انفاقه . اضْفُ الى كلِّ تلكِ الآثارِ السَّاحِقَةِ اموراً :
١ - أنَّ المالَ الكثيرَ يَنْفي الاعتدالَ النَّفْسِيَّ ويؤدِّي الى الفَسَادِ الخُلُقِيِّ والرَّوْحِيِّ .

٢ - أنَّه يوجبُ فسادَ الدِّينِ وضعفَ اليقينِ .

٣ - أنَّه يوجبُ الفقرَ والحرمانَ وتفشِّيَهُما في الناسِ .

٤ - أنَّه يُضادُّ القسطَ الذي كانتِ اقامتهُ من اعظمِ مقاصدِ الانبياءِ .

٥ - أنَّه يوجبُ هلاكَ الفردِ، فيضادُّ غاياتِ الدِّينِ، لأنَّ الدِّينَ جاءَ لنجاةِ

الانسانِ وانقاذه فلا يُبرِّرُ ما يُسلِّمُه الى الشَّقَاوَةِ والهِلاكِ^٢ . وانَّ نفسَ الفسادِ والهِلاكِ يكفي لانَّ يكونَ سبباً للحرمةِ، كما يقولُ الامامُ ابوالحسنِ الرِّضَا «ع» : «ووجدنا المُحرَّمَّ من الاشياءِ ما لا حاجةَ للعبادِ اليه، ووجدناه داعياً الى الفناءِ والهِلاكِ ..»^٣ .

٥- تحريف المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه : لقد وضح مما سلف من الابحاث ان المجتمع في نظر الاسلام، واحد منسجم تتلائم اجزأؤه، ويتمتع كل عناصره بتلاحم عميق وتشابك وثيق، كتلاحم الجسم وخلاياه، وكالتلاحم الموجود في النظام الحاكم على الكون . وهذه الوحدة والتلاحم توكبان الفطرة الانسانية وما للافراد من الخصوصيات الروحية والجسمية توكباً كاملاً . فالفرد في المجتمع الاسلامي يكون كعضو للجسد الكبير، والمجتمع الاسلامي هو الجسد الكبير الذي تدمج فيه الاعضاء والاجزاء .

١ و ٢ - راجع : الفصول ٨ الى ١٨، من هذا الباب .

٣ - علل الشرائع / ٥٩٢ : البحار ٦ / ٩٣ . والضبط اخذناه من «البحار»، لأنه اصح . راجع بهذا الصدد

ايضاً : الفصل ٤٠، من هذا الباب .

فبناءً على هذا الواقع الراهن، يحدُّ الإسلام كلَّ شيء - فرديٍّ او مجتمعيٍّ - ويُعيِّن له موضعاً خاصاً به وموقعيةً تخصُّه، ويؤكدُ على المحافظةِ عليهما، حتى لا يَنْتَلِمَ ذلك التَّلاحُمُ الموجودُ في الواحدِ الكبير (المجتمع). ومتابعةً لهذا الاصل، فإنَّ الإسلامَ لا يَعْتَرِفُ بالصَّحَّةِ لايِّ شيءٍ، من مالٍ او غيره، الا اذا وَقَعَ في موضِعِهِ اللَّاتِقِ به، من غيرِ ايِّ تجاوزٍ او قصور. وهذا الحُكْمُ جارٍ في الظواهرِ الاجتماعيَّةِ بوجهٍ اخَصَّ. وهذا اصلُ هامٌّ في اطارِ التَّعاليمِ الاسلاميَّةِ، يَجِبُ اَنْ يكونَ دائماً مقياساً من المقاييس.

ففي هذا الضوء، يُضحى المال في الاسلام ايضاً ذا موضعٍ محدودٍ وحَقْلٍ مُؤَشَّرٍ، يُضادُّ الحُرِّيَّةَ واللامحدوديَّةَ، وذلك لانَّ هذا الدِّينَ يَعْمِدُ الى صُنْعِ مجتمعٍ قائمٍ بالقسط، فَيُعَيِّنُ للمالِ وامتلاكِه وامساكِه حدوداً كَيْفِيَّةً وكَمِّيَّةً، حتى يَتَسَنَّى صُنْعُ المجتمعِ المذكور. ومن هنا نَكشِفُ اَنَّ المذهبَ الاقتصاديَّ الاسلاميَّ (وقضيةُ الاقتصادِ من اهمِّ القضايا الاجتماعيَّةِ التي لها دورها المصيريُّ الحاسمُ في تحسينِ مصائرِ المجتمعِ او تشويهِها، وتحسينِ قيمِ الانسانيَّةِ او تضييعِها)، ليس مسائلَ مُبَعَثَرَةً هنا وهناك، بل هو نظامٌ محدَّدٌ خاصُّ ذو تماسكٍ وثيق، وله وَشِيحٌ صَلاتِه بِسائِرِ اقسامِ المجتمعِ ومسائلِه، كما اَنَّ له صَلاتِه الصَّمِيْمَةَ بِسائِرِ اقسامِ الاسلامِ واحكامِه. وَاِنَّ السِّيَاسَةَ المَالِيَّةَ في الاسلامِ تَلْتَمِثُ مع سائِرِ سياساتِه وبرامجِه وتَتَجَاوَبُ معها تَجَاوُباً كاملاً.

ومن لوازمِ الحُكْمَةِ والعدالةِ الالهيةِ الحاكمةِ على نظامِ التَّشريعِ الاسلاميِّ ايضاً، اَنْ تكونَ للمالِ مواضعٌ وَاَنْ تُخَطَّطَ له مسيراتٌ، اذ الاسلامُ من اقوى الدُّعَاةِ الى العدلِ - في تاريخِ الانسانِ الطَّويلِ - والعدلُ وضعُ الشَّيْءِ في موضِعِه، كما يقولُ الامامُ عليٌّ «ع»: «العدلُ يَضَعُ الامورَ مواضعَها». فليس من المعقولِ ان لا يُحدِّدَ الاسلامُ للمالِ حدوداً، وان

نظرة الى الفصل الثالث ..

لا يُعَيَّن له مواضع، وأن يُقَرَّ بالملكيات الحرة وبالوان الاستغلال والاستهلاك من دون اي تأشير او حد.

ولقد سلف أن المال في نظر الاسلام هو القوام للانسان وللمجتمع. ومن اللاحب أنه لا يكون شيء قواماً لشيء الا اذا كان محدداً مؤشراً، فما لاحدود له في نفسه لا قوام له. ومالا قوام له في نفسه لا يكون قواماً لغيره؛ فعليه يضحى من البديهي الضروري ان المال امرٌ محدد في الاسلام، قد جعل له حدود في اصله وامتلاكه ومقاديره وطرق اقتنائه وكيفية استهلاكاته ومصائره، فله مواضع حقيقية في عالم التشريع الاسلامي. والامر في نفس الواقع التكويني ايضاً هكذا.

وهذا مغزى التعليم الذي القاه علينا الامام علي بن الحسين السجاد «ع»، حيث يجعل من حقوق المال - في رسالته المعروفة في «الحقوق» - أن «لا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه»^١. فهناك تحريف اقتصادي وتبدل في صرف المال عن حقائقه، ينبه عليهما هذا التعليم. وأين تلتئم هذه المواضع المحدودة للمال، مع الملكيات الحرة التكاثرية والتصرفات الاترافية والاستهلاكات الباهظة غير الواقفة عند حد او مقدار، مما تنشأ وتنمو وفق الميول والاهواء الارستقراطية، الموجودة في نفوس قوم يملكون ما يشاؤون، بمقدار ما يشاؤون، ويستهلكون ما يشاؤون، كيفما يشاؤون؛ ويستغلون الطبيعة ونعم الله ورازق العباد والصناعات البشرية والانسان الكادح.

ومن المؤسف حقاً أنهم يريدون أن يوحوا للناس أن كل ما يعملونه ينسجم مع الدين. وهناك من يتحمس لهم في هذا الدجل ايضاً، غافلاً او منحازاً، مع أن الحرية المالية تبدل وتحرف مواضع المال التي ارادها الله. فليست هي الا اخراج المال عن مواضعه وصرفه عن حقيقته وهو ظلم -

لأنه وضع الشيء في غير موضعه - والظلم هلاك (هل يهلك الآ القوم الظالمون؟) ، والعدل حياة، كما يقول الامام علي «ع»: «العدل حياة»^٢.
والاسلام لا يواكب الظلم في اي شكل كان، سياسياً او اقتصادياً. ولا يعترف الدين الالهي لالفرعون وهامان ولا لقارون على السواء.

اشارات وتنبهات

١ - أن مواضع المال في مذهب الاسلام الاقتصادي، ليست كمواضعه في مذهب الاقتصاد الاشتراكي او الرأسمالي. وهذا امر واضح، يجب أن يكون هكذا ولا غير. وذلك لأن مواضع المال في دينك المذهبي لا يقصد بها الا تأمين حياة الشعب الاشتراكية - على ما يدعون - او تأمين منافع الفئة المالكة. اما مواضع المال في الاسلام، التي عينها الدين في خطه الكلي العام، فهي تستوعب الحياة الفردية والاجتماعية، في بعديها المادي والمعنوي معاً، وبذلك الاستيعاب تلتحم مع سائر ابعاد وجود الانسان ومتطلباته المتنوعة، فكما أن تأمين حياة الانسان المادية كان مقصوداً من جعل تلك المواضع وتحديدها، كان تأمين حياته المعنوية وحاجاته الاخلاقية ايضاً مقصوداً، وكانت الظواهر النفسية وتهذيبها وتصعيدها ايضاً مهتماً بها ومؤكداً عليها. ولذلك نرى أن التعاليم الاسلامية تشجّب الغنى التكاثري لعلل، منها أنه يوجب سُكْرَ العقل وفساد الدين وقسوة القلب والتغطرس والعجب وفقدان الاحساس وامثالها من الاسقام والامراض المعنوية، فالغايات التي يتبناها الاسلام من تعيين المواضع للمال، ليست منحصرة في الحقول المادية فحسب، بل تتعداها

١ - سورة الانعام (٦) : ٤٧.

٢ - غرر الحكم / ١٥.

نظرة الى الفصل الثالث ..

الى الحُقُولِ الرَّوْحِيَّةِ . والاسلامُ يَنْظُرُ الى كلا الحَقْلَيْنِ نظراً واحداً، فهو حينما يُعَيِّنُ مواضعَ للمالِ وامتلاكِهِ وحدوداً لاستهلاكِهِ يَعْمِدُ الى امرين :

١ - تصحيحُ الاخلاقِ الانسانيةِ .

٢ - تنظيمُ المعيشَةِ الانسانيةِ .

وهو بذينك التَّحْدِيدِينِ - الامتلاكِ والاستهلاكِ - يَسُدُّ البابَ امامَ الاخلاقِ الرَّذِيلَةِ النَّاشِئَةِ من كثرةِ الامتلاكِ وتَرْفِ الاستهلاكِ . وكذلك يَسُدُّ البابَ امامَ الاخلاقِ الرَّذِيلَةِ النَّاشِئَةِ من الفقرِ والاملاقِ . وبهذا المنهجِ يُنَمِّي الهُوِيَّةَ الفِطْرِيَّةَ للانسانِ - وهي هُوِيَّتُهُ الخالصةُ المعتدلةُ - وَيَفْتَحُ امامها آفاقَ التَّفَتُّحِ، وَيُحَلِّقُ بالشخصيةِ الانسانيةِ الى اوجِ، وَيَشْحَذُ عواطفها الباطنةَ السَّامِيَةَ، وَيُمَدُّ الانسانَ لانَّ يَبْرِزَ مواهبها الروحانيةَ من القُوَّةِ الى الفعلِ . اجل، انَّ الاسلامَ يَحْسَبُ حسابَ الصَّلَاتِ العميقةِ بينَ المالِ وبينَ هذه الامورِ سلبياً وايجاباً، ثُمَّ يُعَيِّنُ للمالِ - في جميعِ شؤونهِ - مواضعَ، وَيُؤَكِّدُ على انَّ لا يُحَرِّفَ المالُ عن مواضعه؛ وَيَرى انَّ له حقائقَ وحدوداً، فَيَدْعُو الى ان لا يُصَرَّفَ عن حقائقه ولا يُتَعَدَّى عن حدوده .

وعلى هذا الاساسِ القويمِ تَتَشَابَهُ المواضعُ الالهيةُ الانسانيةُ للمالِ مع جميعِ ما للانسانِ من مصالحٍ لازمةٍ من كلِّ جانبِ، اي الجانبِ الرُّوْحِيِّ والقَلْبِيِّ والجَسْمِيِّ والمادِّيِّ والخُلُقِيِّ والاقتصاديِّ والفردِيِّ والمجتمعيِّ والمعاشيِّ والمعاديِّ، وَيَتَجَاوَبُ كُلُّ واحدٍ من هذه الجوانبِ مع الجوانبِ الأخرى تَجَاوَباً بديعاً بديعاً .

وبهذه الصُّورَةِ الجامعةِ الحكيمةِ البِناءِ التي يُضْفِيها الاسلامُ على الاموالِ ومواضعها، يَتَمَيَّزُ المذهبُ الاقتصاديُّ الاسلاميُّ عن سائرِ المذاهبِ الاقتصاديةِ - الماديةِ الاشتراكيةِ والرَّأسماليةِ الليبراليةِ - تمايزاً باهراً جوهرياً وعميقاً، لآنَّ تلكَ المذاهبِ تَبْتَنِي على انكارِ المواضعِ «الالهيةِ - الانسانيةِ» و«الماديةِ - المعنويةِ» للمالِ ونفيها - كما سلف -

وبذلك الانكار والنفي تبتعد عن الانسان وحياته الروحية، بل تصادمها وتضادها. ولقد مضى في الجزء الاول ان واقع الوجود الانساني واقع مركب من جسم وروح ومادة ومعنى وطبيعة وفطرة؛ ومن المعلوم ان نفي احد جزئي المركب بمعنى نفي المركب نفسه. فمن انكر الجانب الجسمي للانسان واهمل مصالحه وحاجياته، فقد انكر الانسان بالذات واهمله. وكذلك من انكر الجانب الروحي والمعنوي منه ايضاً فقد انكر الانسان واهمله. فعلى اساس هذا الواقع، ان المذاهب الاقتصادية التي تنكر الجانب المعنوي للانسان وتتصدى لان يعين الانسان على حياته المادية الجسمية وحاجياتها - على فرض صدقها في هذه الدعوى والعمل على طبقها - قد انكرت الانسان بالذات ونفته، ونفت كل مقوماته المعنوية وحاجياته المنبعثة من اعماق ذاته وخمائر فطرته واصل جوهره، فهي لا تؤمن غنى الانسان الاصلي، بل تجعله بالنسبة اليه فقيراً. فالانكار المذكور يسف بالاقتماد الى هوة المادية السحيقة، ويفضله عن القيم الاخلاقية والمثل الانسانية التي هي نور الحياة اللامع، وشعاعها السني. والاقتماد المفصول عن القيم والمثل لا يليق بشأن الانسان، كما ان القيم والمثل المفصلة عن الاقتصاد، لاتضمن للانسان قواماً ولا للمجتمع كياناً.

٢ - من الفوارق الهامة التي نشاهدتها بين مذهب الاسلام الاقتصادي والمذهبين الآخرين، ان المال في الاول سائر في مداره الطبيعي، وهو الحد القوامي الذي يكون سبباً لحياة الفرد وبقاء المجتمع، مع ان الامر في الآخرين ليس كذلك، لان المال في النظام الرأسمالي لا يحد بحد ولا يقدر بمقدار، فيكثر عند فئة قليلة حرة في الاستغلال والاستهلاك وينمو نموه السرطاني، فيخرج عن حده القوامي الحياتي، وبذلك ينقسم المجتمع الى قسمين غير متجانسين كما وكيفا: الى

نظرة الى الفصل الثالث ..

قطاعات كثيرة ساقطة في مهاوي الاملاق والفقير، وفئة قليلة غارقة في
أبحر التكاثر، مُتمرَّعة في عرصات البَذخ والإتراف؛ وبالتعبير القرآني :
المَلأ والنَّاس . المَلأهم الفئة الثرية والناس هم القطاعات البائسة .
في هذا الضوء، يكون اللازم الجوهرى للنظام الرأسمالي هو تحريف
المال عن مواضعه، اذ المال يتحوّل فيه من عامل قوام المجتمع وثباته
السالم، الى عامل تلاشيه وانهيائه، ومن عامل تنظيم الصّلات
الاقتصادية بين الناس وتعديلها، الى عامل توتر تلك الصّلات وتنافيها .
والامر في المذهب الاشتراكي كذلك، حيث انه أيضاً يحرف المال
عن مواضعه، لأن قطع يد الانسان الحر عن اي نوع من الامتلاك والكسب
واقتناء المال والامتعة، واعطاءه شيئاً من حاجياته، ثم استعماله كاداة معدة
للعمل في المصانع والمعامل والمزارع (والضّغط على عواطفه
وايمانه)، ليس الا اهانة للانسان وكرامته، وتحريفاً للمال عن مواضعه، مع
ما فيه من سلخ الانسان عن فطرته وفصله عن جوهره، ونفي سلطته على
نفسه وماله، وحرمانه من حياته الخالدة وسعادتها .

٣ - من الآثار السلبية لتحريف المال عن مواضعه في المذهبين،
تحويل الوسيلة الى غاية، فإن المال اذا فصل عن موضعه الحقيقي - وهو
كونه ذريعة للحياة ومصحة للناس - الى غاية مُتبنّاة للانسان او الدولة، او
للحفنة الثرية، يتحوّل الفرع التذرعى الى الاصل الغائي . وعند ذلك
لا يبقى المال حبه وطلبه للانسان المحب له، العابد للذراهم والدنانير - او
التوامين، او الليرات، او الدولارات - فراغاً لطلب القيم الانسانية والمثل
المعنوية . وكذلك لا يبقى مجال لطلب الفضيلة والخير عند البائسين
والفقراء . وعند ذلك ينجر الامر الى وضع أبشع وحالة أسوء، لأن تحريف
المال عن موضعه يؤدّي الى تحريف الانسان عن موضعه، والانسانية عن
موضعها ايضاً، فيصير الانسان وحياته السليمة - اللذان كانا هدفاً وغاية -

وسيلةً، ويصيرُ المال - الذي كان وسيلةً وذريعةً - هدفاً وغايةً، ويألها من خسران؟!!

نعم، إنَّ المالَ في المذهبين يصيرُ غايةً لكلِّ حركةٍ واتِّجاه، حتَّى الحركاتِ الفكريةِ والثقافيةِ، إمَّا من ناحيةِ الحُكمِ او الرأسماليين . ويُعدُّ هو المقياسُ لكلِّ امر، حتَّى إنَّ المعنويَّاتِ والدينَ لا تُقيَّمُ عندهم الآ بمعاييرَ ماديَّةٍ وماليَّة، كما كان سابقوهم يقولون: «إنَّ الله فقيرٌ ونحن اغنياء»^١، و«فلولا القيِّ عليه أسورةٌ من ذهب؟»^٢.

وعند ذلك تُصبحُ القيمُ الانسانيةُ والمقاييسُ المعنويةُ لا تُعدُّ شيئاً يُعتدُّ به ويُركنُ اليه، ولا يكونُ الانسانُ مُحتلاً لمركزه الحياتيِّ اللائق، لأنَّه يُصبحُ أداةً للاستغلالِ والانتاج - في الاقتصادِ الاشتراكيِّ - او خازناً للمالِ وأرباحه - في الاقتصادِ الرأسماليِّ - نعم، ليس هو الآ العُوبةُ بيدِ الحُكَّامِ الرأسماليين وشركائهم، او العُوبةُ بيدِ رجالِ الحزبِ الحاكمِ في النظامِ الشيوعيِّ . وهذا أسرُّ الانسانِ في شبكاتِ فرَضها عليه هذا او ذاك .

ومما يوجبُ الأسفَ أنَّ قيمةَ الانسانِ الغاليةَ وشخصيتهَ العاليةَ، تُقدَّرُ في تلكِ الانظمةِ الاقتصاديةِ، بِسعرِ النقودِ، ويُعطى لكلِّ انسانٍ قيمةً على قدرِ ما يُولدُ ويُنْتِجُ . وبذلكِ يتبدَّلُ الانسانُ بالتدرُّجِ الى سِلعةٍ، والشخصُ الى شيءٍ . وهذا ايضاً تحريفٌ للانسانِ بالاضافةِ الى أنَّه تحريفٌ للمالِ . وهذه الاثارُ السلبيةُ الفادحةُ التي تلحقُ الانسانَ والانسانيةَ - الناشئةُ من تحريفِ المالِ عن مواضعه، المُنبِغةُ عن الابتعادِ عن دينِ الله الحنيفِ والحقِّ المبينِ - لا تختصُّ بالفقراءِ والبائسين، او الاغنياءِ والمُترفين، بل تعمُّ الفريقينِ على السواءِ . فلا يظنُّ ظانٌّ أنَّ السلبياتِ المذكورةِ امورٌ مختصةٌ بالمُعْدَمين، لا، بل يجتَرِفُ تيارها المهلكُ المُبيدُ الاغنياءَ ايضاً، كما

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٨١ .

٢ - سورة الزخرف (٤٣) : ٥٣ .

نظرة الى الفصل الثالث ..

سُنسلطُ عليها الاضواء في الفصولِ القادمة، إن شاء الله تعالى .
٤- وهناك شكلٌ آخرٌ من تحريفِ المالِ عن مواضعه، يُنتجُهُ المذهبُ
المادِّي الاشتراكيّ - كما اشرنا اليه - وهو في جعله الحياةَ الماديّة والقضيّة
الاقتصاديّة غايةً واصلاً، مع انكارٍ ما هنالك من فطرةٍ وروحٍ ومعنى .
فالاقتصاديّون الماديّون الاشتراكيّون، لا يفهمون لسعادة الانسان
واسعاده معنى، الا ما يرجعُ الى سدِّ أعوازه الماديّة، بصورةٍ ما . وبذلك
يُخرجون الانسانَ عن منظومته الوجوديّة، ويُبطلون واقعيّته المركّبة،
ويُسقطونه من مستواه الاصليّ، ويشطّبون فوق نزعاته المعنويّة الفسيحة
بقلمٍ عريض، ويحبسونه - مع ماله من آفاقٍ واسعةٍ في الوجود - في إطارٍ
ضيّقٍ لا يتجاوزُ الاكلَ والشربَ واللُبسَ والسكّنَ والصّحّةَ والكّدْحَ
والعمالّة - في الأغلب .

اجل، إنهم يُبطلون الفطرةَ الانسانيّةَ وما تقتضيه وتطلّبه، وينفون
صميمَ وجودِ الانسانِ الموضوعيّ، ويحوّلون ادواتِ تفتحِ مواهبه الفياضة،
في مداراتِ حياته السّرمديّة، الى عاملٍ لتغطيةِ استعداداته الباطنة،
ولسلبِ ما يتمتّع به من معنى انسانيّ خالد .

وبهذه الاشكال التي اشرنا اليها، نرى أنّ المالَ المحرّفَ عن
موضعه، يُثبتُ قيماً كاذبةً مصطنعةً، في المذهبِ الرأسماليّ؛ وينفي قيماً
صادقةً اصليّة، في المذهبِ الاشتراكيّ . وكلا المذهبين محكومان بالفناء،
بالقياسِ الى الانسانيّة الكبرى، لانحرافهما عن المسيرة الواقعيّة التي
تواكبُ الواقعَ والفطرة، والحقيقةَ والانسان، والقيّمَ والخلود، ولمضادّتهما
للمخطّطات القائمةِ الحاكمةِ على الكون، وعلى المجتمعِ الانسانيّ العامّ،
وعلى فطرة الانسانِ وقلبه وواقعه الموضوعيّ .^١

١ - ولاجل ذلك نسمّع ونرى أنّ الانسانَ في البلادِ الرأسماليّة يتمرّدُ على النظم، وفي البلادِ
الاشتراكيّة يميلُ شيئاً فشيئاً، الى القضايا الروحية والمنطلقاتِ الدنيّة.

استنتاج هام

لقد اتضح مما عرضنا، أنّ التحريفَ الموضوعيَ للمال، يستتبعُ التحريفَ الموضوعيَ لسائرِ الاحكامِ الاسلاميّةِ . وذلكَ للصّلةِ الوثيقةِ بينِ احكامِ الاسلامِ وطُقوسِهِ عامّةً . ومن هنا نشاهدُ القرآنَ الكريمَ يُنددُ بالَّذينَ يُحرّفونَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ، من الّذينَ هادوا .^١ وذلكَ بتحليلِهِمُ الحرامَ وتحريمِهِمُ الحلالَ . وبهذا التّقريرُ يُحذّرنا اللهُ عن تحريفِ الكَلِمِ - وهي احكامُ الدّينِ وحدودُهُ وتعاليمُهُ - عن مواضعِهِ . والكَلِمُ اسمٌ للجنسِ، فتحريفُ آيةٍ كلمةٍ من كَلِمِ اللهِ عن مواضعِها يُعدُّ تحريفًا للكَلِمِ . فالكلمةُ الالهيةُ التي تتعلّقُ بالمالِ واحكامِهِ وبتعيينِ مواضعِهِ وحدودِهِ، اذا حرّفتَ عن مواضعِها، يُؤدّي ذلكَ الى تحريفِ سائرِ ما هنالكَ من الكَلِمِ الالهيةِ والاحكامِ الاسلاميّةِ (ولا سيّما الاحكامِ الماليّةِ والاقتصاديّةِ)، اذا الاسلامُ مجموعةٌ واحدةٌ متلاحمةٌ ونظامٌ وحدائيٌّ منسجمٌ، لا تتفرّقُ طقوسُهُ، ولا تتبعثرُ نواميسُهُ .

فمن الصّحيحِ أن نقولَ: لكلِّ حكمٍ من الاحكامِ الاسلاميّةِ - الماليّةِ وغيرها - موضعٌ وحقيقةٌ .^٢ وإنّ تلكَ المواضعَ والحقائقَ تتشابهُ وتتواشجُ وتواشجُ الاجزاءَ مع الكلِّ؛ ومن الواجبِ أن لا يُحرّفَ أيُّ حكمٍ عن مواضعِهِ، ولا يُصرّفَ عن حقيقتهِ . ومن المعلومِ أنّ هذه المواضعَ والحقائقَ الثابتةَ للكَلِمِ التّشريعيّ، لها ارتباطٌ وثيقٌ وتماسكٌ متجاوبٌ بالكَلِمِ الالهيةِ التّكوينيةِ، اي بالطبيعةِ العامّةِ والفطرةِ الانسانيّةِ والكونِ الاعظمِ - ضرورةً تواكبُ الكَلِمِ في النّظامينِ، كما سلّفتِ الاشارةُ اليه - وهذه الواقعيّةُ الرّاهنةُ هي الدّليلُ القاطعُ على فطريّةِ هذا الدّينِ والهيتهِ

١ - سورة المائدة (٥) : ٤١ .

٢ - راجع : كلمتنا في الفقرة ١٦، من «التصدير»، حول وجودِ «المركز» و«التّرابُط» لكلِّ حكمٍ .

وخلوده .

فَالنتيجة : أَنَّ تحريفَ الكَلِمِ الالهيِّ عن مواضعه - ومنها تحريفُ
كَلِمِ المالِ (الاحكامِ الماليَّة) - يُساوِقُ تَبديلَ الاحكامِ التَّشريعيَّة . وهو
يُساوِقُ - بحسَبِ الواقعِ التَّلاحميِّ للعالمِ - تحريفَ الظَّواهرِ الطَّبيعيَّةِ
والحقائقِ الانسانيَّةِ والمظاهرِ الفطريَّةِ والمؤشَّراتِ الكونيَّةِ عن مواضعِها
التَّكوينيَّةِ . وهذا يُساوي الاخلالَ في منظومةِ الحياةِ الانسانيَّةِ، المتلاحمةِ
مع حياةِ الكائناتِ عامَّة . وأما بالنَّسبةِ الى المجتمعِ الانسانيِّ، فتحريفُ
الكَلِمِ الماليِّ يُوجبُ فساداً هائلاً كما يقولُ القرآنُ : «الهاكُمُ التَّكاثُرُ *
حتى رُزِمَ المُقابرُ»^١.

إنَّ هذه الآيةَ الحاسمةَ، في اسلوبِها المُعجزِ، وايجازِها اللامعِ،
ومبناها القويمِ، ونسجِها البلاغيِّ الحكيمِ، تُفيدُ البشريَّةَ بأنَّ التَّكاثُرَ
الماليِّ يُلهي المجتمعَ الانسانيَّ عن طلبِ الفضائلِ والخيراتِ، وتبنيِّ
الغاياتِ الحكيمَةِ والصالحَةِ والاهدافِ الانسانيَّةِ الفاضلةِ، فيُهْلِكُ
الانسانَ - ضرورةً هلاكِ الانسانِ المُلهي^٢ - ويُضِلُّه ويُضدُّه عن
الصِّراطِ السَّويِّ، حتى يَجْرَهُ الى ساحةِ الموتِ وعرصاتِ الزَّوالِ .
وكذلك تكونُ عاقبةُ المجتمعِ المُضَلِّ . وعلَّةُ ذلك أنَّ التَّكاثُرَ خروجُ
عن مواضعِ المالِ المحدِّدةِ له .

ولعلَّه قد اتَّضحَ لدى المُستَشْفِينِ للحقائقِ، ممَّا سَلَفَ من الأبحاثِ،
أنَّهُ يَجِبُ على كلِّ من يُريدُ عرفانَ المذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلامِ، أن
يَعْرِفَ اولاً ذلكَ الكَلِمِ الاقتصاديِّ في هذا الدِّينِ ومواضعَهُ التَّأثيريَّةِ،
ومُعْطَيَاتِهِ القويمةَ، في سياقِهِ القرآنيِّ والحديثيِّ، حتى يُتاحَ له الوصولُ الى
عرفانِ المذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلامِ . ومع عدمِ هذا العرفانِ لذلكِ

١ - سورة التَّكَاثُرِ (١٠٢) : ١ - ٢ .

٢ - راجع ايضاً : الفصل ٢، من هذا الباب، الفِقرَتَيْنِ ٣ و ٤ .

الكلم ولتلكم المواضع، يقع الباحث - وإن كان متفقاً أو فقيهاً بالمعنى المصطلح - في ورطات الخلط والتغليط والمحدودية في الاطلاع على ما يجب الاطلاع عليه بشكل مستوعب . واذا تورط الباحث، لا يأتي بما يكون مناسباً للاسلام - المبيد لجميع صور الظلم والعدوان - لانه يبحث عن جانب ويخفي عليه جانباً او جوانب . وهذا ما لا يرضى منه روح الملاحظة وواقع التكليف وحقيقة الاجتهاد، لانه انحراف عن المنهج العلمي، وابتعاد عن الفهم المجموعي والموضوعي لطقوس الدين، ومعاكسة لجوهر التفقه والاجتهاد، وفرار عن معالجة «الحوادث الواقعة» حق المعالجة، كما اتفق ذلك في كثير من الاوقات في تاريخ هذا الدين . والغاية القصوى التي يتبناها هذان البابان من كتاب «الحياة»، هي ان يتبلور امام القارئ النابه - ولا سيما العلماء المتفقيين من المجتهدين والاستاذة المحققين، وطلاب العلوم الاسلامية الواعين - مواضع الكلم الاقتصادي الالهي والاحكام الاقتصادية بجميع تأشيراتها في الاسلام، في حالة صلتها بكل ما هنالك من طقوس - اقتصادية وغير اقتصادية - صلة متوشجة لايسع الباحث الفقيه غض النظر عنها، حتى نستخلص بذلك نظرات الاسلام الى المال والى مواضعه وحقائقه، وحلوله لقضايا الاموال وتداولها بين الناس ومالها من المسائل والمشاكل، وما يعد تحريفاً لموضع المال وما لا يعد، وحتى نستنبط القضية المالية في الاسلام استنباطاً اسلامياً مستوعباً، لا يشذ عن مجموعة ما يقوله الاسلام عن الاموال .

والآن، لان نشع على هذا المبحث الهام نقدم الى القارئ مثلاً : قد جاء في القرآن والاحاديث الاذن في التجارة والاستيراد، الامر بطلب الرزق من هذا الطريق ايضاً . وهناك في الناس من يستدل بهذه التعاليم على صحة التجارة والاستيراد ولو في حقل تكاثيري يستتبع تضخم

الاموالِ الطَّائِلَةُ لَدَى التُّجَّارِ وَمِنَ اليَهُم . وفي المُتَحَمِّسِينَ مِن يَرَقِي الي القولِ بَانَ مَنْ يَمْنَعُ الاستِيرادَ الحُرَّ (مع أَنَّهُ مِن اهُمَّ بواعثِ التَّكاثُرِ والعدوانِ المَالِيَّ عَلَى النَّاسِ وفرضِ الفقرِ عَلَيْهِم)، وَيَرَى الاسلامَ مخالفاً لِنواعِ هذهِ المَوارِدِ المَالِيَّةِ والتَّجَارِيَّةِ (المُضِرَّةُ بِالاسلامِ والمُجْتَمَعِ)، فهو مَنَوىءٌ لِحُرِّيَّةِ التَّمَلُّكِ والتَّعَامَلِ وَيَسَارِي المَذهبِ . وَإِنَّ هَؤُلاءِ غافِلونَ - او متغافلونَ - عَن أَنَّ تَلِكُمُ التَّعَالِيمَ إِنَّمَا أذِنَتْ فِي التَّجَارَةِ بِصُورَةٍ مَشْرُوعَةٍ، وَأَمَرَتْ بِطَلَبِ الرِّزْقِ الحَلالِ، وَأَكَّدَتْ عَلَى الاعتدالِ فِي الطَّلَبِ .^١ وَكانَ كُلُّ ذَلِكَ لِتَأْمِينِ مَعيشَةٍ سَلِيمَةٍ كَفايَةٍ مِن طَريقِ الكَسْبِ والتَّجَارَةِ، فِي ظُروفِ العَصُورِ السَّالِفَةِ، مَعَ حُدُودِها ومُحدُودِياتِها المَعروفَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقدَ أَمَرَتْ بِتَخْفِيفِ الرِّبْحِ او عَدَمِهِ . فَأَيُّنَ هُوَ مِن التَّسْوِيعِ الاسلامِيِّ بِالنَّسْبَةِ الي التَّبادلاتِ التَّجَارِيَّةِ الحَدِيثَةِ، وارِباحِها الباهِظَةِ المُدْمِرَةِ، التي يُعَدُّها القُرْآنُ والحَدِيثُ بواعثَ لِلهَلَاكِ والفسادِ، وَعواملَ مُلْهِيةً عَن اللّهِ والحَقِّ والمعادِ .

إِنَّ التَّجَارَةَ وَالاستِيرادَ، وَالملِكِيَّةَ الحاصِلَةَ مِنْهُما، فِي حَيَاةِ الانسانِ الجَدِيدِ، تَخْتَلِفانِ اخْتِلافاً اَصُولِيّاً بَيْنَما عَمَّا كانَ فِي الأَعْصُرِ القَدِيمَةِ . وَلذاكَ فَإِنَّ التَّكاثُرَ المَلْزَمَ لِلاستِيرادِ الحُرِّ فِي الاقْتِصادِ الحَدِيثِ، لا يُعَدُّ «طَلَبُ الرِّزْقِ الحَلالِ» ابداً - الَّذِي دَعَتْ اليه التَّعَالِيمُ الدِّينِيَّةُ - وَلا تَأْمِينَ كَفايَةَ العيشِ وَبُلْغَتِهِ، الَّذِي صَحَّحَهُ الاسلامُ وَسَوَّغَهُ، بَلْ هُوَ تَعَدُّ عَن حَدِّ الرِّزْقِ وَالكَفايَةِ . فَالِإِذْنُ الصَّادِرُ مِنَ الاسلامِ فِي التَّجَارَةِ لَمْ يَصُدُرْ لِتَضخِيمِ الثَّرَواتِ وَالغارَةِ عَلَى اموالِ النَّاسِ، بَلْ صَدَرَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ الحَلالِ وِرفَعِ الكَلِّ عَنِ الآخَرِينَ، وَلَسَدَّ حَاجاتِ النَّاسِ لِمَنْ يَطِيقُ، بِاِستِيرادِ ما يَحْتَاجونَ اليه وَبيعه مِنْهُمُ بِيَعاً سَمِحاً . وَهذا الواقِعُ التَّعليمِيُّ اِصْدَقُ شَاهدٍ عَلَى لَزومِ تحديدِ الرِّبْحِ وتَخْفِيفِهِ، وَتَحذِيرِ التُّجَّارِ وَالْمُسْتورِدِينَ مِن كُلِّ

١ - راجع : الفصل ٣، من هذا الباب، فقرة «ي».

صورة من صور التكاثر والاستزادة في الارباح . هذا هو الموقف الاسلامي الحاسم في الاستيراد .

فالمستورد في الاسلام، من يسعى ويكُدُّ لجلب الامتعة وتقريبها الى ايدي المشترين وجعلها في متناول الناس غير القادرين على الاستيراد، وهو «المضطرب بماله، المترفق ببدنه، الجالب للمنافع والمرافق من المباعِد والمطارح، في البر والبحر والسهل والجبل، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها»^١. ومع ذلك يقتنع بربح زهيد، ولا يغالي بالسعر، ولا يحتكر، ولا يطفف، ولا يبخس الناس اشياءهم، فيطلب بذلك رزقاً حلالاً على مقدار متعارف، فيقدم للمجتمع عملاً وخدمةً باستيراده، فيعاض منه بما يعيش به عيشةً سالمةً قانعةً مقصدية . وكل ذلك بلا «ضيقٍ فاحشٍ، وشحٍ قبيحٍ، واحتكارٍ للمنافع، وتحكمٍ في البياعات ..»^٢. هذا هو التاجر المرضي عند الاسلام . وهذه هي التجارة الاسلامية والاستيراد الاسلامي .

واما من يقعد في بيته ويرفل في حياة مترفة، هو وذووه، ويشترى ويبيع الصفقات الهائلة بفضل ادوات الاستيراد الحديثة، ويحصل بذلك على اموال متكدسة، بدون سعي او كد، بل بفضل علاقته بالشركات العالمية - الداخلية والخارجية - التي تسيطر على السلع والبضائع، حيث تتلعب الاموال بأسعار مجحفة متجاوزة للحدود، فهو تاجر مسلم، وعمله تجارة اسلامية مطابقة للمقاييس، مرضية عند الله وعند الرسول «ص»؟ (ويكون مخالف هذا المستورد وامثاله، المندد بعدوانهم المالي ومظالمهم الاستيرادية يساريًا؟)، امن يحتكر السلع والامتعة عند حاجة الناس اليها حتى يرتفع سعرها؟ امن يخلق بالدعاية المموهة الطلب الكاذب في الاسواق لبيع البضائع باغلى ثمن؟ امن يعامل بطرق اخرى غير اسلامية

نظرة الى الفصل الثالث ..

لجراً الاموالِ وصَبَّها في الكيس؟ اهؤلاءِ يَعْمَلُونَ لطلبِ الرِّزْقِ الحلالِ،
وَيُجْمَلُونَ في الطَّلَبِ، كما أمرَ به الدِّينُ واوليائُه، ويكونُ مخالِفاً، ممَّنْ
يَرومُ إقامةَ القسطِ الاسلاميِّ في الجماهيرِ، يَسارياً؟
فعلى هذا، يَتَحَدَّدُ الاستيرادُ الَّذي اذنَ فيه الاسلامُ. وإنَّ سائرَ ما
هنالك تَشْمَلُهُ الآياتُ والاحاديثُ التي تَنْهَى عن التَّكاثُرِ والِإِترافِ
والاسرافِ والحرصِ في الطَّلَبِ والتَّضخُّمِ في الرِّبْحِ والاجحافِ
بالاسعارِ.

وهذا الَّذي عرضنا نموذجُ من تحريفِ المالِ عن مواضعه، ولها
نماذجُ اخرى كثيرةٌ. وعلَّةُ وقوعِ هذه التَّحريفاتِ في المواضعِ الماليَّةِ في
المجتمعِ الاسلاميِّ، هي عدمُ عرفانِ الموضعِ الالهيِّ للمالِ في النظامِ
الاسلاميِّ^١. وكذلك يَكُونُ حالُ مَنْ لا يُحارِبُ هذه التَّحريفاتِ ولا يراها
فجائعَ في حياةِ المسلمين، فإنَّه لا يَعْرِفُ الموضعَ الالهيِّ للمالِ، كائناً من
كان.

ولقد جاءَ في القرآنِ، بصدِّ تحكيمِ المواضعِ الالهيةِ والانسانيةِ
لِنِعْمِ اللّهِ والاموالِ، بعدَ قوله تعالى: «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ»^٢، قوله:
«وَاشْكُرُوا لَهُ»^٣؛ وبعدَ قوله: «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً»^٤، قوله: «وَآتَقُوا
اللّهَ»^٥. والَّذي يُستفادُ من هذا الموقفِ الَّذي يَتَّخِذُهُ القرآنُ الكريمُ، في
قضيةِ الاموالِ والاستفادةِ منها، امرانِ هامانِ:

١ - تعيينُ نوعِ الاستمتاعِ من النِّعمِ، وهو كونُها ذريعةً كماً وكيفاً،
لا غايةً مُستَقْطَبَةً.

٢ - تنميةُ التقوى الاجتماعيَّةِ، لحفظِ مواضعِ النِّعمِ الالهيةِ

١ - راجع لـ «تعريف المال» في الاسلام: الفصل ٢٤، من هذا الباب.

٢ و ٣ - سورة سبأ (٣٤): ١٥.

٤ و ٥ - سورة الانفال (٨): ٦٩.

والثروات الموهوبة، وللتحذير من الاتراف والاسراف والاتلاف .
 ولقد فسرت الاحاديث تلك الآيات القرآنية الاقتصادية، التي اكدت
 على مواضع المال والتحفظ عليها، فقول الامام الصادق «ع»: «المال مال
 الله»^١، يفسر هذه الآية: «وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ»^٢؛
 وقوله «ع»: «جَوِّزْ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا قَصِداً وَيَشْرَبُوا قَصِداً...»^٣، يفسر قوله
 تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا»^٤؛ وقوله «ع»: «قَصِداً...»^٥، يفسر ايضاً قوله
 تعالى: «وَلَا تُسْرِفُوا»^٦، و«وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ»^٧.

نعم، إنَّ التَّعَالِيمَ والتَّعَابِيرَ الحديثية التي اوردنا شذرة منها في
 الكتاب، هي التي تُفسرُ مغازي الآيات السماوية وتبين مراميها التعليمية
 والتربوية. ولا يستغني احد في الاستفادة من «كتاب الله» وتفسيره
 والاهتداء به عن الرجوع الى احاديث العترة الهادية «ع»، ضرورة ملازمة
 «الثقلين»، في التعليم والهداية والتربية والارشاد، وصنع الافراد وبناء
 المجتمعات.

١ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٧.

٣ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٤ - سورة البقرة (٢) : ٦٠، و..

٥ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٦ - سورة الاعراف (٧) : ٣١.

٧ - سورة طه (٢٠) : ٨١.

الفصلُ الرَّابِعُ

المؤشّرات التّوجيهيّة (١)

أ - الامداد الالهّي بالاموال (المنابع الطبعيّة، المناجم، الزراعة،
التجارة، الصّناعة ..)

الكتاب

- ١ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ١..
- ٢ وَيُؤَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً* ٢
- ٣ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً* ٣

* قال الشيخ ابوعلّي صاحب التّفسير: «اي: يُجري لكم
السّفنَ "في البحر" بما خلق من الرّياح، وبأن جعل الماء على وجه
يُمكن جري السّفن فيه . "لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ" اي: لِتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ

١ - سورة الإسراء (١٧) : ٦.

٢ - سورة نوح (٧١) : ١٢.

٣ - سورة الاسراء (١٧) : ٦٦.

اللَّهِ تَعَالَى بِرُكُوبِ السُّفُنِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، فِيمَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاكُمْ مِنْ التَّجَارَةِ...»^١ فَلَا يَذْهَبُ عَلَى الْقَارِئِ مَا فِي هَذَا الْبَيَانِ، مِنْ الْإِلْمَاحِ إِلَى كَوْنِ التَّجَارَةِ سَبَبًا لَصَلَاحِ حَالِ النَّاسِ وَسَدِّ حَاجِيَّاتِهِمْ وَقَوَامِ مَعَاشِهِمْ . فَالاستِزَادُ بِرُكُوبِ الْبَحْرِ وَامثَالِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاكُمْ، أَي دُنْيَا النَّاسِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللَّهِ عَامَّةً . فَمَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِتِلْكَ التَّجَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي أَجَازَهَا الْإِسْلَامُ وَصَوَّبَهَا .

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع» : .. وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِرًا لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَبًا لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرْكُ الْآجَلِ فِي أُخْرَاهُمْ؛ بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ^٢..
- ٢ الامام الصادق «ع» - عَنْ أَبِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ «ع»، فِي جَوَابِ مَنْ سَأَلَهُ عَنِ الدَّنَائِرِ وَالدَّرَاهِمِ، وَمَا عَلَى النَّاسِ فِيهَا : هِيَ خَوَاتِيمُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، جَعَلَهَا اللَّهُ مِصْحَةً لِخَلْقِهِ، وَبِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤُونُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ^٣.

* راجع ايضاً: الفصل الأول، فقرة «د» .

١ - مجمع البيان ٦ / ٤٢٧ .

٢ - الصحيفة السجادية / ٦٩ (الدعاء ٦) .

٣ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣ .

ب - الحث على طلب البلغة والاكتفاء الذاتي

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ، فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ..^١
- ٢ .. وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً، لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ ..^٢
- ٣ .. وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ، لِيَتَّبِعُوا مِن فَضْلِهِ ..^٣
- ٤ فَكُلُوا بِمَا غَنِمْتُمْ ..^٤

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ! فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الْإِصْبَاحِ، وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ، وَبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ الْأَقْوَاتِ ..^٥
- ٢ الامام الباقر «ع»: مَنْ طَلَبَ (الرِّزْقَ فِي) الدُّنْيَا اسْتَعْفَا عَنِ النَّاسِ، وَتَوَسَّعاً عَلَى أَهْلِهِ، وَتَعَطَّفَاً عَلَى جَارِهِ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَجْهُهُ مِثْلُ

١ - سورة الجمعة (٦٢) : ١٠ .

٢ - سورة الاسراء (١٧) : ١٢ .

٣ - سورة فاطر (٣٥) : ١٢ .

٤ - سورة الانفال (٨) : ٦٩ .

٥ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٧٠ (الدعاء ٦) .

القمر ليلة البدر. ١

٣ الامام الصادق «ع»: يا هشام! إن رأيت الصّفين قد التّقىا، فلاتدع طلب

الرّزق في ذلك اليوم. ٢

٤ الامام الصادق «ع»: إن ظننت، او بلّغك أنّ هذا الامر كائن في غد، فلاتدعن

طلب الرّزق، وإن استطعت أن لاتكون كلاً فافعل. ٣

٥ الامام الصادق «ع» - عليّ بن عبدالعزيز قال: قال ابو عبدالله: ما فعل عمر

ابن مسلم؟ قلت: جعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة، فقال:

ويحّه، أما علم أنّ تارك الطلب لا يستجاب له دعوة؟ إنّ قوماً من اصحاب

رسول الله «ص»، لما نزلت: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من

حيث لا يحتسب»، أغلقوا الابواب واقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا.

فبلغ ذلك النبي «ص» فأرسل اليهم فقال: «ما حملكم على ما صنعتم؟»

فقالوا: يا رسول الله! تكفل الله لنا بارزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال:

«إنّه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب!». ٤

٦ الامام الصادق «ع» - عن سليمان بن معلّى بن خنيس، عن ابيه قال: سأل

ابو عبدالله «ع» عن رجل - وأنا عنده - فقيل له: أصابته الحاجة. قال:

«فما يصنع اليوم؟» قيل: في البيت يعبد ربه. قال: «فمن أين قوته؟». قيل:

من عند بعض إخوانه. فقال ابو عبدالله «ع»: «والله للذي يقوته أشد

عبادةً منه». ٥

٧ و ٢ - الكافي ٥ / ٧٨.

٣ - الكافي ٥ / ٧٩.

٤ - الوسائل ١٢ / ١٥.

٥ - الكافي ٥ / ٧٨.

الفصل الرابع : المؤشرات .. (١)

* ولقد عَقَدَ شيخنا الكليني، في كتاب «المعيشة» من «الكافي» ابواباً بهذا الصدد، كباب «ما يجب من الاقتداء بالائمة - عليهم السلام - في التعرض للرزق» و باب «الحث على الطلب والتعرض للرزق»^١ وكذلك عَقَدَ شيخنا الحرّ العاملي، في كتاب «التجارة» من «الوسائل» بابين بهذين العنوانين :

- (١) - باب استحباب طلب الرزق ووجوبه مع الضرورة .
- (٢) - باب كراهة ترك طلب الرزق وتحريمه مع الضرورة^٢.

ج - الاقتصاد في المعيشة والتأكيد الحاسم عليه

الكتاب

- ١ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا*^٣
- ٢ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا*^٤

١ - راجع : الكافي ٥ / ٧٣ و ٧٧.

٢ - راجع : الوسائل ١٢ / ٩ و ١٣. وقال في «الفصول المهمة في اصول الائمة - ع» : «باب ٥٢، وجوب طلب الناس الارزاق بقدر الكفاية، واستحباب طلب ما زاد للتوسعة على العيال ونحوها» / ٢٩، الطبعة الحجرية .

٣ - سورة الاسراء (١٧) : ٢٩.

٤ - سورة الفرقان (٢٥) : ٦٧.

الحديث

- ١ النبي «ص»: ما عالَ امرؤُ قَطُّ على اقتصاد. ^١
- ٢ النبي «ص» - فيما اوصى به الامام علي بن ابي طالب: يا علي! ثلاثٌ موبقاتٌ وثلاثٌ مُنجياتٌ .. واما المُنجياتُ فالعدلُ في الرضا والغضب، والقصدُ في الغنى والفقْر. ^٢
- ٣ الامام علي «ع»: ما عالَ امرؤُ اقتصد. ^٣
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ اقتصدَ في الغنى والفقْر، فقد استعدَّ لنوائبِ الدهر. ^٤
- ٥ الامام علي «ع»: عليكم .. بالقصدِ في الغنى والفقْر. ^٥
- ٦ الامام علي «ع»: مَنْ لم يُحسِنِ الاقتصاد، أَهْلَكَهُ الاسراف. ^٦
- ٧ الامام السجّاد «ع»: .. قومني بالبذلِ والاقتصاد. ^٧
- ٨ الامام السجّاد «ع»: .. متّعني بالاقتصاد. ^٨
- ٩ الامام الباقر «ع» - فيما قاله لابنه الامام الصادق: يا بني! عليك بالحسنة بين السّيئين تمحوهُما. قال: وكيف ذلك يا اَبه؟ قال .. ومثلُ قوله: «والذين

١ - تحف العقول / ٤٨.

٢ - تحف العقول / ١٥؛ و ٨، من طبعة الفقاري.

٣ - نهج البلاغة / ١١٥٣؛ عبده ٣ / ١٨٥.

٤ - غرر الحكم / ٢٩٦.

٥ - مستدرک نهج البلاغة / ٢٠.

٦ - غرر الحكم / ٢٧٤.

٧ - الصّحيفة السّجّادية / ٢٠٢ (الدعاء ٣٠).

٨ - الصّحيفة السّجّادية / ١٣٧ (الدعاء ٢٠).

الفصل الرابع: المؤشرات.. (١).

إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقْتَرُوا»، فأسرفوا سيئة، وأقتروا سيئة، وكان بين ذلك قواماً حسنة، فعليك بالحسنة بين السيئتين^١.

* راجع: الفصل الثامن والعشرين، من هذا الباب ايضاً.

د - التقدير في المعيشة واهميته

الكتاب

* لاحظ الآيتين المذكورتين في الفقرة السابقة.

الحديث

- ١ - الامام علي «ع»: التقديرُ نصفُ العيش^٢.
- ٢ - الامام السجاد «ع»: .. وَعَلَّمَنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ^٣.
- ٣ - الامام الباقر «ع»: الكمالُ، كلُّ الكمال، التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ، وَتَقْدِيرُ المَعِيشَةِ^٤.

١ - تفسير العياشي ٢ / ٣١٩؛ تفسير البرهان ٢ / ٤٥٣ - ٤٥٤.

٢ - تحف العقول / ١٥٨.

٣ - الصحيفة السجادية / ٢٠٢ (الدعاء ٣٠).

٤ - تحف العقول / ٢١٣.

٤ الامام الصادق «ع»: لا يَصْلُحُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَحَسَنِ التَّقْدِيرِ فِي المَعِيشَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى النَّائِبَةِ.^١

٥ الامام الرضا «ع»: لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خِصَالُ ثَلَاثٍ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَحُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي المَعِيشَةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الرِّزَايَا.^٢

هـ - حدود الاستهلاك

الحديث

١ الامام السجّاد «ع»: ان من اخلاق المؤمن، الانفاق على قدر الاقتار؛ والتوسع على قدر التوسع.^٣

١ - تحف العقول / ٢٦٣.

٢ - تحف العقول / ٣٢٩.

٣ - تحف العقول / ٢٠٤؛ و ٢٨٢، من طبعة الففاري.

نظرة الى الفصل

١ - الامداد الالهية بالاموال والمواهب الطبيعية: إنَّ المالَ ومنابعه - المواهبَ الطبيعيَّة - في نظرة القرآن الكريم، هي وسائلُ الإمدادِ الالهِيِّ، التي جعلها الله تحت يد الانسان وخوَّله آياها، لتأمين حاجيات الناسِ المختلفة في هذه الحياة . وهذا هو المجالُ الاصيلُ لتداولِ المالِ في المجتمع ولحركته في شتى المناحي والغايات .

والامداداتُ الالهيةُ بالاموالِ إنما تتحقَّقُ بأن تكونَ الاموالُ ذرائعَ وادواتٍ في ايدي الناسِ، لتأمينِ شتى المؤنِ وسدِّ مختلفِ الحاجاتِ، وأن تكونَ في خدمةِ الناسِ ورشدِهِم وبرزِ مواهبِهِم الفطريَّة، وأن يكونَ ذلكُ كُلُّه لجميعِ الناسِ . فالنظامُ الماليُّ لا يصيرُ اسلامياً الا اذا سارَ المالُ في ايدي الناسِ سيره الالهِيِّ والانسانيِّ، مُبتعداً عن ايِّ افراطٍ او تفريطٍ، او تكاثرٍ او فقرٍ .

وبذلك يتضحُ انَّ الحاليتين - التكاثرِ والفقرِ - ليستا من كونِ المالِ إمداداً او ذريعةً في شيءٍ، وبالتالي فليستا سبيلين لا يصلِ المجتمع الى الغاياتِ المنشودة، بل هما عَقبتانِ في سبيلِ الناسِ، غنيِّهم وفقيرِهِم .. اما الغنيُّ المتكاثر، فلانَّ النظامَ التكاثريَّ يَتَبَنَّى المالَ هدفاً وغايةً ويُحرِّفه عن كونه اداةً وذريعةً في الحياة، وامداداً للخلق، فلا يُؤدِّي القِطاعُ المتكاثرُ الحقوقَ التي يجبُ عليه اداؤها، ولا سيما الباطنة منها . واذا صارَ المالُ مانعاً للانسان عن تأدية حقِّ الله وحقِّ الناسِ - على ما هي عليه - وعن طلبِ الخيراتِ والقُرْبَاتِ بصورةٍ صحيحة، يُصبحُ مانعاً لرُشده وتعالیه الروحيِّ وصعوده الانسانيِّ .

وأما البائسُ الفقير، فحينما يَنْصَبُ المالُ في حلَقومِ المتكاثرين ويتكَدَّسُ لديهم، يَبْقَى هو صِفْرُ اليَدَيْنِ من جميعِ ما يحتاج إليه، حتى مرافقِ عيشٍ بسيطٍ وحاجياتِ حياةٍ تَنْسَجُمُ مع الفضيلةِ والدين، وتُمدُّه لآداءِ تكاليفه وواجباته على صورةٍ صحيحة، فيسْقُطُ بذلك عن المستوى المطلوبِ للانسانِ المتدينِ الصَّاعد.

يقولُ الامامُ عليُّ بنُ الحسينِ السَّجاد «ع»: بصدِّ بيانِ غاياتِ الخلقِ والتَّكوينِ وتصويرِ تلكِ الغاياتِ: «وخلقَ لهمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا من فضلهِ ..»^١؛ وبذلك يُعَلِّمُنَا أَنَّ النَّهارَ المُضِيءَ المُبْصِرَ انما خُلِقَ لطلبِ فضلِ اللهِ ورزقه، عن طريقِ العملِ والسَّعيِ والابتغاءِ فيه، وبشكلِ التَّدْرُجِ لآداءِ تكاليفِ اللهِ وواجباته لنيلِ المقاماتِ الخالدة، لا بشكلِ غايةٍ مُتَبَنِّاةٍ تَسْتَوْعِبُ كُلَّ ما للحياةِ الانسانيةِ من هدفٍ ومضمون؛ فيقولُ: «طلباً لما فيه نيلُ العاجلِ من دُنْيائهم، ودركُ الآجلِ في أُخراهم»^٢. ولقد جاء في هذا الدِّعاءِ مقطعٌ آخرٌ يَصوِّرُ الغاياتِ الالهيةَ الحكيمةَ: «بكلِّ ذلكِ يُصِلِحُ شأنهم»^٣؛ فجعلَ الغايةَ المُتَوَخَّاةَ من هذا التَّنْظِيمِ للعالمِ وما فيه، اصلاحَ شأنِ الانسانِ وتنميةَ الافرادِ والمجتمعاتِ البشريةِ تنميةً سالحة، عن طريقِ حياةٍ سليمةٍ انسانية، حيث لا تَضِيعُ شؤونُ الانسانِ ولا تَنْتَهِي الامورُ الى سقوطةٍ في الحياتينِ العاجلةِ والآجلة، سواءً اكان ذلك من جهةِ الفقرِ والبؤسِ المانعينِ من ايِّ رشدٍ روحيٍّ ورُقِّيٍّ مجتمعيٍّ في قِطاعاتٍ كثيرة، ام من جهةِ التكاثرِ والاستهلاكِ الاترافيِّ المانعينِ من ايِّ رشدٍ سالمٍ على مختلفِ المستوياتِ.

ولقد اجاب الامامُ الباقر «ع» السَّائلَ عن الدَّنانيرِ والدِّراهمِ بقوله: «هي خواتيمُ الله في ارضه»^٤. ولم يَقُلْ هي اموالٌ للموسرينِ وذخائرُ

١ و ٢ - الصَّحيفة السَّجادية / ٦٩ (الدعاء ٦).

٣ - الصَّحيفة السَّجادية / ٦٩ (الدعاء ٦).

٤ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

نظرة الى الفصل الرابع ..

للاغنياء والتموليين، وذرائع لإتراف المترفين واسراف المسرفين، وسبب لاستغلال العمال والكادحين باعطائهم قليلاً منها مقابل كثير من العمل والخدمة . والتعليم الباقرئ هذا، يرشد الازهان بوضوح الى أن المال في النظام الاسلامي ليس الآ وسائل وادوات جعلها الله مصححة لخلقه وقواماً لحياتهم . وبهذا التعليم وامثاله نعرف أنه كيف يجب أن تكون مصائر الاموال في المجتمع الاسلامي؟ لأن «خواتيم الله» و «مصحة الخلق»، ليست بالذي يتكدس لدى الذين يسوقون الناس الى التميع، والمجتمع الى التسيب، والأجراء والعمال والفلاحين الى تعس وبؤس، والشباب الى الانحلال العقيدي، والتأهين الى اليأس، والثوارو المصلحين الى الفشل؛ ويفرضون سلطاتهم على الحكم والمجتمع والدين . وتعبير «الخلق» في قوله «ع»: «جعلها مصححة لخلقه»، يشمل الانسان والحيوان، فالذنانير والدرهم إنما هي مصححة للناس والحيوان، بجعل الهي . وهي للجميع كما جعلها كذلك خالق الجميع . وهذا الامر لا يتحقق الا اذا أخرج المال من مسيرته الشيطانية، التي يتبناها المتكاثرون والمستغلون، الى المسيرة الالهية التي بها تكون مصححة للناس وقواماً لحياتهم .

والخلاصة أن الركن الاصلي لاسلامية اي نظام او حكم - من جهة الاقتصاد والمال والملكية - يتجسد في تعامله مع الاموال واصحابها؛ فإن عامل المال معاملة المصححة للخلق جميعهم - والمصححة لا تكون الا للجميع كما هو واضح - وجعلها خواتيم الله في خلقه وفي ايدي عباده وعياله (سواء اكان ذلك بالملك ام بالبذل)، كان النظام المالي السائد اسلامياً قرآنياً، والآ فلا .

٢- التقدير في المعيشة واهميته : من أهم التعاليم الاسلامية التربوية هو اصل «التقدير» في المعيشة . وهو يرجع الى التربية المعيشية وتنظيم

الاستهلاك، وتنمية روح الانضباط المالي والمعيشي في الافراد، و
بتّ «الاخلاق الاقتصادية» في الناس . ويشمل هذا الاصل مايلي :

أ - الاستهلاك الفردي .

ب - الاستهلاك العائلي .

ج - استهلاك الحكم ومؤسساته .

د - استهلاك المؤسسات والمنظمات الاجتماعية .

هـ - استهلاك المؤسسات والمنظمات الدينية .

و - نظام الانتاج .

ز - نظام الاستيراد .

ح - نظام التوزيع .

ومما لا يخفى على النايب البصير، هو أنّ التقدير في المعيشة
وحاجياتها يُسببُ لأمرٍ هامةٍ بناءً للشخصية الانسانية، مُصلحةً
للمجتمع، منها :

١ - ترك معاصٍ فرديةٍ واجتماعيةٍ عظيمةٍ كالاسراف والتبذير .

٢ - الابتعاد من الابتلاء بالفقر والحاجة .^١

٣ - رفع الكُلِّ عن الناس .

٤ - التَعَوُّدُ على النظم في الامور ورعايته .

٥ - المحافظة على الانضباط الاقتصادي والمعيشي فيما يُمُرُّ على

الانسان ليلَ نهار . وهذا من اهم فوائده، كما مرّ . وسنُفصّل الكلام عن

«اصالة التقدير والاقتصاد في المعيشة»، في الفصل الثامن والعشرين،

من هذا الباب، فراجع .

١ - فلقد روى عبيد بن زُرارة، عن الامام جعفر الصادق «ع» انه قال له : «يا عبيد! ان السرف يورث
الفقر، وان القصد يورث الغنى» - (من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٠٧) . راجع : فصول الاسراف
والفقر، من هذا الباب ايضاً .

لقد مرّ في فقرة «د» من الفصل، من الحكمة الخالدة الباقية والصّادقية والرّضوية، التأكيد على ثلاثة اشياء واهميتها للانسان العقيدى الملتزم، يعني «التقدير في المعيشة» و «التّفقه في الدين» و«الصبر على النّابة». ومما يجب أن لا نغفل عنه أنّ «التّفقه في الدين» لا يُراد به علم الفقه الاصطلاحى وطلبه فقط، بل المراد به الخوض في معارف الدين وحقائقه العقيدية التي جاء بها لمعرفة الله تعالى وفهم العالم وما فيه، ممّا يسمونه «الفقه الاكبر»، وكذلك فهم مجموع ما جاء في الدين في سائر الاغراض وادراكها بصورة صحيحة متخذة من «الكتاب والعترة»، ووعاها بشكلٍ ناضجٍ كامل .

ومن الواضح، أنّ وعي الدين بالوصف المذكور، يشمل جميع ما جاء فيه، ممّا يتعلّق بالتوحيد والموضوعات الالهية والمسائل السياسية والانسانية والمجتمعية والدفاعية والاقتصادية والحقوقية والاخلاقية العملية والحكمية الفقهية وما الى ذلك .

وانّ ممّا يوجب الاسف الشديد، هو أنّ التّفقه الواعي في معارف الدين وحقائق علوم القرآن الكريم والعترة الهادية «ع» - وهي «الفقه الاكبر» - لم يُعمد اليه كما عمد الى التّفقه في الاحكام العملية - وهو «الفقه الاصغر» - وانّ كثيراً ممّا جاء في مختلف الكتب من «ذلك الفقه»، ليس من حاق العلم السماوي النازل في الكتاب والمودع عند مدينة العلم وابوابها، يعني النبي «ص» وعترة - عليهم السلام - بل هو مشوب بما تغلغل في الاسلام وفي معارفه وعلومه وبيئاته، من مصطلحات الآخرين، او آراء اخترعته الاذهان، او جاءت بها التيارات الفكرية التي صنعت - او راجت او روجت - في تلكم الايام الخالية . وبذلك صارت

حقائق علوم القرآن في كثير من ابعادها مهجورة، وجنحوا الى تأويله بدل تصديقه؛ وصاربيت الوحي الذي كان يجب ان يصبح مرجع اخذ العلم الوحيد موصداً؛ لاجل ذلك لم تنتشر علومه وحقائقه بوجه جدير..
وهذا امر معلوم عند من تذوق شيئاً من العلم القرآني عند المتألهين القرآنيين واستأنس بذلك النفس، وعرف ايضاً تلك المصطلحات والرُسوم، وسبر اغوار التاريخ وما جرى فيه خلال تلك القرون سبرامعان ووعي وتبصر.

الفصل الخامس

المؤشرات التوجيهية (٢)

أ- دور المؤمن الماديّة في الحياة الروحيّة وفي اداء الفرائض واقامة الشعائر

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ..^١
- ٢ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ ..^٢
- ٣ يا أيها الرُّسُلُ، كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ..^٣

الفتا نظر

تأمل في هذه الآيات، كيف تُجاوبُ الواقعَ البشريّ وكيف تلتئمُ مع النظامِ الفطريّ والغريزيّ، والناموسِ المُطرِدِ العامّ في كلِّ انسان، في كلِّ بيئتهِ وزمان، حيثُ تقولُ: «كُلُوا.. واشكروا»،

١ - سورة البقرة (٢) : ١٧٢.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٨٨.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٥١.

«كُلُوا .. وَاتَّقُوا»، «كُلُوا .. وَاعْمَلُوا صَالِحًا»، فَتَجْعَلُ الشُّكْرَ وَالتَّقْوَى وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ أُمُورًا مُتَرْتِبَةً عَلَى الْأَكْلِ وَمَا هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ وَقَوَامُ الْجَسَدِ . وَبِهَذَا الشَّكْلِ تُذَكَّرُ بِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ الْأَصْلِيَّةِ وَهِيَ الْأَكْلُ . وَذَلِكَ مُسَايِرَةٌ مَعَ الْوَاقِعِ، فَإِنَّ الَّذِي يَشْكُرُ رَبَّهُ وَيَتَّقِيهِ، لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَيًّا قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَعَلَى التَّقْوَى وَالشُّكْرِ، ذَارِمًا نَشِيطًا، وَلَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ هَكَذَا إِلَّا إِذَا أَكَلَ وَشَرِبَ . وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ لَا يُتَاحَانُ إِلَّا لِمَنْ يَمْلِكُ مَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَحْصُلُ عَلَيْهِمَا . فِقْيَامُ النَّاسِ بِالصَّالِحَاتِ وَبِقَاءِ الدِّينِ بَيْنَهُمْ وَتَغْلُغُلُ شَرَائِعِهِ وَ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْمَالِ وَالْمِكْنَةِ السَّائِرِينَ فِي الْأَيْدِي، وَمَعَ تَمَكُّنِ النَّاسِ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى حَاجِيَّاتِهِمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ، حَتَّى يَتَوَفَّقُوا لِتَأْدِيَةِ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ «ص»: «.. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا ..»^١ .

فَمَنْ لَا يَرَى لِلْفَقْرِ مَعْرَةً وَلَا يَعُدُّ كِفَاحَهُ وَاجِبًا،^٢ لَا يَعْرِفُ لِلدِّينِ مَغْزَى، وَلَا لِلْعَدْلِ مَعْنَى، وَلَا لِلْإِنْسَانِ مَسْتَوَى، وَلَا لِقَوَاعِدِ الْحَيَاةِ أَصَالَةً، وَلَا لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَطْبِيقًا . وَمَنْ الْمُهْمُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَا نَشَاهِدُ مِنْ خُطَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِلرُّسُلِ الرُّوحِيِّينَ الطَّيِّبِينَ، حَيْثُ يَقُولُ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ..»، فَلَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ مِنْ رُسُلِهِ أَيْضًا أَنْ لَا يَأْكُلُوا .. أَجَل! حَتَّى إِنَّ الرُّسُلَ الْإِلَهِيِّينَ الْمَبْعُوثِينَ لِتَهْدِيبِ النَّفُوسِ، يَعِيشُونَ عَيْشَةً طَبِيعِيَّةً، طَبَقًا لِلْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ وَوَفْقًا لِسُنَنِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا تَبْدِيلًا وَلَا تَجِدُ لَهَا تَحْوِيلًا، فَيَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، وَيَلْبَسُونَ، وَيَمْشُونَ فِي

١ - الكافي ٥ / ٧٣ .

٢ - وكذلك الكِفَاحُ ضِدُّ التَّكَاثُرِ وَالْإِنْتِزَاعِ، لِأَنَّهَا عَلْنَا الْفَقْرَ، كَمَا سَيَتَّضِعُ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ .

الفصل الخامس : المؤثرات .. (٢)

الاسواق، و يَزْدَوِجُونَ، وَيَأْوُونَ الى المساكنِ والبيوت (وما جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) ١.

وإذا كَانَ الرَّسُلُ كذلك فكيف تَكُونُ الحَالَةُ فِي غيرِهِمْ؟ يقولُ الامامُ الباقر «ع» : «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ ابْنَ آدَمَ اجْوَفَ، وَلَا بَدْلَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ» ٢. فَالْكَلُّ يَأْكُلُونَ فَيَعْمَلُونَ، وَيَتَغَدَّوْنَ فَيَشْكُرُونَ وَيَتَّقُونَ، فَلَاعْمَلٍ صَالِحًا إِلَّا بِالْأَكْلِ، وَلَا شُكْرٍ وَلَا تَقْوَى وَلَا دِينَ إِلَّا بِالْغِذَاءِ، وَلَا صَلَاةَ وَلَا صَوْمَ وَلَا حَجًّا وَلَا جِهَادًا إِلَّا بِالْخُبْزِ، وَلَا قِيَامًا بِالطَّهَارَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَرِعَايَتِهَا لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا بِالْحَمَامَاتِ وَالْمِيَاهِ السَّاخِنَةِ - الَّتِي يَفْقُدُهَا الْفُقَرَاءُ وَالْبَائِسُونَ فِي أَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ - وَقِسْ عَلَى هَذَا سَائِرَ أَحْكَامِ الدِّينِ وَأَدَابِهِ الرَّوْحِيَّةِ وَالْجَسْمِيَّةِ وَمَا تَتَطَلَّبُهُ مِنَ الْمُؤْنِ .

ففي هذا الضوء، تَكُونُ مَكَاْفِحَةُ الْفَقْرِ مِنْ أَمِّ الْوَأَجِبَاتِ لِمَنْ يُحِبُّ اللَّهَ وَدِينَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَيُحِبُّ تَطْبِيقَ دِينِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَتَعْظِيمَ شَعَائِرِهِ وَبِقَاءَهَا . فَلَا بَدْلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ يَعِيشُ - وَلَا سِيَّمَا فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ - أَنْ يَكُونَ مَكْفِيَّ الْمَوْنَةِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى (إِذِ الْفَقْرُ كَادَ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ «ص») ٣، وَمِنَ الْعَمَلِ بِمَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالتَّزْوِيجِ وَالْإِنْفَاقِ وَالتَّقْوَى وَالشُّكْرِ وَادَاءِ سَائِرِ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَأَقَامَةِ شَعَائِرِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَالْقِيَامِ بِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَاشَاعَةِ الْفَضِيلَةِ .

وَمِنَ الْوَاضِحِ، أَنَّ إِتْيَانَ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ يَتَطَلَّبُ - سِوَى

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٨.

٢ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

٣ - الخصال ١ / ١٢. قال «ص» : «لَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي عَلَى فَقْرَاءِ أُمَّتِي، كَادَ الْفَقْرُ يَكُونُ كُفْرًا» -

(«البحار» ٧٢ / ٤٧).

الأكلِ والشُّربِ القائمِ بهما بقاءُ الجسدِ - نفقاتٍ ومُؤناً، لذلك جاء في حديثِ اسحاقِ بنِ عمارٍ أنَّه قال: «قلتُ لابي عبدالله «ع»: أعطي الرجلَ من الزكاةِ مئةَ درهمٍ؟ قال: نعم. قلتُ: مئتين؟ قال: نعم. قلتُ: ثلاثَ مئةٍ؟ قال: نعم. قلتُ: اربعَ مئةٍ؟ قال: نعم. قلتُ: خمسَ مئةٍ؟ قال: نعم، حتى تُغنيه!». وقال في حديثٍ آخر: «مألُ الزكاةِ يُحجُّ به»^١. وقال في حديثٍ ثالثٍ: «... بل يُعطيه ما يأكلُ ويشربُ ويكتسي ويتزوجُ ويتصدقُ ويحجُّ»^٢. وجرياً مع تلكمُ التعاليمِ - المسايِرةَ للفطرةِ والطبيعةِ وواقعِ الحياةِ الانسانيةِ - لقد وردت احاديثُ شريفةٌ ببناءةٍ وموقظةٍ، بالصِّدِّ المذكورِ، تأتي هنا بلمعةٍ منها:

الحديث

١ - حياة الدين في الامّة والمال

١ الامام الصادق «ع» - قال له رجل: يا جعفر! الرجلُ يكونُ له مالٌ فيضيعه فيذهب؟ قال: احتفظ بمالك، فإنه قوامُ دينك، ثم قرأ: «ولاتوتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً»^٤.

١ - الوسائل ٦ / ١٨٠.

٢ و٣ - الكافي ٣ / ٥٥٧ و ٥٥٦.

٤ - امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢: البحار ١٠٣ / ٩٢.

الفصل الخامس : المؤشرات .. (٢)

* راجع : نظرنا الى الفصل بهذا الصدد؛ وراجع ايضاً :
الفصل الثاني والثلاثين، من هذا الباب.

٢ - المال عون على طلب الآخرة

- ٢ الامام الباقر «ع» : نِعَمَ العونُ الدُّنيا على طلبِ الآخرة .^١
٣ الامام الصادق «ع» : نِعَمَ العونُ الدُّنيا على الآخرة .^٢

* من اهمّ مصاديقِ الدُّنيا، هو «المال» في الكثيرِ الغالب، لانه
عمدة ما يُطلبُ منها، عُدَّةٌ للخيرِ او الشرِّ، وللصَّلاحِ او الفسادِ، وللحقِّ
او الباطلِ.

- ٤ الامام الصادق «ع» - عن آبائه، من دعائهم : اللهم ! اني أسألك من فضلك
الواسع، الفاضل، المُفضَّل، رزقاً واسعاً، حلالاً طيباً، بلاغاً للآخرة والدُّنيا،
هنيئاً مريئاً ..^٣

٣ - اللهم لا تفرّق بيننا وبين الخبز

- ٥ النبي «ص» : اللهمّ بارك لنا في الخُبز، ولا تُفرِّقْ بيننا وبينه ..^٤

٤ - لاصلاة الا بالخبز

١ و ٢ - الكافي ٥ / ٧٣.

٣ - المستدرک ٢ / ٤٢١.

٤ - الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

- ٦ النبي «ص»: .. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا ..^١
- ٧ النبي «ص»: .. إِنَّ الْخُبْزَ مَبَارَكٌ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّمَاءَ مَدْرَارًا، وَ لَهُ أَنْبَتَ الْمَرْعَى، وَ بِهِ صَلَّيْتُمْ ..^٢

٥- لا صوم إلا بالخبز

- ٨ النبي «ص»: .. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُمْنَا ..^٣
- ٩ النبي «ص»: .. وَ بِهِ (الْخُبْزُ) صُمْتُمْ ..^٤

٦- لا اداء للفرائض إلا بالخبز

- ١٠ النبي «ص»: .. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا أَدَّيْنَا فَرَائِضَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ ..^٥
- ١١ النبي «ص»: .. وَ بِهِ (الْخُبْزُ) حَجَجْتُمْ بَيْتَ رَبِّكُمْ ..^٦

٧- رأس الحياة الخبز

- ١٢ الامام الصادق «ع»: .. وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ! أَنَّ رَأْسَ مَعَاشِ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ،

١- الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

٢- الكافي م ٦ / ٣٠٣.

٣- الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

٤- الكافي ٦ / ٣٠٣.

٥- الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

٦- الكافي ٦ / ٣٠٣.

الخُبْزُ والماء .. ١

٨ - بناء الجسد على الخبز

١٣ الامام الصادق «ع» : إِنَّمَا بُنِيَ الْجَسَدُ عَلَى الْخُبْزِ ٢.

* راجع : نظرنا الى الفصل بهذا الصدد.

٩ - تعظيم الخبز و اكرامه

١٤ النبي «ص» : أَكْرَمُوا الْخُبْزَ وَعَظَّمُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْزَلَ لَهُ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَخْرَجَ بَرَكَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ؛ مِنْ كَرَامَتِهِ أَنْ لَا يُقَطَّعَ وَلَا يُوْطَأُ ٣.

١٥ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق : أَكْرَمُوا الْخُبْزَ، فَإِنَّهُ قَدْ عَمِلَ فِيهِ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَا فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ ٤.

١٦ الامام الصادق «ع» : أَكْرَمُوا الْخُبْزَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لَهُ كَرَامَةً ٥.

١٠ - طعم الخبز

١ - البحار ٣ / ٨٧.

٢ - الكافي ٦ / ٢٨٦.

٣ - البحار ٦٦ / ٢٧٠، عن كتاب «المحاسن».

٤ - الكافي ٦ / ٣٠٢.

٥ - البحار ٧٨ / ٢٠٦.

- ١٧ الامام الصادق «ع»: طَعْمُ الْمَاءِ الْحَيَاةُ، وَطَعْمُ الْخُبْزِ الْقُوَّةُ ١.
- ١٨ الامام الرضا «ع» - سُئِلَ الرَّضَا «ع» عَنْ طَعْمِ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ؟ فَقَالَ: طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ، وَطَعْمُ الْخُبْزِ طَعْمُ الْعَيْشِ ٢.

* راجع: النظرة الى الفصل بهذا الصدد؛ وراجع ايضاً:
الفصل الثامن والعشرين، من الباب الثاني عشر، فقد جاءت فيه
الفوائد الروحية لاكل اللحم والحبوب والفواكه.

ب - حق جسد كل انسان

الحديث

- ١ النبي «ص» - قال سلمان لابي الدرداء: اِنْ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفِطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَاتَى أَبُو الدَّرْدَاءِ النَّبِيَّ «ص» فَاخْبَرَهُ بِمَا قَالَ سَلْمَانَ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ سَلْمَانَ ٣.

* راجع ايضاً: الالفات الذي تقدّم في مُستَهَلَّ الفصل،
ولا حظ هناك ما جاء عن الامام الباقر «ع»، من حاجة ابن آدم الى

١ - تفسير القمي ٢ / ٢٣٩؛ تحف العقول / ٢٧٣.

٢ - البحار ٤٩ / ٩٩، عن «المناقب».

٣ - البحار ٧٠ / ١٢٨.

الطَّعامِ والشَّرَابِ . وقد عَقَدَ شَيْخُنَا ثِقَةَ الْإِسْلَامِ الْكَلِينِي، بَاباً فِي
«الكَافِي» لِهَذَا الْمَوْضُوعِ .

ج - حقّ جسد كلّ ذي رمق، انسان او حيوان

- ١ الامام علي «ع» : لِكُلِّ ذِي رَمَقٍ قَوْتُ^١ .
- ٢ الامام الصادق «ع» : يَا مَفْضَلُ ! .. فَاِنْ قَالَ قَائِلٌ : اَوْ لَيْسَ قَدْ يَنَالُ الطَّيْرُ مِنَ الْبُرِّ
وَالْحُبُوبِ ؟ قِيلَ لَهُ : بَلَى عَلَيَّ هَذَا قُدْرَ الْأَمْرِ فِيهَا، لِأَنَّ الطَّيْرَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ
اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهُ فِيمَا تُخْرِجُ الْأَرْضُ حِطًّا^٢ ..

د - دور المال في صيانة الاعراض

- ١ النبي «ص» : كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ مَا أَنْفَقَ الْمَرْءُ مِنْ نَفَقَةٍ عَلَيَّ نَفْسِهِ
وَعِيَالِهِ وَاهْلِهِ كُتِبَ لَهُ بِهَا صَدَقَةٌ، وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ^٣ ..
- ٢ الامام علي «ع» : أَفْضَلُ الْفِعَالِ، صِيَانَةُ الْعِرْضِ بِالْمَالِ^٤ .
- ٣ الامام علي «ع» : لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ، مَا وَقَى عِرْضَكَ^٥ .
- ٤ الامام الرضا «ع» : خَيْرُ الْمَالِ مَا وَقَى بِهِ الْعِرْضَ^٦ .

١ - الكافي ٨ / ٢٣ .

٢ - البحار ٣ / ١٣٠ .

٣ - المستدرک ٢ / ٦٤٤ .

٤ - مستدرک نهج البلاغة / ١٨ .

٥ - المستدرک ٢ / ٦٤٥ .

٦ - البحار ٧٢ / ٣٥٢ .

نظرة الى الفصل

١ - حياة الدين في الامّة والعال : إِنَّ الدِّينَ قَدْ جَاءَ لُصْنَعِ الْإِنْسَانِ وَبِنَاءِ
المجتمعِ الْإِنْسَانِيِّ . وَالْإِنْسَانُ إِذَا مَلَكَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَلرُشْدِهِ،
وَتَسَامَى مُمَسِكاً عَنْ بَعْضِ الْمُمَارَسَاتِ (خصوصاً تلك التي تُلازمُ الْفَقْرَ
والمسكنةَ وَتَكُونُ بسببِهما، التي سَنُفَصِّلُ الْكَلَامَ عَنْهَا تَفْصِيلاً)، يُتَأَمَّرُ لَهُ أَنْ
يَكُونَ مُصَدِّقاً لِلْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ، ثَابِتِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ، مُحَقِّقاً لِمَا
الدِّينِ وَاهْدَافِهِ التَّرْبَوِيَّةِ، نَاجِحاً فِي تَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ، مُوَفِّقاً لِإِدَاءِ فَرَائِضِهِ،
وَالْأَفْلَاحِ، إِذْ «لَوْلَا الْخُبْرُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا أَدَّيْنَا فَرَائِضَ رَبِّنَا» - عَلَى حَدِّ
تَعْبِيرِ النَّبِيِّ الْأَسْوَةِ «ص»؛^١ و«كَأَدَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كَفْرًا» - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ
مَوْلَانَا الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ «ع».^٢

أَجَلٌ، إِنَّ أَفْرَادَ الْإِنْسَانِ يَفْقَدُونَ فِي حَالَتِي التَّرْفِ وَالْفَقْرِ كَثِيراً مِنْ
مُؤَهَّلَاتِهِمْ وَيَنْتَهُونَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَهَاوِي . فِي حَالَةِ الْغِنَى وَالتَّرْفِ يَشْتَغِلُ
الْإِنْسَانُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ وَيَغْرَقُ فِي اسْتِهْلَاكِ الْإِمْتِعَةِ الْكِمَالِيَّةِ وَفِي الْمُلْدَاتِ،
فَيَغْفُلُ وَيَلْهُو؛ وَعِنْدَئِذٍ تَتَرَسَّخُ فِي بَاطِنِهِ خِصَالٌ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ بَلْ مَذْمُومَةٍ . وَ
فِي حَالَةِ الْفَقْرِ يُعَوِّزُهُ مَا يَلْزِمُهُ لِلْمَعَاشِ فَيَسْأَلُ وَيَتَسَوَّلُ، وَبِذَلِكَ يَنْهَارُ
مُسْتَوَاهُ الْاجْتِمَاعِيُّ وَيَتَدَنَّى خُلُقاً وَشَخْصِيَّةً . فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ تَتَضَاءَلُ
مَوَاهِبُهُ وَتُتَمَسَّخُ انْسَانِيَّتُهُ . وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ عِنْدَ ذِكْرِ
أَحْوَالِ الْفَرِيقَيْنِ، فِي هَذَا الْبَابِ .

وهناك جانبٌ آخر، يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهُ لَهُ وَلا نَغْفُلَ عَنْهُ، وَهُوَ أَنَّ الدِّينَ

١ - الكافي ٥ / ٧٣ .

٢ - أمالي الصدوق / ٢٦٢ .

يحتاجُ في تحقِّقه و تجسيده الى افرادٍ معتقدين صامدين، حتى يتسنى له أن يتجلَّى بصورةٍ نظامٍ فكريٍّ - عمليٍّ، و تتحقَّق اهدافه في الناس، و تتمثَّل غاياته . و الافراد إنما يكونون معتقدين صامدين، صادقين في الاعتقادِ و الصُّمود، اذا لم تُصدِّهم ضَغَطاتُ الفقرِ و سلبِياتُه عن الدين و تَبَيُّه، و العمل بما فيه من الاحكام و الرعايات؛ و اذا لم يُدفعوا الى حيث لا يُفكرون - في الغلب - الا بالمعاشِ و ما يُعوزُهم من الاشياء و الامكانيات، و ينشدون الطَّرِيقَ للوصول اليها، و لو أدَّى ذلك الى القضاء على كيانهم الفردي و الأُسريِّ و الاجتماعيِّ و الدينيِّ .

و من الواضح أن الاسلامَ ينظرُ الى المسائلِ الاقتصاديةِ نظراً نظامياً، فلا يسَلِّخها عن سائرِ اقسامِ الدين، بل يجعلها جزءاً منه، فلذلك لا يرى للاصلاحِ الاخلاقيِّ المجرِّدِ معنى و فائدة، اذ لا يمكن ان يكونَ الفقيرُ التَّعيسُ العادِمُ حاجاته الحياتيةَ مسلماً خُلُقياً عملياً، مع ما يكابده من الفقر، و ما يعيشه من العوزِ و المترَبَّة، ممَّا يُقرِّبه الى الكفرِ و الالحاد، او الى تركِ العملِ بالتكاليف، و ارتكابِ الفسوق، او عدمِ رعاية ما يلزمُ رعايته .

ففي ضوءِ ما تقدَّم، يَجِبُ أن يُبرمَجَ للنظامِ الماليِّ في المجتمعِ الاسلاميِّ، بشكلٍ صحيحٍ عادل، حتى لا يكونَ المالُ الاقواماً للناس، و قياماً للدين، و عوناً على المساكين، و حصناً للمستضعفين، لا مُضيعةً له ولهم؛ و حتى يكونَ بانياً للانسان و شخصيته لا هادماً له ولها، و مُحصناً للمجتمعِ و كيانِه، لا مُبيداً له و له .

و من هُنا ننتقلُ الى سرِّ كبيرٍ تجلَّى لنا في سيرةِ ائمتنا العملية، حيثُ إنهم كانوا لا يدعونُ الفقراءَ يُعانونُ شدايدَ الفقر، المُخرِجةَ لهم من الدينِ و المسقِطةَ لشخصيتهم و كرامتهم الانسانية، فكانوا يسعون و يجدون - بقدرِ ما يسعُهُم السعيُّ و الجِدُّ - للكفاحِ ضدَّ داهيةِ الفقرِ العظمى، فيقومونَ بتموينِ المحرومين و تزويدِ البائسين . و كان ممَّا كان منهم أن يأتوا بيوتَ

البؤساء وأكواخ المساكين في جوف الليل البهيم والبارد والمطير لذلك المقصد وأن لا ينسوا اليتامى، فمن نماذج ذلك :

أ- ما رواه محمد بن العتمة، عن ابيه، عن عمه قال : رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحيفة .. فاتيتُه حتى عرفته، فاذا هو عليُّ ابن ابي طالب «ع»، فاتى رجلاً فأطعمه ١.

ب - قال ابوالطفيل الكِنَانِيُّ : «رأيتُ علياً يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض اصحابه : "لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ يَتِيماً"» ٢.

ج - خرج الحسن بن عليّ «ع» من ماله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرّات، حتى إنّه كان يُعطي من ماله نعلاً ويُمسِكُ نعلاً، ويُعطي خفاً ويُمسِكُ خفاً ٣.

د - وُجِدَ عليٌّ ظَهْرَ الحسِينِ بنِ عليّ «ع» يومَ الطَّفِّ أثرٌ، فسألوا زَيْنَ العابدين «ع» عن ذلك فقال : «هذا ممّا كان يَنْقُلُ الجِرَابَ على ظَهْرِهِ الى منازلِ الأرامِلِ واليتامى والمساكين» ٤.

هـ- كان عليُّ بنُ الحسِينِ «ع» لَيُخْرِجُ في اللَّيْلَةِ الظُّلَماءِ، فيَحْمِلُ الجِرَابَ على ظَهْرِهِ، وفيه الصُّرُرُ من الدنانير والدراهم، ورُبما حَمَلَ على ظَهْرِهِ الطَّعامَ او الحَطَبَ، حتى يَأْتِي باباً باباً فيقرعه ثم يُناوِلُ من يَخْرُجُ اليه . وكان يُغَطِّي وجهه اذا ناوِلَ فقيراً لئلا يَعْرِفَهُ؛ فلَمَّا تُوفِّيَ فَقَدُوا ذلك فَعَلِمُوا أَنَّهُ كان عليُّ بن الحسِينِ «ع». ولما وُضِعَ على المُغْتَسِلِ نَظَرُوا الى ظَهْرِهِ وعليه مثلُ رُكْبِ الابلِ ممّا كان يَحْمِلُ على ظَهْرِهِ الى منازلِ الفقراء والمساكين .. ولقد كان يَعُولُ مئةَ اهلٍ بيتٍ من فقراءِ المدينة .

١ - المستدرک ١ / ٥٤٠.

٢ - البحار ٤١ / ٢٩. وقضايا امير المؤمنين «ع» في ذلك كثيرة مشهورة. راجع الباب ٧، في الجزء ٢.

٣ - البحار ٤٣ / ٣٤٩.

٤ - البحار ٤٤ / ١٩٠ - ١٩١.

وكان يُعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأصْرَاءُ والزُّمْنَى والمساكين، الذين لا حيلة لهم، وكان يُناولهم بيده . ومن كان له منهم عيالٌ حَمَلَهُ الى عياله من طعامه ..^١

و - كان ابو عبدالله (الصادق) اذا أَعْتَمَ وَذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ شَطْرَهُ، أَخَذَ جِرَابًا فِيهِ خُبْزٌ وَلَحْمٌ وَالدَّرَاهِمُ، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيُقَسِّمُهُ فِيهِمْ ..^٢

ز - عن مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ : خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (الصادق) «ع» فِي لَيْلَةٍ قَدْ رَشَتْ، وَهُوَ يُرِيدُ ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ .. فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجُزُ عَنْ حَمَلِهِ مِنْ خُبْزٍ .. فَاتَيْنَا ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامُ، فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفِينَ، حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ ..^٣

ح - كان الامام موسى بن جعفر الكاظم «ع»، يَتَفَقَّدُ فَقَرَاءَ الْمَدِينَةِ فِي اللَّيْلِ، فَيَحْمِلُ الْيَهُمُ الزَّنْبِيلَ فِيهِ الْعَيْنُ وَالْوَرَقُ وَالْأَدِيقَةُ وَالتُّمُورُ، فَيُوصِلُ الْيَهُمَ ذَلِكَ؛ وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ هُوَ ..^٤

ط - عن مُعَمَّرِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّضَا «ع» إِذَا أَكَلَ أَتَى بِصَحْفَةٍ فَتَوَضَّعَ قُرْبَ مَائِدَتِهِ، فَيَعْمَدُ إِلَى أَطْيَبِ الطَّعَامِ مِمَّا يُؤْتَى بِهِ، فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا، فَيُوضَعُ فِي تِلْكَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهَا لِلْمَسَاكِينِ ..^٥

ي - كان (الرضا «ع») كثيرَ المعروفِ وَالصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ، وَكَثُرَ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْهُ فِي اللَّيَالِي الْمَظْلَمَةِ ..^٦

يا - عن البزنطيِّ قَالَ : قَرَأْتُ كِتَابَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ

١ - الخصال ٢ / ٥١٧ - ٥١٨.

٢ - الوسائل ٦ / ٢٧٨.

٣ - الوسائل ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

٤ - ارشاد المفيد / ٢٩٦.

٥ - البحار ٤٩ / ٩٧؛ تفسير البرهان ٤ / ٤٦٤.

٦ - البحار ٤٩ / ٩١، عن «عيون اخبار الرضا».

(الجواد) «ع»: «يا ابا جعفر! بلغني أن الموالي إذا ركبت اخرجوك من الباب الصغير، فإنما ذلك من بخلٍ منهم لئلا ينال منك أحدٌ خيراً، وأسألك بحقي عليك، لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير. فاذا ركبت فليكن معك ذهبٌ وفضةٌ، ثم لا يسألك أحدٌ شيئاً إلا أعطيته ..». وقال ابن حديد: «خرجتُ مع جماعةٍ حجاجاً فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيتُ ابا جعفر (الجواد) «ع» في بعض الطريق، فأتيتُه الى المنزل فاخبرته بالذي اصابنا، فأمر لي بكسوةٍ واعطاني دنانير، وقال: «فرقها على اصحابك على قدر ما ذهب»^١.

يب - وكان الامامان العسكريان، ابوالحسن علي بن محمد الهادي «ع» وابو محمد الحسن بن علي العسكري «ع»، ينفقان اموالاً كثيرةً على الغارمين والمحتاجين ومن اليهم، وربما كانوا يبعثون بنفقة الزواج لمن ماتت زوجته^٢، مع ما كانت تمر عليهم من الظروف الحرجة والقاسية .

وبهذه الاشكال والصور كانوا يطعمون المتسولين والجائعين من الذين لم يصل اليهم حقهم وسرق زادهم . وبهذا العمل الرسالي العظيم كانوا يقومون بالامور الكبيرة التالية :

- ١ - يُخَلِّصُونَ أَناساً من مُكابدةِ اوجاعِ الجوعِ والخُصوصِ والبردِ، المُحرقةِ السَّاحقةِ .
- ٢ - يَصُونُونَ دينَهُم وَيُحَصِّنُونَهُم ضدَّ الكفرِ والالحادِ .
- ٣ - يُمَدُّونَهُم بما يُعِينُهُم على العملِ بالتكاليفِ الدِّينيةِ .
- ٤ - يَحْتَفِظُونَ على كرامَتِهِم وماءِ وجهِهِم عن ذلِّ المسألةِ .

١ - البحار ٥٠ / ١٠٢؛ راجع ايضاً: «الكافي» ٤ / ٤٣ .

٢ - البحار ٥٠ / ٤٤ .

٣ - راجع: البحار ٥٠ / ٢٤٤ و ٢٨٢ .

٥ - يَسُدُّونَ بِذَلِكَ فَرَاغَ الْفَقْرِ الدَّامِغِ، فِي الْمَجْتَمَعِ الَّذِي كَانَ قَدْ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ اضْدَادُ الْعَدَالَةِ وَالْقِسْطِ .

ومن انفاقات امير المؤمنين «ع» الباهظة على الناس والمحتاجين وتموينه اياهم، ما جاء في المصادر الحديثية والتاريخية: «انه كانت غلة عليّ «ع» اربعين الف دينار، فجعلها صدقة، وانه باع سيفه وقال: "لو كان عندي عشاء ما بعته"»^١.

وليس من النصفة ان يُعْنُونَ هذا الموضوع بـ«كثرة مال امير المؤمنين»، او يقال: انه كان كثير المال، حيث يتوهم القاصرون من ذلك انه كان يُبْقِي تلك الاموال لنفسه ويترفه بها ويستهلِكها في معاشه ومعاش ذويه . وعند ذلك يتدرع به المموهون من شياطين التكاثر والايثار، او المنخدعون بحيلهم المنطوية لديهم؛ وهذا ظلم . بل الحق ان يُقال: «انفاق امير المؤمنين الباهظ»، او «زهده البالغ»، او «فقره الاختياري»، او «اهتمامه الكبير باغناء الناس ودفع الفقر عنهم» وما الى ذلك . فما بال هذه الكثرة المالية التي ترك صاحبها يبيع سيفه، ويقول: «لو كان عندي عشاء ما بعته»؟، فكان «ع» يَكْسِبُ الْمَالَ لِلانْفَاقِ لَا لِلْمَسَاكِ .

وجاء في سيرته انه «أتي برجلٍ عَبَثَ بِذِكْرِهِ، فَضْرَبَ يَدَهُ حَتَّى أَحْمَرَتْ، ثُمَّ زَوَّجَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ»^٢ .

وهذا من عمل الانبياء «ع» وسيرة الاوصياء «ع»؛ وهذا هو الدين الالهي، حيث كانوا يمسون الواقع الانساني وموضوعيات الحياة . وهكذا كانوا يجابهون الفساد الخُلُقِيَّ والعمليَّ في الناس ويقلقون جُذُورَهُ باقتلاع علله ومناشئه - بصورة غير شعاريّة - فيزجون من يجدونه يعبث به الشبّيق، ولا يكتفون بالوعظ المجرد مع اطلاق سراح المتكاثرين حتى

١ - سفينة البحار ٢ / ٥٥٨ .

٢ - الوسائل ١٨ / ٥٧٤ .

يُفْقَرُوا النَّاسَ وَيَجْتَرُّوهُمْ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَيْوَعَةِ وَالْفَسَادِ وَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ
وَالْفُجُورِ .

نعم، ليس للوعظِ والخطابةِ المجرّدين، مع إهمالِ تجسيدِ العدالةِ
الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ، أيُّ اثرٍ، فلا يُصْلِحُ المَجْتَمَعَ إِلَّا العَدْلُ،^١ وَلَا تَحْيَا
أَحْكَامُ دِينِ اللَّهِ الحَنِيفِ إِلَّا بِهِ .^٢
فليكن في كلِّ ذلك للمسلمين ولحكوماتهم ولعلمائهم أسوةً حسنةً،
وايقاظٌ كبير .

تنبيه

يَتَضَحُّ مِمَّا مَرَّ، أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُرْحَبُ بِالْفَقْرِ بوجه . فعلى المُبْرِمِجِينَ،
الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ وَالْعَمَلَ بِهِ وَبِأَحْكَامِهِ، وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَوْسَمَةَ الْعِلْمِ
وَالْفَقَاهَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَنْ لَا يَرَكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَ الطَّوَاغِيتِ
الْاِقْتِصَادِيِّينَ، بَلْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْمَحْرُومِينَ وَمِنْ حَمَائِهِمْ، عَبْرَ الْبَرَامِجِ
الْاِقْتِصَادِيَّةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَقَطُّعُ جُذُورَ الْفَقْرِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ لِدِينِ اللَّهِ
تَجْسِيدُهُ، وَلا أَحْكَامِهِ الحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَاءِ تَطْبِيقُهَا .

ومن الواضح، أَنَّ الكفاح السياسيَّ ضِدَّ الظُّلْمِ وَالْجُورِ وَالطَّغْيَانِ
وَالْفُجُورِ - وَهِيَ مُسَبِّبَاتٌ - وَالْإِبْقَاءَ عَلَى اسْبَابِ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتِ الْاِصْلِيَّةِ -
وَهِيَ التَّكَاثُرُ وَالتَّبَعِيضُ الْمَعِيشِيُّ الْبَاهِظُ وَالْاِتْرَافُ - عَمَلٌ وَاهٍ مَبْتُورٌ . وَذَلِكَ
لَأَنَّ إِذَا دَمَّرْنَا الْقَوَاعِدَ السِّيَاسِيَّةَ لِأَمْرٍ، وَأَبْقَيْنَا الْقَوَاعِدَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ لَهُ، لَمْ
نَفْعَلْ شَيْئاً، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ - وَهِيَ الْقُدْرَةُ الْفَعَالَةُ السَّاحِقَةُ فِي
الْاِغْلَبِ - سَتَنْفُذُ إِلَى النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ الْجَدِيدِ - بِصُورٍ مَرْتَبِيَّةٍ وَغَيْرِ مَرْتَبِيَّةٍ -
وَتَبْلُغُ إِلَى غَايَاتِهِ الْفَاسِدَةِ، مِنْ اسْتِعْبَادِ النَّاسِ وَاسْتِغْلَالِهِمْ .

١ و ٢ - راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢، تجد هناك احاديث الموضوع .

٢- لاصلاة الآ بالخبز: إن الاحاديث الحياتية الوادة في هذا الفصل، تلقي علينا اصولاً هامةً تُرشدنا الى امورٍ ثلاثةٍ بناءً، وهي:

- أ- اهمية القضايا الاقتصادية في المجتمع الاسلامي .
- ب- الصلة العميقة بين البعد المالي والبعد المعنوي والديني .
- ج- اليقظة البالغة لدى مؤسس الدين و اوصيائه للقضايا المعاشية والتكاليف الحياتية، ولمُسهم لواقع الحياة .

ولأن نلقي إشعاعاً على تلكم الاصول نُشيرُ الى مسائل في اقتضاب :
الاولى - التنويه بالصلاة العميقة بين المعاش والمعاد، وتجسيد تلك الصلاة التامة الجوهريّة، فيما يمتُّ الى المساس المتأصل بين الظواهر الموضوعية للمعاد وتأمينها (الصلاة، الصوم، الحج، الجهاد..)، والظواهر الموضوعية للمعاش وتأمينها (الخبز، الغذاء..).

الثانية: بيان أن صلة الصلاة والصوم والحج بالخبز (الغذاء) صلة المشروط بشرطه، في اسلوبٍ يُؤكّد على فقدان المشروط عند فقد الشرط، فيفهم أن الشرط واحد لا يقتنع بديل .

الثالثة: التصريح بالتضاد الحاسم والتدافع بين الاسلام والفقير، لأن الفقر ينتهي الى فقد الخبز، وهو شرط الصلاة والصوم والحج والفرائض . وفقد الشرط هو فقد المشروط . فلا صلاة ولاصوم و.. بدون الخبز، ولا اسلام بدون الصلاة والصوم - كما هو معلوم . فالاهمال في مكافحة الفقر يُعادل تبرير القضاء على الاسلام وانطفاء نوره الالهي .

الرابعة: تبين أن نظام الاسلام الاقتصادي، شرط لنظامه الروحي، وأن تشريع مجموعة الاحكام الاقتصادية يبتني على هذا الاساس . فالنظام الذي يتبدل فيه شرط تطبيق الاحكام الاسلامية الى المانع، ويصير فيه المعاش - في صورتَي الافراط (التكاثر) والتفريط (الفقر) - مانعاً للمعاد، لا يكون اسلامياً على الاطلاق .

٣- بناء الجسد على الخبز: هذا التعليمُ الموجهُ يؤكدُ تلك الاصول التي اشرفنا اليها قبل لحظاتٍ . ولأن نسلطُ ضوءاً عليها اكثر من ذي قبل، نأتي بشرحٍ وجيزٍ لامورٍ يفيدُها ذلك التعليمُ:

١- اعتدادُ الاسلامِ العميقُ بالواقعيَّاتِ الحياتيةِ، بتأكيدِه على الصلةِ الضروريةِ الحياتيةِ بين الجسدِ والخبزِ ومايُمتُّ اليه مما يُمكنُ ان يصيرَ غذاءً للانسان .

٢ - الاهتمامُ بامرِ المعاشِ وتغذيةِ الناسِ وتأمينِ حاجياتهم في حياتهم الماديةِ، حتى لايتهمَّ الدينُ الالهيُّ الحنيفُ بأنه لايعتدُّ بالواقعِ البشريِّ ولايهتمُّ بالكيانِ الحياتيِّ للناسِ، ولا ينظرُ الا الى امورٍ معنويةٍ و اُخرويةٍ لاتمسُّ الحياةَ بوجهٍ .

٣ - تبيينُ الاصلِ الحاكمِ على النظامِ الاقتصاديِّ في الاسلامِ . وهو الاستجابةُ للحاجاتِ الطبيعيةِ وتأمينُ ما يتطلُّبه الانسان لادامةِ حياته في مستوى مناسب .

٤ - ايضاحُ كيفيةِ صلةِ الناسِ بالمالِ والمواهبِ الطبيعيةِ، وبيانُ ان تلك الصلةُ يجبُ ان تكونَ مبنيةً على الاحتياجِ في حدودٍ معقولةٍ متناسبة، لاعلى الآثرةِ والتبويضِ؛ فكلُّ انسانٍ له جسد، والجسدُ يحتاجُ الى الخبزِ والماءِ واللباسِ والسكنِ والصحةِ وسائرِ ما يقومُ به كيانه . ولا فرقَ في ذلك بين انسانٍ وانسان .

٥ - الالماحُ الى ان جميعَ الامكانياتِ التي تُسدُّها حاجياتُ الانسان، موجودةٌ في الطبيعةِ والمجتمعِ، وهي مُعدَّةٌ لسدِّ تلكم الحاجاتِ، اذا استُفيدَ منها بصورةٍ عادلةٍ وصحيحة .

٦ - تبيينُ وشيخِ الصلةِ بين المعاشِ والمعادِ (كما سلف القول فيه من وجهٍ آخر)، لانَّ النشاطَ العمليَّ لتأمينِ المعادِ لايمكنُ الا بالتقوى القلبيةِ والبدنيةِ . وهذا كله رهينُ السلامة . والسلامةُ رهينةُ التغذيةِ السالمةِ

والكافية .

٧ - تبيين موقف الاسلام الحاسم امام الفقر و عِلله الفرديّة و الاجتماعيّة ، فإنّ الاسلام يطلب من الناس أن يقوموا بالعمل باحكامه و اداء و اجباته؛ و يُوكّد - ضمن قضية تعليقيّة - أن لا عمل بالاحكام الا بالخبر . فهو بذلك يُطارِدُ آيَةَ صورةٍ من صور الفقر، كما يطلب الاسلام من الناس أن يكونوا صامدين غير مخذولين امام ظلم الظالمين و طغيان الطّاعين . و كلّ ذلك يقتضي ايضاً أن يكون الناس كلّهم مُتمتعين بالنعم مُمكنين من التصرف الصّالح فيما يلزمهم في حياتهم، لا أن يكونوا فقراء بائسين، ضعفاء لارمق لهم للحياة، و لامقدرة فيهم لاداء الفرائض الدنيّة فضلاً عن بقية الصّالحات . اذ الفقر وما يستتبعه يهدّد الجسد و قواه، كما يقول الامام علي «ع» : «الفقدُ احزان - والحزنُ يهدمُ الجسد»^١ . و بذلك تنهار القوى العقليّة و الاراديّة ايضاً . و الاسلام لا يُحبّ أن كون المسلم مهذوم الجسد، مفلول القوى، ضئيل الفكر، مُختلّ العقل .

٨ - الدّعوة الى دعم نظام اقتصادي انساني يهتم بشؤون الحياة الانسانيّة، ليتغلغل الدين في النفوس، وليتدخل احكام الله في الواقع الاجتماعي . أجل، انّ التعاليم الاسلاميّة - من القرآنيّة والحديثيّة - التي جاءت نبذة منها في تضاعيف هذين البابين تُرشدنا الى أنّ الاسلام يهتم بخمسة تأمينات للحياة الاقتصاديّة الدنيّة :

(١) - تأمين الحياة الجسميّة الماديّة (وذلك بإزاحة الفقر؛ انما بُني الجسد على الخبر)^٢.

(٢) - تأمين الحياة الفكرية والعقلية (وذلك بإزاحة الفقر ايضاً؛ إنّ

١ - في بعض النسخ : «الفقر»، و هما هنا بمعنى.

٢ - غرر الحكم ١٣ و ١٧ .

٣ - الكافي ٦ / ٢٨٦، من حديث الامام الصادق «ع».

الفقر مَدَهَشَةٌ للعقل).^١

(٣) - تأمينُ الحياةِ الدّينيّةِ الاعتقاديّةِ (وذلك ايضاً بازاحةِ الفقر؛ إنّ

الفقرَ منقَصَةٌ للدين^٢، والفقرُ كَادٌ أَنْ يَكُونَ كَفْرًا).^٣

يَقُولُ الشّيخُ مُحَمَّدُ عَبْدَهُ المِصْرِيُّ، فِي شَرْحِ هَذَا الكَلَامِ (فَإِنَّ الفَقْرَ مَنقَصَةٌ لِلدِّينِ) مِنْ «نَهْجِ البَلَاغَةِ»: «أَذَا اشْتَدَّ الفَقْرُ فربما يَحْمِلُ عَلَى الخِيَانَةِ، أَو الكَذْبِ، أَو اِحْتِمَالِ الدُّلِّ، أَو القَعُودِ عَن نَصْرَةِ الحَقِّ؛ وَكُلُّهَا نَقْصٌ فِي الدِّينِ».

(٤) - تأمينُ الحياةِ الدّينيّةِ العمليّةِ (وذلك ايضاً بازاحةِ الفقر؛ فلولا

الخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا أَدِينَا فَرَائِضَ رَبَّنَا).^٤

(٥) - تأمينُ الحياةِ القلبيّةِ الباطنيّةِ (وذلك ايضاً بازاحةِ الفقر؛ لَأَنَّ مَنْ

أَبْتَلِيَ بِالفَقْرِ ابْتُلِيَ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ .. بِالضَّعْفِ فِي يَقِينِهِ ..)^٥

وَمَعَ النَّظَرِ إِلَى هَذِهِ التَّأْمِينَاتِ الخَمْسَةِ، نُشَاهِدُ بَجَلَاءِ، أَنَّ الإِسْلَامَ يَرْبُطُ المَعَادَ الأَنسَانِيَّ بِمَعَاشِهِ، وَيَجْعَلُ المَعَاشَ مَقْدَمَةً لِنَيْلِ السُّلُوكِ المَعَادِيّ الصَّاعِدِ، وَلِتَكْمُلِ الأَنسَانِ المَعْنَوِيّ، وَيَرَاهُ جَانِبًا أصْلِيًّا لِسِيرِ الأَنسَانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . فَلَا يُقْرَأُ أَيُّ مَانِعٍ - فَرْدِيٍّ أَوْ اجْتِمَاعِيٍّ - يَمْنَعُ مِنْ تَغْلُغْلِ الدِّينِ فِي النُّفُوسِ، وَمَنْ قِيَامِ النَّاسِ بِالفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ . وَمَنْ أَهَمَّ تَلَكُمُ المَوَانِعِ، الفَقْرُ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ .

٤ - طعم الخبز: عجباً من أناسٍ يَدْعُونَ - بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ - إِلَى أَنَّ الفَقْرَ

وَالعُدْمَ تَقْدِيرُ الهَيِّ،^٦ لَا تَكْلِيفٌ لَنَا بِمَجَابَهَتِهِ وَالقِيَامِ فِي وَجْهِهِ . وَهُوَ لَئِي

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٢٣٨؛ عبده ٣ / ٢٢٩ .

٣ - امالي الصدوق / ٢٦٢ . من حديث الامام الصادق «ع» .

٤ - الكافي ٥ / ٧٣ . من حديث النبي «ص» .

٥ - البحار ٧٢ / ٤٧ . عن «جامع الاخبار» . من حديث الامام علي بن ابي طالب «ع» .

٦ - الفقرُ أَمَّا اخْتِيَارِيٌّ يَخْتَارُهُ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ لِأَنفُسِهِمْ شِعَارًا، وَأَمَّا اضْطِرَارِيٌّ يَفْرُضُهُ الظُّلْمُ الاجْتِمَاعِيٌّ عَلَى

نظرة الى الفصل الخامس ..

لا يُلْفِتُونَ انظَارَهُمْ إِلَى أَنْ اللَّهَ - تَعَالَى شَأْنَهُ - حَكِيمٌ عَادِلٌ قَدِيرٌ رُؤُوفٌ . وَأَنَّ الْحَكِيمَ الْعَادِلَ الْقَدِيرَ الرَّؤُوفَ، لَا يَخْلُقُ مَخْلُوقًا مَحْتَاجًا إِلَى مَعِيشَةٍ تُحْيِيهِ، بَدُونَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ تِلْكَ الْمَعِيشَةَ؛ وَلَا يُوجِدُ مَوْجُودًا أَجُوفًا لَا بَدْلَهُ مِنَ الطَّعَامِ .. (عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ «ع»^١) بَدُونَ أَنْ يُوجِدَ لَهُ ذَلِكَ الطَّعَامَ . وَذَلِكَ لِأَنَّ عَدَمَ خَلْقِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَخْلُوقُ اِحْتِيَاجًا حَيَاتِيًّا، أَمَّا أَنْ يَكُونَ لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ، أَوْ لِعَدَمِ الْعَدَالَةِ وَهُوَ الْعَادِلُ، أَوْ لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ وَهُوَ الْقَدِيرُ، أَوْ لِعَدَمِ الرَّأْفَةِ وَهُوَ الرَّؤُوفُ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ لِلْحَيَاةِ، وَطَعَمَ الْمَاءِ الْحَيَاةَ . وَكَذَلِكَ خَلَقَهَا لِلنَّشَاطِ وَالْحَرَكَةِ الْمُتَوَقِّفِينَ عَلَى الْقُوَّةِ، وَطَعَمَ الْخُبْزِ الْقُوَّةَ . فَهَلْ يُمَكِّنُ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَلَقَ الْخَلْقَ - مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ - مَحْتَاجِينَ إِلَى الطَّعَامِ وَالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلُقَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ؟ لَا، لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ؛ بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ وَخَلَقَ أَرْزَاقَهُمْ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَأَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ، مِنْ فَقْرِ الْفُقَرَاءِ وَمَسْكِنَةِ الْمَسَاكِينِ وَعُرْيِ الْعُرَاةِ وَاحْتِيَاجِ الْمَحْتَاجِينَ، بِذُنُوبِ الْإِغْنِيَاءِ، وَسَرَقَتِهِمْ زَادَ الْفُقَرَاءَ، وَاجْتِصَابِ الْمُسْرِفِينَ لِحَقُوقِ الْمَحْرُومِينَ، وَآكْلِ الْمُسْرِفِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنْ حِصَصِ الْمُعْدِمِينَ - كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ^٢ وَالْأَحَادِيثِ .

وَإِنَّ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِالتَّشْوِيهِ الْمَشَارِإِلَيْهِ، لَا يَعْرِفُونَ الدِّينَ - أَوْ يَعْرِفُونَ

قِطَاعَاتٍ، حَيْثُ يَسُودُ الْمَجْتَمَعُ التَّكَاتُرُ وَالْإِتْرَافُ وَالْإِسْرَافُ . وَإِنْ كَوَّنَ الْفَقْرَ تَقْدِيرًا إِلَهِيًّا، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ مَرَادًا بِالْإِرَادَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ بِالضَّرُورَةِ، فَمَعْنَاهُ أَنْ يُقْضَى بِهِ عَلَى أَنْسَاسٍ يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِغْنِيَاءَ يَظْلُمُونَهُمْ وَيَسْلُبُونَ حَقُوقَهُمْ وَيَسْرِقُونَ زَادَهُمْ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسْتَفَادُ مِنَ التَّعَالِيمِ فِي الْإِغْلَابِ الْإِغْلَبِ، فَيَكُونُ كَالْقَتْلِ، فَالْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِيهِ . وَمَنْ الْوَاجِبُ مَنَعُ الْقَتْلِ وَشَجِبَ اسْبَابُهُ . فَمَرْجِعُ الْأَمْرَيْنِ - الْفَقْرِ وَالْقَتْلِ - إِلَى ظَلْمِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَلِذَلِكَ قَدَّ الْقِيَّ النَّبِيُّ «ص» وَالْإِنَّمَةُ الْهَادُونَ «ع» مَسْؤُولِيَّةَ فَقْرِ الْفُقَرَاءِ وَحَاجَةِ الْمَحَاوِيحِ عَلَى عَاتِقِ الْإِغْنِيَاءِ - كَمَا قَرَأْتَ أَحَادِيثَهُ فِي الْمَتْنِ وَتَقْرَأُهَا .

١ - الكافي ٦ / ٢٨٧، ولقد مرَّ الحديث في مُسْتَهْلِّ الْفَصْلِ.

٢ - كَالآيَاتِ الَّتِي تَذَكَّرُ ظَلَمَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

اقساماً منه بلا تفقه في كُله واصوله وجوهرياته - وإنما يعرف الدين والحق والعدل والناموس الطبيعي والانسان، الامام الناطق بالحق، ابو عبد الله جعفر ابن محمد الصادق «ع» حيث يقول: «طعم الماء الحياة وطعم الخبز القوة»^١؛ ويقول الامام علي بن ابي طالب «ع»: «ومعاش تحييمهم»^٢، و«عياله الخلائق، ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم»^٣. وقبل ذلك كله يقول الله تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا»^٤. فلامجال لعدم الرزق والمعيشة لاحد، في النظرة الاسلامية.

وهنا نعيد النظرة الى كلام الامام جعفر الصادق «ع» حيث يقول: «طعم الخبز القوة» ونزيد إشعاعاً عليه فنقول: إن الذي يفهم من هذا التعليم وامثاله - وهذا التعبير وامثاله - بداية ذي بدء، هو أن الاسلام ينظر الى واقع الحياة الانسانية بروح الملاحظة، وأنه يعتد بكيان الانسان المادي والمعنوي معاً، فلا يركن الى نسيان الواقع او تناسيه قيد ذرة. وهذا معنى الدين القيم، فطرة الله، التي فطر الناس عليها. ومن المؤسف جداً أن الامر يكون على العكس من هذا عند كثير من علماء الدين وخطابه ودُعائه وكتابه، حيث لا يعمدون الى واقعيات الحياة فيما يعمدون.

فطعم القوة يُعنى به طعم جوهر الحياة وآثارها، التي تحتاج الى الطاقة، وبدونها فلا امكانية للحياة ولبقائها، ففي هذا الضوء، إن طعم الخبز ليس طعم التلذذ والعكوف على الاكل، بل هو طعم القوة وطعم العمل والنشاط والسعي في عرصات الحياة، إنه طعم النمو والرشد، طعم تفتح ذخائر الانسان الفطرية والعاطفية، طعم مساعي الانسان في مزرعة الحياة، طعم الصلاة والصوم، طعم الحج والجهاد، طعم الامر بالمعروف

١ - تحف العقول / ٢٧٣.

٢ - نهج البلاغة / ٣٣: عبده ١ / ١٨.

٣ - نهج البلاغة / ٢٣٠: عبده ١ / ١٥٩.

٤ - سورة الزخرف (٤٣): ٣٢.

والنهي عن المنكر، طعم اقامة العدل والكفاح ضد الظلم، طعم اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب، طعم العلم والرقي، طعم الفن والادب، طعم السلوك والاخلاق، طعم معرفة الله تعالى والصعود اليه، طعم اشاعة الخيرات واقامة الصالحات، طعم نصرة الدين والسير الى الغزو والجهاد وحمل السلاح في سبيل الله، وطعم الشهادة والفوز ببلقائه تعالى .

نعم، كل هذه الطعوم إنما تنشأ من طعم الخبز وقوة البدن والقدرة على العمل . ولقد روى اسحاق بن عمار، عن الامام جعفر الصادق «ع»، قال : سألت ابا عبد الله «ع» عن قول الله : «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ»^١، أِقْوَةٌ في الابدان ام قُوَّة في القلوب؟ قال : «فيهما جميعاً»^٢.

ولا يذهب على الباحث أن هذا التعليم (طعم الخبز القوّة)، يشجّب أصالة اللذات المادّية ايضاً، لانه ينظر الى الغذاء والأكل كضرورة تدرّعية لتداوم الحياة واداء وظائفها، لا كغاية متأصلة للانسان في حياته ومساغيه، فلا يتنزّل الانسان بالأكل الى درجة الحيوان إن كان له غرض صالح . وعلى ايّ حال، فإنّ هذا التعليم، وهذه النظرة الى الحياة والى الانسان، يُفيداننا أنّ اصحابهما يعتقدون أنّ مبدأ الطاقة وعواملها المولدة لها، يجب أن تكون في مُتناول الجميع، فلا يُسوّغون أن يكون في الناس من يفقد الطاقة ومناشئها ولا يحصل على ما يقوم به الجسد، في حين أنّ هناك فئات تتمرّغ في ملذات النعم وتستهلك منها ما تشاء، كيف تشاء، وبمقدار ما تشاء .

تذنيب

١ - سورة البقره (٢) : ٦٣ و ٩٣ : سورة الاعراف (٧) : ١٧١ .

٢ - تفسير العياشي ١ / ٤٥ .

من الواضح، أن لهذه النظرة الى الخبز وسائر المواد الغذائية وصلتها بحياة الانسان ونشاطه، اثراً تربوياً واخلاقياً وانسانياً هاماً، وذلك من جهات :

- ١ - أنها تمنع الانسان من التمرغ في النعيم والترف والانغماس في الأكل والشرب الحيوانيين (كالبهيمة المربوطة همها علفها).
- ٢ - أنها تمنع الانسان من الاسراف والتبذير واتلاف الاموال.
- ٣ - أنها تمنع كذلك من التقير والتضييق على النفس والأسرة.
- ٤ - أنها تصون الانسان وتحفظه من الانهيار الجسمي والروحي (حيث يحصل من جراء التلذذ والانغماس في تناول الاغذية والاكتار منها)، فيصل الانسان الى حد معقول من سلامة الروح وقوام الجسد ونشاط الحياة.
- ٥ - أنها تبدل ذائقة الانسان الشخصية الى ذائقة نوعية اجتماعية، فإن الانسان اذا نظر الى الخبز وسائر الاغذية كوقود للبدن وطاقه للجسم والحياة، يذوق طعم ضروريات حياة الآخرين ويلبسها. وهذا خير تمهيد لايجاد روح الانسانية والتكامل والانفاق والايثار في باطن الانسان وضميره.

تذييل

إن واقعية الاسلام تتجلى بوضوح في نظراته الى الواقع، من الحياة والانسان والمعاش واسبابه، والنشاط وبواعثه، فليس هذا الدين في صميمه بمعزل عما يحتاج اليه الانسان في المعتقد والعمل. واليك الماحاً مجدداً الى ما تلقينه علينا التعاليم الاسلامية من مفاهيم عملية موضوعية:

(١) - اللهم! لاتفرق بيننا وبين الخبز.

- (٢) - لاصلاة الآ بالخُبز .
 - (٣) - لاصوم الآ بالخُبز .
 - (٤) - لا اداء للحجّ والفرائض الآ بالخُبز .
 - (٥) - رأس الحياة الخُبز .
 - (٦) - بناء الجسد على الخُبز .
 - (٧) - تعظيم الخُبز وإكرامه .
 - (٨) - طعم الخُبز طعم الحياة .
 - (٩) - حق جسد كل انسان .
 - (١٠) - حق جسد كل ذي رَمَقٍ، انسانٍ او حيوان .
- هذا هو الاسلام في تعاليمه، وهذا هُداة . هذا هو الدين القيم المواكب للفترة البشرية والواقع الحياتي . هذا هو النفس السماوي المصلح للحياة الانسانية على ظهر الارض . فليس الدين منحصرًا في الامر بالصلاة، والتأكيد على حجاب النساء، والنهي عن شرب الخمر فقط؛ انما الدين عون الفقراء، وِعِمَادُ المحرومين، وسند المستضعفين، ومُنقذُ الايتام، والعلم الذي يُلْتَفُّ حوله كلُّ مظلومٍ . ان هذا الدين لا ينسى قوت الحيوان فكيف بالانسان ومعيشته؟
- ومما هو لاجب، أنَّ الرُّكُونَ الى الموضوعية من لوازمِ فطرية الدين، فانَّ الفطرة ناشئة عن الواقع والحقيقة العينية . ومن مظاهر نجاح اي دين او مدرسة فكرية ان يكون ملتزمًا بالموضوعية، منسجمًا معها، ولا تجد ذلك بصورة جامعة، سوى الاسلام، كما يشهد به النظر والاستقراء . فعلى التقنين الديني ان ينجس مع الواقع المذكور، فيكون لامسًا لضروريات الحياة في حدودها المعتدلة، ويفكر بمعالجتها وتأمينها، ويضع القوانين التي تعالج شأنها وتتلاءم معها .
- والاصل الكلي المذكور (يعني تجاوب النظام الاقتصادي الاسلامي

مع الواقعيّات الحياتيّة والنّظر الى المسائل بعين الواقعيّة)، يتأكّد من عدّة أُخرى من مباحث هذا الكتاب، وخصوصاً فصول «المال في التّصوّر الاسلامي»، فلقد تكلمنا في هذه الفصول عن «الموضع الالهيّ للمال»، وأنّه موضع قواميّ وقياميّ - كما جاء في القرآن - وأنّ تداول المال يجب أن يكون تداولاً متجاوياً مع الواقعيّات الحياتيّة، كما وكيفاً وفي جميع صلّات المجتمع الاقتصاديّة، فراجع هناك . ويُستفاد الجُروح الى الواقعيّة ايضاً، من كثيرٍ من احكام الاسلام الماليّة، كحرمة اكل المال بالباطل، وحرمة الرّبا، وحرمة الاكتنان، وحرمة الاحتكار، وحرمة الاسراف، وحرمة افساد المال وتضييعه او تعطيله واخراجه عن دوره المُثمر، وكالتأكيد على تأميم الثروات العامّة والانفال، وكتحديد الربح .. كل ذلك إنّما شرّع لأن يجري المال في قناته الواقعيّة الحياتيّة القواميّة .

ايقاظ

إنّ العقبة الاساسيّة للوصول الى هذا التّصور والى هذا المستوى الفكريّ والعمليّ في النظام الماليّ، تكمن في امرين :

(١) - عدم الاعتداد بالتلقّي التّفهيميّ المجموعيّ، الصّحيح، المستوعب لكلّ الاحكام والتعاليم الاسلاميّة التي لها صلة بهذا الموضوع، سواء ما كان منها موسوماً باسم الاحكام الاخلاقيّة (وقد تضاءل العملُ على وفقها وتجسيدها في المجتمع الدّينيّ، ويا للأسف) أو غيرها، وعدم الامعان في جميع جوانبها، ولاسيّما الاحكام الماليّة، مع معرفة «الحوادث الواقعيّة الاقتصاديّة»، والالتزام بما يُعطيه الاختصاص العلميّ، في مجالته الواسعة والدّقيقة .

(٢) - عدم التجسيد الدّقيق للاحكام المستنبطة من الدّين، بالصورة

المذكورة، وعدم الالتزام المسؤول بها .
وإن التنفيذ والتطبيق الدقيق لا يمكن الوصول اليه إلا بثلاثة أمور :
الأول - التفقه المجموعي الدقيق في التعاليم الاسلامية، حتى يفهم
الدين بصورة نظام كامل ومجموعة مرتبطة متشابكة (منظومة) .
الثاني - الوعي للحقائق المعاصرة في الحياة البشرية، حتى يحصل
الظفر بفهم المؤامرات الواقعة من جانب بعض التيارات، وتتاح الاطاحة
بها، بشكل يناسب الزمان والالتزام الاسلامي امام البشرية .
الثالث - الصمود الحاسم في انسجيد، برفض الفتور والتخلف
والمصانعات والاطماع .

فمن هنا ننتقل الى اصل حياتي هام، يعيد للاسلام اخضرار عوده،
والى المسلمين عزهم المجيد، ومجدهم الاثيل، لو عمل به وبمقتضاه .
وهذا الاصل هو شرطية معرفة الزمان والحوادث بكمها وكيفها، للاجتهاد
والتفقه الديني والعلمي، معرفة جيدة ملموسة مستوعبة، مبتعدة عن آية
صورة من صور الركود الفكري والرجعية والتخلف، اذ «العالم بزمانه
لا تهجم عليه اللوابس» .

إن الحوادث الواقعة (وخصوصاً الاقتصادية منها فيما نحن فيه)، إن
لم تكن معروفة لدى الفقيه المستنبط، بكل آفاقها الفسيحة وما ينوط بها
ويمت إليها، لم يتح له استنباط احكامها - اولية كانت او ثانوية - فلا تصل
يده الى الحكم، هبه ظاهرياً . ومن الواضح المسلم به، ان الاسلام الحنيف،
المساير للفطرة والبشرية، المواكب للواقع والحياة، المهيم على
العصور والازمان، يفرض رجوع الناس الى من يعرف حقائق عصره، على
سعتها، حتى يسعه ان يرشد الجماهير الى سواء السبيل .

١ - ولقد بحثنا عن «التفقه المجموعي»، في النظرة الى الفصل ٢٥، من هذا الباب، الفقرة ١٣ .

فراجعها .

الفصل السادس

العمل في التصور الاسلامي

الكتاب

- ١ وآيةٌ لهمُ الارضُ الميتةُ احييناها وَاخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ *
- ٢ .. وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا *
- ٣ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا *
- ٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْاَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ..
- ٥ .. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..

١ - سورة يس (٣٦) : ٣٣ - ٣٥.

٢ - سورة الفرقان (٢٥) : ٤٧.

٣ - سورة النبأ (٧٨) : ١١.

٤ - سورة الملك (٦٧) : ١٥.

٥ - سورة هود (١١) : ٦١.

الحديث

- ١ النبي «ص»: كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ^١.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الباقر: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ أَهْبَطَ آدَمَ «ع» مِنَ الْجَنَّةِ، أَمَرَهُ أَنْ يَحْرُثَ بِيَدِهِ، فَيَأْكُلَ مِنْ كَدِّهَا بَعْدَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ^٢.
- ٣ الامام علي «ع» - في وصيَّته لابنه الحسن: وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ^٣.
- ٤ الامام علي «ع» - روي أَنَّ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا كَانَ يَفْرُغُ مِنَ الْجِهَادِ، يَتَفَرَّغُ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ، اشْتَغَلَ فِي حَائِطٍ لَهُ يَعْمَلُ فِيهِ بِيَدَيْهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع» - اِعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ! .. جَعَلَ (اللَّهُ) الْخُبْزَ مُتَعَذِّرًا لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ وَالْحِرْكَةِ، لِيَكُونَ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ شُغْلٌ يَكْفِيهِ عَمَّا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْفَرَاغُ مِنَ الْأَشْرِ وَالْعَبَثِ^٥.

١ - البحار ٦٦ / ٣١٤.

٢ - المستدرک ٢ / ٤١٧.

٣ - نهج البلاغة / ٩٣٠: عبده ٣ / ٥٨.

٤ - المستدرک ٢ / ٤١٧ - ٤١٨.

٥ - البحار ٣ / ٨٧.

نظرة الى الفصل

إنَّ التَّأَكِيدَ عَلَى الْعَمَلِ وَتَرْكِ التَّعْطِيلِ وَالْبَطَالَةِ، مِمَّا جَاءَ فِي التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَاصِلٍ، فَكَمْ وَرَدَتْ تِلْكَمُ التَّعَالِيمُ بِالْحَضِّ عَلَى الْعَمَلِ وَإِتْقَانِهِ وَصَرْفِ النُّشَاطَاتِ الْكَثِيرَةِ لَهُ، وَكَمْ ذَمَّتِ الْبَطَالَةَ وَالْإِهْمَالَ وَأَزْدَرَتْ الْكَسْلَ وَتَرَكَ الْجِدَّ وَالسَّعْيَ. وَكَذَلِكَ لَقَدْ تَوَفَّرَتِ التَّأَكِيدُ الْحَاسِمَةُ عَلَى اسْتِفَادَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ لِمَنْ عَمِلَ غَيْرِهِ، وَارْتِزَاقِهِ مِنْ سَعْيِ نَفْسِهِ وَرَفْعِ كَلِّهِ عَنِ النَّاسِ. وَبِهَذَا الصَّدَدِ قَدْ لَعَنَ الْإِسْلَامُ مَنْ أَلْقَى كَلِّهِ عَلَى النَّاسِ، وَنَدَّدَ بَمَنْ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ غَيْرِهِ، وَيُلْقِي زَحْمَتَهُ وَكَلِّهِ عَلَى السَّائِرِينَ؛ حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلِّهِ عَلَى النَّاسِ»^١.

وَإِنَّا نُرْجِيُ الْبَحْثَ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْهَامِّ وَالْأَمْرِ الْحَيَاتِيِّ الْخَطِيرِ، إِلَى الْبَابِ الثَّانِي عَشَرَ، حَيْثُ نَتَكَلَّمُ عَنْ «الْأَصُولِ الْعَامَّةِ» لِلْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ، فَقَدْ عَقَدْنَا هُنَاكَ فَصْلَيْنِ (الرَّابِعَ وَالْخَامِسَ) لِهَذَا الْمَوْضُوعِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّرْبُوعِيِّ الْبِنَاءِ. كَمَا أَنَّا نُرْجِيُ الْكَلَامَ عَنْ وَاجِبِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي إِيجَادِ الْعَمَلِ وَالتَّشْغِيلِ وَالرَّقَابَةِ عَلَى حَقُوقِ الْعُمَّالِ وَالْأَجْرَاءِ وَاجُورِهِمْ، إِلَى ذَلِكَ الْبَابِ أَيْضًا، فِي فِصُولِهِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَوْضُوعِ.

١ - تحف العقول / ٣٢.

الفصل السابع

الطاغوت الاقتصادي والاقتصاد الطاغوتي

الكتاب

- ١ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطانٍ مبين * الى فرعون وهامان وقارون ..^١
- ٢ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى *^٢
- ٣ .. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ..^٣
- ٤ .. والذين كفروا يُقاتلون في سبيلِ الطاغوت ..^٤

الفات نظر

لا يصح أن نفهم «الطاغوت» أنه مفهومٌ سياسيٌّ لا غير، فإن الطاغوت مبالغة من الطغيان، وهو الذي يطغى على الناس والحق، وعلى الشريعة والقانون، وعلى الفضيلة والعدل، فيستعبد الناس ويستغلهم ويغتصب حقوقهم. هذا هو الطاغوت. وهو لا ينحصر في

١ - سورة غافر (٤٠) : ٢٣ - ٢٤.

٢ - سورة النازعات (٧٩) : ٣٧ - ٣٩.

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٦.

٤ - سورة النساء (٤) : ٧٦.

الحَقْلِ السِّيَاسِيّ، بل يَتَعَدَّاهِ الى حُقُولِ أُخْرَى اهِمُّهَا الحَقْلُ
المَالِيُّ والاِقْتِصَادِيّ .

وَإِنَّ مَنْ أَمَعَنَ النَّظْرَ فِي قِضَايَا الحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ وَمَا كَابَدَهُ
الانسانُ وَيُكَابِدُهُ، يُوقِنُ بَأَنَّ الطَّاعُوتَ الحَقِيقِيَّ الاَصْلِيَّ هُوَ
الطَّاعُوتُ الاِقْتِصَادِيّ، وَأَنَّ الطَّاعُوتَ السِّيَاسِيَّ سَيِّئَةٌ مِنْ سَيِّئَاتِ
الطَّاعُوتِ الاِقْتِصَادِيّ (إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ آيَاهُ). وَلَقَدْ نَطَقَتِ الآيَةُ
القرآنيَّةُ الكَرِيمَةُ بِمَا كَشَفَتْ عَنْهُ حَيْثُ تَقُولُ: «وَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ
الحَيَاةَ الدُّنْيَا *»، فَالْمُؤَثِّرُ للحَيَاةِ الدُّنْيَا، هُوَ الَّذِي يَطْغَى . وَهُوَ
الطَّاعُوتُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكْفُرَ بِهِ الْمُسْلِمُ القرآنيّ، وَأَنْ يُطَارِدَهُ
الحُكْمُ الدِّينِيّ، وَأَنْ يَجِبَهُهُ المَجْتَمَعُ الاِسْلَامِيّ، وَأَنْ يُكَافِحَهُ عُلَمَاءُ
المُسْلِمِينَ .

وَيُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى هَذِهِ الحَقِيقَةِ كَلَامُ الامامِ عَلِيِّ بْنِ ابي
طالِبٍ «ع» اَيْضاً حَيْثُ يَقُولُ: «وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الغِنَى»^١، فَالغِنَى
هُوَ المَطْغَى، وَالغِنَى هُوَ الطَّاعُوتُ .

وَكذَلِكَ يُرْشِدُنَا إِلَى هَذَا الجَانِبِ العَظِيمِ، فِي الحَيَاةِ
والمَجْتَمَعِ، تَعْلِيمٌ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الامامِ عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ
السَّجَّادِ «ع»: «أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ! مَصِيبَتُكُمْ الطَّوَاغِيَّتُ، مِنْ اهِلِّ
الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، المَائِلُونَ إِلَيْهَا»^٢، فَإِنَّ هَذَا التَّعْلِيمَ يَهْدِينَا إِلَى
مَفْهُومٍ كَبِيرٍ عَنِ «الطَّاعُوتِ»، وَهُوَ الاِقْتِصَادِيّ الَّذِي يُعَدُّهُ الامامُ
المَعْصُومُ مِنْ مِصَائِبِ المَجْتَمَعِ الانْسَانِيِّ وَالاِيمَانِيِّ . فَالطَّاعُوتِيَّةُ
الاَصْلِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَنْبَعُ مِنَ المَالِ الكَثِيرِ وَامْتِلاكِهِ وَالمَعِيشَةِ التَّرَفِيَّةِ
الَّتِي تُتْلَازِمُهُ، سِوَاها أَظْهَرَتْ فِي الصُّورَةِ السِّيَاسِيَّةِ امِ الاِقْتِصَادِيَّةِ .

١ - الكافي ٨ / ٢١ .

٢ - امالي المفيد / ١١٧ .

وستمرُّ عليك شذراتٌ من التّعاليم التي تَضَعُ الطّاعوتَ الاقتصاديّ تجاهَ حاسَّتِكَ الباصرة، في تضاعيفِ هذين البابين، فالى الاستزائنة من انوارِ الكتابِ السّماي :

٥ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ، وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * ١

* تَدُلُّنا هذه الآيةُ الكريمة :

١ - على أنَّ الباغيَ على قومٍ لا يجبُ أن يكونَ من الاجانب، فإنَّ قارونَ مع أنَّه كان من قومِ موسى «ع» ومن أقربائِهِ، وكان أقرأَ بني اسرائيلَ للتّوراة^٢، قد بغى عليهم وظلّمهم . فمن المُمكنِ الواقعِ أن يكونَ هناك اغنياءُ مُسلمون، يقرؤون القرآنَ ويعلمون بعضَ الاحكام، ويحضرون الجمعةَ والجماعات، ويتزيّون بزِيّ المتعبّدين من المؤمنين، ويدفعون بعضَ النّفقاتِ الدّينيّة والاجتماعيّة - هبّه كثيراً - ومع ذلك يكونون هم، او زملاؤهم واياديهم، باغين يظلمون الناس، وينفذون في التقنين، ويحتكرون البضائعَ والسّلع، ويفرضون سلطتهم على المُنتجات، ويُجحفون بالأسعار، ويمتصّون دمَ الجماهير ..

٢ - على أنَّ اصحابَ الثّرواتِ الموسرين، فرحون مسرورون، لا تجدُ الاحزانَ الى قلوبهم القاسية سبيلاً، ولا يجدون لآلامِ الناسِ واوجاعهم في نفوسهم ألماً؛ فهم وذووهم غارقون في

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٦.

٢ - مجمع البيان ٧ / ٢٦٦. وجاء في تفسير القمي (٢ / ١٤٥) : «وكان يقرأ التّوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه».

الأفراحِ والمسراتِ، غافلون عن كروبِ المكروبين وآلامِ
المولمين وحرمانِ المحرومين، حتى يقول لهمُ البؤساءُ المكابِدون
لانواعِ المصائبِ والغمومِ: لا تفرحُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الفرحينِ .
وهم لا يُعيرون لهذا الكلامِ المُتوجِّعِ الخارجِ من اعماقِ الانسانيةِ
المُضطَّهدةِ سمعاً .

٦ وَابْتَغِ فِيما آتاكِ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا، وَأَحْسِنْ كما
أَحْسَنَ اللَّهُ اليكِ، وَلا تَبْغِ الفَسادَ في الارضِ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفسدينِ * ١

* تَدُلُّنا هذه الآيةُ القرآنيَّةُ :

١ - على أَنَّهُ يَجِبُ على الانسانِ الموسرِ ابتغاءُ الدَّارِ الآخِرَةِ
فيما آتاه اللهُ تعالى، لا التَّرفُّلُ في نعيمِ الدُّنْيا ولذاتها ومنعُ ما
للضعفاءِ والأرامِلِ من نصيب؛ فَإِنَّ اللَّهَ تعالى يُنْعِمُ على الانسانِ لِأَن
يَبْتَغِيَ بهذه النِّعمِ الفانيَّةِ، قُرْبَهُ وجِوارَهُ ونِعْماءَ الدَّارِ الباقيةِ،
ويَتَذَرَّعَ بها الى تَأْمينِ حياتِها الخالدةِ، بالانفاقِ واداءِ الحقوقِ
الظَّاهِرَةِ والباطنةِ، والضَّرائبِ الضَّروريَّةِ والرِّفاهيَّةِ للمجتمعِ، و
المُواساةِ والمساواةِ والايثارِ. وَلِنِعْمَ ما يُعَلِّمُنا المَعْلَمُ الالهيُّ، الامامُ
عليُّ بنُ الحسينِ السَّجَّادِ «ع»، حيث يقول في رسالتهِ الحقوقيَّةِ
المعروفةِ: «ولا تَجْعَلْهُ (المالَ) اذا كانَ من اللهِ الآ اليه، وسبباً الى
اللهِ»^٢. أنظر الى هذا التَّعليمِ التَّوحيديِّ المِثاليِّ، حيث يُرشدُك الى
أَن تَجْعَلَ المالَ الفانيِّ الدَّائِرَ سبباً لسلوكِك الى اللهِ، والاستغلالِ
في ظلالِ الابديَّةِ الخالدةِ، والتخلُّصِ من الدُّثورِ والفناءِ والسُّقوطِ

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٧.

٢ - تحف العقول / ١٩١.

الفصل السابع : الطّاعوت الاقتصادية ..

الابدئي . وَلِيَكُنِ الْاِنْسَانُ الْمَوْسِرُ الْمُؤْمِنُ سَالِكاً هَذَا السَّبِيلِ ، لَا مُنْغَمِراً فِي الدُّنْيَا الْمُهْلِكَةِ وَسَاعِياً لِنَفْسِهِ فَقَطْ ، مِنْ غَيْرِ اَنْ يَهْتَمَّ بِامْرِ الْاٰخَرِيْنَ وَمَعِيْشَتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ . وَاِنَّ مِنْ حُسْنِ مَعَاشِرِ الْاِنْسَانِ اَنْ يَعْيشَ غَيْرُهُ فِي مَعَاشِهِ عَيْشَةً حَسَنَةً . قَالَ عَلِيٌّ بِنُ شَعِيْبٍ : «دَخَلْتُ عَلِيَّ ابِي الْحَسَنِ الرَّضَا «ع» فَقَالَ لِي : يَا عَلِيُّ مَنْ اَحْسَنُ النَّاسِ مَعَاشِراً؟ قُلْتُ : اَنْتَ يَا سَيِّدِي اَعْلَمْ بِهٖ مِنِّْي . فَقَالَ «ع» : يَا عَلِيُّ مَنْ حَسُنَ مَعَاشِرُهُ فِي مَعَاشِهِ . يَا عَلِيُّ مَنْ اَسْوَأُ النَّاسِ مَعَاشِراً؟ قُلْتُ : اَنْتَ اَعْلَمْ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَعْشُ غَيْرُهُ فِي مَعَاشِهِ» .^١

٢ - عَلِيٌّ اَنَّ الْاِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ اَنْ لَا يَنْسِيَ نَصِيْبَهُ مِنَ الدُّنْيَا فَيَمَّا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فَيَصْرِفُهُ ، وَفِيْمَا يَزِيْدُ عَلَيَّ الْحَاجَةَ فَيَبْذُلُهُ (وَكِلَا الْاَمْرِيْنَ نَصِيْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا) ، لِاَنَّ يَبْقَى لَهُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِداً مَذْخوراً .
٣ - عَلِيٌّ اَنَّ الْمَوْسِرِيْنَ لَمْ يَحْصُلُوْا عَلَيَّ الْيَسَارِ الَّذِي حَصَلُوْا عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ وَجَرَاءِ قُدْرَاتِهِمْ الْفِكْرِيَّةِ وَمَمَارَسَاتِهِمْ ، كَمَا يَزْعَمُهُ الْقَاصِرُونَ ، وَسِيَّاتِي الْكَلَامُ عَلَيَّ هَذَا الْمَوْضُوْعِ قَرِيْباً .

٤ - عَلِيٌّ اَنَّ الْاَغْنِيَاءَ وَاَصْحَابَ الثَّرَوَاتِ الْمَوْسِرِيْنَ ، هُمُ الَّذِيْنَ يَبْغُوْنَ الْفَسَادَ فِي الْاَرْضِ ، فَاِنَّ قَارُونَ يَقُوْلُ لَهُ قَوْمُهُ : «لَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْاَرْضِ ، اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ» . وَهَذَا تَاكِيْدٌ لِمَا سَلَفَ وَيَأْتِي ، مِنْ اَنَّ الْاَغْنِيَاءَ الْمُتَكَثِرِيْنَ هُمُ الْمَفْسِدُونَ اَيْضاً ، وَهُمُ الَّذِيْنَ يَبْثُوْنَ الْفَسَادَ وَيُشِيْعُوْنَ فِي الْمَجْتَمَعِ بِشَتَّى الْاَسَالِيْبِ .

٧ قَالَ اِنَّمَا اُوْتِيْتَهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي ، اَوْلَمْ يَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُوْنِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاكْثَرُ جَمْعاً ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *^٢

١ - تحف العقول / ٣٣٠ .

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٧٨ .

* تَدُلُّنا هذه الآية :

١ - على أَنَّ الموسرين يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا حَصَلُوا عَلَى تِلْكَ
الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ بِقُدْرَاتِهِمْ الْفِكْرِيَّةِ وَبِنَبْوِغِهِمْ الْاِقْتِصَادِيَّ، وَبِمَا
عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِطْلَاعِ وَالْعِلْمِ وَالْمَمَارَسَةِ، غَافِلِينَ أَوْ مُتَغَافِلِينَ عَنِ
بَقِيَّةِ مَا هُنَاكَ مِنَ الْمُعَدَّاتِ الَّتِي مَكَّنَتْهُمْ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى ثَرَوَاتِهِمْ
الْكَبِيرَةِ . فَالْمَوَاهِبُ وَالْقُدْرَةُ الْفِكْرِيَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِمْكَانِيَّاتُ
الَّتِي تَقَعُ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْتَمَعِ، وَالْجُهُودُ الَّتِي تُوَصِّلُهُمْ إِلَى غَايَاتِهِمْ
مِنَ النَّاسِ مِنَ الْعُمَّالِ وَغَيْرِهِمْ .. وَالتَّجَارِبُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ مِنَ
الْأَخْصَانِيِّينَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَهُمْ هُمْ . فَكَمْ هُنَاكَ أَنْاسٌ يَفُوقُونَ
الْمُتَكَاتِرِينَ فِي الْمَوَاهِبِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ
يَعْمَلُونَ لَهُمْ، فَلَيْسَتْ تِلْكَ الثَّرَوَاتُ حَصِيلَةَ مَمَارَسَاتِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ
كَمَا يَتَوَهَّمُونَ .

فَفِي هَذَا الضَّوِّءِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَقُوقِ،
وَأَنْ يُحْسِنُوا إِلَى السَّائِرِينَ بِالْوَانِ الْإِحْسَانِ، وَأَنْ يُوَأْسُوا النَّاسَ فِيمَا
أَوْتُوا، وَلَا يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ مَالِكِينَ حَقِيقَةً، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَمْوَالَ إِنَّمَا تَكُونُ
بِأَيْدِيهِمْ فِي مَدَّةٍ زَائِلَةٍ مُتَصَرِّمَةً، وَسَتَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِهِمْ، شَأُؤُومًا أَبَوًا ..
وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَمَثِيلُ نَقْدَمُهُ لِلْقُرَّاءِ فِي أَمْرِ الْمُعْدِمِينَ
وَالْمُتَكَاتِرِينَ . وَذَلِكَ كَالرَّاضِي الَّتِي لَا تَذْخُرُ الْمَاءَ حِينَمَا يَنْزِلُ
الْمَطْرُ وَالثَّلْجُ مِثْلَمَا تَذْخُرُهُ قُلُوبُ الْجِبَالِ وَبُطُونُ الْأَوْدِيَةِ وَالغُدْرَانِ،
وَحِينَئِذٍ لَيْسَ لِتِلْكَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالغُدْرَانِ أَنْ تَضْنَ بِمِيَاهِهَا
الْمَذْخُورَةَ وَتُمْسِكَهَا لِأَنْفُسِهَا وَتَسْتَهْلِكَهَا كَيْفَمَا تَشَاءُ، بَلْ عَلَيْهَا أَنْ
تَذْخُرَهَا فِي الشِّتَاءِ وَأَيَّامِ الْمَطْرِ وَالثَّلْجِ - كَمَا وَهَبَهَا اللَّهُ لِذَلِكَ الذَّخْرِ
اسْتِعْدَادًا وَتَهْيُؤًا - ثُمَّ تُرْسِلُهَا إِلَى الْمَزَارِعِ وَالْأَرْضِ الْجَدْبَةِ،

حينما تحتاجُ هي إليها^١.

وهذا من الشُّكرِ الواجبِ على الانسان، ومُنْبَعَثُ من المعتقدِ التَّوْحِيدِيِّ الَّذِي يَرَى الاسبابَ ذرائعَ اعدّها اللهُ لخلقه . و على هذا يُضحى الامرُ في غايةِ الغرابة، يعني ان توجَدَ في النَّاسِ حَفَنَةً من الاغنياءِ الموسرين تزعمُ نفسها مسلِمةً مؤمنةً مجاهدةً في سبيلِ الدّين، ومع ذلك ترى أنَّ ما اجتمعتُ لديها من الاموالِ وتكدّست، انما حصلتُ لها بذكائِها ونبوغِها الاقتصاديِّ ومِراسِها التجاريِّ ومزاوالاتِها التَّنمويَّة! واين هذا الزَّعمُ من خالصِ عقيدةِ التَّوْحِيدِ؟ بل هو من الشُّركِ الخفيِّ؛ اذ المؤمنُ الموحدُ من لا يرى حولاً ولا قوَّةً الا باللهِ العليِّ العظيم، ولا يرى قُدرةً، او مِراساً، او ادراكاً، او نشاطاً، او حركةً، او سكوناً، او فهماً، او نفعاً، او ضرراً، الا من اللهِ العالمِ الخبيرِ القادرِ البصير، كما انه لا يرى الاشياءِ والامتعةَ التي يتصرَّفُ فيها للتَّنميةِ والاستيرادِ والبيعِ والتجارةِ الا مخلوقاتِ اللهِ ونعمه، هي بنفسِها، او موادُّها واصولُّها ومنابعُها . وهذا احدُ مصاديقِ الشُّكرِ - كما سلفَ القول^٢.

١- ولقد اشار الامامُ الصادق «ع» الى الحكمةِ المذكورةِ في خلقِ القلَلِ على تلكِ الكيفيَّة - (البحار ١٣٠ / ٣). وجاء عنه ايضاً: «انَّ اللهَ قَسَمَ رِزْقَ مَنْ شاءَ على يدي مَنْ شاء» - (الكافي ٢ / ٢٦٦). راجع ايضاً: كلامُ المولى التَّراقي، في النِّظرةِ الى الفصل ٩. فايدي الاغنياءِ يجبُ ان تكونَ مَجازَ الاموالِ والنِّعمِ والمواهبِ الى الآخريين، لا محبَسَها، وقد يُؤخذ على ايديهم ..

٢- لعلَّ من الباقي في ذُكْرِ القارئِ العزيز، ما مرَّ في أولياتِ الفصلِ الأوَّل، من الموضوعاتِ الهامَّةِ التي دَلَّتْ عليها الآياتُ المنقولةُ في مُفتِّحِ الفصل . وكان الثاني منها: «الاستمداد من الله في السَّعيِ والعملِ باكثرِ ذِكْرِهِ». وهذا ما جاء في آيةِ «الابتغاء» من سورةِ «الجُمعة»: «... وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...». وهذا الامرُ بذكرِ اللهِ واكثرِهُ يُرشدنا الى واقعِ توحيدِ هَام، وهو ان لا ننسى - بل نذكرُ - ما لِلَّهِ تعالى من الاترِ الوحيدِ في حُصولِنا على ما نبتغي من فضله وما يصلُ الينامنه - جَلَّتْ آلَاؤُهُ - «وما بكم من نعمةٍ فمن الله ..» - (سورة النحل - ١٦ - : ٥٣).

والى القارئ واقعةً بهذا الصدد، من نبيِّ الله متّى «ع»، ابي يونس النبيّ «ع»: «سأل داودُ النبيُّ الله تعالى عن قرينه في الجنة، فأوحى الله اليه أنه متّى، ابو يونس، فجاء مع سليمانَ لزيارته، فرأياه إذ أقبلَ وعلى رأسه قرٌّ من حطبٍ، فباعه واشترى طعاماً ثم طحنه وعجنه وخبزه، فأخذ لقمَةً وقال: بسمِ الله . فلما ازدردها قال: الحمدُ لله . ثم فعلَ ذلك بأخرى وأخرى . ثم شربَ الماءَ فذكرَ اسمَ الله، فلما وضعه قال: الحمدُ لله، يا ربِّ! من ذا الذي أنعمتَ عليه وأوليتَهُ مثلَ ما أوليتني، قد صححتَ بصري وسمعي وبدني، وقويتني حتى ذهبتُ الى شجرٍ لم أغرسه وأهتَمَّ لحفظه، جعلته لي رزقاً، وسقتَ اليَّ من اشتراه مني، فاشتريتُ بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخرتَ لي النارَ فأنضجتَه، وجعلتني آكله بشهوةٍ أقوى بها على طاعتك، فلك الحمد...»^١.

وهناك حكمةٌ اخرى في المقام يجبُ ان لا نغفلَ عنها . وهي انَّ الله تعالى جعلَ بحكمته الناسَ على قُدُراتٍ متفاوتة : فمنهم من يقدرُ على كسبِ المال، ومنهم من يذهبُ الى طلبِ العلم، ومنهم من يسعدُ بتهديبِ النفس، ومنهم من يقوى على تعلُّمِ الطب، ومنهم من يجنحُ الى الصَّناعة، ومنهم من يظفرُ بالاختراع، وفي الناسَ من يحبُّ تحصيلَ الأخصائيَّة، ومن هو مُحِبُّ للحِرَفِ والمِهَن، ومنهم من يحبُّ العملَ في البلاد، ومنهم من يحبُّه في الرِّسَاق، ومنهم من يحبُّ العملَ في البرِّ، او البحر، او الجوّ، وما الى ذلك «فكُلُّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له». ولولا ذلك لا تدورُ عَجَلَةُ المجتمعِ البشريِّ . وعلى هذا فلا يسعُ ايُّ احدٍ من الناسِ ان يَظُنَّ بما عنده من مالٍ كَسَبَهُ، او علمٍ طلبه، او رُشدٍ وصل اليه، او صَناعةً أجادها، او تجرِبَةً حَصَلها،

الفصل السابع : الطَّاعُوتِ الاقتصاديَّةِ ..

او اختراعٍ كشفه، او اخصائيةً قام بها، فكلُّ انسانٍ يَجِبُ عليه أن يُؤاسِيَ المجتمعَ بما لديه، حتى يُؤاسِيَه الآخرون بما لديهم، وحتى يكونَ النَّاسُ مُتَمَتِّعِينَ من ابناءِ نوعهم، آمينين في سِرِّبهم . وهذا الامانُ امرٌ مهمٌّ، اذا الانسانُ الموهوبُ القادرُ على اقتناءِ الاموالِ الطَّائِلَةِ، اذا عَمِلَ بمقتضى استعدادِه ومواهبِه وحَصَلَ على مالٍ طائلٍ، ولم يُؤدِّ حقوقَه الظَّاهِرَةَ والباطِنَةَ، ولم يُؤاسِ النَّاسَ في تلكِ الاموالِ، فهو كاللِّصِّ القادرِ، يكونُ النَّاسُ منه على ضررٍ وحَدْرٍ، فلا يكونُ اميناً، ولا يكونُ المجتمعُ آمناً .

٢ - على أَنَّهُ تعالى لا يَعتَني بالاغنياءِ واموالِهِم ولا يَعتدُّ بِهِم وبها، فقد أَهَلَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً وَاكْثَرُ جَمْعاً . فعلى الاغنياءِ المتكاثرينِ وذوي الثرواتِ الموسرينِ أن يراقبوا اللهَ وَأَن يَتَّقُوا عَذَابَهُ وَهَلَاكَه وَأَخْذَهُ (سواءً ما كان منها في هذا الدُّنيا بأيدي الثُّورِ والمُحِقِّينِ، أو في الآخرةِ وبعذابِها الشَّدِيدِ)، فلا يَظْلِمُوا النَّاسَ، ولا يَغْصِبُوا الحَقَّوقَ، ولا يَسْتَغْلُوا الكادحينِ، ولا يَسْرِقُوا ارزاقَ الجماهيرِ، ولا يُحَقِّقُوا الضُّعْفَاءَ والمساكينِ، ولا يَضَعُوا نِيرَ الاستضعافِ على اعناقِ المستضعفينِ، لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْلُبَهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ سَلَبَهُمْ بِأَيْسَرِ أَمْرٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ .

٣ - على أَنَّ المجرمينِ من الاغنياءِ، الذين ظَلَمُوا المحرومينِ والمُضْطَّهَدِينَ وسَلَبُوا حَقَّوقَهُم الحَقَّةَ ولم يُعْطُوهُم مالَهُم ولم يُؤاسُوهُم فيما أعطاهُم اللهُ تعالى، فإنَّهُم سوف يَدْخُلُونَ العذابَ بلاسؤالٍ ولا حسابٍ، فالى اللهِ المَعادِ .

٨ فخرَجَ على قومِه في زينته، قال الَّذِينَ يُريدونَ الحَيَاةَ الدُّنيا: يا ليتَ لَنَا مِثْلَ ما

أُوتِيَ قَارُونَ، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ *^١

* تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةُ :

١ - عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الثَّرَوَاتِ وَالْأَمْوَالِ الطَّائِلَةَ يُحِبُّونَ
الاستطالة على الناس والتفاخر والبذخ والترف والتزين بصورة
طاغية طاغوتية، ويحبون ان يروا للناس زينتهم وزبرجهم، ولذلك
يخرجون عليهم في زينتهم، من ملابس قشبية ومراكب جميلة،
ويبنون قصوراً شاهقة وبيوتاً مزخرفة، كل ذلك للاستعلاء
والاستكبار على الجماهير ولاسيما المحرومين منهم .

٢ - عَلَى أَنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ بِظَوَاهِرِ أحوالِ الْاَغْنِيَاءِ وَزِينَتِهِمْ
وَزِبْرَجِهِمْ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ، فَيَتَمَنُّونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَكُونُ
لِلْاَغْنِيَاءِ، وَبِذَلِكَ تُفَلِّقُ طَمَأُنِينَ النَّاسِ الرُّوحِيَّةَ .

٣ - عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يُفْتَنُونَ بِالزَّيْنَةِ وَالزَّبَارِجِ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ
الحياة الدنيا، من اصحاب العقول الضعيفة والهيم القاصرة، من
الذين يعتقدون ان الاغنياء ذوو حظوظ عظيمة، اما المؤمنون الذين
لا يريدون العروض الزائلة الفانية ولا ينظرون اليها نظر الغاية
لوجود الانساني، فهم بمعزل عن اختلاج هذا الفكر في
ضمايرهم النيرة بانوار العقل والبصيرة .

٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ *^٢

* تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةُ :

١ - عَلَى أَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالْبَصِيرَةَ، هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ بِوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ حِينَ يَرَوْنَ ظَوَاهِرَهَا، فَلَا يُفْتَنُونَ بِالْأَمْوَالِ وَالْإِمْتِعَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَلَا يُعَدُّونَهَا شَيْئًا فَلَا يَعْتَدُونَ بِهَا اعْتِدَادًا. وَفِيهِمْ أَنْاسٌ يُحِبُّونَ النَّاسَ وَيَتَحَمَّسُونَ لِحَقُوقِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ، فَيَصْرُخُونَ فِي وَجْهِ الْمُتَكَاثِرِينَ لِأَنَّهُ يُوقِظُهُمْ وَيَأْخُذُوا بِأَيْدِيهِمْ فَيُخَلِّصُوهُمْ مِنْ مَهَاوِي السَّقُوطِ الرُّوحِيِّ وَالْخُلُقِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ وَالْاِقْتِسَادِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ.

٢ - عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ الْحَقِيقِيَّ فِي الْأَمْرِ الْبَاقِي الْخَالِدِ، لَا الزَّائِلِ الْبَائِدِ، فَثَوَابُ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ، لِأَنَّهُ الْبَاقِي الْخَالِدِ.

٣ - عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ، مِنَ الَّتِي تَنْفُذُ فِي الْبَصَائِرِ وَتَفْتَحُهَا عَلَى الْحَقَائِقِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى مَرِّ الْحَقِّ وَعَلَقَمِ الزُّهْدِ، الَّذِينَ يُوطَّنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَتَسْوِيلَاتِهَا الْخَلَابَةِ.

١٠ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ *

* تَدُلُّ الْآيَةُ :

١ - عَلَى أَنَّ قَارُونَ لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ مَا لَهُ الْوَافِرُ الْكَثِيرُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ وَبَدَارِهِ وَمَا لَهُ مِنَ الذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ.

٢ - عَلَى أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ الَّذِينَ يُقَاطِعُونَ النَّاسَ وَيَتَجَنَّبُونَ صُحْبَتَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ عَلَى النَّوَابِ عَوْنٌ، فَعِنْدَ مَا نَزَلَتْ بِهِمُ النَّوَازِلُ

لَا يَجِدُونَ فِئَةً تَنْصُرُهُمْ، فَمَالَ امْرِهِم إِلَى الْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالْعُرْلَةِ
وَالْحَرَمَانِ مِنْ حُبِّ النَّاسِ وَمُؤَاذَرَتِهِمْ .

٣ - عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَوَارَادَ بِالْأَغْنِيَاءِ الْهَلَاكَ وَالذَّمَّارَ، فَلَا يُمَكِّنُ
لَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَذَابَ وَالْهَلَاكَ، لِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا
يَشَاءُ؛ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

٤ - عَلَى أَنَّ الثَّوَرَاتِ الْحَقَّةَ النَّاجِحَةَ يَجِبُ أَنْ تُقَامَ فِي وَجْهِ
الطَّوَاغِيَةِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ أَيْضًا كَالسِّيَاسِيِّينَ؛ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى «ع»
مَادَامَ لَمْ يُؤَفَّقْ لَشَجْبِ الطَّاغُوتَيْنِ - الْمَالِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ - لَمْ تَنْجَحْ
ثَوْرَتُهُ الْهَدَامَةُ وَالْبِنَاءُ، فَكَمَا أَنَّهُ أَزَاحَ الْعُرْقَلَةَ الْأُولَى عَنْ مَسِيرَةِ
قَوْمِهِ، أَزَاحَ الْعُرْقَلَةَ الثَّانِيَةَ أَيْضًا، فَبِفَضْلِ ثَوْرَتِيهِ غَرِقَ فِرْعَوْنُ فِي
الْبَحْرِ، وَخُسِفَ قَارُونُ بِالْأَرْضِ، وَالْأَلَمْ يَكُنْ ظَافِرًا بِتَخْلِيصِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الْمُضْطَهَّدِينَ مِنْ مَخَالِبِ الْاِسْتِعْبَادِ وَالضُّعْفِ وَالْاِسْتِغْلَالِ
وَالهَوَانِ . فَمِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ الْقُرْآنِيِّ نَعْلَمُ أَنَّهُ لِاثْوَرَةٍ نَاجِحَةٍ بَدُونِ
شَجْبِ الطَّاغُوتَيْنِ .

١١ وقارونَ وفرعونَ وهامانَ ولقد جاءهم موسى بالبينات، فاستكبروا في
الأرض، وما كانوا سابقين *^١

* تَدُلُّ الْآيَةُ :

١ - عَلَى أَنَّ قَارُونَ^٢ وَفِرْعَوْنَ^٣ وَهَامَانَ^٤ عِدَادُهُمْ عِدَادٌ وَاحِدٌ،

١ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ (٢٩) : ٣٩ .

٢ - وَهُوَ الطَّاغُوتُ الْاِقْتِصَادِي .

٣ - وَهُوَ الطَّاغُوتُ السِّيَاسِي .

٤ - وَهُوَ الطَّاغُوتُ الثَّقَافِي .

الفصل السابع : الطّاعوت الاقتصادي ..

فَلْيَكُنِ النَّاسُ عَلَىٰ انْتِبَاهٍ مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَخَافُونَ الْفِرَاعِنَةَ وَيَحْذَرُونَهُمْ وَلَا يَخَافُونَ الْقَوَارِنَةَ وَلَا يَحْذَرُونَهُمْ (وذلك من جرّاء الدّعايات المضلّلة التي يبثّها الطّواغيت الاقتصاديون بين الجماهير اضلالاً لهم في الوعي والاتّجاه)، مع أنّ قارون هو فرعون نفسه مع شيء زائد. ونحن نقرأ في قصّة موسى «ع» مع قارون، من تدسيسه على نبيّ الله، ما لم نقرأه في قصّة موسى مع فرعون؛ وذلك لأنّ «قارون دَعَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَغِيًّا، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أُعْطِيكَ الْفَيْنَ عَلَىٰ أَنْ تَجِيثِي غَدًا، إِذَا اجْتَمَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِنْدِي فَتَقُولِي: يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ! مَا لِي وَلِمُوسَى، قَدْ آذَانِي؟. قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَعْطَاهَا خَرِيطَتَيْنِ عَلَيْهِمَا خَاتَمُهُ. فَلَمَّا جَاءَتْ بَيْتَهَا نَدِمَتْ وَقَالَتْ: يَا وَيْلَتِي قَدْ عَمِلْتُ كُلَّ فَاحِشَةٍ فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ أَقْبَلَتْ وَمَعَهَا الْخَرِيطَتَانِ حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَتْ: إِنَّ قَارُونَ قَدْ أَعْطَانِي هَاتَيْنِ الْخَرِيطَتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ آتِيَ جَمَاعَتَكُمْ فَأَزْعَمَ أَنَّ مُوسَى يُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي. وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ. وَهَذِهِ دِرَاهِمُهُ عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَعَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ خَاتَمَ قَارُونَ ..»^١.

٢ - على أنّ قارون ومن يُضاهيه من الاغنياء ايضاً، يُنكرون الآيات الالهية والموازن الدينية. وأنّ هذا الانكار والمجاهة لا يختصان بالفراعنة السياسيين، بل يقوم بهما الفراعنة الاقتصاديون ايضاً «وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون»^٢.

٣ - على أنّ المستكبر ليس وصفاً للمتغلب السياسي

١ - مجمع البيان ٧ / ٢٦٧.

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ٣٤.

والحاكم الطاغى فحسب، بل هو وصف أيضاً للكبراء المالىين
والحكام الاقتصاديين .

٤ - على أن هؤلاء المستكبرين، السياسيين والاقتصاديين، لا
يقدرّون على أن يفروا من العذاب الالهى .. فالله مدركهم ومعدّبهم
عذاباً اليماً، إن لم يدركهم العذاب في الدنيا بأيدي المظلومين
التأثرين .

١٢ فكلّما أخذنا بذنبه، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة،
ومنهم من خسفنا به الارض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون *^١

* تدلنا هذه الآية :

١ - على أن الكل يأخذه الله بذنبه، فلا فوات لشيء من
عقوبات الاعمال، فالى رحمته المعاذ .

٢ - على أن العذاب الالهى الدنيوي الذي اصاب هؤلاء
الذين ظلموا الناس واغتصبوا حقوقهم وأزدرؤهم، إنما جاءهم
بصور شتى كإرسال الحاصب عليهم، او أخذ الصيحة لهم، او
خسف الارض بهم، او إغراقهم في البحر . وفي هذه العصور ايضاً
يُعذب الله الظالمين والمستكبرين والمتكاثرين الغافلين، عذابهم
الدنيوي، بصور أخرى من العذاب المناسب لهذه الاحوال، روحياً
وجسدياً (خصوصاً عند ثورة التأثرين)؛ ولعذاب الآخرة اشد
وأبقى .

٣ - على أن كل ذلك العذاب والجزاء، إنما يكون من تبعات

١ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٤٠ .

الفصل السابع: الطاغوت الاقتصادي ..

اعمالهم السيئة، من غضبهم للحقوق، وهتكهم للحرّمات، وامتصاصهم للناس، وغضبهم الطرف عما يكابده المحرومون، وتناسيهم لما يعانیه الايتام والارامل من الفقر والجوع والعري، في الحرّ والبرد، وعدم الصحة والسكن، وعدم التربية والتعليم .. فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون .

٤ - على ان الله تعالى يشجب الظلمة الاقتصادية كما يشجب الظلمة السياسيّة . فعلى المؤمنين الصامدين ان لا يسكتوا امام هؤلاء، فان هذا السكوت بمعنى القرار على كظة الظالمين وسغب المظلومين . وهذا خلاف رضا الله تعالى، وخلاف السيرة العملية التي رسمها لنا الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» في ايام حكمه . ومن اللاّحِب ان القيام بهذا الصدد هو من اهمّ التكاليف، لاسيما للعلماء النابهين ورجال الدين الملتزمين .

١٣ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً، اولئك لهم عذاب مهين * واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعها، كأن في اذنيه وقراً، فبشره بعذاب اليم * ١

* هذه الآية الكريمة تستهدف إعطاء صورة من الحياة التكاثرية والمعيشة الترفية، لاصحابها المستكبرين، الذين يشترون لهو الحديث ليضلوا الناس الضعفاء العقول عن سبيل الله، لكي لا يتخذوا آيات الله جدّاً، بل يتخذوها هزواً، حتى لا تنصهر نفوسهم بتلك الآيات الالهية الموقظة انصهارها للبناء، ولا تهين

تلك البيّناتُ على النفوس، ولا تُخطّطُ لها منهجاً للسلوكِ
الانسانيّ. وهؤلاء الاغنياءُ المُشترُونَ لِلهُوَ الحديث - القادرون
باموالهم على ذلك الشراء - لا يُعيرون سمعاً لآيةٍ كلمةٍ حقٍّ او دعوةٍ
عدل . وحينما يتلو الدُّعاةُ المُحِقِّون آياتِ اللّهِ على اصحابِ تلك
المعيشةِ المُعَقَّلة، يُؤلُّون مستكبرين، يُبدون أنّهم لم يسمعوها، كأنّ
في اذنيهم وقراً، فبشّرهم بعذابٍ اليم .

١٤ وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ، فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعاً ..^١

١٥ .. يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *^١

الفات نظر

قال الشيخ ابوعلّي الطبرسي : «ولو ترى» يا محمد! «إذ
الظّالمون موقوفون عند ربّهم» اي : محبوسون للحسابِ يومَ
القيامة، «يرجعُ بعضهم الى بعضِ القول» اي : يردُّ بعضهم الى
بعضِ القول في الجدل، «يقولُ الذين استضعفوا» وهم الاتباع،
«للذين استكبروا» وهم الاشرافُ والقادة : «لولا أنّتم لَكُنَّا
مؤمنين»، مصدّقين بتوحيدِ الله، اي انتم منعموننا من الايمان .. كان
اتباعُ الانبياء فيما مضى، الفقراء و اوساطِ الناسِ دون الاغنياء، ثم
بيّن سبحانه علّة كفرهم بأن قال : «وقالوا نحن اكثرُ اموالاً
واولاداً» اي : افتخروا باموالهم واولادهم ظناً بأن الله سبحانه، انما
خولهم المال والولد كرامةً لهم عنده، فقالوا اذا رزقنا وحُرمتم،

١ - سورة غافر (٤٠) : ٤٧.

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ٣١.

الفصل السابع: الطّاعوت الاقتصادية ..

فنحن اكرمُ منكم وافضلُ عندالله تعالى، فلايُعذُّبنا على كفرنا بكم .
وذلك قوله : "وما نحن بُعْذَبِين" . ولم يعلموا أنَّ الاموالَ والاولادَ
عطاءً من الله تعالى، يَسْتَحِقُّ به الشُّكرَ عليهم، وليس ذلك للاكرامِ
والتفضُّلِ»^١.

ولايتَوَهَّمُ الباحثُ أنَّ هذه الخصوصيةَ موجودةٌ في اغنياءِ
الكفارِ وغيرِ المسلمين فقط، لا، بل هي تعمُّ الكفارَ والمسلمين،
وموجودةٌ في كثيرٍ من الموسرين والمُتَنَعِّمين والاغنياء من غيرِ
الكفار - كما يأتي التَّصريحُ به في الحديثِ الشَّريفِ - فعلى هذا
لاينبغي للعلماء الربَّانيين، ودُعاةِ الحقِّ النَّابهين، وشيعةِ الفضيلةِ
الصَّامدين، أن يركنوا الى اهلِ الثَّروةِ والغنى، مُتَوَهِّمين أنَّهم
يؤيِّدون الدينَ بنفقاتِهِم، ويُقيمون الحقَّ باموالِهِم، لا، فإنَّ اعباءَ
القيامِ بحفظِ الحقِّ وحِراسَةِ الدينِ، كانت ولا تزال على كواهلِ
الضعفاءِ والمستضعفين، في مراحلها الجدِّية . وهذا اصلُ عمليِّ
اعتمدَ عليه واعتدَّ به الانبياءُ ودُعاةُ الدينِ على بكرةِ ابيهم^٢.

١٦ كلاً إنَّ الانسانَ ليطغى * أن رآه استغنى *^٣

١٧ .. ونذرهم في طغيانهم يعمهون *^٤

١٨ وذُرني والمُكذِّبينَ اُولي النُّعمةِ، ومهلِّهم قليلاً *^٥

* يُستفادُ من هذه الآيةِ القرآنيةِ أنَّ مكذِّبي الرُّسلِ هم اولو

١ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٢ .

٢ - راجع : الفصل ٥٠، من هذا الباب ايضاً .

٣ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧ .

٤ - سورة الانعام (٦) : ١١٠ .

٥ - سورة المُزَّمِّل (٧٣) : ١١ .

النَّعْمَةِ وَالْإِقْطَاعِيَّونَ وَالْمُتَكَاتِرُونَ، فيقولُ اللهُ تعالى تثبيتاً لنبيه
وتشجيعاً له: «ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ...»، فإني سأكفيكمهم .
ولقد عَلِمْنَا بالنَّصُوصِ الْقُرْآنِيِّ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْوَقَائِعِ
التَّارِيخِيَّةِ، أَنَّ الْاِكْثَرِيَّةَ الْغَالِبَةَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ، وَكَذَّبُوا
النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى الدُّعَاةِ الْمُحَقِّقِينَ،
وَاتَّبَعُوا الشَّيَاطِينَ، هُمُ الْمَلَأُ وَالْمُتَرْفُونَ، وَالْاِغْنِيَاءُ الْمُتَكَاتِرُونَ؛
فَاعْدَاءُ الْاَنْبِيَاءِ وَالشَّرَائِعِ الْاِلَهِيَّةِ، اَوْ مُخَالَفُوا تَطْبِيقَهَا عَلَى الصُّورَةِ
الصَّحِيحَةِ الْفِعْلِيَّةِ، هُمُ عُتَاةُ الْمَالِ، وَطَوَاغِيْتُ الثَّرْوَةِ، وَجِبَابِرَةُ
التَّكَاثُرِ وَالْاِتْرَافِ، وَفِرَاعِنَةُ الْجَمْعِ وَالْاَدَّخَارِ، وَقَوَارِنَةُ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ . هَذَا دَابُّ هَوْلَاءِ، فِي آيَةِ اُمَّةٍ كَانُوا، وَفِي اَيِّ زَمَانٍ ظَهَرُوا،
وَعَلَى اَيِّ اِعْتِقَادٍ اَبَدُوهُ (وَلِذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ الْاَعْظَمُ «ص»: «
«شُرَّامَتِي الْاِغْنِيَاءُ»^١). اِلَّا مَنْ تَابَ مِنْهُمْ وَاَصْلَحَ، وَرَجَعَ عَنْ اَمْوَالِهِ
وَتَخَلَّى مِنْهَا، وَرَدَّهَا اِلَى اَهْلِهَا مِنَ الْمَحْرُومِينَ وَالْكَادِحِينَ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، اَوْ صَرَفَهَا فِي وَجْهِهَا - وَحَيْثُ وَجَّهَهَا اللهُ - مِنْ
الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْخَيْرَاتِ الصَّالِحَةِ .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْاَنْبِيَاءِ وَلَمْ يَهْتَدُوا اِلَى
سِوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَمْ يَظْفَرُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا - الَّتِي هِيَ مَزْرَعَةٌ لِآخِرَتِهِمْ
- بِمُعْتَقَدٍ صَحِيحٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، كَانُوا حِصَانَدَ اَوْلِيكَ الطُّغَاةِ
الْاِقْتِسَادِيِّينَ مِنَ الْمُتَرْفِينَ وَ«السَّادَاتِ الْكُبْرَاءِ» - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^٢ - فَاِنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ بِاقْوَالِهِمْ
وَاَعْمَالِهِمْ وَاَمْوَالِهِمْ . وَسُنْعِيدُ الْكَلَامِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فِي الْفَصْلِ

١ - جامع السعادات ٢ / ٣٦ .

٢ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٦٧ . وكذلك تعبيرُ الامام علي بن ابي طالب «ع» حيث يقول : «ألا!
فالحذر، الحذر، من طاعة ساداتكم وكبرائكم...» - (نهج البلاغة / ٧٨٥ : عبده ٢ / ١٦٦) .

الحادي والعشرين، فراجع .

الحديث

- ١ النبي «ص»: ما أُوجِيَ اليَّ أَنْ أَجْمَعَ المَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوجِيَ اليَّ أَنْ سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ١.
- * يُنَدِّدُ الحَدِيثُ النّبَوِيُّ الشَّرِيفُ بِجَمْعِ المَالِ وَأَدْخَارِهِ، لِابْتِكَاثِهِ وَانْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ المَشَارِيعِ الخَيْرِيَّةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ .
- ٢ عيسى المسيح «ع»: بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَكْنَافَ السَّمَاءِ لِخَالِيَةٌ مِنَ الاغْنِيَاءِ . وَلَدْخُولُ جَمَلٍ فِي سَمِّ الخِيَاطِ، أَيْسَرُ مِنْ دَخُولِ غَنِيِّ فِي الجَنَّةِ ٢.
- ٣ الامام علي «ع»: .. وَإِنْ افَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الغِنَى ٣ .
- ٤ الامام علي «ع»: .. وَكُلُّ افْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ ٤ .
- ٥ الامام علي «ع»: كَانَ سَلِيمَانُ إِذَا أَصْبَحَ تَصَفَّحَ وَجُوهَ الاغْنِيَاءِ وَالاشرَافِ حَتَّى يَجِيءَ اِلَى المَسَاكِينِ وَيَقْعُدَ مَعَهُمْ وَيَقُولُ: مَسْكِينٌ مَعَ المَسَاكِينِ ٥ .

١ - البحار ٦٢ / ٤٧، عن «روضة الواعظين».

٢ - عُذَّة الدَّاعِي / ١١٣ .

٣ و ٤ - نهج البلاغة / ١١٣٦: عبده ٣ / ١٧٥ .

٥ - البحار ١٤ / ٨٣، عن «مجموعة ورّام».

* هذه التعاليم وامثالها تشجُب الطواغيت الاقتصادية وتزدرِيهم وتختزلهم عن المجتمع، وتُسبب عزلتهم الاجتماعية اذا عمِلَ النَّاسُ بمقتضاها. وهذا كقولِ النَّبِيِّ «ص»: «ثلاثةٌ مجالستهم تُميتُ القلبَ .. الجلوسُ مع الاغنياء»^١. غيرَ أنَّ النَّاسَ يَجِبُ أَنْ يُوَجَّهُوا لذلك الامر، وَأَنْ يُوعَوْا أَنَّ الغنى لا يُوجبُ آيةَ كرامةٍ او حُرمةٍ او مزيةً، بل يَجِبُ أَنْ يكونَ اصحابُه مُختزِلين غيرَ مرموقين، حتى يَفِيثُوا الى العدلِ والحقِّ والبذلِ واداءِ الحقوقِ التي تلزمهم - وهي كثيرة - ورفعِ اليَدِ عَمَّا أقدموا عليه من الامتصاصِ والاستغلالِ حتى حَصَلُوا على تلكم الثروات.

٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام جعفرُ الصادق: إِنَّ اللّٰهَ فَرَضَ على اغنياءِ النَّاسِ في اموالِهِم قدرَ الَّذي يَسَعُ فقراءَهُم . فإِنْ ضاعَ الفقراءُ، او أُجهدُوا، او أُعْرُوا، فِيمَا يَمْنَعُ اغنيائُهُم . فَإِنَّ اللّٰهَ محاسبُهُم بذلك يومَ القيامةِ ومُعذِّبُهُم عذاباً اليماً^٢.

* فعلى اساسِ هذا التّعليمِ (وهذا التّأشيرُ الالهيّ الَّذي قد أبداهُ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع» ونقلَهُ الامامُ الصادق «ع» كتعليمٍ ثابتٍ وتأكيدٍ)، أليسَ من الواجبِ علينا أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ ضياعَ الفقراءِ وإجهادَهُم وإعراءَهُم كُلِّها يَرْجِعُ الى منعِ الاغنياءِ وجسِهِم الحقوقَ المختلفةَ - الظّاهرةَ والباطنة^٣ - التي يَجِبُ عليهم اداؤها؟ أليسَ من الواجبِ على الفقاهةِ الاسلاميّةِ أَنْ تَتَّخِذَ أَمَامَ الغنى

١ - تحف العقول / ٤٢.

٢ - دعائم الاسلام ١ / ٢٥٠.

٣ - راجع: الفصل ٤١، من الباب ١٢.

الفصل السابع : الطّاعوت الاقتصاديّة ..

الوافر الذي ضاع به الفقراء وأجهدوا وأغرّوا، موقفاً حاسماً غير محايدٍ؟ أوليس من الواجب على الحكم الذي يدعي الإسلام والانتفاء اليها أن يقوم باخذ حقوق المحرومين والضعفاء واموالهم وايصالها اليهم، من غير أي تأجيل او مُداهنة؟

وعلى اساس التعليم العلويّ الصادقيّ المذكور،^١ اذا دعا داعٍ الى اقامة القسط القرآنيّ وقال، يجب أن يزاح الفقر من المجتمع الاسلامي باسترداد الحقوق المغصوبة والمحبوسة وردّها الى اهلها، أيكون من الحقّ والنصفه أن نتهمه بانكار الملكيّة و قداسيتها، وباليساريّة والتطرف وما اليهما؟ أمن الدين أن نخفق تلك الاصوات الداعية الى تجسيد العدالة القرآنية بهذا الاتهام التافه الواهي؟ .. غفرانك اللهم ربنا واليك المصير ..

٧ الامام السجاد «ع» : .. وأزرو عني من المال ما يحدث لي مخيلةً، او تأدياً الى بغيّ، او ما اتعقب منه طغياناً ..^٢

٨ الامام السجاد «ع» : .. أيها المؤمنون! مصيبتكم الطواغيت من اهل الرّغبة في الدّنيا، المائلون اليها، المفتونون بها، المقبلون عليها، وعلى حطامها وهشيمها البائد غداً ..^٣

٩ الامام السجاد «ع» : .. فقدّموا امر الله وطاعته وطاعة من أوجب الله طاعته بين يديّ الامور كلّها، ولا تُقدّموا الامور الواردة عليكم، من طاعة الطواغيت

١ - وقد جاء مثله عن النبي «ص» ايضاً - كما في «التصدير»، وامثال هذا التعليم كثيرة متضافرة في التعاليم الاسلاميّة، بحيث يتخذ منها اصل «فقر الفقراء من ذنب الاغنياء». ولقد جاءت جملةً سالحةً من تلك التعاليم في فصول هذين البابين، كما يلاحظها القراء الكرام .

٢ - الصحيفه السّجّاديّة / ٢٠٢ (الدعاء ٣٠).

٣ - امالي المفيد / ١١٧.

وفتنة زهرة الدنيا، بين يدي امرالله وطاعته، وطاعة اولي الامر منكم ..^١

تذييلان

١ - تعميم الكفاح ضد الطاغوت سياسياً كان او اقتصادياً

الكتاب

- ١ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وهامان وقارون ..^٢
- ٢ .. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى ..^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. وما اخذ الله على العلماء: ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ..^٤
- ٢ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع»: ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .. من قال: لا اله الا الله، فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح . ولادين لمن دان الله بطاعة الظالم . ثم

١ - تحف العقول / ١٨٣ .

٢ و ٣ - سورة غافر (٤٠): ٢٣ - ٢٤، و سورة البقرة (٢): ٢٥٦ .

٤ - نهج البلاغة / ٥٢: عبده ١ / ٣٢ .

الفصل السابع: الطاغوت الاقتصادي ..

قال: كلُّ القومِ ألهاهُمُ التَّكاثُرُ، حتَّى زارُوا المَقابِرَ.^١

٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ أَحَبَّ بقاءَ الظَّالِمينِ فقد أَحَبَّ أَنْ يُعَصِيَ اللهُ.^٢

* لعلَّ الاشارةَ الى اهمية مكافحة الطاغوتين السياسي والاقتصادي، توضيح للواضح، لما نعرفه من تعاليم الاسلام . ومنها ما يراه المراجع الى هذين البابين .

٢- لزوم التعجيل في ازالة المظالم المالية (لا إمهال في التغيير)

أ- الاموال الشعبية

الكتاب

١ فَلَذَلِكَ فَادُعُ وَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ.^٣

الحديث

١ - امالي المفيد / ١٠٩ .

٢ - الوسائل ١٢ / ١٣٤ .

٣ - سورة الشورى (٤٢) : ١٥ .

١ الامام علي «ع» - لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَاطِبَ عَثْمَانَ بْنَ عُفَّانَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامِهِ الْمَشْهُورِ، الْمَنْقُولِ فِي «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ»، فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ. فَقَالَ: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصَوْلُ امْرِكِ إِلَيْهِ.^١

* وهذا الكلام الثوري ردُّ على كلِّ حكمٍ اسلاميٍّ يُؤجِّلُ تطبيقَ العدلِ واصلاحَ القضايا الاقتصادية وشجَبَ المظالم المالية، ويعِدُّ الناسَ وعداً، ويقول: لَمْ تَأْتِ فُرْصَةُ الْاِقْدَامِ عَلَى هَذِهِ الْاُمُورِ بَعْدُ.. وَسَنَقُومُ بِهَا حِينَما وَافَتْنَا فُرْصُ مُؤَاتِيَةِ. هذه الاعذار كلها تقاعس، او تموية، او ضعف، او رجعية وتخلّف، او مصانعة، او طمع؛ وتضادُّ اتجاهاً الامام عليّ بن ابي طالب «ع»، الثوريّ الاسلاميّ.

ب - الاموال الفردية

٢ الامام الصادق «ع» - عليّ بن ابي حمزة قال: كان لي صاحب كان يكتبُ لبني امية فسألني ان استاذن له حتى يدخل علي الصادق «ع». فاستأذنتُ له فدخل وقال قد حصل عندي اموال كثيرة من غير احتياط في مواردها فما الحكم فيها؟ فقال الصادق «ع»:
«لولا ان بني امية وجدوا من يكتب لهم ويحبي لهم الفياء ويقايل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في ايديهم ما وجدوا شيئاً الا ما وقع في ايديهم». قال: فقال الفتى: جعلت فداك!

١ - نهج البلاغة / ٥٢٥ - ٥٢٧: عبده ٢ / ٨٤ - ٨٦.

الفصل السابع: الطّاعوت الاقتصاديّ ..

فهل لي مخرج منه؟ قال: «إن قلت لك تفعل؟» قال: أفعل. قال له: «فأخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم. فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به. وأنا أضمن لك على الله عز وجل الجنة». قال: فأطرق الفتى رأسه طويلاً ثم قال: قد فعلت، جعلت فداك!

نظرة الى الفصل

١ - الطَّاعُوتِ الاقتصاديّ والاقتصاد الطَّاعُوتِي: الاقتصاد التَّكاثريّ، اقتصاد طَّاعُوتِيّ في نظر الاسلام . وهو مبدأ الطُّغْيَانِ ومجاله الفسح . إنّ كلمة «الطَّاعُوتِ» مبالغة من الطُّغْيَانِ - كما سلف - والطُّغْيَانِ هو التَّجَاوُزُ عن حدودِ القصدِ والاعتدالِ، والعُتُوُّ على الحقِّ والعدلِ والقانونِ، والاعتداءُ على حقوقِ النَّاسِ . والمقصودُ بالطَّاعُوتِ هو المعبودُ من غيرِ الله تعالى والمُطَاعُ دونَه . وكلُّ متجاوزٍ وكلُّ مُعْتَدٍ وطاغٍ فهو طَّاعُوتِ . والطُّغْيَانُ قد يكونُ نفسياً باطناً، وقد يكونُ ظاهراً . وهو ناشيءٌ من الثَّرَاءِ وكثرةِ المواهبِ الحياتيةِ، او الامورِ المكتسبةِ . وقد يكونُ الطُّغْيَانُ الماليُّ سبباً لطغيانِ النَّفسِ وبالعكس، يعني أنّ النَّفسَ الطَّاعِيَةَ تَطْلُبُ المالَ الكثيرَ وتَجْتَهِدُ في طلبه فتَصِلُ اليه فتطغى، «كَلَّا! إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى * وَالطُّغْيَانُ الْمَالِيُّ يُوجِبُ الطُّغْيَانَ فِي سَائِرِ مُسْتَوِيَاتِ الْحَيَاةِ .

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَذُمُّ اسْتِقْطَابَ الْمَالِ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الطُّغْيَانِ النَّفْسِيِّ وَالظَّاهِرِيِّ، وَيَتَوَعَّدُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *»^٢ ومن المعلوم أنّ المالَ اذا اسْتَقْطَبَ وصارَ الغايةَ للنَّشاطِ الانسانيِّ وأدخِرَ وأكْتَنَزَ، يكونُ عاملاً للطُّغْيَانِ، وباعتناءً على العُتُوِّ والتَّنَمُّرِ أمامَ الحقِّ والعدلِ، والتَّخْلِي عن اداءِ حقوقِ النَّاسِ . ونشيرُ هنا الى نَبْذَةِ من مفايدِ الاقتصادِ الطَّاعُوتِيّ ومضاعفاته السيئةِ

١ - سورة العلق (٩٦): ٦ - ٧ .

٢ - سورة النازعات (٧٩): ٣٧ و ٣٩ .

الهدامة :

أ - القلق الاجتماعي: إنَّ مُضَاعَفَاتِ الاقْتِصَادِ الطَّاعُوتِيَّيَ لَا تَبْقَى محصورةً الإِطَارَ، بل تَتَسَرَّبُ الى المجتمع ايضاً تَسْرُباً فاشياً، وتَجْعَلُهُ مَسْرَحَ الْفِتَنِ والتَّوْتُرَاتِ، و تَطْرُدُ منه الامنَ والسَّلَامَ والوِثَامَ وتَسْلُبُهُ تَقْوَمَهُ اللّائِقَ به . أَضْفُ الى ذلك تطوِيرَهُ الفِكرَ والثَّقَافَةَ والاخلاقَ العمليَّةَ الى أشكالٍ تُنَاسِبُ الغاياتِ الطَّاعُوتِيَّةَ وتُواكِبُهَا . وهذا امرٌ واضح . وذلك لِأَنَّ انْهِيَالَ الثَّرَوَاتِ والمقاديرِ الباهظةِ من المالِ على قومٍ من النَّاسِ الأثْرِيَاءِ وانحدارها الى أكياسهم، واجتلابها الى رصائدهم في البنوك، وسلبِ حقوقِ النَّاسِ وسرقةِ ارزاقهم - كما ورد في الاحاديث - وخلقِ الحرمانِ والبؤسِ في قطاعاتٍ كبيرة، وابقاءِ الكادحين في مُستوياتٍ واطئةٍ حتى يُتَاحَ استغلالُهم الدَّائِبِ، وتأييدُ السِّيَاسَاتِ الجائرةِ والحكوماتِ المُعتَدِيَّةِ التي تُصَافِقُ اولئك الموسرين، إنَّ كُلَّ ذلك يُؤَدِّي الى التَّنَاحُراتِ المُتَدَاعِيَّةِ، ويوجبُ القَلَقَ والتَّوْتُرَ في سائرِ النَّاسِ .

ومن هنا نرى أنَّ الأزماتِ الطَّاحِنَةَ والمُتَعَابَ المُثْقَلَةَ - صغيرها و كبيرها - إنما تَتَسَرَّبُ الى المجتمعاتِ من ناحيةِ النُّظُمِ الماليَّةِ الطَّاعُوتِيَّةِ، فتُوتِرُ عليها الأجواءُ، وتَقْضِي على أمانها وسلامها وهُدُوثها .

ب - الضلال الاجتماعي: حيثُ إنَّ الطُّغْيَانَ الماليَّ والطَّاعُوتِيَّةَ الاقتصاديةَ لا يُبْقِيَانِ كشيءٍ رَاكِدٍ في محلٍّ، بل يَتَعَدَّيَانِ اذا ظَهَرَ في أناسٍ الى الآخرين، واذا ظَهَرَ في حالاتٍ الى سائرِ الاحوال، لقد عَبَّرَ عنهما في التَّعاليمِ الحديثيةِ بالضلال، كما يَقُولُ الامامُ علي «ع»: «... وَمَنْ طَغَى، ضَلَّ على غيرِ يقين، ولا حُجَّةَ له»^١. ومن الواضح أنَّ نفسَ التَّعَدِّي عن حدِّ

القصد هو الضلال، وهو الذي يجترُّ الانسان الى سائر الضلالات .

ج - الاستبداد والدكتاتورية : ينشأ من الاقتصاد الطاغوتي، الاستبداد السياسي والدكتاتورية ايضاً، بل هو من أهم مناشئهما . وبعبارة أخرى : إن الاقتصاد الطاغوتي يوجد السياسة الطاغوتية ويمهد للحكم الطاغوتي ولو بالتدريج . وذلك لأن الاقتصاد الطاغوتي لا بد له من أن يفرض على الناس سلطته وأن يسلب حرياتهم لغاياته الاستغلالية . لذلك فإن الطواغيت الاقتصاديين لا يزالون يتربصون بالمجتمع الدوائر، ليستولوا على المنافع والدخول وليحصروها في انفسهم ويصوبوها في أكياسهم، ويفرضوا سلطاتهم على الاسواق، وعلى العرض والطلب، وعلى الاسعار والاستهلاك، ولأن يبسطوا نفوذهم المخطط على جميع القطاعات، ولأن يؤمنوا على جميع المراكز الاجتماعية الحساسة والنشطة، حتى يتسنى لهم أن يزيحوا العراقيل عن مسيرهم ومسربهم، وان يملكوا المواد الاولية والمناجم والانتاج والاستيراد والتوزيع والتسعير، كل يوم اكثر من الامس . والنتيجة التي تعود اليهم معلومة، وهي السلطة على الاموال وتداولها والقبض على الشرايين الاقتصادية في المجتمع، وأسر الناس في شبكات الطاغوتية المالية .

فعلى هذا، تكون نتيجة الإبقاء على حرية النظام المالي الطاغوتي (النظام التكتاري، الرأسمالي، الحر)، إسارة المجتمع في جبرية ذلك النظام المتناسك المفروض، وفرض الاحتياج والفقير والمحرومية على سائر الناس بشكل تصاعدي .

والاسلام هو المكافح الوحيد في وجه الطاغوتية في جميع ما لها من

صور :

الطاغوتية السياسية ،

- ، الطَّاغوتِيَّةِ الاقتصاديَّةِ ،
- ، الطَّاغوتِيَّةِ الاخلاقيَّةِ ،
- ، الطَّاغوتِيَّةِ الاجتماعيَّةِ ،
- ، الطَّاغوتِيَّةِ الثقافيَّةِ ،

فالا سلامُ يُكافحُ بتعاليمه كلَّ الوانِ الطَّاغوتِيَّةِ اَعْنَفَ كِفاحٍ، ويؤمنُ للنَّاسِ حقوقهم وكرامتهم في حُقولها المُتلاحِمَةِ مع الرُّوحِ الاسلاميِّ .
الاسلامُ دينٌ انسانيٌّ يُعمُّ حنانهُ النَّاسَ جميعاً ولا سيَّما المستضعفين .
وسبيلُ الله الذي قد اَكَّدَ القرآنُ على القتالِ فيه هو سبيلُ المستضعفين،
في قبالِ سبيلِ الشَّيْطانِ، وهو سبيلُ الاثرياءِ والجبابرةِ المُترفين
والطَّواغيتِ الاقتصاديين والسياسيين .

انَّ الدِّينَ الالهيَّ والشرعَ السَّماويَّ لايسعُه ان يعترفَ بفرضِ
سُلطاتٍ فِتْنَةٍ على سائرِ الفِئاتِ وعلى اموالهم واعراضهم وكُدودهم
ومصائرهم الحياتية، فضلاً عن ان يمهَّدَ لذلك الفرضِ تهميداً، بل ينفي كلَّ
ذلك ويَجْبُهُه . ومن الواضح ان هذا النَّفيَّ والمُجابهةَ في ايِّ حَقْلِ كانا -
من السياسيِّ والاقتصاديِّ وغيرهما - لا يكونانِ الا بملكٍ واحد، وهو
العقيدةُ التَّوحيديَّةُ الاسلاميَّةُ، التي تقتضي تساوي النَّاسِ امامَ الله تعالى،
وشَجَبَ ايُّ استعلاءٍ من بعضِ النَّاسِ على البعضِ الاخر، او اتَّخَذَ
بعضهم بعضاً ارباباً من دونِ الله؛ وتَدْعُو الى الكفرِ الحاسمِ بايِّ ربِّ الا الله
ربَّ العالمين .

فعلى هذا، تُضادُّ كلُّ صورةٍ من صُورِ الدِّكتاتورِيَّةِ والاستكبارِ وسُلطةِ
افرادٍ او فِتْنَةٍ على سائرِ النَّاسِ، مغزى دينِ التَّوحيدِ الخالصِ والمنهجِ
الذي خَطَّه - كما سلف - اذ رسالةُ الدِّينِ وحركته ليستا الا نفيِ الاربابِ
كلِّهم^١ سياسيِّهم واقتصاديِّهم، وتثبيتَ ربِّ واحد : «ولا يَتَّخِذُ بعضنا بعضاً

١ - ولا فرق بين هؤلاء الارباب، الذين يَجِبُ ان يرفضوا، بين ان يكونوا مُتزيين بهذا الرزيِّ او ذاك،

ارباباً من دون الله»^١.

ومن رسالات الدين ايضاً، تحرير الانسان وتخليصه من جميع صور الأسر (ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم)^٢. والإصر الذي يضعه الدين عن الناس اعم من:

- الإصر السياسي ،
- الإصر الاقتصادي ،
- الإصر الاجتماعي ،
- الإصر الثقافي ،
- الإصر العسكري ،
- الإصر التقليدي ،

ولا سيما مع النظر الى تلازم تلك الآصار.

ومن أسوأ صور الأسر والإصر، هو الأسر الاقتصادي وإصره، اذ الانسان الاسير في الشبكات الاقتصادية المختلفة، إنما أسر في شبكات متداخلة معقدة، تمت الى نفسه وغرائزه وحاجياته الضرورية. إن الانسان يحتاج احتياجاً اولياً الى الغذاء واللباس والسكن والصحة .. وهذه الحاجات إن لم تُسدَّ تُؤدِّي الى هلاك الانسان، فلا أسر أشدَّ وطأً على الانسان من هذا الأسر.

وكذلك من رسالات الدين، شجب الاستكبار والغطرسة في جميع اشكالها، حتى تُتاح له إزاحة الاستضعاف ومضاعفاته عن ساحات الحياة الانسانية. والسلطة الاقتصادية الطاغية هي الاستكبار الاقتصادي

→
مُتسمين بهذا الاسم او ذاك.

١ - سورة آل عمران (٣): ٦٤.

٢ - سورة الاعراف (٧): ١٥٧.

والمالي، الذي يَسْتَتِيعُ سائرَ صُورِ الاستكبار، ويُسَبِّبُ ظهورَ الاستضعافِ والفقرِ في المجتمعِ وانتشارهما. والتأكيدُ السُّؤاليُّ الذي جاء في القرآن، على القتالِ في سبيلِ الله، بقوله تعالى: «مَالِكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ»، إنما أريدَ به مجابهةُ الاستضعافِ وشجبه في جميعِ اشكاله؛ ولا طريقَ لشجبِ الاستضعافِ الا شجبُ الاستكبار. ومن أَبْشَعِ صُورِ الاستكبارِ وَأَخْبَثِهَا، هو الاستكبارُ الماليُّ المُنتَجُ من الاقتصادِ الطَّاغوتيِّ.

وبعدَ ذلك كُلِّهِ، فجوهرُ التَّصَوُّرِ الاسلاميِّ وواقعه يُضَادُّ ايَّ شكلٍ من اشكالِ السُّلْطَةِ وَحَصْرِ الاستمتاعِ من النُّعْمِ الالهيةِ والمواهبِ الطَّبِيعِيَّةِ في اشخاص. إِنَّ القرآنَ يُعَبِّرُ عن النُّعْمِ والمواهبِ بِالرِّزْقِ، والمتاعِ، والنُّعْمَةِ، والمعيشَةِ، والقوامِ، والقيامِ، فلا يُبَرِّرُ أَنْ يَكُونَ رِزْقُ النَّاسِ وَمَتَاعُهُمْ ووسائلُ عَيْشِهِمْ، ادواتِ طَبِيعَةٍ بِأَيْدِي قَوْمٍ، حَتَّى يَطْفُوا وَيَسْتَغْلُوا، وَيَسْتَهْلِكُوهَا فِي مُشْتَهَاتِهِمْ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشُّبْعَ، أَوْ يَكْتَبِرُوهَا وَيُدْخِرُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلذَوِيهِمْ، وَكَذَلِكَ لَا يُسَوِّغُ أَنْ تَصِيرَ اسباباً قَوِيَّةً لِتَحْكِيمِ السُّلْطَاتِ وَبَسْطِ الظُّلْمِ وَالاستغلالِ والعدوانِ - كما سَلَفَ القول.

إِنَّ النُّظَامَ الماليَّ في الاسلامِ مُبْتَنٍ عَلَى التَّكافُلِ الاجتماعيِّ، لَاعلى التَّنَازَعِ فِي الامْتِلاكِ وَالْحُرِّيَّةِ فِي الاستهلاكِ. إِنَّ الاسلامَ يُصَوِّرُ المجتمعَ، كجسدٍ واحدٍ، وَيَعُدُّ المسلمين ابناءً الاسلامِ. وَمِنَ اللَّاحِبِ أَنْ اسْتِيلاءَ حَفْنَةٍ مِنَ الأَثْرِياءِ المُتَنَفِّذِينَ عَلَى المجتمعِ وَمصائِرِهِ يَنْفِي التَّكافُلَ الاجتماعيَّ وَيَقْلَعُ اصولَهُ، وَيُوسِّعُ المَجَالَ لَتَنَازَعِ الفِئَاتِ عَلَى الامْتِلاكِ، وَيَغْرِسُ بُدُورَ هَذَا التَّنَازَعِ الدَّامِي فِي النِّفوسِ - كُلُّ بِحَسَبِ مالِهِ مِنْ قَدْرَةٍ - وَعِنْدَ ذَلِكَ تَتَحَوَّلُ الصَّلَاتُ الاجتماعيَّةُ - الَّتِي يَجِبُ أَنْ

تكون على اصحّ الصّور وامثلها - الى صلّات الآكل والمأكل
الاقتصاديّة، كما يقول الامام عليّ «ع»: «يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلُهَا، وَكَبِيرُهَا
صَغِيرُهَا»^١. وهذه هي المصيبة التي يُشير اليها الامام عليّ بن الحسين
السّجاد «ع»، بقوله الموقظ المُشير: «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ . مَصِيبَتُكُمْ الطَّوَاغِيتُ
مِنْ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا ..»^٢.

وإذا آل الامر في المجتمع الاسلامي الى هذه الحالة الساقطة،
لايرجى للامة ايّ خير ورقيّ، فلا تنزل عليها البركات، ولا يوجد لها ناصر
في الارض ولا في السماء، كما يقول النبي الاعظم «ص»: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي
بِخَيْرٍ، مَا أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ، فَإِذَا لَمْ
يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَتْ مِنْهُمْ الْبَرَكَاتِ، وَسُلِّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
نَاصِرٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»^٣.

فالناس اذا ظلم أقوياءهم سائر قاطعاتهم، يجب عليهم أن يثوروا في
وجه الظلم وأن يكافحوا الفئة الظالمة، ويجب على الحكم الاسلامي أن
يقف بجانب المظلومين وينصرهم في ذلك الكفاح المقدس، ويخذل
اعداءهم من الطواغيت بانواعهم وصورهم.

وإنّ ممّا نهى عنه الاسلام اتّخاذ المسلمين سُخْرِيًّا بفرض السّيطرة
عليهم، حتى من ناحية الولاية والحكام - او الاغنياء واصحاب الاموال -
كما ورد في كتابات عليّ «ع» الى عمّاله، حيث يكتب اليهم: «لَا تَسْخَرُوا
الْمُسْلِمِينَ فَتَذَلُّوهُمْ»^٤. وجاء في الحديث النبويّ: «وَلَا تُسْخَرَنَّ عَلَى مُسْلِمٍ -
يعني الاجير»^٥. وممّا يُؤدّي الى الأسر فالأضر والتسخير، الاحتياج

١ - تحف العقول / ٥٧.

٢ - امالي المفيد / ١١٧.

٣ - الوسائل ١١ / ٣٩٨.

٤ - البحار ١٠٣ / ١٧٢.

٥ - الوسائل ١٣ / ٢١٦.

والفقر. والاحتياجُ نفسه هو الأسرُّ الحاضر، كما يَقُولُ الامام عليّ «ع»: «إِحْتَجَّ الى مَنْ شئتَ تَكُنْ اسيرَه»^١. والاسلامُ دعا الى التكافلِ الاجتماعيِّ، واشادَ بالعدلِ والاحسانِ، لِأَن يُزيحَ كلَّ هذه الاحوالِ التَّعيسَةِ والسُّلطاتِ غيرِ المشروعةِ عن مسيرِ النَّاسِ وحياتهمِ.

هذا الدين ليس دينَ الأثرة^٢ - كما هو لاجبٌ - بل هو دينُ الأخوةِ والقسطِ والعدلِ والاحسانِ والمواساةِ والمساواة^٣. ومن الجليِّ الواضح، أَنَّ السُّلطةَ الاقتصاديَّةَ بجميعِ صورها تُضادُّ الأخوةَ والقسطَ والعدلَ والاحسانَ والمواساةَ والمساواة، فليست هي من الاسلام في شيء.

ومما لا ينبغي أن يفوتنا تذكيره - ولو مكرراً، لِذَعْمِهِ في النفوسِ والاذهان - هو أَنَّ شجَبَ الطُّغيانِ السِّيَاسِيِّ بلاشجبِ الطُّغيانِ الاقتصاديِّ، حركةٌ لا تُسمِنُ ولا تُغني من جوع. و يُناسِبُ ما دَرَسناه في هذا الفصل، ما جاء في الفصلِ الخمسين من هذا الباب، وعنوانه: «الاصلاحُ الاجتماعيِّ، مقاطعة ودفاع». ولقد عقدناه للتدليلِ على أَنَّ الحركاتِ التغييريةَ والاتجاهاتِ الاصلاحيةَ، لدفعِ عاديةِ الظلمِ والعدوانِ والدِّفاعِ عن المستضعفين والمحرومين لِاحقاقِ حقوقهم واعادةِ كيانهم، لا تُنحجُّ الا بمكافحةِ الطواغيتِ السِّيَاسِيِّينَ والاقتصاديِّينَ معاً ومقاطعتهم. وهذه هي السيرةُ التي اتَّخذها الانبياءُ «ع» وساروا عليها. وهي «سنةُ الله في الذين خلوا من قبل، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً»^٤، فستكونُ سيرةً مُتَّبَعَةً في الطالعينِ المُقبلين (في حكومةِ العدلِ العالميِّ).

ومن هذا المنطلق، يعني شجبُ الطَّاغوتين ومقاطعتهما معاً، واقامةُ

١ - البحار ١٠٣ / ٢٠، عن «كنز الفوائد».

٢ - راجع: نهج البلاغة / ١٤٧؛ عبده ١ / ١٠٢، و ١٠٢٥؛ عبده ٣ / ١١٥، و ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٢٠، و ١٠٧٢؛ عبده ٣ / ١٤٤.

٣ - راجع: الفصول ٤٥ و ٤٦ و ٤٧، من هذا الباب؛ والفصول ٤٦ و ٤٧ و ٤٨، من الباب ١٢.

٤ - سورة الاحزاب (٣٣): ٦٢.

العدل والقسط واتخاذها سيرة حاسمة، يُداوى جميع ادواء البشرية الهامة، فليتخذها المسلمون وعلماؤهم وحكوماتهم السالمة منطلقاً وحيداً لا محيد عنه، حتى توافق سيرتهم السيرتين: سيرة السلف وسيرة الخلف، وحتى ينجحوا بصنع المجتمع وانقاذ الناس واحياء الدين .
وليكن على ذكر القارئ الكريم، أن فصول هذين البابين من كتاب «الحياة» كلها تشجّب الطاغوت الاقتصادي، صريحاً او ضمناً، وتضع قواعد الثقافة والسياسة والاجتماعية والاقتصادية . وليس هذا الاتجاه الا ما تؤدي اليه، بل تنص وتخص عليه تعاليم القرآن والحديث، كما تراها تجاه باصرتك في آفاق هذه الفصول واجوائها .

الفصل الثامن

الاسلام والنظام التكاثريّ الإترافيّ، كفاح رحب (١)

- ضربات دامغة على هيكل النظام

* لقد تكلّمنا عن هاتين الكلمتين المتخذتين من القرآن الكريم: «التكاثريّ» و«الإترافيّ» في المقدمة^١. وأشرنا هناك الى الحكمة التي دَعَتنا الى تَبْنِيئها والاستغناء عن غيرها، وما هي الآغنا الاسلام في كلّ ما يرجع الى صنع الانسان والمجتمع الانسانيّ. والآن لزيادة الايضاح نقول: التكاثر في اللغة بمعنى «المكاثرة» - كما في «لسان العرب». و«كأثره» أي: «فاخره بكثرة المال او العَدَد». وقال في «المفردات»: «التكاثر: التباري في كثرة المال او العِزّ». وقال الطبرسيّ: في معناه: «التباهي بكثرة المال والعَدَد» - كما سُورِدُ عنه. وجاء في الآية من «سورة الحديد» ذكرُ الاولاد ايضاً. ولعلّ مراد الرّاغِبِ الاصفهانيّ بالعِزّ بعد ذكر المال، هو ما يحصلُ من الاولاد وكثرتهم. والذي قَصَدناه نحن في هذا الكتاب، في حقلِ دراسةٍ

١ - في الفقرة ٢٢ منها، فراجع.

اقتصادية إسلامية، هو حاصل المعنى القرآني^١ للكلمة، على ما جاء في موضعين من القرآن،^٢ يعني امتلاك المال الكثير والحصول عليه، والولع النابع منه، وسائر ما يلزمه من الآثار الخلقية والنفسية، والعقيدية والعملية، والفردية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية.

والإتراف مصدرٌ بمعنى «المُتْرِفِة»، كما يُقال هذا أعرابٌ ما يَتَضَيِّه العطف، أي المعطوفية، والإتراف مأخوذٌ من «التُّرْفَةِ» بمعنى النعمة، أو «التَّرْفِ» بمعنى التَّعْنَمِ. والتَّعْرِيفُ حَسْنُ الغِذاءِ. والمُتْرِفُ، الَّذِي قَدْ أَبْطَرَتْهُ النِّعْمَةُ وَسَعَةُ العَيْشِ. وَأَتْرَفَتْهُ النِّعْمَةُ، أَي أَطْعَمَتْهُ. والمُتْرِفُ أيضاً، المُتَنَعِّمُ المُتَوَسِّعُ فِي مِلَاذِ الدُّنْيَا وشهواتها.^٣

وقال في «المفردات» في معنى «الإتراف»: «... التَّوَسُّعُ فِي النِّعْمَةِ، يُقَالُ أُتْرِفَ فُلَانٌ فَهُوَ مُتْرِفٌ». فالمُتْرِفُونَ هُمُ المُتَوَسِّعُونَ فِي النِّعْمَةِ، المُتَمَتِّعُونَ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْوَانِ المِلَاذِ. فالقرآن الكريم يُنَدِّدُ بِهَذَا التَّعْبِيرِ مَعِيشَةَ القَوْمِ وَمَا تَسْتَبِيعُهُ مِنْ فِسَادٍ وَدَمَارٍ وَتَسْبِيبِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَنْدِيدَاتِهِ بِامْتِلَاكِهِمُ المَالِ المَمْدُودِ وَاسْتِقْطَابِهِمْ آيَاهُ. فلا «تكاثر» ولا معيشة «تْرِفِيَّة» في الإسلام.

أ - شجب التكاثر وطرده

١ - وكذلك الحديثي، على ما جاء في احاديث متعدده .

٢ - وإن ما يُفِيدُ معناه مِمَّا يُمْتُّ إِلَى الإِكْتِنَارِ المَالِيِّ بِوَشِيحِ صَلَةٍ، قَدْ جَاءَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

٣ - راجع: لسان العرب .

الكتاب

١ أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ *

* قال الطبرسي: «الإلهاء، الصَّرفُ الى اللّهُو.. و"أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ" شَغْلُكُمْ عن طاعةِ الله وعن ذكرِ الآخرة، التَّكَاثُرُ بالاموالِ والاولادِ والتَّفَاخُرُ بهما.. وقيل: أَهْلَاكُمُ التَّبَاهِي بِكَثْرَةِ المَالِ والعَدَدِ، عن تدبُّرِ امرِ الله.. وقال النَّبِيُّ «ص» بعدَ ما قرأ سورة التَّكَاثُرِ: "يَقُولُ ابنُ آدمَ: مالي، مالي؛ ومالكٌ مِن مالِكِ الآ ما أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أو لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ"»^٢.

٢ إِعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الاموالِ والاولادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا^٣.

٣ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ^٤.

٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ *

١ - سورة التكاثر (١٠٢): ١ - ٤.

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٥٣٤.

٣ - سورة الحديد (٥٧): ٢٠.

٤ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٥ - سورة المنافقون (٦٣): ٩.

الحديث

- ١ النبي «ص»: هلاكُ رجالِ أُمَّتي في تركِ العلمِ وجمعِ المالِ.^١
- ٢ النبي «ص»: يا اباذرّ! سيكونُ ناسٌ من أُمَّتي يُولدون في النِّعيمِ، ويُغذَّون به، همَّتُهُم أَلوانُ الطَّعامِ والشَّرابِ، ويُمَدِّحون بالقول، اولئك شرارُ أُمَّتي.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: .. إعلَموا أنَّ كثرةَ المالِ مفسدةٌ للدينِ، مَقْساءٌ للقلوبِ.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بما يَجْزِيهِ، كانَ أيسرَ ما فيها يَكْفِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بما يَجْزِيهِ، لَمْ يَكُنْ فيها شيءٌ يَكْفِيهِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: ثروةُ العلمِ تُنْجِي وتَبْقَى. ثروةُ المالِ تُرْدي وتُطْفِئُ وتَفْنِي.^٥
- ٦ الامام علي «ع»: ثروةُ الجاهلِ في مالِهِ وامِلِهِ.^٦
- ٧ الامام علي «ع»: إنَّكم الى اكتسابِ صالحِ الاعمالِ، أَحْوجُ منكم الى اكتسابِ الاموالِ.^٧
- ٨ الامام علي «ع»: إنَّكم الى اكتسابِ الادبِ، احوجُ منكم الى اكتسابِ الفضةِ والذهبِ.^٨

١ - مجموعة ورّام / ٣.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥.

٣ - تحف العقول / ١٤١.

٤ - الكافي ٢ / ١٤٠.

٥ و ٦ - غرر الحكم / ١٦٢.

٧ و ٨ - غرر الحكم / ١٣١ - ١٣٢.

- ٩ الامام علي «ع»: انكم الى مكارم الافعال، احوج منكم الى جمع الاموال^١.
- ١٠ الامام علي «ع»: ايها الناس! متاع الدنيا حطام موبىء، فتجنبوا مرعاة قلعتها احظي من طمأ نينتها، وبلغتها ازكى من ثروتها، حكيم على مكثريها بالفاقة، واعين من غني عنها بالراحة. ومن راقه زبرجها اعقبت ناظره كرها، ومن استشعر الشعف بها ملأت ضميره اشجاناً. لهن رقص على سويداء قلبه، هم يشغله وهم يحزنه، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء، منقطعاً ابهراه، هيناً على الله فناؤه، وعلى الاخوان القاؤه^٢.
- ١١ الامام علي «ع»: اذا احب الله سبحانه عبداً، بغض اليه المال، وقصر منه الآمال. واذا اراد الله بعبد شراً، حبب اليه المال، وبسط منه الآمال^٣.
- ١٢ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع»: ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. من قال: لا اله الا الله، فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح. ولا دين لمن دان الله بطاعة الظالم. ثم قال: وكل قوم الهاهم التكاثر، حتى زاروا المقابر^٤.

الفات نظر

إن المنهج الذي أسسه الاسلام لمكافحة التكاثر وجمع المال، يبتني على معرفة الاصول الاربعة التي تدعو الى التكاثر وتشق الطريق امامه، وعلى التمييز بين تلك الاصول، ليجابه كل

١ - غرر الحكم / ١٣٢.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٥٦ - ١٢٥٧: عبده ٣ / ٢٣٩ - ٢٤٠.

٣ - غرر الحكم / ١٤١.

٤ - امالي المفيد / ١٠٩.

منها مجابته . والاصول الاربعة هي :

- ١ - الاصل النفسي .
- ٢ - الاصل الاقتصادي .
- ٣ - الاصل الاجتماعي .
- ٤ - الاصل السياسي .

واليك اشعاعاً على هذه الاصول . اما الاصل الاول، فالتكاثر وحب المال وجمعه، له جذور في نفس الانسان عميقة، يجب أن تستأصل بالممارسات التربوية على مستويات مختلفة في تثقيف الافراد والمجتمع .

اما الاصل الثاني، فإن طلب الانسان للمال وحيازته له، يدعوه الى جمعه والاكتثار منه. وإن تأكيد الاسلام على الاكتفاء بالكفاف والبلغة وتنويهه بشأن من «يُمسِكُ فُضْلَ قَوْلِهِ وَيُنْفِقُ فُضْلَ مَالِهِ»، هو خير دعوة الى رفض التكاثر المالي وشجبه .

اما الاصل الثالث، فإن نظام المجتمع الثقافي والمعنوي والجوانب الخلقية والتربوية، هي التي تُشكّل الحجر الاساسي والقاعدة الاصلية للنظام الاقتصادي في حياة الفرد والمجتمع المادية والمعيشية، من تكاثري او اسلامي . وهي التي تمهد ارضية التكاثر وطلب الغنى الوافر، او تدحض تلك الارضيات والحالات وتطورها الى ما يريده الاسلام .

اما الاصل الرابع، فإن نظرة الحكم الى القضايا المالية وسياستها الاقتصادية هي التي تُعين مسيرة المجتمع الاقتصادية في الاغلب . فاذا كانت نظرة الحكم الاقتصادية تنسجم مع التكاثر والمتكاثرين والاقتصاد الحر، فإنها تشق الطريق امامهم وتبهد السبل لوصولهم الى غاياتهم الاستغلاية . واما اذا كان الحكم

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

اسلامياً فلا يجد المتكاثرون فيه طُرُقاً مُعَبَّدةً للوصول الى مقاصدهم وغاياتهم اللانسانية والاسلامية .

فعلى ما عَرَضْنَا، ليس التكاثر في نظر الاسلام، ظاهرةً بسيطةً ماديةً، او اجتماعيةً بحتةً، او سياسيةً صرفةً، بل هو ظاهرةً نفسيةً خلقيةً وتربويةً واقتصاديةً وسياسيةً واجتماعيةً، تبني على مجموع ماللفرد من ارضية ثقافية وفكرية وتربوية، وما للمجتمع من نُظُمٍ واتجاهات، وما للحكم من توجهاتٍ واهتمامات .

لاجل ذلك نرى الاسلام يقوم بكفاحٍ مريرٍ واسعٍ ضدَّ حُبِّ المال وجمعه؛ وبالإضافة الى هدمِ قواعدِ المتكاثرين الاجتماعيه والاقتصادية والحقوقية في قلب المجتمع، يتصدى لهدمِ قواعدهم الثقافية والاخلاقية والسياسية والحكومية، ويحرّض المجتمع على محاربه التكاثر والإتراف والارستقراطية، ويكدر الجو على الذين يذهبون تلك المذاهب في الامتلاك والاستهلاك . فبإمعان النظر في هذه المسائل الهامة، نفهم أن الذي نشاهده في نبذة من التعاليم الاسلامية، من صبِّ الكلام في قوالب اخلاقية (على ما هو المصطلح)، عند ذكر ما يتعلّق بالقضايا المالية والاقتصادية، تأييداً وتنديداً، لايعني تحويل هذا الكفاح الى كفاحٍ خلقيٍّ و مطاردةٍ مثالية، لا، بل هو بمعنى توسيع نطاق الكفاح والمطاردة واجرائهما في سائر الاطارات . وبذلك يتوفّق الاسلام لأن يخلق ثورةً جذريةً هامةً واسعةً ضدَّ العدوان الاقتصادي . وتلك الثورة تشمل الأبعاد التالية وتمثلها :

١ - البعد الثقافي - الاقتصادي .

٢ - البعد الاجتماعي - الاقتصادي .

٣ - البعد الاخلاقي - الاقتصادي .

٤ - البُعدُ السِّيَاسِيّ - الاقتصاديّ .

راجع ايضاً: نظرَتنا الى الفصل بهذا الصّدد .

ب - التّنينيد بالاغنياء والمتكاثرين وبمزاغعمهم الفاسدة

الكتاب

- ١ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا
لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ *^١
- ٢ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ جعفرُ الصّادقُ : لم تُبْعَثْ لجمعِ المالِ،
ولكن بُعِثنا لِانفاقه ^٣.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ اميرُ المؤمنين : إِذَا أَبْغَضَ النَّاسُ فَقَرَاءَهُمْ،
وَأَظْهَرُوا عِمَارَةَ اسْوَاقِهِمْ، وَتَبَارَكُوا عَلَى جَمْعِ الدَّرَاهِمِ، رَمَاهُمُ اللَّهُ بَارِبِعِ
خِصَالٍ : بِالْقِحْطِ مِنَ الزَّمَانِ، وَالْجَوْرِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَالْخِيَانَةِ مِنَ وُلَاةِ
الْحُكَّامِ، وَالشُّوْكَةِ مِنَ الْعُدْوَانِ ^٤.

١ - سورة الهُمزة (١٠٤) : ١ - ٤ .

٢ - سورة الحاقّة (٦٩) : ٢٨ - ٢٩ .

٣ - مشكاة الانوار / ١٨٣ .

٤ - مجموعة ورام / ١٠ .

- ٣ النبي «ص» - نهى «ص» عن التبقر في الاهل والمال .^١
- ٤ الامام علي «ع» : كثرة المال يفسد القلوب، وينسي الذنوب .^٢
- ٥ الامام علي «ع» : .. ما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه، وتبقى عليه تبعته وحسابه .^٣
- ٦ الامام علي «ع» : يا ابن آدم! ما كسبت فوق قوتك، فانت فيه خازن لغيرك .^٤

ج - الاغنياء وموقفهم من الامة

الكتاب

- ١ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتَيْمٍ * عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ *^٥

* قال الطبرسي : «عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله «ص» : "لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم". قلت : فما الجواظ؟ قال : "كل جماع مناع". قلت : فما الجعظري؟ قال : "الفظ الغليظ". قلت : فما العتل الزنيم؟ قال : "كل رحيب الجوف سيء الخلق آكول شروب غشوم ظلوم"

١ - معاني الاخبار ٢ / ٢٤٤ .

٢ - غرر الحكم / ٢٤٤ .

٣ - نهج البلاغة / ٤٩٥ : عبده ٢ / ٦٧ .

٤ - نهج البلاغة / ١١٧٥ : عبده ٣ / ١٩٦ .

٥ - سورة القلم (٦٨) : ١٢ - ١٤ .

زئيم»^١.

الحديث

- ١ النبي «ص»: شَرُّ أُمَّتِي الْاَغْنِيَاءُ.^٢
- ٢ النبي «ص» - قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ أُمَّتِكَ أَشْرُّ؟ قَالَ : الْاَغْنِيَاءُ.^٣
- ٣ النبي «ص»: يَا اِبَاذِرَّ! سَيَكُونُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُوَلَّدُونَ فِي النَّعِيمِ وَيُغَذَّوْنَ بِهِ، هَمَّتُهُمُ الْوَانُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيُمَدِّحُونَ بِالْقَوْلِ، اُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي.^٤

* ولعلَّ القارئ النَّابه، لم يَنْسَ كَلَامَ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّجَادِ «ع»: «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! مَصِيبَتُكُمْ الطَّوَاغِيتُ، مِنْ اَهْلِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا...»^٥.

- ٤ النبي «ص»: يَا اِبْنَ مَسْعُودٍ! سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِي اَقْوَامٌ يَأْكُلُونَ طَيِّبَاتِ الطَّعَامِ وَالْوَانَهَا .. يَبْنُونَ الدُّورَ، وَيَشِيدُونَ الْقُصُورَ، وَيَزُخِرُونَ الْمَسَاجِدَ، لَيْسَتْ هَمَّتُهُمُ اِلَّا الدُّنْيَا، عَاكِفُونَ عَلَيْهَا، مَعْتَمِدُونَ فِيهَا. شَرَفُهُمُ الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيرُ، وَهَمَّتُهُمْ بَطُونُهُمْ، اُولَئِكَ [هَمْ] شَرُّ الْاَشْرَارِ، الْفِتْنَةُ مِنْهُمْ، وَالْيَهْمُ

١ - مجمع البيان ١٠ / ٣٣٤.

٢ - جامع السعادات ٢ / ٣٦.

٣ - مجموعة ورام / ١٥٥.

٤ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥.

٥ - امالي المفيد / ١١٧.

تنبيه هام

الغنى غنيان: كفاي وإترافي. لقد وردت احاديث تمدح الغنى والمال وتعددهما من اسباب السعادة ومن خير الاعوان لطلب الحياة الخالدة، واحاديث تدمهما، وتندد بهما باساليب دامغة. والعارف بجوهر الدين ومغازيه، المتدرب على المفاهيم الحديثية، المتفقه فيها، يعلم بوضوح (بقطع النظر عما يعلم من التعاليم القرآنية، وما يتراءى من ماهية رسالات الانبياء وسلوكهم مع الاغنياء والفقراء)، أن الغنى الممدوح هو الغنى الكفاي الذي ينال صاحبه بلغة العيش ومؤون الحياة، ويبدل فضل ماله، وينفق ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً. والغنى المرفوض هو الغنى التكاثري الاترافي، الحاصل من الاقتصاد الحر، الذي يجمع صاحبه المال ويعدده، ويحسب أنه يخلده، فيطغى ويستغل الناس ويعتدي عليهم في الحقوق، ويتدخل في السياسة والحكم لفرض سلطته على المجتمع.

ففي هذا الضوء، ليس من فهم الدين أن نعد الغنى التكاثري ممدوحاً ومرضياً، بل مشروعاً، كما أنه لا ذم للغنى الكفاي الذي يتاح به لصاحبه أن يكتفي بذاته وأن يرفع كفه عن الناس. فالغنى الممدوح، عند الشرع الالهي الأقوم وفي صراطه الأعدل، ليس إلا هذا. وسنتكلم عن الموضوع، بصورة مبسطة، في الفصل الحادي والاربعين، من هذا الباب؛ فراجع.

د - الاغنياء واكلهم للضعفاء والبائسين

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. فَيَأْكُلُ قَوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ ..^١
- ٢ الامام علي «ع»: .. فَإِنَّمَا أَهْلُهَا (الدُّنْيَا) كِلَابٌ عَاوِيَةٌ .. يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا ..^٢
- ٣ الامام السجاد «ع» - زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «ع» فَقَالَ : «يَا زُرَّارَةُ! النَّاسُ فِي زَمَانِنَا عَلَى سِتِّ طَبَقَاتٍ : أَسَدٌ، وَذَنْبٌ، وَتَعَلَبٌ، وَكَلْبٌ، وَخِنْزِيرٌ، وَشَاةٌ .. وَأَمَّا الذَّنْبُ فَتُجَارِكُمْ، يَذْمُونَ إِذَا اشْتَرَوْا وَيَمْدَحُونَ إِذَا بَاعُوا .. وَأَمَّا الشَّاةُ فَالَّذِينَ تُجْرَشُ عُرُورُهُمْ^٣، وَيُؤْكَلُ لِحُومُهُمْ، وَيُكْسَرُ عَظْمُهُمْ . فَكَيْفَ تَصْنَعُ الشَّاةُ بَيْنَ أَسَدٍ وَذَنْبٍ وَتَعَلَبٍ وَكَلْبٍ وَخِنْزِيرٍ؟^٤

* راجع : الفصل الثالث عشر، من هذا الباب، فقرة «ج»،
والنظرة الى الفصل بهذا الصدد .

١ - الكافي ١ / ٤٠٦ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٧ : عبده ٣ / ٥٥ .

٣ - في «الخصال» ١ / ٣٣٩ : «تَجْرُ» بالزاي، وهو الانسب .

٤ - البحار ٦٧ / ٢٢٥، و ٧٠ / ١٠ .

هـ - الاغنياء والتجار فجار الا المتقون

الكتاب

١ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ١

الحديث

١ النبي «ص»: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! أَنْتُمْ فُجَّارٌ، إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ .. ٢

٢ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ سِتَّةَ سِتَّةٍ بِسِتَّةٍ .. وَالتُّجَّارَ بِالْخِيَانَةِ . ٣

٣ الامام علي «ع»: أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ . ٤

* قال الشريف الرضي: «ومعنى ذلك أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَنِي
وَالْفُجَّارَ يَتَّبِعُونَ الْمَالَ، كَمَا يَتَّبِعُ النَّحْلُ يَعْسُوبَهَا، وَهُوَ رَئِيسُهَا» .

٤ الامام علي «ع»: التَّاجِرُ فَاجِرٌ، وَالفَاجِرُ فِي النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى

١ - سورة الاسراء (١٧) : ١٦ .

٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠ .

٣ - الكافي ٨ / ١٦٣: تحف العقول / ١٥٧ .

٤ - نهج البلاغة / ١٢٣٦: عبده ٣ / ٢٢٩ .

الحقّ ١.

٥ الامام الصادق «ع»: .. التاجرُ فاجرٌ، إلاّ مَنْ أَعْطَى الحقَّ وأَخَذَهُ. ٢.

و- هلع وتكالب، افتضاح و حسرة

الكتاب

- ١ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ: يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ .. ٣.
- ٢ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا .. ٤.

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبُهُمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا. ٥.

١ - الكافي ٥ / ١٥٠.

٢ - البحار ١٠٣ / ١٠٢.

٣ - سورة الزمّر (٣٩): ٥٦.

٤ - سورة الانعام (٦): ٣١.

٥ - نهج البلاغة / ٩٢٦ - ٩٢٧: عبده ٣ / ٥٥.

- ٢ الامام علي «ع» : إِنَّمَا الدُّنْيَا جِيفَةٌ، وَالْمُؤَاخُونَ عَلَيْهَا أَشْبَاهُ الْكِلَابِ .^١
- ٣ الامام علي «ع» : .. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ .^٢
- ٤ الامام علي «ع» : الدُّنْيَا جِيفَةٌ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُخَالَطَةِ الْكِلَابِ .^٣
- ٥ الامام علي «ع» : .. أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا .. وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ .. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ : اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ .^٤

ز - سعي بائر

الكتاب

١ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى *^٥

* قال الطبرسي : «المعنى أَنَّ أعمالكم لَمُخْتَلِفَةٌ، فَعَمَلٌ لِلجَنَّةِ

وَعَمَلٌ لِلنَّارِ ..»^٦.

٥ - غرر الحكم / ١٣٤ .

٦ - نهج البلاغة / ٤٦٣ : عبده ٢ / ٥٠ .

٧ - مستدرک نهج البلاغة / ١٨٥ .

٨ - نهج البلاغة / ٣٣٠ - ٣٣١ : عبده ١ / ٢١١ .

١ - سورة الليل (٩٢) : ٤ .

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٥٠١ .

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. فَلتُكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ،
فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ .^١
- ٢ الامام علي «ع» : .. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغَيْرِ .. وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ
يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا أَحْمَلُ، وَلَا
بِنَاءً نَقَلُ ..^٢

ح - الاغنياء، مواصفات

١ - مستكبرون

الكتاب

- ١ وَاذِ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: اِنَّا كُنَّا تَبَعًا، فَهَلْ اَنْتُمْ
مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيْبًا مِنَ النَّارِ؟ *^٣

* قال العلامة المجلسي : «... قوله تعالى : ” فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ
لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا“، قَابَلَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِالضُّعْفَاءِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ

١ - نهج البلاغة / ٩٢٥ : عبده ٣ / ٥٤ .

٢ - نهج البلاغة / ٣٥٣ : عبده ١ / ٢٢٣ .

٣ - سورة غافر (٤٠) : ٤٧ : اقرأ أيضاً : سورة ابراهيم (١٤) : ٢١ .

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكتائري .. (١)

استكبارهم كان بمالهم من القوة في البدن والمال . وقال تعالى :
”قال الملاء الذين استكبروا من قومهم للذين استضعفوا“، فقابل
بالمستكبرين المستضعفين ..“^١.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : ألا! فالحذر، الحذر، من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فإنهم قواعد اساس العصبية ..^٢
- ٢ الامام الصادق «ع» : .. من ذهب يرى أن له على الآخر فضلاً فهو من المستكبرين .^٣

* يُستفاد من هذه التعاليم التي تنهى عن طاعة السادة والكبراء، أن المتكاثرين من الاغنياء يجب أن يكونوا معزولين عن اي مقام اجتماعي، وأن الناس يجب عليهم أن يبتعدوا عن هؤلاء، وأن يرفضوا مخالطتهم حتى لا يتاح لهم السيطرة على الناس وشؤونهم. وفيما ورد في الاسلام من النهي عن التواضع لهم - مع أن التواضع من دعائم الاخلاق الاسلامية - وعن التسليم عليهم

١ - البحار ٧٣ / ١٩١ .

٢ - نهج البلاغة / ٧٨٥ - ٧٨٦ : عبده ٢ / ١٦٦ .

٣ - الكافي ٨ / ١٢٨ .

بغير التّسليمِ على الفقراءِ والمساكين، دعوةً الى اتّخاذِ موقفٍ
حاسمٍ في وجوه اولئك المستكبرين الاقتصاديين والجبابة
المتنعّمين .

٢ - منافقون

الكتاب

- ١ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا،
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ١..
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٢..

الحديث

- ١ النبي «ص»: يا ابن مسعود! سيأتي من بعدي أقوامٌ يأكلون طيباتِ الطّعامِ
والوانها، ويركبون الدّوابَّ ويتزيّنون بزينة المرأة لزوجها، ويتبرّجون تبرّجِ
النّساء، وزيّهم مثل زيّ الملوكِ الجبابة، هم منافقوا هذه الأمة في آخرِ

١ - سورة الفتح (٤٨) : ١١ .

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٤ .

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

الزّمان .. وَيُزَخِرْفُونَ المساجد، ليست همّتهم الآ الدنيا، عاكفون عليها،
مُعْتَمِدُونَ فيها ..^١

٢ الامام علي «ع» - في بيان «صفة النفاق والمنافق»: (بُنَي) النفاق على
اربع دعائم: على الهوى، والهوىنا، والحفيظة، والطمع .. والطمع على
أربع شعب: الفرح، والمرح، واللّجاجة، والتكاثر ..^٢

٣ - مفتونون

الكتاب

- ١ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ..^٣
- ٢ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ،
وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ *^٤

الحديث

-
- ١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٥ - ٥٢٦.
 - ٢ - الكافي ٢ / ٣٩٣ - ٣٩٤.
 - ٣ - سورة التغابن (٦٤): ١٥.
 - ٤ - سورة طه (٢٠): ١٣١.

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام علي بن ابي طالب : يا علي ! ان اُمتي سيفتون من بعدي .. ان القوم سيفتون بعدي باموالهم ..^١
- ٢ الامام علي «ع» : ان اعطاء هذا المال قنية، وان امساكه فتنة.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : الفتن ثلاث .. حب الدينار والدرهم .. ومن احب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا.^٣
- ٤ الامام السجاد «ع» - في الدعاء لاهل الثغور : .. وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون ..^٤
- ٥ الامام الصادق «ع» : اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه، ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها، وموكل الى نفسه. واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا.^٥

٤ - مغرورون

الكتاب

- ١ .. وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور*^٦

١ - نهج البلاغة / ٤٩١ : عبده ٢ / ٦٥.

٢ - غرر الحكم / ١٠١.

٣ - الخصال / ١ / ١١٣.

٤ - الصحيفة السجادية / ١٨١ (الدعاء ٢٧).

٥ - الكافي / ٢ / ١٣٥.

٦ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا، وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.. ١

الحديث

١ الامام علي «ع»: قَدْ اضْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ. لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ.. ٢

٢ الامام علي «ع»: .. فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذَرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ - طَوَّلَ أَمَلٍ وَاسْتَبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَأَزَعَجَهُ عَنِ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَّعَاطِي بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ، وَامْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا؟ كَيْفَ أَصْبَحَتْ بَيْوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَازْوَجَهُمْ لِقَوْمٍ آخِرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ.. ٣

٥ - لا عبون لاهون

١ - سورة الانعام (٦) : ٧٠.

٢ - نهج البلاغة / ٤١٤: عبده ٢ / ٢٣ - ٢٤.

٣ - نهج البلاغة / ٤٠٩ - ٤١٠: عبده ٢ / ٢١.

الكتاب

- ١ اَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ..^١

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما وَصَفَ به الاغنياءَ والمُتَرَفِّهينَ : لا عِبُونَ بِالْكَعَابِ ، رَاكِبُونَ الشَّهَوَاتِ ..^٢
- ٢ الامام علي «ع» : .. وَالتَّكَاثُرُ لَهُوَ وَلَعِبٌ وَشُغْلٌ ، وَاسْتِبْدَالُ الَّذِي هُوَ اَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.^٣

٦ - طاغون

الكتاب

- ١ كَلَّا، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى *^٤

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٥.

٣ - الكافي / ٢ / ٣٩٤.

٤ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧.

٢ فَمَا مِنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى.^٢
- ٢ الامام علي «ع» - .. ثُمَّ مَشَى «ع» حَتَّى دَخَلَ سُوقَ الْبَصْرَةِ فَبَكَى وَقَالَ : يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا وَعُمَّالَ أَهْلِهَا! مَتَى تُجَهِّزُونَ الزَّادَ، وَتُفَكِّرُونَ فِي الْمَعَادِ؟ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : «فَمَا مِنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْحَجِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *».^٣
- ٣ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَعِيشَةِ، مَعِيشَةً أَقْوَى بِهَا عَلَى جَمِيعِ حَاجَاتِي، وَأَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي آخِرَتِي، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتْرِفَنِي فِيهَا فَاطْفُنِي ..^٤

* راجع ايضاً: الفصل السابع، من هذا الباب، الذي جاء فيه البحث عن «الطاغوت الاقتصادية». ولا تنس أهمية وعي الجماهير لأضرار هذه الطاغوتية ومفاسدها المدمرة.

١ - سورة النازعات (٧٩) : ٣٧ - ٣٨.

٢ - نهج البلاغة / ١١٣٦: عبده ٣ / ١٧٥.

٣ - مستدرک نهج البلاغة / ٥١.

٤ - البحار ٩٠ / ١٢ (دعاء يوم الجمعة).

٧ - ظالمون

أ- لانفسهم

الكتاب

١ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * ١

ب- للناس

الكتاب

١ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ٢

* وَلَتَكُنْ عَلَى ذِكْرِ الْقَارِيِّ كَلِمَةً (شَيْئًا)، النَّكِرَةُ الْوَاقِعَةُ فِي
إِلَى الْفَصْلِ . وَإِنَّ الظُّلْمَ يَجِبُ أَنْ نَتَعَرَّفَ عِلْلَهُ وَمَنَاشِئَهُ، حَتَّى نَعْرِفَ
أَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنَ النَّاسِ أَنفُسِهِمْ .

١ - سورة الكهف (١٨) : ٣٥ .

٢ - سورة يونس (١٠) : ٤٤ .

٢ .. وما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *^١

٣ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *^٢

الحديث

١ الامام علي «ع» : إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ، فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْاَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ،
فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ غَنِيٌّ، وَاللَّهُ - تَعَالَى جَدُّهُ - سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ.^٣

٢ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن امير المؤمنين «ع» : إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى
اَغْنِيَاءِ النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ قَدْرَ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ . فَإِنْ ضَاعَ الْفُقَرَاءُ، أَوْ
أَجْهَدُوا، أَوْ أُعْرُوا، فَبِمَا يَمْنَعُ اَغْنِيَاءَهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مُحَاسِبُهُمْ بِذَلِكَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَمُعَذِّبُهُمْ بِهِ عَذَاباً أَلِيماً.^٤

٨ - غاصبون

الكتاب

١ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ، لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّن

١ - سورة النحل (١٦) : ٣٣.

٢ - سورة النحل (١٦) : ١١٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٤٢ : عبده ٣ / ٢٣١.

٤ - دعائم الاسلام ١ / ٢٥٠.

أموالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ *^١

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا وُضِعَتِ الزَّكَاةُ اخْتِبَاراً لِلْأَغْنِيَاءِ، وَمَعُونَةً لِلْفُقَرَاءِ؛
وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ آدَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَا بَقِيَ مَسْلُماً فَقِيراً مُحْتَاجاً، وَلَا سَتَّغْنِي بِمَا
فَرَضَ اللَّهُ لَهُ. وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا وَلَا احْتَأَجُوا وَلَا جَاعُوا وَلَا عَرُوا إِلَّا
بذُنُوبِ الْاَغْنِيَاءِ ..^٢

تنبيه

هناك زكاتان في مؤشرات الاسلام الماليّة: ظاهرةً وباطنةً.
ولعلّ استغناء الفقراء والمحرومين إنّما يحصل إذا أدى الاغنياء
الزكّاتين كِلْتَيْهِمَا. فراجع: الفصلين، الاربعين والحادي
والاربعين، من الباب الثاني عشر.

٩ - سارقون

الحديث

١ - سورة البقرة (٢): ١٨٨.

٢ - الوسائل ٤ / ٤.

١ الامام العسكري «ع»: .. اغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء ١.

١٠ - مترفون

الكتاب

١ وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ، إلا قال مُتْرَفُوها: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَ قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * ٢

* قال الطبرسي: «مُتْرَفُوها»، اي جابرتها واغنياؤها
الْمُتَنَعِّمُونَ فِيهَا» ٢.

الحديث

١ الامام علي «ع»: أَمَا الْاَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَّمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعْمِ، فَقَالُوا: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» ٤.

١ - المستدرك ٢ / ٣٢٢ .

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ٣٤ - ٣٥ .

٣ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٢ .

٤ - نهج البلاغة / ٧٩٩ : عبده ٢ / ١٧٥ .

تنبيه

معنى «الإتراف» واضح، وكذلك المراد بالمُترفين، كما أوردناه في مُستَهَلَّ الفصل، غيرَ أنَّ هناك مَنْ يُغَطِّي الواقعَ بالتمويه فيقول: المُترَفُ هو الَّذي يَكُثُرُ من الاستهلاك وإن كان في ذاته فقيراً، فلا اختصاصَ له بالاغنياء. وهذا خلافُ المصطلحِ القرآنيِّ والتَّصريحَاتِ الواردةِ في القرآنِ والحديثِ، من أنَّ المُترَفينَ الَّذين يُكذِّبونَ النَّبِيَّينَ هم من اصحابِ القُدرةِ والمال، كما يُخالفُ ذلك التَّأويلُ الظَّهورَ العُرْفِيَّ للكلمة، وقد صرَّحَ به اهلُ اللِّغة.

١١ - مستدرجون

الكتاب

١ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ *

* «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ»، سَنَسْتَدِينُهُمْ^٢ قليلاً قليلاً الى الهلاكِ حَتَّى يَقْعُوا فِيهِ بَغْتَةً .. «مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» ما يُرادُ بِهِمْ، وذلكَ أَن تَتَوَاتَرَ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ فَيَظُنُّوْا أَنَّهُ لَطْفٌ مِنْ اللَّهِ بِهِمْ، فَيَزِدَادُوا بَطْراً وَأَنْهَمَاكَأ فِي الْغِيِّ حَتَّى يَحِقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ^٣.

١ - سورة الاعراف (٧): ١٨٢: إقرأ أيضاً: سورة القلم (٦٨): ٤٤.

٢ - المراد به: سنسوقهم ونحملهم، ونقرّبهم درجةً درجةً.

٣ - تفسير الصّافي ٢ / ٢٥٦.

- ٢ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ *^١
- ٣ .. حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً، فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَدِّكَ اسْتِدْرَاجًا، فَقَدْ أَمِنَ مَخَوفًا.^٣
- ٢ الامام علي «ع» : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسُّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ؛ وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ.^٤
- ٣ الامام علي «ع» : .. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى ..^٥
- ٤ الامام الحسين «ع» : الاستدراج من الله سبحانه لعبيده، أن يسبغ عليه النعم، ويسلبه الشكر.^٦
- ٥ الامام الصادق «ع» - انه سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ..]، فَقَالَ : هُوَ الْعَبْدُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَتُجَدِّدُ لَهُ النِّعْمَةَ، تُلْهِئُهُ تِلْكَ

١ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٥٥ - ٥٦.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٤٤.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٥٣ : عيده ٣ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

٤ - نهج البلاغة / ١١٤١ : عيده ٣ / ١٧٨.

٥ - نهج البلاغة / ١٢٢٠ : عيده ٣ / ٢١٩.

٦ - تحف العقول / ١٧٧.

النَّعْمَةُ عَنِ اسْتِغْفَارٍ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ ١.

١٢ - هَالِكُونَ

الكتاب

- ١ .. هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ * ٢
- ٢ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * ٣
- ٣ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا .. ٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: هَلَاكُ رِجَالِ أُمَّتِي فِي تَرْكِ الْعِلْمِ وَجَمْعِ الْمَالِ ٥.
- ٢ النبي «ص»: .. فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ

١ - تفسير الصّافي ٢ / ٢٥٦.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٤٧.

٣ - سورة الليل (٩٢) : ١١.

٤ - سورة القصص (٢٨) : ٥٨.

٥ - مجموعة ورام / ٣ .

الفصل الثامن : الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

يَبْسُطُ لَكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بَسَطَتْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا،
وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ^١.

٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام علي بن ابي طالب : الدِّينَارُ وَالذَّرْهَمُ أَهْلَكَ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهَمَا مُهْلِكَاكُمْ^٢.

٤ الامام علي «ع» : يَا كُمْيلُ ! هَلَكَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ..^٣

* يُرْشِدُنَا التَّعْلِيمُ النَّبَوِيُّ (الحديث ٢)، الى أَنَّ الْأَضْرَارَ النَّاشِئَةَ
مِنَ التَّكَاثِرِ فِي الْأَمْتِلَاكِ وَالْإِتْرَافِ فِي الْأِسْتِهْلَاكِ، هِيَ أَكْثَرُ وَأَشَدَّ .

١٣ - اموات

الكتاب

١ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ..^٤

١ - مجموعة ورام / ١٣٢ .

٢ - الوسائل / ٦ / ٢٦ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٥٦ : عبده / ٣ / ١٨٧ .

٤ - سورة النمل (٢٧) : ٨٠ .

٢ وما يَسْتَوِي الأحياءُ ولا الأمواتُ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ، وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ
مَنْ فِي القُبُورِ *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: أَرَبُّ يَمِينِ القَلْبِ .. ومجالسةُ المَوْتَى . فقيل له : يا رسولَ
الله وما المَوْتَى؟ قال : كُلُّ غَنِيِّ مُتْرَفٍ^٢ .
- ٢ النبي «ص»: ثلاثةٌ مجالستُهُم تُمِيتُ القَلْبَ .. والجلوسُ معَ الاغنياء^٣ .

١٤ - فقراء

الكتاب

- ١ ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ، وَمَنْ يَبْخَلْ
فإنَّما يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الغَنِيُّ وانتمُ الفقراءُ ..^٤

* هذا الكلام رُدُّ على الَّذِينَ يُدْعَوْنَ لِئِنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ -

١ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٢ .

٢ - الخصال ١ / ٢٢٨ .

٣ - تحف العقول / ٤٢ .

٤ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨ .

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

وَهُمُ الْاَغْنِيَاءُ بِطَبَعِ الْوَاقِعِ اَوْ هُمْ اِهْمُ هَذَا الْمَصْدَاقِ - وَهَمْ يَبْخَلُونَ،
فَيُعَيِّرُهُمُ اللهُ بِبُخْلِهِمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا اَغْنِيَاءَ حَقِيقَةً، بَلْ هُمْ
الْفُقَرَاءُ .

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الْغَنِيُّ الشَّرُّهُ فَقِيرٌ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: .. وَغَنِيُّهَا (الدنيا) فَقِيرٌ..^٢
- ٣ الامام السجاد «ع»: .. وَمَنْ أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ، كَانَ فِيهَا أَشَدَّ فَقْرًا..^٣

١٥ - وارثوا الفراعنة وتابعوهم

الكتاب

- ١ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ *^٤

١ و ٢ - البحار ٧٨ / ١٠ و ٢٢، عن «مطالب السُّؤل».

٣ - الخصال ١ / ٦٤.

٤ - سورة يونس (١٠): ٨٣.

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: العلم افضل من المال بسبعة: الاول انه ميراث الانبياء،
والمال ميراث الفراعنة^١.
- ٢ الامام علي «ع»: .. فعلى مُبْلِلِ اجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة،
ومُزِيلِ مُلْكِ الفراعنة، مثل كَسْرِي وقيصر، وتُبَّعِ وحمير، ومن جَمَعَ المالَ
على المالِ فَاكْثَرَ، ومن بَنَى وشيّد، وزخرفَ ونجّد، وأدخَرَ واعتقد، ونظرَ
بزعمه للوَلَدِ، اشخاصُهم جميعاً الى موقفِ العرضِ والحساب، وموضعِ
الثَّوابِ والعقاب^٢.

١٦ - واهنوا المعتقد في دينهم

الكتاب

- ١ وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ الا قال مُتْرَفُوها: انا بما أرسلتم به كافرون^٣

الحديث

١ - مُنِيَةُ المُرِيدِ / ١٩، من طبعة قم، مؤسّسة النّشر الاسلامي (١٤٠٥ / ١٣٦٣).
٢ - نهج البلاغة / ٨٣٥: عبده ٣ / ٦.
٣ - سورة سَبَأ (٣٤): ٣٤.

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

- ١ الامام علي «ع»: لا يُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ، مَنْ لَا يَتَحَرَّجُ عَنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: حُبُّ الْمَالِ يُوهِنُ الدِّينَ وَيُفْسِدُ الْيَقِينَ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: .. او منهوماً باللذّة، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، او مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْأَدْخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، اقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْانْعَامُ السَّائِمَةُ.^٣

١ - غرر الحكم / ٣٥٢.

٢ - غرر الحكم / ١٦٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٥٧: عبده ٣ / ١٨٨.

نظرة الى الفصل

١ - شجب التكاثر وطرده : لقد ألمحنا في الالفات المتقدّم في مُستَهَلِّ هذا الفصل الى مفاهيم . والآن نُشيرُ الى ألوانِ الكفاح، التي يَجِبُ أَنْ يَقومَ بها الحُكْمُ والمُجتمَعُ الاسلاميَّانِ ضدَّ التَّكاثر - فضلاً عن الاجتهادِ والفِقهَةِ الاسلاميَّين - نشرّاً لِلأُويَةِ العَدلِ الاجتماعيّ، وتركيزاً لِقواعدِ القسط، ونصرةً للمستضعفين المضطَّهدين من الرِّجالِ والنِّساءِ والوُلدان، الَّذِينَ نُهَبَتِ اموالُهُم وحقوقُهُم وارزاقُهُم .

أ- الكفاح ضد التكاثر، خطوطه ومعالمه : يَجِبُ على المُجتمَعِ الاسلاميِّ - وهو في حِضْنِ الثَّقافةِ الاسلاميَّةِ المُعادِيَةِ للتَّكاثر - أَنْ يُحوِّلَ المقاييسَ التَّكاثريَّةَ الى مقاييسَ اسلاميَّةَ . وَأَنْ يَضَعَ التَّربيَةَ الاسلاميَّةَ وقيَمَها موضعَ التَّربيَةِ التَّكاثريَّةِ وقيَمَها، حتى يُتاحَ له الكِفاحُ الدَّائِبُ ضدَّ التَّكاثرِ وقيَمِهِ التَّافِهِةِ بأعمقِ صورةٍ ممكنةٍ للكِفاحِ .

وهذا اتِّجاهٌ عمليٌّ بِناءٍ يَكفي للتَّدليلِ عليه أَنْ نُشيرَ الى أَنَّ مِنْ اهمِّ الابعادِ لِلاتِّزامِ الثَّقافيِّ والاخلاقيِّ ضدَّ التَّكاثر، هو تَأمِيمُ تلكِ الحِركةِ المُكافِحَةِ الملتزمة، بمعنى صيرورتِها مُنبِعثَةً من اعماقِ الجماهيرِ، مستوعبةً لِكُلِّ القِطاعاتِ المضطَّهدةِ والمحرومةِ، متوفِّرةً على عناصرِ الاخلاقِ الاسلاميَّةِ، المُعادِيَةِ للتَّكاثرِ .

ولا جَلَّ ذلكَ نَرى أَنَّ القرآنَ الكَرِيمَ يقولُ : «... وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقومَ النَّاسُ بِالْقِسطِ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ»، فالميزانُ وَالكِتابُ وَالْحَدِيدُ كُلُّها بواعثُ لَأَنَّ يَقومَ النَّاسُ بِالْقِسطِ، ولَأَنَّ يُساقَ

نظرة الى الفصل الثامن ..

النَّاسُ الى اقامة القسط، ولأن تَزاحَ العراقيلُ عن مسيرة العدالة والقسط .
نَعَمْ! تلکمُ البواعثُ كُلُّها لازمةٌ لقيامِ الناسِ بالقسط، غنيهم وفقيرهم،
قويهم وضعيفهم، أما الفقيرُ ففقْرُهُ يَدْفَعُهُ الى طلبِ العدالة والقسط، وأما
الضعيفُ فيدْفَعُهُ الى طلبِها ضعفه وحرمانه، لكنَّ العقبة، كلَّ العقبة، هو
الغنيُّ القوي، حيثُ يَجِبُ أن يُساقَ الى البُخوعِ بالعدل والقسط، أما
بالميزان، والا فبالحديد . وهذا المنهجُ هو الَّذي يَدْعُو الى ايجادِ التوازن
في الحركاتِ الاجتماعية، والى نفيِ الحيفِ والتطُّرفِ . فالحركاتُ
المُستَلْهِمةُ من الكتابِ السَّماويِّ، الَّتِي تَتَكَيُّ على الميزان، وتُدْعَمُ
بالحديدِ المُنزَلِ، هي حركاتٌ توازنيةٌ تغييريَّةٌ هَدَّامةٌ لِأُسُسِ الظلمِ
والعدوان، بِناءةٍ لقواعدِ العدلِ والاحسان . وهي تنتهي الى بناءِ مجتمعٍ
متوازنٍ، متكافِلٍ ، عادلٍ ، مؤمنٍ، صالحٍ . وكذلك تدعو الى أن يكونَ
التوازنُ المنشودُ سارياً في الحَقْلَيْنِ : الظاهريِّ والباطنيِّ معاً .

ب - الحكم والجماهير في عرصات الكفاح : على الاساس الَّذي اشرنا
اليه، لا يكونُ الكفاحُ المذكورُ ناجحاً نافذَ المفعولِ باستخدامِ القوَّةِ
فقط، كما نشاهدُ في النُّظُمِ المادِّيَّةِ المعاصرة . ولاجلِ ذلك يعمدُ الاسلامُ
الى توسيعِ دائرةِ الكِفاحِ وبسطه على ابعادٍ ونواحٍ عديدة . نعم، إنَّ
الكِفاحَ الَّذي يُخَطِّطُهُ الاسلامُ في هذا المجال، انما هو كفاحُ رساليٍّ تَمْتَدُّ
جذوره الى الكتابِ (التربية والتعليم وبثِّ الاصولِ الفكريةِ الصَّحيحةِ)
من ناحيةٍ، والى الميزانِ (البرمجة القويمية والتأشيراتِ العادلة) من ناحيةٍ
اخرى، والى الحديدِ (استخدامِ القوَّةِ والدِّفاعِ عن حقوقِ المحرومين)
من ناحيةٍ ثالثة . فهو كفاحُ تربويٍّ وفكريٍّ وثقافيٍّ من ناحيةِ الجماهيرِ؛
ومنهجيٍّ واختصاصيٍّ من ناحيةِ علماءِ الدينِ واصحابِ الاختصاصِ؛
ومقتدرٌ حاسمٌ من ناحيةِ رجالِ القوَّةِ والحُكم . وعند ذلك تُساقُ الجماهيرُ
بكلِّ قطاعِها نحوَ محاربةِ التكاثرِ وتضخُّمِ المالِ لدى فئة، ويقومُ علماءُ

الدين والاختصاص بِمَسَاعٍ باهظةٍ لاقامةِ العدالةِ الاجتماعيةِ والقسطِ الاسلامي، ويُطاردُ الحُكْمُ جميعَ صورِ الاستغلالِ والعدوانِ الماليِّ والاستهلاكِ الترفيِّ مطاردةً دامغةً بقوِّتهِ وحديدِهِ، حتى يَقومَ التَّعَادُلُ والتَّوازنُ على ساقٍ. وَيُصْفُو الجَوُّ لنشرِ العدلِ، وتتركزُ اصولُ القوامِ الاجتماعيِّ، الَّذي يراهُ القرآنُ متوقِّفاً على تصحيحِ حركةِ المالِ وتداولِهِ بين النَّاسِ .

ج- الحوافز والغايات المتعالية لهذا الكفاح: إنَّ الكفاحَ ضدَّ التَّكاثُرِ والرَّأسماليةِ واصحابِهما في النُّظْمِ المادِّيَةِ الاشتراكيَّةِ، إِنما يُقامُ بهِ لاهدافٍ مادِّيَّةٍ فقط او سياسيَّةٍ، لكن الاسلامُ يُكافحُ المتكاثرينِ والرَّأسماليِّينَ لغاياتٍ مادِّيَّةٍ وغاياتٍ معنويَّةٍ معاً. وذلكَ لِأَنَّ تعاليمَ الاسلامِ تَعْمَدُ الى تأمينِ الحياتينِ للانسانِ وضمانِ سعادتهِ فيهما، الحياةِ المادِّيَّةِ البدنيَّةِ (والروحيَّةِ)، الدُّنيويَّةِ (الفانيَّةِ)، والحياةِ المعنويَّةِ الرُّوحيَّةِ (والبدنيَّةِ) الأخرويَّةِ (الخالدةِ). والمذهبُ التَّكاثريُّ والرَّأسماليُّ لا يرى لكلتا حياتيِ الانسانِ الكادِحِ الَّذي يَسْتَغْلُهُ وَيَسْتَرْقُهُ آيَةٌ قيِّمةً، فيُضَيِّعُهما وَيَبْخَسُ حَقَّهما وَيَسْتَهْلِكُهما - في الواقعِ - في مقاصدهِ واهدافِهِ . هذا ما نُشاهدُهُ بالعيانِ، فكم تَرى في اصحابِ الثَّرواتِ والمعاملِ والاقطاعيينَ مَنْ تُهمُّه سلامةُ العاملِ والفلاحِ والاجير؟ ومن هنا نجدُ الاسلامَ مُعادياً لهذا المذهبِ بالذَّاتِ .

والازدواجيَّةُ في غاياتِ الكفاحِ المذكورِ في الاسلامِ - التي اشرنا اليها - هي التي تُصعِّدُهُ وتَجْعَلُهُ كِفاحاً هَيِّاً وانسانياً، وتُحَلِّقُ بهِ الى اوجِ التَّعاليِ والمثاليَّةِ، وتُطَبِّعُهُ بطابعِ العظَمَةِ والخلودِ .

٢- الاغنياء وموقفهم من الامَّة: : إنَّ الأرسْطُقراطيِّينَ والمتكاثرينَ والمُتَرَفِّينَ والأثرياءَ، في المجتمعاتِ الارستقراطيةِ والمتكاثرةِ، يَتَدَخَّلونَ في نظامِ

نظرة الى الفصل الثامن ..

التقنين والقضاء والادارة، فيستولون بعد لأي على المراكز الحساسة ويصلون الى قمة الهرم الاجتماعي، ويفرضون سلطتهم على مصائر الجماهير الاقتصادية والسياسية - كما سلفت الاشارة اليه - وكذلك يستغلون الثقافة والاخلاق والفكر والفن والدين كما يشاؤون. اجل ! ان الحياة التكاثرية والراسمالية تنهج هذا المنهج في كل مكان وفي كل زمان. وهي تستخدم جميع الذرائع الموجودة لكي تخضع الناس لمنهجها هذا، فيستسلموا لسلطاتها الاجتماعية والاقتصادية المعلنة، وسلطاتها الدينية والثقافية والاخلاقية غير المعلنة.

تبيين

من اساليب الاسلام للاطاحة بالنظام التكاثري

ان الاسلام يطيح بالنظام التكاثري اطاحة قيمية
اولا، فيسمي اعظم الناس - وهم اصحاب الاموال واصحاب المعامل
والمالكون الكبار والارستقراطيون والمترفون - شر الأمة وشر المسلمين .
وبتلك الاطاحة وذلك التنديد يهدم النظام القيمي التكاثري . وبهذا
التمهيد الفكري والتربوي يفلح في اشعال ثورة تغييرية في وجه
السلطات الاقتصادية والمظالم التكاثرية في آفاق الحياة الانسانية،
ويزلزل قواعد الفئات المترفة والجبايرة الاقتصادية ومواقفهم، ويسف
بمستوياتهم الى حضيض الذل، كما يقول الامام علي «ع» بصراحة، في
اول خلافته، عند ما يريد ان يحكم هذا المنهج الاسلامي الحاسم ويؤشر
له : «حتى تعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم».

وهذا الكلام انما قاله الامام حينما بويغ له في المدينة، ورأى ان
الاسلام صار كفروا لبس مقلوبا. وذلك لاستيلاء عدة على اموال

المسلمين ففشا التكاثر عند حفنة، والفقير والعوز عند الكثيرين، فقال من خطبة موقظة وثائرة، مُحذراً المملأ الذين اترفوا من عواقب الظلم: «ذممتي بما اقول رهينة، وانا به زعيم، ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات، الا! وان بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم «ص». والذي بعثه بالحق لتبليدن ببله، و لتغربلن غربله، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم..»^١

وان مما يجب علينا - اشد الوجوب واهمه - ان نعرف هذه التعاليم ومواقفها وغاياتها اعمق معرفة، وان نعيها احسن وعي، وان نعلم الجماهير بها، وان لانخط عليها خط البطلان التجسدي بتسميتها باسم «الاخلاقية»، ولا نخرجها من الحقل الفقهي ودائرة الاجتهاد الاسلامي الحي البناء، حتى لا يؤدي الامر (يعني حذف بعض التعاليم الاسلامية واختزالها من حقل الاجتهاد)، الى ابهام في النظام الاسلامي ومذهبه الاقتصادي وفلسفته الاجتماعية ومقاييسه الحقوقية، والى تحريف دين الله الحنيف، او تضعيفه.

ومن المسلم به ان الدين الالهي - مع موقفه واتجاهه هذان - وسيرة علي «ع» العملية، ان روعيا بصورة سالحة، لا يدعان مجالاً للمتكاثرين والموسرين لاستغلال الدين، فلا يتبدل هو الى وسيلة في ايدي شر الأمة وشر اشرارها - بلسان النبي الاعظم «ص» - ولا توجد ارضية لان يتحول دين كالا سلام، الى مسوغ لليسار الفاحش والاطراف والاستغلال، والى اداة لتخدير الجماهير وتغطية الضمائر. واذا بدا شيء من ذلك فعلى النابهين ان يحاربوا الامر بصورة مختلفة، وان يمعنوا النظر قبل كل شيء في اسبابه، للتوفر على استنصاله، وماهي الآ :

١ - الجهل، و

٢ - الدَّجَلُ، و

٣ - التَّخَلُّفُ، و

٤ - ضيقُ الافقِ الفكريّ، و

٥ - الانخداعُ بتمويهاتِ المتكاثرين واياديهم .

ولأن يعرف القارئ مغزى كلام النبي «ص» في وصف الاغنياء، أكثر من ذي قبل، ويقف على نفسياتهم من كتب، فليراجع من فصول هذا الباب، ما يشتمل على «حالات الاغنياء والمتكاثرين».

٣- ظالمون : لم نَعِدْ هذه الفصول ولم نأت بهذه العناوين مُنحازين، باخسين لحقّ، او غير مُبالين بحُرمة او كرامة . وإنما هي كلمات حقّ أخذناها ووعيناها من نفس التصريحات القرآنية والحديثية، وتعاليم الاسلام الهادية . يقول الله تعالى في كتابه الكريم : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^١ . ولقد أشرنا عند ايراد الآية في الفصل الى أن تكون كلمة «شيئاً» الواردة فيها، على ذكر القارئ . وقلنا : إنها نكرة واقعة في سياق النفي فتفيد العموم، اي إن الله سبحانه، لا يظلم احداً مثقال ذرة ولا يظلم الناس نقيراً ولا فتيلاً .

ومن المعلوم أن خلق مخلوق اجوف،^٢ له معدة وأمعاء وجسد بُني على الخبز^٣، فيطلبُ الغذاءَ لِتَلَايْمِيَتِهِ الجوع، وكذلك يطلبُ السَّرَكِي لا يُفْنِيهِ الحرُّ والبرد، إن لم يكن ذلك مع اعداد الغذاء والمعيشة له لا يكون عدلاً ابداً، فهو ظلم . وفي هذا الضوء، هل يُمكنُ أن ينسب مسلم ذلك الامر الى

١ - سورة يونس (١٠) : ٤٤ .

٢ - على حدّ تعبير الامام الباقر «ع» - (الكافي ٦ / ٢٨٦) : راجع : مامرّ في الفصل ٥ .

٣ - على حدّ تعبير الامام الصادق «ع» - (الكافي ٦ / ٢٨٦) : راجع : مامرّ في الفصل ٥ .

الله (تعالى الله عما يقولون)، وَأَنْ يُعَدَّ الْعَوَزَ وَالْمَسْكَنَةَ الْفَاشِيَيْنِ فِي النَّاسِ فِي الْبِلَادِ أَمْرًا مُرْضِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى لَا يَجِبُ كِفَاؤُهُمَا؟ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَ النَّاسَ، بَلْ هُوَ خَلَقَهُمْ وَضَمَّنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ، فَمَنْ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ وَالْمُعْوِزِينَ وَالْعُرَاةَ الْجَائِعِينَ؟ يَجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ». وَإِنَّ الْإِحَادِيثَ الْمُتَعَدِّدَةَ الَّتِي تُصَرِّحُ بِأَنَّ فَقْرَ الْفُقَرَاءِ وَاحْتِيَاجَهُمْ مِنْ ذُنُوبِ الْإِغْنِيَاءِ، وَأَنَّ الْإِغْنِيَاءَ يَسْرِقُونَ زَادَ الْفُقَرَاءِ، تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الظُّلْمِ أَيْضًا. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَضَرُّ وَأَخْطَرُ عَلَى دِينٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ تَابِعُوهُ بَعْضُ تَعَالِيمِهِ وَاحْكَامِهِ وَيَجْعَلُوا بَعْضَهَا الْآخَرَ خَلْفَ الْقَفَا.

٤- هالكون: إِنَّ التَّكَاتُرَ وَالْإِتْرَافَ سَبَبَا هَلَاكِ الْإِنْسَانِ وَشِقَايِهِ. وَالْإِغْنِيَاءُ الْمُتَرَفُونَ هُمُ الْهَالِكُونَ وَالْمُهْلِكُونَ، الَّذِينَ يُهْلِكُونَ الْحَرْتَ وَالنَّسْلَ وَيَجْرُونَ الْمَجْتَمَعَ إِلَى حَضِيضِ الْعِبُودِيَّةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْمُيُوعَةِ وَالْهَوَانِ وَالتَّخَلُّفِ. وَلَكِي نَظَّلَ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ نُشِيرُ إِلَى مَسَائِلَ، هِيَ مِنْ آثَارِ الْحَيَاةِ التَّكَاتُرِيَّةِ وَالتَّرَفِيَّةِ الْحَتْمِيَّةِ:

الاولى: أَنَّ التَّكَاتُرَ وَالْإِتْرَافَ يَخْلُقَانِ جَوًّا فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَسْتَبِيعُ فَسَادَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالدِّينِ - كَمَا يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ عَشَرَ.

الثانية: أَنَّ التَّكَاتُرَ فِي الْإِمْتِلَاقِ وَالتَّرَفِ فِي الْإِسْتِهْلَاقِ، يُمَيِّنَانِ الْعَوَاطِفَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَيَقْضِيَانِ عَلَى تَبْنِيِ الْفَضِيلَةِ وَالْإِحْلَاقِ.

الثالثة: أَنَّهُمَا يُنْمِيَانِ فِي الْإِنْسَانِ الرَّذَائِلَ الْخُلُقِيَّةَ وَيَصْنَعَانِ لَهُ شَخْصِيَّةً وَهْمِيَّةً مُتَعَجِّرَةً.

الرابعة: أَنَّهُمَا يُبْعِدَانِ الْإِنْسَانَ الْمُتَكَاتِرَ الْمُتَرَفَ عَنِ النَّاسِ

نظرة الى الفصل الثامن ..

وَيُضَدِّدُهُ عَنِ مَخَالَطَةِ الْجَمَاهِيرِ - وَلَا سِيَّمَا الْعَجَزَةَ وَالزَّمْنَى وَالْمَسَاكِينَ -
مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْمَخَالَطَةُ هِيَ الْمُجْلِبَةُ لِمَرَاةِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِمَلَكَاتِهَا
السَّامِيَةِ، وَالْمُرْهَفَةُ لِأَحَاسِيسِ الْإِنْسَانِ وَإِنطِبَاعَاتِهِ . وَلَقَدْ حَثَّنَا عَلَيْهَا
التَّعَالِيمُ فَرَاغَ : الْفَصْلَ الْتَّاسِعَ وَالثَّلَاثِينَ، مِنْ هَذَا الْبَابِ بِإِمْعَانٍ .

الخامسة : أَنَّهُمَا يُسَبِّبَانِ الْإِبْتِعَادَ عَنِ مِنْهَاجِ الْعَدَالَةِ وَالْقِسْطِ،
وَيَأْسِرَانِ الْإِنْسَانَ فِي أَغْلَالِ الطَّمَعِ وَالْحِرْصِ، فَيَسْلُبَانِ حُرِّيَّتَهُ فِي
التَّفَكِيرِ وَالرَّأْيِ .

السادسة : أَنَّهُمَا - بِمَا لَهُمَا مِنَ الْآثَارِ السَّلْبِيَّةِ - يَفْرُضَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ
الْإِسْرَافَ فِي شَبَكَاتِهِمَا أَنْ تَكُونَ أَتَّجَاهَاتُهُ مَحْدُودَةً فِي حَقْلِ الْإِنْتِفَاعِ
الشَّخْصِيِّ، غَيْرَ سَارِيَةٍ إِلَى آفَاقِ الْمَصَالِحِ النَّوْعِيَّةِ الْعَامَّةِ وَالْإِثَارِ
الْإِجْتِمَاعِيِّ . وَمَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا شُدُودًا وَنَدْرَةً، أَوْ لِمَقَاصِدَ
خَاصَّةٍ .

السابعة : أَنَّهُمَا يَسُوقَانِ الْمَجْتَمَعَ - عَقِيبَ فَرَضِ الْإِقْتِسَادِ التَّكَاثُرِيِّ
عَلَيْهِ - إِلَى الْإِنْقِسَامِ إِلَى قَسَمَيْنِ مَتَمَايِزِينَ تَمَازِيًا جَبَّارًا لَا يُسَوِّغُهُ أَيُّ دِينٍ
أَوْ مَدْرَسَةٍ فِكْرِيَّةٍ صَالِحَةٍ، فَضْلًا عَنِ الْإِسْلَامِ .

الثامنة : أَنَّهُمَا يُضَعِّضَانِ قَوَاعِدَ التَّكَافُلِ الْإِجْتِمَاعِيِّ وَأُسُسَ التَّعَاوُنِ
وَالْتَّعَاوُدِ، فَيَهْدِمَانِ بِذَلِكَ أَسَاسَ التَّوَاظُنِ، فَيُضَيِّعَانِ الشَّعْبَ وَيُهْلِكَانِ
النَّاسَ .

هذا . وَمِنَ اللَّاحِبِ الْوَاضِحِ، الَّذِي لَا يَشُكُّ فِيهِ مَنْ لَهُ الْإِمَامُ بِالْإِسْلَامِ
وَتَعَالِيمِهِ، أَنَّ نِظَامَ الْإِسْلَامِ الْإِقْتِسَادِيَّ وَمِنْهَجَهُ الْعَالِيَّ، لَا يَكُونَانِ
الْأُمْنَجِييْنِ، لِأُمُهْلِكَيْنِ، إِذْ غَايَةُ الدِّينِ هِيَ إِنْجَاءُ الْإِنْسَانِ وَإِسْعَادُهُ . فَعَلَى
هَذَا، إِنَّ مَجْمُوعَةَ الصُّوَرِ وَالْأَشْكَالِ، فِي الْأُمُورِ الْمَالِيَّةِ وَالتَّبَادُلِ
وَالصَّلَاتِ الْإِقْتِسَادِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، لَا تَهْدَفُ إِلَّا إِلَى غَرَضٍ نَفِيِّ التَّكَاثُرِ
الْمُفْسِدِ الْمُلهِي، وَشَجْبِ الْغِنَى الْمُطْفِئِ، وَالِى مَطَارِدَةِ الْإِقْتِسَادِ

الاستكباري الذي يمزق الأمة صنوفاً ويبدد شمل الجماهير .
 في هذا الضوء، الذي تلقىه حقائق الاسلام وتعاليمه، يتضح أن من
 اهم رسالات فقهاء الاسلام، هي صيانة الاسلام وتخليص المسلمين -
 وسائر الناس - من مخالب المفسدين والطاغين الاقتصاديين . إن النبي
 الأسوة «ص»، يعد من واجبات الحاكم الاسلامي أن لا يفر الناس
 فيكفرهم^١ . فإذا كان واجب السياسة الاسلامية صيانة الناس عن الفقر
 وعوامله واسبابه حتى لا يكفروا، فماذا يكون واجب الفقهاء الاسلامية؟
 فمن واجبات العلم والعلماء أن لا يقاروا على كظة الظالمين ولا سغب
 المظلومين، بل يثوروا - ولو بالافتاء - في وجه البواعث المهلكة، سواء
 الهلاك الفردي او الاجتماعي، وأن يقوموا بصيانة المجتمع الاسلامي من
 وقوعه في أسر الاقتصاد التكاثري والاستهلاك الترفي، ومن سقوطه في
 ايدي مدارس تدعي أنها تنقذ الانسان وترد إليه حقوقه المسلوقة^٢ .

٥- اموات : إن حياة الانسان الحقيقية، هي التي تهئ له ارضيات رُشده
 وتفتح مواهبه الانسانية، وتشق الطريق له الى توسع آفاقه الوجودية
 العميقة . هذه هي حياة الانسان الحقيقية، الانسانية، لا ما يستغرق بها في

١ - الكافي ١ / ٤٠٦ . راجع : الفصل ٣٢ ، من هذا الباب .

٢ - من اللازم على من يقوم بالاصلاح في هذا الجانب، ويخوض هذه المباحث بالتمحيص او
 الكتابة او الدعاية، فيكافح المتكاثرين ويحامي عن المحرومين والمضطهدين والمساكين، أن
 لا يغفل عما يثار حوله من إشكالات احياناً واتهامات احياناً أخرى . وهذه الاشكالات
 والاتهامات يثيرها اولئك المتكاثرون واياديهم لإضلال وعي الجماهير وإغفال الافكار عن
 ادراك العدل والقيام لحياته، حتى لا تتزلزل قواعدهم السياسية والاجتماعية ولا تجف
 مواردهم الاقتصادية الباهظة، ولا يطيح وعي الجماهير وانتباه الناس بحياتهم المتطفلة
 ومصالحهم الاستغلالية . فليكن المصلحون الناثرون نابهين لهذا الامر، متوكلين على الله،
 واقفين على خطورة الموقف، صامدين له، موطنين انفسهم على مواجهة المشكلات ومناقحة
 العراقيل .

نظرة الى الفصل الثامن ..

الأكلِ والشربِ والنومِ والشَّهواتِ كالبهيمةِ المربوطةِ هُمها علفُها . فكلُّ سببٍ يُعوقُ الانسانَ عن تلكِ الغاياتِ الكريمةِ في الحياةِ، ويُغرِّقه في بحارِ التفاهاتِ اليوميةِ، التي لا تزيدُ على انسانيةِ الانسانِ شيئاً، بل تُهدِرُ قواه وفُرصَه، ويصدُّه عن المقصدِ الاسمى، فهو عاملٌ للهلاكِ والموتِ الحقيقيِّ .

فهنالك حياتانِ وموتانِ : جسديَّةٌ وروحيَّةٌ . وإن شئتَ فقل : ظاهريَّةٌ وحقيقيَّةٌ . فالحياةُ الظاهريَّةُ للانسانِ حياتهُ الحيوانيَّةُ؛ والحياةُ الحقيقيَّةُ حياتهُ الانسانيَّةُ . والموتُ الظاهريُّ هو موتهُ الجسديُّ، والموتُ الحقيقيُّ هو موتهُ الرُّوحِيُّ والاخلاقيُّ وموتِ مواهبهِ الانسانيَّةِ . ولا موتَ للانسانِ حقيقياً مع الحياةِ الرُّوحِيَّةِ، كما أنَّه لا حياةَ له حقيقيَّةً مع الموتِ الرُّوحِيِّ . وحياةُ الانسانِ الحقيقيَّةُ ليست امرأً وُحدانياً، بل هي امرٌ تركيبِيٌّ ينبعُ من عدَّةِ امورٍ يسيرُ كلُّها مسيرةً واحدةً ويهدفُ الى غايةٍ واحدةٍ . فالجسدُ ايضاً له دورهُ في تحصيلِ تلكِ الحياةِ، لِأنَّه آلةٌ لكسبِ المعنويَّاتِ والخيراتِ والصالحاتِ، لِأنَّها إنما تُكتسبُ بواسطةِ الجسدِ وقواه وجوارحه ومشاعره وافعاله واعماله ونشاطاته . ومن البديهيِّ الَّذي لا شكَّ فيه، أنَّ ادواتِ الحياةِ الماديَّةِ، من الجسديَّةِ ومُلابساتِها - وهي مُعدَّاتُ لرُشدِ الانسانِ واستكمالهِ - يَجِبُ أن تُستعملَ استعمالَ المُعدَّاتِ لسلوكِ الانسانِ المنشودِ الى غاياتِ الوجودِ القُصوى . فعلى هذا، يَجِبُ أن لا تكونَ الادواتُ المشارُ اليها، مُعيقةً له عن النشاطاتِ الاستكماليةِ . فاذا استهلَّك الانسانُ جميعَ قواهِ وِاوقاتِهِ في الكسبِ الماديِّ حباً للمالِ، ونظَرَ الى المقدِّمةِ كذي المقدِّمةِ، وتحوَّلتْ لديه الوسيلةُ غايةً، يذهبُ جميعُ ما عنده ضحيَّةً المادَّةِ والماديَّاتِ، ويُعْرِقُ سبيلَه الى ما هو الغايةُ الاصليةُ، فلا يكتسبُ ما يَجِبُ عليه أن يكتسبَ، ولا يظفرَ بما هو المطلوبُ المنشودِ . فبذلكِ يتضحُ لذي الانسانِ النَّابِهِ أنَّ صرفَ العمرِ والامكانيَّاتِ

والنشاطات الحياتية في التكسب وتضخيم المال، هو موتُ الانسانِ الواقعي وتراجعه الى السفل، وتخلّفه عما يليق بالانسانية . فالمتكاثرُ ميّتٌ لا حياة انسانية له - وإن دبّ ودَرَج في الأحياء - ولا اهتمام له بالفضيلة والحق والعدل، لأن التكاثر الهاهُ، كما صرّحت به سورة التكاثر .
فعلى ما عرضنا، إن استهلاكية الاقتصاد التكاثري وافرطيته وتخلّفه وتعرّضه للدمار ليس امراً عرضياً، بل هو امرٌ اصليٌّ عميقٌ له جذورٌ في اعماق الوجود الانساني . ولأجل ذلك يُسمي القرآن الكريم هؤلاء المتكاثرين واهل الدنيا والمال موتى، فيقول مخاطباً للنبي «ص»: «إنك لا تُسمعُ الموتى ..»^١، ويقول في موضعٍ آخر: «وما يَسْتَوِي الأحياءُ ولا الامواتُ ..»^٢.

١ - سورة النمل (٢٧) : ٨٠ .

٢ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٢ .

الفصل التاسع

الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٢)

- القضاء على الاكتناز

الكتاب

١ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
اليم * ١

الحديث

١ النبي «ص» - لَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ : «تَبًّا لِلذَّهَبِ، تَبًّا لِلْفِضَّةِ»، يُكْرَرُهَا
ثَلَاثًا؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى اصْحَابِهِ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْمَالِ
نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ : «لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى
دِينِهِ».^٢

١ - سورة التوبة (٩) : ٣٤.

٢ - مجمع البيان ٥ / ٢٦.

٢ النبي «ص»: يا ابن مسعود! احذر الدنيا ولذاتها وشهواتها وزينتها، واكل الحرام، والذهب والفضة، والركب^١، والنساء، فإنه سبحانه يقول: «زِينِ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالنِّبْنِ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالانْعَامِ وَالحَرثِ، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب * قُلْ: أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ، لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الانْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وازواجٌ مطهرةٌ، ورضوانٌ مِنَ الله، والله بصيرٌ بالعباد *»^٢

٣ الامام الباقر «ع» - في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ..»: .. فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ كَنْزَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَمَرَنَا بِانْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ الله . وقوله: «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ..»^٣، قال: كان ابوذر الغفاري يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ - وهو بالشام - وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: بَشِّرْ أَهْلَ الكُنُوزِ بِكَيِّْ فِي الجِبَاهِ، وَكَيِّْ فِي الجُنُوبِ، وَكَيِّْ فِي الظُّهُورِ اَبْدًا، حَتَّى يَتَرَدَّدَ الحَرُّ فِي اجْوَافِهِمْ^٤.

١ - وفي بعض النسخ: «المراكب».

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٩ - ٥٣٠؛ والآيتان في سورة آل عمران (٣): ١٤ - ١٥.

٣ - سورة التوبة (٩): ٣٥.

٤ - تفسير القمي ١ / ٢٨٩.

نظرة الى الفصل

ننقل هنا كلاماً للعالم الكبير، المولى محمد مهدي التراقي، عن الكنز وتفسيره وحكمة النهي عنه، ونجعل هذا الكلام القيم نظرتنا الى الفصل، ونكمل البحث عن الكنز والاكتناز وما يتعلّق بهما الى الفصل الخامس والعشرين، الذي عقّدناه لهذا الموضوع الهام. فاليك الآن كلام المولى التراقي :

«... وثانيهما العقل، والنظر بعين الاعتبار، فإنّ العقل مُتَمَكِّنٌ - في الجملة - من أن يدرك بعض وجوه الحكم في بعض الموجودات. فإنّ الله سبحانه، ما خلق شيئاً في العالم الا وفيه حكم كثيرة، وتحت كلّ حكمة مقصود ومصلحة. وهذا المقصود والمصلحة هو محبوب الله تعالى. فمن استعمل كلّ شيء على النحو الذي يُؤدّي الى المقاصد المطلوبة وعلى الجهة التي خلق لها، فقد شكر نعم الله تعالى؛ وإن استعمل شيئاً على النحو الذي لم يُؤدّ الى المقصود منه، او في جهة غير الجهة التي خلق لها، فقد كفر نعمة الله.

ثمّ العقل لا يتمكّن من معرفة كلّ حكمة مطلوبة من كلّ شيء، اذ الحكم المقصودة من الاشياء اّما جليّة او خفيّة. اما الجليّة كحكمة حصول الليل والنهار في وجود الشمس.. فإنّ جميع اجزاء العالم، سمائه وكواكبه وما فيها من الاوضاع والحركة والاختصاصات وعناصره من كثرة النار والهواء والماء والارض وما فيها من البحار والجبال والرياح والمعادن والنبات والحيوان، لا تخلو ذرّة من ذراته من حكم كثيرة، من

١ - اي ثاني المدركين لتمييز ما يُحبه الله تعالى ممّا يكرهه؛ وأولهما الشرع.

عشرة الى الفِ او اكثر . وقليلٌ منها جليّة، واكثرها دقيقةٌ خفيّة، وبعضها متوسّطةٌ في الجلاءِ والخفاء، يَعْرِفُهَا المتفكّرون في خلقِ السّماوات والارض .. اما الانسانُ فليكونه محلّ الاختيارِ ومجراه، فقد يجري وَيَسْتَعْمِلُ الاشياءَ الّتي يَتَمَكَّنُ من استعمالِها على خلافِ ذلك، فيكونُ كافرًا بنعمةِ الله سبحانه ..

وَمَنْ ادَّخَرَ الدّراهمَ والدّنانيرَ وحبسَهُما فقد كَفَرَ نعمةَ الله فيهما، لَانَّهُما حَجْرَانِ لا منفعةَ ولا عِوَضَ في اعيانِهِما . وَاِنما خَلَقَهُما اللهُ تعالى لِيكونا حاكِمينَ يَحْصُلُ بهما التّعديلُ والمساواةُ والتّقديرُ بينَ سائرِ الاموال، من الاعيانِ المتنافرةِ المتباعدة؛ فهما عزيزانِ في انفسِهِما، ولا غرضَ في اعيانِهِما، ونسبَتُهُما الى سائرِ الاموالِ نسبةً واحدة . فمن مَلَكَهُما فكانهُ مَلَكَ كُلِّ شَيْءٍ، لا كَمَن مَلَكَ ثوباً فانه لا يَمْلِكُ الا الثّوب، فانِ احتاجَ الى طعامٍ، ربّما لم يَرغَبْ صاحبُ الطّعامِ في الثّوب، اذ لا غرضَ له في ذاته، بخلافِ النّقدين، فإِنَّهُما من حيثُ الصّورةِ كَانَهُما ليسا بشيءٍ، ومن حيثُ المعنى كَانَهُما كُلُّ الشّيء .

والاشياءُ اِنما تَسْتوي نسبَتُها الى المختلفات، اذا لم يَكُنْ لها صورةٌ خاصّةٌ تُقَيِّدُها بخصوصِها، كالمرآةِ لا لَوْنِ لها وتحكي كلَّ لون، وكالحرفِ لا معنى لها في نفسها بل تَظْهَرُ لها المعاني في غيرها . وكذلك النّقدان لا غرضَ فيهما مع كونِهِما وسيلةً الى كلِّ غرض . فالحكمةُ في خلقِهِما اَنْ يَحْكُمَا بينَ الاموالِ بالعدل، وتُعرَفَ بهما المقاديرُ المختلفة، وتَقومَ بهما الاشياءُ في تبادلِ الاعيانِ والمنافعِ المتخالفة . فَمَنْ ادَّخَرَهُما وحبسَهُما فقد ظَلَمَهُما وأَبْطَلَ الحكمةَ فيهما وكَفَرَ نعمةَ الله فيهما، و كان كَمَن حبسَ حاكمَ المسلمين في سجن . وَمَنْ لم يَدَّخِرْهُما ولم يَتصرّفْ ازيدَ ممّا يَحْصُلُ به التّوسُّلُ الى ما يَحْتَاجُ، وانفقَ الزائدَ في سبيلِ الله، فهو الَّذي اسْتَعْمَلَهُما على وِفْقِ الحكمة، وشَكَرَ نعمةَ الله فيهما . ولما عَجَزَ اكثرُ الناسِ قِراءةَ

نظرة الى الفصل التاسع ..

الأسطرِ الالهية المكتوبة على صفحاتهما في فائدتيهما وحكمتيهما بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت، اخبرهم الله عن ذلك بقوله : «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم».

وبما ذكرنا من وجه الحكمة فيهما، يظهر أن من اتخذ الاواني منهما فقد كفر نعمة الله فيهما ايضاً^١ وكذا من عامل معاملة الربا فيهما فقد كفر النعمة وظلم، لانهما إنما خلقا لغيرهما لا لانفسهما، اذ لا غرض في عينيهما، فاذا اتجر في عينيهما فقد اتخذهما مقصوداً لانفسهما على خلاف وضع الحكمة .

وكذلك الحكمة في خلق الاطعمة أن يُغتذى بها، فلا ينبغي أن تُصرف عن جهتها وتُقيد في الايدي، بل اللازم أن تُخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج . ولذا ورد في الشرع حرمة الاحتكار، والمنع عن معاملة الربا في الاطعمة، لان ذلك يوجب صرفها عن الحكمة المقصودة فيها...^٢

١ - راجع : امالي الطوسي ٢ / ١٣٣ - ١٣٤ .

٢ - جامع السعادات ٣ / ١٩٥ م ١٩٧ ، الطبعة الرابعة، دار النعمان، النجف الاشرف .

الفصلُ العاشرُ

الاسلام والنظام التكاثريّ الاترافيّ، كفاح رجب (٣)

- دعم القيم المثلى والمقاييس السّامية وهدم القيم التّكاثريّة والأعراف الاترافيّة، مجابهة للتّكاثر والإدّخار

أ - الغنى بالله تعالى لا بالمال

الكتاب

١ يا أيّها النّاس! أنتم الفقراء الى الله، والله هو الغنيّ الحميد * ١

الحديث

١ النبي «ص»: يا ابادر! استغنِ بغني الله يُغنيك الله. فقلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: غداء يومٍ وعشاء ليلةٍ. فمن قنع بما رزقه الله فهو أغنى

١ - سورة فاطر (٣٥): ١٥.

النَّاسُ ١

٢ الامام علي «ع»: الغِنَى بِاللَّهِ اعْظُمُ الْغِنَى . الْغِنَى بِغَيْرِ اللَّهِ اعْظُمُ الْفَقْرُ وَالشَّقَاءُ ٢.

ب - الغنى بما عند الله تعالى

الكتاب

- ١ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا، قُلْ : مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * ٢
- ٢ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ، فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٣.

٢ - غرر الحكم / ٤٢.

٣ - سورة الجمعة (٦٢) : ١١.

٤ - سورة الشورى (٤٢) : ٣٦.

منه بما في يده^١.

ج - الغنى بالقرآن

الكتاب

١ .. فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ..^٢

الحديث

١ النبي «ص»: مَنْ اعطاهُ اللهُ القرآنَ، فرأى أنَّ رجلاً أُعطيَ افضلَ ممَّا أُعطيَ، فقد صَغَرَ عَظيماً وَعَظَّمَ صَغيراً.^٣

٢ الامام علي «ع»: .. اِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيَّ أَحَدٌ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِحَدٍّ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ..^٤

٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَهُوَ غَنِيٌّ، وَلَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَالْأَمَّا بِهِ غِنًى.^٥

١ - تحف العقول / ٢٦.

٢ - سورة المزمّل (٧٣) : ٢٠.

٣ - الكافي ٢ / ٦٠٥.

٤ - نهج البلاغة / ٥٦٧: عبده ٢ / ١١١.

٥ - الكافي ٢ / ٦٠٥.

د - الغنى بالتقوى واليقين

الكتاب

١ قل: متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى ..^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: كفى بالتقى غنى^٢.
- ٢ الامام علي «ع»: مفتاح الغنى، اليقين^٣.
- ٣ الامام الباقر «ع»: كفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة سُغلاً^٤.
- ٤ الامام الباقر «ع»: اعلم يا جابر! ان اهل التقوى هم الاغنياء، اغناهم القليل من الدنيا، فمؤونتهم يسيرة، ان نسيت الخير ذكرك، وان عملت به اعانوك. اخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم، وقدموا طاعة ربهم امامهم ..^٥
- ٥ الامام الصادق «ع»: من اخرج الله عز وجل، من ذل المعاصي الى عز

١ - سورة النساء (٤) : ٧٧.

٢ - تحف العقول / ٣٠.

٣ - البحار ٧٨ / ٩.

٤ - الكافي ٢ / ٨٥.

٥ - تحف العقول / ٢٠٨.

التقوى أغناه الله بلامالٍ، وأعزّه بلاعشيرةٍ، وأنسه بلا انيسٍ. ١

هـ - الغنى بالعقل والعلم

الكتاب

- ١ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * ٢
- ٢ .. وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا. ٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : إِنْ أَغْنَى الْعَقْلُ. ٤
- ٢ الامام علي «ع» : لَا غِنَى مِثْلُ الْعَقْلِ. ٥
- ٣ الامام علي «ع» : غِنَى الْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ، غِنَى الْجَاهِلِ بِمَالِهِ. ٦

١ - الوسائل ١١ / ١٩١.

٢ - سورة الزمر (٣٩) : ٩.

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٩.

٤ - نهج البلاغة / ١١٠٤ : عبده ٣ / ١٦٠.

٥ - تحف العقول / ١٤٢.

٦ - غرر الحكم / ٢٢٣.

٤ الامام علي «ع»: العلم يحرسك وانت تحرس المال . والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق . وصنيع المال يزول بزواله .^١

٥ الامام الكاظم «ع»: يا هشام! من اراد الغنى بلامالٍ، وراحة القلب من
الحسد، والسّلامة في الدين، فليتضرّع الى الله في مسألته بان يكمل
عقله .^٢

و- الغنى بالقناعة

الكتاب

١ من عمل صالحاً من ذكرٍ او أنثى وهو مؤمنٌ، فلنُحْيِيَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ..^٣

* ذكر الشيخ ابو علي الطبرسي في تفسير «الحياة الطيبة»

خسمة اقوال . احدها واولها: الرزق الحلال . ثانيها: القناعة

والرضا بما قسم الله تعالى . قال : وروي ذلك عن النبي «ص» .

ورابعها: انها رزق يومٍ بيومٍ .^٤

١ - نهج البلاغة / ١١٥٥ : عبده ٣ / ١٨٧ .

٢ - تحف العقول / ٢٨٦ .

٣ - سورة النحل (١٦) : ٩٧ .

٤ - مجمع البيان ٦ / ٣٨٤ .

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الغني من استغنى بالقناعة.^١
- ٢ الامام علي «ع»: لا كنز اغنى من القناعة.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: طلبت الغنى فما وجدت الا بالقناعة، عليكم بالقناعة تستغنوا.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: مطلوبات الناس في الدنيا الفانية: الغنى، والدعة، وقلة الاهتمام، والعز، فاما الغنى فموجود في القناعة، فمن طلبه في كثرة المال لم يجده..^٤
- ٥ الامام الكاظم «ع»: .. فمن عقل قنع بما يكفيه. ومن قنع بما يكفيه استغنى. ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى ابداً.^٥
- ٦ الامام الهادي «ع»: الغنى قلة تمنيك، والرضا بما يكفيك..^٦

ز - الغنى غنى النفس

-
- ١ - غرر الحكم / ٢٨.
 - ٢ - نهج البلاغة / ١٢٦٠: عبده ٣ / ٢٤٢.
 - ٣ - سفينة البحار / ٢ / ٨٧.
 - ٤ - علل السرائع / ٤٦٨.
 - ٥ - تحف العقول / ٢٨٦.
 - ٦ - البحار / ٧٨ / ٣٦٨.

الكتاب

١ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ..^١

الحديث

١ النبي «ص»: ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، ولكن الغنى غِنَى النَّفْسِ.^٢

٢ النبي «ص»: الغنى في القلبِ والفقْرُ في القلبِ.^٣

٣ الامام الباقر «ع»: لا فقرَ كفقْرِ القلبِ، ولا غِنَى كغِنَى القلبِ.^٤

ح - اشرف الغنى ترك المنى

الحديث

١ الامام علي «ع»: اشرفُ الغِنَى، تَرَكُ الْمُنَى.^٥

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٣.

٢ - تحف العقول / ٤٦.

٣ - البحار ٧٢ / ٦٨، عن كتاب «الامامة والتبصرة».

٤ - تحف العقول / ٢٠٨.

٥ - الكافي ٨ / ٢٣.

ط - الغنى الاكبر

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الغنى الاكبر، اليأس عمّا في ايدي الناس.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: أغنى الغنى من لم يكن للحرص اسيراً.^٢

ي - لا دور للمال في كيان الغنى الحقيقي

الكتاب

- ١ ولا تُمدّن عينيك الى ما متّعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه،
ورزق ربك خير وأبقى*^٣

الحديث

١ - نهج البلاغة / ١٢٤٤: عبده ٣ / ٢٣٤.

٢ - الكافي ٢ / ٣١٦.

٣ - سورة طه (٢٠): ١٣١.

١ الامام علي «ع»: من سرَّهُ الغنى بلا مالٍ، والعزُّ بلا سلطانٍ، والكثرةُ بلا عشيرةٍ، فليُخرُج من ذلِّ معصيةِ الله الى عزِّ طاعته ١.

٢ الامام علي «ع»: ليس الخيرُ أن يكثرَ مالك وولَدُك، ولكنَّ الخيرَ أن يكثرَ علمُك وأن يعظُمَ حلمُك، وأن تُباهيَ الناسَ بعبادةِ ربِّك، فإن أحسنتَ حمَدتَ الله، وإن أسأتَ استغفرتَ الله ٢.

تذييلات

١- استكبار وردع

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: جاء رجلٌ مؤسراً الى رسولِ الله «ص»، نَقِي الثوب، فَجَلَسَ الى رسولِ الله «ص»، فجاء رجلٌ مُعْسِرٌ دَرِنُ الثوب، فَجَلَسَ الى جنبِ الموسر، فقبَضَ الموسرُ ثيابه من تحتِ فخذيه؛ فقال له رسولُ الله: أَخِفْتَ أَنْ يُمْسِكَ من فقره شيءٌ؟ قال: لا .. قال: فما حَمَلَك على ما صَنَعْتَ؟ فقال: يا رسولَ الله! إن لي قريناً يُزِينُ لي كلَّ قبيحٍ وَيُقَبِّحُ لي كلَّ حَسَنٍ، وقد جَعَلْتُ له نصفَ مالي؛ فقال رسولُ الله للمعسر: أَتَقْبَلُ؟ قال: لا؛ فقال له الرَّجُلُ: ولم؟ قال: أَخَافُ أَنْ يَدْخُلَنِي ما دَخَلَكَ ٢.

١ - غرر الحكم / ٢١٩.

٢ - نهج البلاغة / ١١٢٨؛ عبده ٣ / ١٧١.

٣ - الكافي ٢ / ٢٦٢.

٢- تحقير معيشة الاغنياء

- ٢ النبي «ص»: يا اباذر! اَلْبِسِ الخَشِنَ من اللباس، والصَّفِيقَ من الثياب،
لئلاَّ يَجِدَ الفخرُ فيك مسلِكاً.^١
- ٣ الامام علي «ع» - قد مرَّ بقَدْرِ علي مزبلةٍ فقال: هذا ما بَخِلَ به الباخلون.^٢
- ٤ الامام علي «ع»: يا ابن آدم! ما كَسَبْتَ فوق قوتِكَ، فانتَ خازنٌ فيه لغيرِكَ.^٣
- ٥ الامام السجاد «ع»: انَّ اكثرَ ما يَطْلُبُ ابنُ آدم، مالا حَاجَةً به اليه.^٤
- ٦ الامام الباقر «ع»: مَلِكٌ يُنادي كلَّ يوم: ابن آدم! لِدِ اللّٰموت، وَاَجْمَعُ للّفناء،
وابن للخراب.^٥

* وقدورد هذا الكلام عن الامام عليّ «ع» بهذه العبارة: «انَّ
لِلّٰهِ مَلِكاً يُنادي في كلِّ يوم: لِدُوا للّموت، وَاَجْمِعُوا للّفناء، وَاَبْنُوا
للخراب».^٦

- ٧ الامام الكاظم «ع» - من كلام له عند قبرِ حَضْرَه: انَّ شيئاً هذا آخِرُهُ لِحَقِيقُ انَّ
يُزَهَّدَ في اوّلِهِ.^٧

١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ١١٧٦: عبده ٣ / ١٩٧.

٣ - نهج البلاغة / ١١٧٥: عبده ٣ / ١٩٦.

٤ و ٥ - الكافي ٢ / ١٣١.

٦ - نهج البلاغة / ١١٥٠: عبده ٣ / ١٨٣.

٧ - تحف العقول / ٣٠١.

٣- لاتواضع للغني

- ٨ النبي «ص»: مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ دُنْيَا وَأَحَبَّهُ لَطْمَعِ دُنْيَاهُ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ،
وَكَانَ فِي دَرَجَةٍ مَعَ قَارُونَ فِي التَّابُوتِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.^١
- ٩ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين : .. مَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَضَعَّعَ لَهُ،
ذَهَبَ ثُلَاثَيْنِهِ.^٢
- ١٠ الامام علي «ع»: مَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ، ذَهَبَ ثُلَاثَيْنِهِ.^٣
- ١١ الامام الصادق «ع»: .. مَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَضَعَّعَ لَهُ لَشَيْءٍ يُصِيبُهُ مِنْهُ، ذَهَبَ
ثُلَاثَيْنِهِ.^٤

٤- لافضل للاثرياء

- ١٢ الامام السجاد «ع»: .. وَأَعْصَمَنِي مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عُدْمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ
بصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلًا.^٥
- ١٣ الامام الصادق «ع» - فيما رواه بَانُ بْنُ تَغْلِبٍ : أَتَرَى اللَّهَ أَعْطَى مَنْ أَعْطَى مِنْ
كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ مَنْ مَنْعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ؟ لَا، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَا لُ اللَّهُ يَضَعُهُ
عِنْدَ الرَّجْلِ وَدَائِعَ ..^٦

١ - ثواب الاعمال / ٣٣١.

٢ - تحف العقول / ١٤.

٣ - نهج البلاغة / ١١٨٧: عبده ٣ / ٢٠٣.

٤ - الاختصاص / ٢٢١.

٥ - الصّحيفة السّجّادية / ٢٣٩ (الدعاء ٣٥).

٦ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٥- لاتفاضل بالاموال

- ١٤ الامام علي «ع»: يَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْعُلُومِ وَالْعُقُولِ، لَا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَصُولِ.^١
- ١٥ الامام الصادق «ع»: إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَّثَ الْآبَاءُ لِأَبْنَائِهِمْ، الْإِدْبُ لَا الْمَالُ فَإِنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ وَالْإِدْبُ يَبْقَى. قَالَ مَسْعَدَةُ (ابنُ صَدَقَةَ): يَعْنِي بِالْإِدْبِ، الْعِلْمُ.^٢

٦- شجب قيمة المال في المقياس النهائي

- ١٦ الامام علي «ع»: الْمَالُ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ.^٣

تكميلات

١- الالباء امام الاغنياء واطهار الاستغناء عنهم

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا.. وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ وَأَخْذُ سَهْمِكَ. وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، اعْظُمْ وَاكْرُمْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ

١ و ٢ - غرر الحكم / ٣٦١، والكافي / ٨ / ١٥٠.

٣ - غرر الحكم / ٤٧؛ نهج البلاغة / ٣٩٠؛ عبده / ٢ / ١٠.

منه ١.

٢ الامام علي «ع»: ما أَحْسَنَ تواضعَ الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله؛ وأحسنُ منه تيهُ الفقراءِ على الاغنياءِ اتِّكالاً على الله. ٢.

٣ الامام الصادق «ع»: لا يَزَالُ العزُّ قَلِقاً حَتَّى يَأْتِيَ داراً، قد اسْتَشَعَرَ اهلُها اليأسَ ممَّا في ايدي النَّاسِ، فَيُوْطِنُهَا. ٣.

* هذه التعاليمُ تقصُّدُ الوضعَ القائم، من حضورِ الفقراءِ في المجتمع، فتعلّمهم أن يتيهاوا على الاغنياءِ مُتَكِلِينَ على الله رِزاقِ الكُلِّ، لا الوضعَ المطلوبَ في المجتمعِ الاسلاميِّ الصّحيح، حيثُ لا يُعُولُ فيه عائل، ولا يُرى فيه محتاجٌ الى الزّكاة.

٢- اللسان الصالح خير من المال

٤ الامام علي «ع»: أَلَا! وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ. ٤.

٣- الغنى والفقير بعد العرض الاكبر

٥ الامام علي «ع»: الغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ العَرْضِ عَلَى اللهِ. ٥.

١ - نهج البلاغة / ٩٢٩: عبده ٣ / ٥٧.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٧٧: عبده ٣ / ٢٥٠.

٣ - البحار ٧٢ / ٢٠٦.

٤ - نهج البلاغة / ٣٧١: عبده ١ / ٢٣٣. وجاء هذا الكلام في ص ٨٤ (عبده ١ / ٥٧)، مع تغييرٍ

يسير في العبارة.

٥ - نهج البلاغة / ١٢٩٥: عبده ٣ / ٢٦٠.

٤- لا فقر أشد من الجهل

٦ النبي «ص»: يا عليّ! لا فقر أشد من الجهل ..^١

٥- هدم بناء

٧ النبي «ص»: لعن الله من أكرم الغني لغناه.^٢

* وإذا كان الإسلام يُواجهُ الغنى والغنيّ هذه المواجهة،
يُمهدُ السبيلَ بها إلى هدمِ القيمِ التّافهةِ التي يخلُقها المال، ويسوقُ
المجتمعَ إلى أن لا يروا للغنيّ فضلاً وميزة . ويحُضُّ الاغنياءَ ضمناً
- بذلك المنهجِ الهدامِ البناءِ - إلى الانفاق والبذل، حتى يشقُّ
الطّريقَ إلى تعديلِ الثّرواتِ ونيلِ الجماهيرِ منها ما تحتاج إليه في
المعيشة والحياة .

١ - تحف العقول / ١٦ .

٢ - ارشء القلوب / ٢٧٠ .

نظرة الى الفصل

١ - دعم القيم المثلى ..: إنَّ النِّظامَ القِيَمِيَّ في الاسلام مُرَكِّزٌ على المقاييسِ المذهبيَّةِ والتَّصوُّرِ الدِّينيِّ، فلا يَعْتَدُّ هذا الدِّينُ بشيءٍ سوى تلك المقاييسِ والقيَمِ. وهي التي تَمْتدُّ جذورها الى اعماقِ فطرةِ الانسانِ الاصيلِة. فعلى هذا الاساس، إنَّ الهُدَاةَ الى الصِّراطِ المستقيمِ، وسالكي هذا الصِّراطِ الملتزمين، لا يَرَوْنَ المالَ الا ذريعةً لتأمينِ العيشِ، بصورةٍ مقتصدةٍ ومتواضعةٍ، فلا يَعُدُّونه سبباً لثبوتِ ايةِ قيمةٍ من تلكمِ القِيَمِ الكاذبةِ والسلبيةِ التي يراها اصحابُ الاموالِ والمترفون قِيَمًا.

وعلى هذا المعيارِ في التَّقِيَمِ، ليست كرامةُ الانسانِ منوطةً بالغنىِ المَالِيِّ والتَّنعَمِ الاِترافيِّ، بل ليس الغِنَى - في هذا التَّقِيَمِ - بالمالِ والاِكْتِنارِ منه، وباكتِنازِ الذَّهَبِ والفضَّةِ، وادِّخارِ الدَّنانيرِ والدِّراهمِ (او ايِّ نقدٍ رائجٍ آخر) واخراجها من ايدي النَّاسِ. وانَّما الغنى هو الغنى بالله - تعالى شأنه وعمَّ احسانه - وبالقرآنِ وحملِه والعملِ به، وبالعقلِ والعلمِ واليقينِ، وبعبادةِ الخالقِ الرَّبِّ المنعمِ الرَّحيمِ، وبتقوى اللهِ ومراعاتِها، (إنَّ اكرمكم عندالله اتقاكم)، وباللِّسانِ الذَّاكرِ والقلبِ الشَّاكرِ.. وبالغنىِ النَّفسيِّ وما الى ذلك، مما يُحَلِّقُ بالانسانِ وبحياته الى اوجِ الوجودِ والى اجواءِ المعنويِّين.

أ- الغنى بالله تعالى: انَّ الانسانَ ممكنٌ في ذاته، فقيرٌ في كلِّ ما يُمْتُّ الى وجودِه وحاجيَّاتِه، لا يَمِلِكُ لنفسِه نفعاً ولاضراً ولاحياةً ولا موتاً ولا نُشوراً، فهو فقيرٌ في حياته وسلامته ورزقه وحركاتِ جوارحه وخطراتِ

جوانحه .. وإن الله هو الغني بالذات، وهو الغني في صفاته وفعاله، وهو خالق كل شيء، من الانسان وغير الانسان، وما من دابة في الارض الا وهو أخذ بناصيتها، وعليه رزقها. ففقر الانسان واحتياجه امر ذاتي له، يساوق وجوده. وهو فقر الموجود الى خالق الوجود، والناقص الى الكامل والكمال^١. وهذا الفقر الذاتي، المسيطر على ذات الانسان وصفاته وفعاله، لا يرتفع ارتفاعاً كلياً ذاتياً بوجه من الوجوه، وإنما يتبدل الى الغنى الغيري، بالتأله والتوغل في الانقطاع الى الله، الغني بالذات المغني للغير. فالانسان فقير - وان كان منعمراً في بحار المال - لا غنى له، الا بالله وبالتوجه اليه وتولية وجه النفس شطره، مستمتعاً بمواهبه. وذلك بالانقطاع القلبي اليه والقيام بالذكر والفكر وعمل الصالحات. وكلما زاد هذا الانقطاع اليه والاستغناء به يزيد غنى النفس. وهذا الغنى هو الباقي الخالد؛ لذلك يقول الامام علي «ع»: «الغنى بالله اعظم الغنى، والغنى بغير الله اعظم الفقر والشقاء»^٢.

ب- الغنى بالقرآن: من اهم ألوان الفقر الانساني، هو الفقر العلمي والمعرفي^٣ المساوق للجهل بحقائق الاشياء وبصلايتها وقوانينها، الحاجب عن رؤية الواقعيات الهائلة في غمرات بحار الكون الاعظم، التي يعد الانسان قطرة صغيرة منها، غارقة في فجواتها وأغوارها. وهذا الفقر^٤ لا علاج له الا الوصول الى علم حقيقي مطابق للواقع، الذي يبلى واقعيات الكائنات وملكوته، ويوصل الانسان الى حقائق عالمي الامر والخلق، ثم يكشف عنه حجب العالمين، ويعطيه قدرة بحسب ظرفيته

١ - راجع: كلام الامام الصادق «ع» في «ارشاد القلوب»، (الباب ٤٦): «... إن الله عز وجل ورسوله غنيان عنكم وعن اعمالكم، وانتم الفقراء الى الله، وإنما اراد الله عز وجل بلطفه سبباً يدخلكم الجنة»؛ راجع ايضاً: مستهل خطبة المتقين، من «نهج البلاغة».

٢ - غرر الحكم / ٤٢.

٣ - لأنه يوجب فقد «العلم»، ففقد «القدرة».

٤ - اي فقر الانسان من جهة «العلم»، ثم «القدرة».

الرَّوْحِيَّةِ وَسَعَةِ الْقَلْبِيَّةِ .

ومن البديهي أن هذا العلم لا يوجد إلا عند الله خالق الأشياء والعوالم، العالم بها وبحقائقها وقوانينها واسرارها، فهو لا يوجد بطبع الواقع، إلا في كتاب الله وآياته السماوية، وعند الانبياء واوليائهم - بتعليم من الله تعالى - لا عند غيرهم، من الفلاسفة ومفكري التاريخ - قديماً او حديثاً - اذ العلم الصحيح الذي ينكشف به الواقع، هو هذا الذي يستقى من «الوحي» او ما يمتُّ اليه بوشيح صلة كعلوم الاوصياء لا غير . وما خلاه فهو فضل . فالتخلص من الفقر العلمي والخروج من أسره الى عالم الغنى العلمي والمعرفي الفياض،^١ لا يتسنى لأي انسان - كائناً من كان - إلا باللجوء الى كتاب الله وسبر أغواره وفهم اسراره، والوصول الى علوم حملته الاصليين، الذين هم المعبرون عن القرآن - على حد تعبير مولانا الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»^٢.

ج - الغنى باليقين : من القيم التي يعطيها التعاليم الاسلامية أغلى الثمن هو اليقين، فيقول النبي «ص» : «خير ما ألقى في القلب اليقين»^٣.

١ - المراد بهذا العلم، الذي لا يحصل إلا بالقرآن وبالتعلم من العالمين به المعصومين «ع»، هو انكشاف الواقع والوصول اليه، بحسب الواقع ونفس الامر لا التصور كما اشرنا اليه . وهذا العلم لا يخضع للمصطلحات - أية كانت - بل يرفع ويَجَلُّ عنها . وكلمات هذا العلم ومصطلحاته هي التي جاءت في القرآن والحديث، من غير أن يفهم ذلك بالتأويل والتفسير الرأبي، او يختلط بالفلسفة والعرفان الاصطلاحي وما شابه ذلك . ولا يوجد في هذا العلم اختلاف وتضارب، فيعكس العلوم والفلسفات البشرية التي يسود عليها الاختلافات الباهظة والمضللة .
وليُعلم هنا، أن المعارف الاسلامية ونظام الاسلام العلمي والمعرفي لمكتفية بالذات، فلا تحتاج الى غيرها، إن وُعيت بجميع أبعادها، ومن ابوابها واهلها . ومما يدلُّنا على اهمية اللغة للعلم الحاصل من القرآن واهله، أن هذا العلم ليس مقصوراً على حد «الصورة الحاصلة من الشيء في العقل»، بل يصل الى حد «النور الحاصل من الواقع في القلب»، الذي يرى به الواقع ويدرك على حقيقته .

٢ - تحف العقول / ٣٠٧ .

٣ - البحار / ٧٠ / ١٧٣ .

واليقينُ وصولُ الانسان الى مرتبةٍ من العلمِ بالواقعِ لايعترىها شكٌ او ترديد، كَمَنْ رَأَى الْوَاقِعَ وَشَاهَدَهُ وَحَصَلَتْ لَهُ الرَّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ . فاليقينُ هو المرتبةُ المتكاملةُ من المعرفةِ الجزمِيَّةِ، المتآخمةُ للرؤْيَةِ القلبيَّةِ . وهذه المرتبةُ من العلمِ هي اعظمُ ما يَصِلُ اليه الانسانُ في مسيرتهِ الوجوديَّةِ (سوى المشاهدة). ولاجلِ ذلكِ لايرى الاسلامُ الانسانَ الفاقدَ لها غنياً، بل يراه فقيراً مسكيناً، وَإِنْ تَجَمَّعَتْ لَدَيْهِ الْقَنَاظِيرُ وَتَكَدَّسَتْ عِنْدَهُ الْأَمْوَالُ، ولذلكِ يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع»: «مِفْتَاحُ الْغِنَى الْيَقِينُ»^١؛ ويقولُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ «ع»: «كَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى»^٢. فلا غنىَ للانسانِ ولا اكتفاءَ له بدونِ اليقينِ . وهذا التَّعْلِيمُ لِمَا يَهْدُمُ الْقِيَمَ التَّكَاثُرِيَّةَ الموهومةَ التَّائِهَةَ هدماً.

د- الغنى بالعقل والعلم: ومما يدَعُمُ به الاسلامُ الْقِيَمَ الْمُثَلِّيَّ والمقاييسَ السَّامِيَّةَ وَيَهْدُمُ به الْقِيَمَ التَّكَاثُرِيَّةَ الاترافيَّةَ، هو تأكيدُه الحاسمُ على قيمةِ العقلِ والعلمِ والمعرفةِ، وَأَنَّ غِنَى الْإِنْسَانِ مَنْوُطٌ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْفَاقِدَ لَهَا هُوَ الْفَقِيرُ حَقًّا، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . فالغنى يَنْقَسِمُ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ إِلَى عَقْلِيٍّ وَغَيْرِهِ . وَالْأَهْمُ هُوَ الْغِنَى الْعَقْلِيَّ . وَذَلِكَ لِأَنَّ انسانيَّةَ الانسانِ بالعقل، كما يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع»: «الانسانُ بعقله»^٣. فاذا لم يَكُنِ الْإِنْسَانُ انساناً، بحسبِ الْوَاقِعِ وَالسَّيْرَةِ، او بحسبِ تَمَتُّعِهِ بعقلٍ مُدْرَبٍ، فلا قيمةَ له ولا أثرَ للغني الماليِّ في رفعِ مستواه .

ومن المعلومُ أَنَّ الْعَقْلَ انما يُلْقَحُ بِالْعِلْمِ وَالتَّجَارِبِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَنْمُو وَيَبْلُغُ رُشْدَهُ بِالْمَعْرِفَةِ . فالمقياسُ السَّامِيُّ هُوَ الْعَقْلُ الْمُدْرَبُ بِالْعِلْمِ، الْمُثَقَّفُ بِالْمَعْرِفَةِ . وَالْعِلْمُ هُوَ الَّذِي يُقَيِّمُ بِهِ الْإِنْسَانَ وَيُرْفَعُ بِهِ مُسْتَوَاهُ، «قُلْ:

١ - البحار ٧٨ / ٩ .

٢ - الكافي ٢ / ٨٥ .

٣ - غرر الحكم / ١٤ .

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟^١، و«أَكْثَرُ النَّاسِ قِيَمَةٌ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَقَلُّ النَّاسِ قِيَمَةً أَقَلُّهُمْ عِلْمًا»^٢، و«إِنَّ قِيَمَةَ كُلِّ امْرِئٍ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ»^٣. فالاسلام بهذا المنظار ينظر الى الانسان ويقيمه، وبهذه التعاليم يدعم القيم المثلى ويهدم القيم التافهة، ويبالغ في هذا المنهج الى حد يقول الامام علي «ع»: «لَا تَسْتَعْظِمَنَّ أَحَدًا حَتَّى تَسْتَكْشِفَ مَعْرِفَتَهُ»^٤. فيعلم الناس أن لا يستعظموا إلا اهل المعرفة والكمال، لا اهل الغنى والتكاثر، ممن ليس لهم قدر ولا قيمة، ولا لهم اهتمام بالمعرفة والعلم. والموقف الذي اتخذه الاسلام، يؤكد بوضوح على أن القيم لا تثبت إلا بالفضائل.

هـ- الغنى بالقناعة: إن واقع الغنى والفقرا لا يتمثل في الاشياء الخارجية والمتع المادية والاعتبارات الملكية. نعم، إن لها - وجوداً وعدمًا - تأثيراً هاماً في حصول الغنى والفقرا الماديين، بيد أن الغنى كعامل لطمأنينة النفس وغناها، والفقرا كعامل لقلقها وعوزها، لا يتمثلان فيما بأيدي الناس من المتع والأعراض بصورة كلية؛ اذ هناك واقعية للغنى والفقرا تتمثل في نفس الانسان وصفاته من التعفف والقناعة والشره والحرص. فالقانع غني وإن فقد، والحريص فقير وإن وجد، كما يقول الامام موسى بن جعفر الكاظم «ع»: «من قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى ابداً»^٥.

وهذه الحكمة الكاظمية تُصور امامنا صورة واقعية عن الغنى والفقرا في نفس الانسان. فمن اقتنع بقدر الكفاف فهو غني نفساً وظاهراً. ومن لم

١ - سورة الزمر (٣٩): ٩.

٢ - امالي الصدوق / ١٩، من حديث النبي «ص».

٣ - معاني الاخبار ١ / ٢، من حديث الامام علي «ع».

٤ - غرر الحكم / ٣٣٣.

٥ - تحف العقول / ٢٨٦.

يَقْتَنِعُ بِقَدْرِ الْكِفَافِ وَسَعَى وَجَدًّا لِاقْتِنَاءِ الْمَزِيدِ وَحَصَلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ غَنِيٌّ ظَاهِرًا، فَقِيرٌ نَفْسًا، مُحْتَاجٌ دَائِمًا. وَالْفَقْرُ الْحَاضِرُ هُوَ هَذَا الْفَقْرُ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَلْمِسُهُ الْإِنْسَانُ دَائِمًا مِنْ نَفْسِهِ وَفِي نَفْسِهِ، فَلَا يُعْطِيهِ الْغِنَى الْمَادِيَّ الْخَارِجِيَّ كِفَافًا وَكِفَايَةً وَسُكُونًا وَطَمَئِينَةً، وَلَا يُوَصِّلُهُ إِلَى مَسْتَوَى الْإِسْتِغْنَاءِ .

وَالْفَقْرُ النَّفْسِيُّ مِضَافًا إِلَى كَوْنِهِ هُوَ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَأَنَّهُ لَا يُسَدُّ بِحُصُولِ الْمُتَعِ الْمَادِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ دَوْمًا كُلَّمَا زَادَ الْغِنَى الظَّاهِرِيُّ وَيَتَزَايَدُ، وَتَسْتَوْلِي مِصَاعِفَاتُهُ عَلَى الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَغْمُرُهُ حَتَّى تُورِدَهُ مَوَارِدَ الشَّرِّهِ وَالِاسْتِكْثَارِ وَلَا تُصَدِّرُهُ مِنْهَا، فَالْغِنَى إِنَّمَا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ الْمُقْتَنِعَةِ، لَا الْحَرِيصَةِ وَالْمِتَكَاثِرَةِ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع»: «الْغِنِيُّ مَنْ اسْتَغْنَى بِالْقَنَاعَةِ»^١، وَكَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «ع»: «فِي حِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ: «... فَأَمَّا الْغِنَى فَمَوْجُودٌ فِي الْقَنَاعَةِ، فَمَنْ طَلَبَهُ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ لَمْ يَجِدْهُ»^٢. وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ تَنْفِي الْغِنَى الْوَاقِعِيَّ عَمَّنْ يَتَمَوَّلُ وَيَتَكَاثَرُ وَيَقُولُ دَائِمًا: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟

و- غنى النفس واصالته: من أهم ما يدعو إليه الإسلام من أنواع الغنى غنى النفس. وهذا من دعوات الأخلاق الإسلامية، ومما لا تُصنع الشخصية الإنسانية الآبه. وهذه النظرة إلى الإنسان وصنع شخصيته، تُضَادُّ مَا جَاءَ فِي النُّظْمِ الْمَادِيَّةِ (الغربية والشرقية)، إِذِ الْإِنْسَانُ فِي تِلْكَ النُّظْمِ وَعَلَى حَسَبِ تَعَالِيمِهَا، يَطْلُبُ شَخْصِيَّتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ (أَنَا) وَمَقَوْمَاتِهَا فِي خَارِجِ وُجُودِهِ، أَيِ فِي عَالَمِ الْمَوَادِّ وَالْأَشْيَاءِ، وَيَرَى غِنَاهُ فِي الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ وَامْكَانِيَّاتِ الْحَيَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ، فَيَطْلُبُهَا دَوْمًا. وَتَنْشَأُ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ أُمُورٌ لَا تَنْسَجِمُ مَعَ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ كَهَذِهِ:

١- غرر الحكم / ٢٨.

٢- علل الشرائع / ٤٦٨.

- ١ - أن لا يَعْرِفَ ذاته وما لها من مميزات .
 - ٢ - أن تبقى دنيا الباطن الانساني مغفولةً عنده مجهولةً .
 - ٣ - أن يُقْبِرَ كيانه الوجودي الفسيح ونفسه الانسانية، بما لهما من الجوانب والآفاق، تحت أغطية المادية المحدودة .
 - ٤ - أن تُهدِرَ استعداداته الانسانية الجبارة الخارقة، في حُقولٍ ضيقةٍ لا تتجاوز المادة وبعض ابعادها .
 - ٥ - أن لا يصل الى العلم الحقيقي الكاشف للواقع، المنير له السبيل، اذ هذا العلم لا يصل اليه الانسان الا بمواهبه الباطنة وتفجير ينابيعها .
- وهذه امور تدع نفس الانسان متضائلة محتاجة، تضأولاً واحتياجاً لا يتداركهما اي شيء من المتع والزخارف المادية . فالاسلام يرى الغنى الانساني في غنى النفس لا غنى اليد، ويعتبر الغنى النفسي اصلاً وغاية . ولاجل ذلك كله فإن الاسلام يدعو الى الرشد الانساني ويهدي الانسان الخليفة (خليفة الله) الى الاقبال على فطرته وشخصيته الاصلية، ويوفقه عليها بتعاليمه المتنوعة، فيري الانسان مناجم وجوده ودفائن فطرته، ويعينه على استخراج تلك المناجم واثارة تلك الدفائن، حتى يهييء له اسباب السعادات ويمهد له ارضية الوصول الى تلك الاسباب والتذرع بها الى تلك الغايات .
- ويجب أن لا نغفل عن أن للغنى المادي ايضاً دوراً في تحصيل السعادة والكمال الانساني، غير أن المراد بهذا الغنى هو الكفاية منه لا غير .

٢ - هدم القيم التكاثرية..: إن الاسلام بدعمه القيم المثلى والمقاييس السامية للانسان والانسانية، فقد هدم القيم التكاثرية والاعراف الاثرافية التافهة . فهذا الهدم لا يحتاج الى مؤونة زائدة بعد الدعم المذكور، غير أنا

نأتي هنا بإشاراتٍ تزيد إشعاعاً على الموضوع .

الاولى - تركب الفقر والغنى في حياة الانسان : يجبُ على من يدرسُ الاسلامَ ويسعى لادراكِ تعاليمه بحكْمها وعللها بصورةٍ مستوعبة، أن يعيَ اولا مفهومَ الاسلامِ عن الانسان وتفسيره لوجوده . إن الدينَ الالهيَّ إنما جاء لا صلاحِ الانسان ولقيامه بالقسط، ولتصحيحِ علاقته :

أ - مع نفسه،

ب - مع افرادِ جنسه،

ج - مع الزمانِ والحياة،

د - ومع ربه مُفيضِ الوجودِ عليه .

هذا هو النظرُ الذي ينظرُ الاسلامُ به الى الانسان، فما لم تكنْ نظرةُ الاسلامِ الى الانسان واضحةً، لا يمكنُ أن نعرفَ الاسلامَ وشرائعه بعِللها وحكْمها .

إنّ الاسلامَ لا يرى الانسانَ موجوداً بسيطاً، بل يراه مزدوجاً من جسدٍ وروح، كما سلفتِ الاشارةُ اليه . وهذا الامرُ يعتقدُ به اهلُ الشرائعِ والكثيرُ الغالبُ من اربابِ المدارس الفكرية، غيرَ أنّ الكيفيةَ التي يفهمها الاسلامُ من هذه الازدواجيةِ ويعرفُ بها ويبيّنُ دقائقها ويفسّرُ وجودها ويؤكدُ على الاهتمامِ بها، ويهتمُّ بها هو نفسه في كلِّ تعليمٍ او تأشيرٍ، هي التي لانجدُها في غيرِ هذا الدين . ولعلنا نتوفقُ لأن نبحثَ عن ذلك الموضوعِ الهامِّ، في الجزءِ الخاصِّ بالانسان، من اجزاءِ كتابِ «الحياة» القادمة، إن شاء الله تعالى وأراد .

وحيثُ كان الانسانُ مزدوجاً من واقعين : مادّةٍ ومعنى، وقالبٍ وقلبٍ، وجسدٍ وروح، ولا ينحصرُ وجوده في هذا الجسمِ الذابلِ كالاشجار، تتحقّقُ هذه الازدواجيةُ في صفاته واحواله ايضاً، وتجعلُ لها مراتب . منها ما يتعلّقُ بجسمه وحياته المادّية، ومنها ما يتعلّقُ بروحه وحياته الروحية .

ومن الواضح أَنَّ الاشرفَ منها ما هو متعلِّقٌ بالاشرفِ من جزئيه المُزْدَوِجِينَ . فصفاؤه واحواله الرّوحيّةُ اشرفُ من صفاته واحواله الجسميّة المادّيّة . فالشّجاعةُ الرّوحيّةُ اشرفُ من الشّجاعةِ الجسميّةِ مع الجبنِ الرّوحيّ . ومن صفاتِ الانسانِ واحواله الغنى والفقر، فهما ايضاً يصيران نوعين :

١ - الغنى والفقرُ المادّيّان .

٢ - الغنى والفقرُ الرّوحيّان .

والفقرُ المادّيُّ هو فقدُ وسائلِ المعاشِ المادّيِّ وادواتِ العملِ لهذه الحياة . والغنى المادّيُّ هو الحصولُ على هذه الوسائلِ والادواتِ والتّمكّنِ منها . والفقرُ الرّوحيُّ، فقدُ امكانيّاتِ الحياةِ الرّوحيّةِ وادواتِ العملِ لتلك الحياة . والغنى الرّوحيُّ وجودُ تلك الامكانيّاتِ والحصولُ عليها . وبالفقرِ الرّوحيِّ والمعنويِّ يفتقدُ الانسانُ ما يكونُ سبباً لوصوله الى مقصدِ الحياةِ العالِيِ وغاياته الجميلةِ والخالدةِ، من الايمانِ والمعرفةِ والايثارِ وتهذيبِ النّفسِ والعملِ الصّالحِ، والحضورِ في الابديةِ والخلودِ .

ولقد سعى هُداةُ الانسانيّةِ، لآن يُلَفِتُوا الانظارَ الى اهميّةِ هذا الفقرِ وما له من الآثارِ السّلبيةِ الكثيرةِ، لكي يُزيحوا بواعثه ويُعدّموا اسبابه . ولذلك قد عدّوا فقدَ العقلِ وعدّمه من اهمّ انواعِ الفقرِ والعدّمِ، فقالوا: «لا عدّمَ أعدمُ من العقلِ»^١، وكذلك فقرُ القلبِ فقالوا: «لا فقرَ كفقرِ القلبِ»^٢ .

الثانية - تفريق بين موقفين : ليكنِ القارئُ على انتباهٍ لمغزى الآياتِ والاحاديثِ الواردةِ في هذا الفصل - وامثالها ممّا مرّ ويأتي - لآنها لا ترمي الى الغاءِ دورِ المالِ الحياتيّ في التّصوّرِ الاسلاميّ، وما له من الاهميّةِ في

١ - امالي الطوسي / ١ / ١٤٥، من حديثِ الامامِ عليّ «ع».

٢ - تحف العقول / ٢٠٨، من حديثِ الامامِ الباقر «ع»

قوام الناس وحياتهم به، وقوام دينهم وكرامة نفوسهم، اذ الاسلام هو الذي سمى المال «قواماً»^١، بل المقصود من هذه التعاليم، هو الغاء القيم التافهة والسلبية التي تنشأ من التكاثر، وتحكيم الموقف القوامي للمال، والتأكيد على كونه ذريعةً ووسيلة، لا هدفاً وغاية، والحيلولة دون انحرافه عن موضعه الصالحة .

الثالثة - استمرار الكفاح وتوسيع جبهاته : بناءً على ما مرّ - ولا سيما في الاشارة الثانية - فإن السلام قد كافح التحريف الموضعي للمال، وأصرّ على ارجاعه الى موضعه القوامي الحياتي، فهدم بذلك النظام القيمي الزائف المبني على المقاييس التكاثرية، واقام في محله النظام القيمي السالم المبني على المقاييس الانسانية والعدالة الاجتماعية .

وفي هذا الضوء، فتقسيم الاسلام الفقر والغنى الى مادّي ومعنويّ، لا يعني تحويل هذا الكفاح الى كفاح خلقيّ، لا، بل معناه تعميق الكفاح الشاجب للتكاثر والاكتناز، وتوسيع جبهاته - كما اشرنا اليه في موضع آخر - والتأكيد على أن الاسلام كما يكافح ظاهرتي التكاثر والاكتناز، يكافح جذورهما الفكرية وارضياتهما الباطنية والنفسية، ويدعو الحُكم الاسلامي ورجاله الى تحطيم القيم التافهة وهدمها ودعم القيم المثلى وتحكيمها، حتى يتلاحم نسج الافراد الروحي والثقافي مع نسج المجتمع الاداري والسياسي، ويواكب النظام المالي، النظام التربوي والاخلاقي .

إذا، ان الاسلام لا يضحك في وجه اي متكاثر، وإن دفع مما جمعه من الاموال والاعراض، بعض النفقات للامور الخيرية والمشاريع الدينية، كفيض من فيض، وكحفنة من بيدر. اجل! ان الاسلام لا يبرر رؤية صورة من صور التكاثر في الخارج، مع أنه يحاربه حتى على المستوي الباطني والخلقي .

١- وكذلك سماه خيراً في قوله تعالى: «وإن ترك خيراً...» - سورة البقرة (٢) : ١٨٠ - (راجع : مجمع

الفصلُ الحادي عشر

الاسلام والنظام التكاثريّ الإترافيّ، كفاح رجب (٤)

- تصوير الحياتين : التكاثرية والاسلامية

أ - ملامح من الحياة التكاثرية

الكتاب

- ١ إعلموا أنّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١..
- ٢ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ، وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ * ٢
- ٣ .. أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * ٣

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٣٢.

٣ - سورة التوبة (٩) : ٣٨.

- ٤ .. اولئك حَبَطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واولئك هُمُ الخَاسِرُونَ * ١
- ٥ قُلْ : هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمَالًا؟ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * ٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: الدُّنْيَا دَارُ بِلَاءٍ، وَمَنْزِلٌ بُلْغَةٍ وَعَنَاءٍ، قَدْ نَزَعَتْ عَنْهَا نَفُوسُ السُّعْدَاءِ .. فَاسْعُدُ النَّاسَ بِهَا اَرْغَبُهُمْ عَنْهَا .. فَهِيَ الْغَاشِيَةُ لِمَنْ اسْتَنْصَحَهَا، وَالْمُغْوِيَةُ لِمَنْ اطَاعَهَا، وَالْخَايِرَةُ لِمَنْ انْقَادَ اليهَا؛ وَالْفَائِزُ مَنْ اَعْرَضَ عَنْهَا، وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا .. ٣
- ٢ النبي «ص»: الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، وَيَطْلُبُ شَهَوَاتِهَا مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ، وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لَا يَقِينَ لَهُ . ٤
- ٣ الامام علي «ع»: اِحْذَرُوا هَذِهِ الدُّنْيَا الْخَدَّاعَةَ، الْغَدَّارَةَ، الَّتِي قَدْ تَرَيْنَتْ بِحُلِيِّهَا، وَفَتَنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِاَمَالِهَا، وَتَشَوَّفَتْ لِحُطَابِهَا، فَاصْبَحَتْ كَالْعُرُوسِ الْمَجْلُوءَةِ، وَالْعَيُونُ اليهَا نَازِرَةٌ، وَالنُّفُوسُ بِهَا مَشْغُوفَةٌ، وَالْقُلُوبُ اليهَا تَائِقَةٌ . وَهِيَ لِاَزْوَاجِهَا كُلِّهِنَّ قَاتِلَةٌ، فَلَا الْبَاقِيَ بِالْمَاضِي مُعْتَبِرٌ، وَلَا

١ - سورة التوبة (٩) : ٦٩ .

٢ - سورة الكهف (١٨) : ١٠٣ - ١٠٤ .

٣ - البحار ٧٧ / ١٨٥ .

٤ - البحار ٧٣ / ١٢٢ .

الآخرُ بسوءِ اثرها على الاولِ مُزدَجِر، ولا اللَّيبُ فيها بالتَّجاربِ مُنتَفِعٌ^١.

٤ الامام علي «ع» : .. فالْمُتَمَتِّعُونَ مِنَ الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَشْتَدُّ مَقْتُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِبَعْضِ مَا رَزَقُوا^٢.

٥ الامام علي «ع» : إِحْذَرِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا شَبَكَةُ الشَّيْطَانِ وَمُفْسِدَةُ الْإِيمَانِ^٣.

٦ الامام علي «ع» : الدُّنْيَا مَعْدِنُ الشَّرِّ وَمَحَلُّ الْغُرُورِ^٤.

٧ الامام علي «ع» : أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارِبُهُمْ وَهُمْ نِيَامٌ^٥.

٨ الامام الصادق «ع» : الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ صُورَةٍ، رَأْسُهَا الْكِبْرُ، وَعَيْنُهَا الْحَرَصُ، وَأُذُنُهَا الطَّمَعُ، وَلِسَانُهَا الرِّيَاءُ، وَيَدُهَا الشَّهْوَةُ، وَرِجْلُهَا الْعُجْبُ، وَقَلْبُهَا الْغَفْلَةُ، وَكُونُهَا الْفَنَاءُ، وَحَاصِلُهَا الزَّوَالُ، فَمَنْ أَحَبَّهَا أَوْرَثَتْهُ الْكِبْرَ، وَمَنْ اسْتَحْسَنَهَا أَوْرَثَتْهُ الْحَرَصَ، وَمَنْ طَلَبَهَا أَوْرَدَتْهُ إِلَى الطَّمَعِ، وَمَنْ مَدَحَهَا أَكَبَّتْهُ [فِي] الرِّيَاءِ، وَمَنْ أَرَادَهَا مَكَّنَتْهُ مِنَ الْعُجْبِ، وَمَنْ أَطْمَأَنَّ إِلَيْهَا رَكِبَتْهُ الْغَفْلَةُ، وَمَنْ أَعْجَبَهُ مَتَاعُهَا فَتَنَّتْهُ فِيمَا يَبْقَى، وَمَنْ جَمَعَهَا وَبَخَلَ بِهَا رَدَّتْهُ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَهِيَ النَّارُ^٦.

* وقد عقد العلامة المجلسيُّ باباً في «بحار الانوار»، في ذمِّ

التكاثر و.. (بابُ العصبية والفخر والتكاثر في الاموال والاولاد

وغيرها)^٧، فراجع .

١ - البحار ٧٣ / ١٠٨ - ١٠٩ .

٢ - البحار ٧٨ / ٢١ .

٣ و ٤ - غرر الحكم ٧٣ و ٣٤ .

٥ - نهج البلاغة / ١١١٥ : عبده ٣ / ١٦٥ .

٦ - البحار ٧٣ / ١٠٥ .

٧ - البحار ٧٣ / ٢٨١ - ٢٩٤ .

ب - ملامح من الحياة الاسلاميّة

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ..^١
- ٢ يا أيها الذين آمنوا، أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ..^٢
- ٣ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ..^٣
- ٤ وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ..^٤
- ٥ يا أيها الذين آمنوا، كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ..^٥
- ٦ .. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *^٦

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما اوصى به الامام علي بن ابي طالب : يا علي! نجا

١ و ٢ - سورة البقرة (٢) : ١٧٢ و ٢٦٧.

٣ - سورة طه (٢٠) : ٨١.

٤ - سورة القصص (٢٨) : ٧٧.

٥ - سورة النساء (٤) : ١٣٥.

٦ - سورة النحل (١٦) : ٣٠.

- المُخَفَّفُونَ، وَهَلِكِ الْمُثْقَلُونَ^١.
- ٢ النبي «ص»: كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافًا، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بِيوتًا، وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمْ الرَّقَّةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ، وَلَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمْ الْاِهْوَاءُ: تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ^٢.
- ٣ الامام علي «ع»: .. فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلَحَّقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ^٣.
- ٤ الامام علي «ع»: الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ، لَا دَارُ مَقَرٍّ^٤، وَالنَّاسُ فِيهَا رِجْلَانِ: رِجْلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرِجْلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا^٥.
- ٥ الامام علي «ع»: .. وَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ! - أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ: سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ، وَآكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلَّغِ، وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زَهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ^٦.
- ٦ الامام علي «ع»: .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا، ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ،

١ - مكارم الاخلاق / ٥١٢.

٢ - بحار الانوار ٧٣ / ٨١.

٣ - نهج البلاغة / ٨٠: عبده ١ / ٥٤.

٤ - في البحار (٧٣ / ١٣٠): «... دَارُ مَمَرٍ، إِلَى دَارِ مَقَرٍّ».

٥ - نهج البلاغة / ١١٥٠: عبده ٣ / ١٨٣.

٦ - نهج البلاغة ٨٨٦ - ٨٨٧: عبده ٣ / ٣١.

وَأَنَّهُ لَا غِنَىٰ بِكَ فِيهِ عَنِ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَقَدِيرٌ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِيفَةِ الظَّهْرِ؛ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونُ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ. وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا - حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ - فَاعْتَنِمَهُ وَحَمَلُهُ آيَاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ؛ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ. وَاعْتَنِمِ مَنْ اسْتَقْرَرَ ضَعْفُكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قِضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا، الْمُخِيفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِ، وَالْبَطِيءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبَطَكَ بِهَا لَا مُحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نَزْوَلِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزَلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ ١.

٧ الامام الصادق «ع»: .. كان فيما وَعَظَ بِهِ لِقَمَانُ ابْنَهُ: يَا بُنَيَّ! .. إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مُسْتَأْجَرٌ، قَدْ أُمِرْتَ بِعَمَلٍ وَوُعِدْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. فَأَوْفِ عَمَلَكَ، وَاسْتَوْفِ أَجْرَكَ، وَلَا تَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ شَاةٍ وَقَعَتْ فِي زَرْعٍ أَخْضَرَ، فَأَكَلَتْ حَتَّى سَمِنَتْ، فَكَانَ حَتْفُهَا عِنْدَ سِمَنِهَا، وَلَكِنْ اجْعَلِ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ قَنْطَرَةٍ عَلَى نَهْرٍ جُرَّتَ عَلَيْهَا ٢.

٨ الامام الكاظم «ع» - عن آبائه، عن عليّ «ع»، في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ..»، قَالَ: لَا تَنْسَ صِحَّتَكَ، وَقُوَّتَكَ، وَفِرَاغَكَ، وَشِبَابَكَ، وَنَشَاطَكَ، أَنْ تَطْلُبَ بِهَا الْآخِرَةَ ٣.

تذييل

١ - نهج البلاغة / ٩٢٢؛ عبده ٣ / ٥٢.

٢ - البحار ٧٣ / ٦٩.

٣ - معاني الاخبار / ٣٠٩.

لا امان لا غنياء والمترفين

أ- على المستوى التكويني

الكتاب

- ١ وما أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ *^١
- ٢ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ، فَمَا أُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *^٢
- ٣ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ، فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا *^٣

تنبيه

إنَّ الامساکَ الَّذِي يَرَكُنُ إِلَيْهِ اصحابُ الاموالِ، يُضِرُّ بانفُسِهِمْ قَبْلَ الْآخِرِينَ، فَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ، وَهَذِهِ حَرَكَةُ اتِّحَارِيَّةٍ يَجْنَحُ إِلَيْهَا الْمُتْكَاثِرُونَ وَذَوُو الثَّرَاوَاتِ ضِدَّ أَنْفُسِهِمْ وَامْنِهِمْ وَسَلَامِهِمْ . فسيادةُ المالِ وصيرورتهُ دُولَةً بَيْنَ فِتْنَةٍ، تُؤَدِّي إِلَى هَدْمِ النُّظْمِ المَالِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَاسْتِبْدَالِ قَوْمٍ مَكَانَ قَوْمٍ، فَهَمْ يُخْرَبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ؛ فَكَيْفَ يُضْمَنُ لِهَؤُلَاءِ سَلامٌ وَامْنٌ؟

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ٢٠٨.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٨٢.

٣ - سورة الإسراء (١٧) : ١٦.

الحديث

١ النبي «ص»: يا ابن مسعود! لا تَرَكَنَّ الى الدُّنيا ولا تَطْمِئَنَّ اليها، فَسْتَفَارِقُهَا عن قليلٍ، فَانَّ اللهَ تعالى يَقولُ: «فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضِيمٌ *»^١.

٢ النبي «ص»: يا ابن مسعود! تَذَكَّرِ القُرُونِ الماضية، والملوكَ الجبابرةَ الذين مَضَوْا، فَانَّ اللهَ يَقولُ: «وَعَاداً وَتَمُودَ واصحابَ الرِّسِّ وقرونًا بين ذلك كثيراً»^٢.

٣ الامام علي «ع»: أَنْظُرُوا الى الدُّنيا نظَرَ الزَّاهدين فيها، الصَّادقين عنها، فانَّها - واللهِ - عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِي السَّاكن، وَتَفْجَعُ المُتَرَفَ الآمِنِ .. وَجَلَدُ الرِّجَالِ فيها الى الضَّعف والوهن؛ فلا تُغَرِّنْكُمْ كَثْرَةُ ما يُعْجِبُكُمْ فيها، لِقَلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ منها^٣.

ب- على المستوى التشريعي

الكتاب

١ إِنَّمَا السَّبِيلُ على الدِّينِ يَسْتَأْذِنُونَكَ وهم أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٣٣. والآيتان من سورة الشعراء (٢٤): ٥٧ و ١٤٨.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٣٣؛ والآية من سورة الفرقان (٢٥): ٣٨.

٣ - نهج البلاغة / ٣٠٢؛ عبده ١ / ١٩٧.

الحوالف ..^١

ويا قومِ أوفُوا المِكيَالَ والمِيزَانَ بالقِسطِ، ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، ولا
تَعَثُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ *^٢

* فالَّذينَ لا يُوفُونَ المِكيَالَ والمِيزَانَ بالقِسطِ، في التَّبادلِ،
والَّذينَ يَبْخَسُونَ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ عِنْدَ شَرَايِهَا مِنْهُمْ، داخِلونَ فيمَن
يَعْتَنِي فِي الأَرْضِ مُفْسِداً. وَحُكْمُ المِفسِدِ معلومٌ مِنَ الشَّرْعِ، اذ يُدْ
الشَّرْعِ عَلَيْهِ مَفْتُوحَةٌ. فلامْجالَ لَهُ لِأَنَّ يَعْمالَهُ المِفسِدَةِ؛ فلا
أمانَ لَهُ عَلى المُستَوَى التَّشريعيِّ.

١ - سورة التوبة (٩) : ٩٣.

٢ - سورة هود (١١) : ٨٥.

نظرة الى الفصل

١ - ملامح من الحياة التكاثرية ..: تحضُّ التعاليمُ الاسلاميّة على معرفة الدّنيا وما فيها، عن تدبّر وبصيرة . ومعرفتها غير معرفة العالم بصورة كلية . إنّ العالم لوحةٌ حيّةٌ رائعةٌ تتجلّى فيها مظاهر الكمالِ السّرمدِيّ، من الحكمة والنّظم والعدل؛ والقرآنُ والحديثُ يدعوان الانسانَ لأن يتفكّر فيها . هذا هو العالم، غير أنّ الدّنيا والحياة الدّنيويّة (التي يعمدُ قسمٌ من التعاليمِ القرآنيّة والحديثيّة الى التعريفِ بهما حتى يعرفهما الانسانُ حقّ المعرفة)، لهما صلةٌ خاصّةٌ بالانسانِ وبما في يده من رأسِ مالِه، وهو عمره وحياته فيها . والمقصودُ بالدّنيا، في هذا الإطار، حياةُ الانسانِ في الدّنيا وأيامُ عيشه وعمره وما يتصلُّ بها من ملابساتٍ وامورٍ واحوالٍ واعمالٍ .. ومن واجبِ الانسانِ - وهو الذي يحيا هذه الحياةَ ويعيشُ أياماً يُحاسبُ عليها - أن يعرفَ تلكَ الحياةَ وواقعها وظرفها وملابساتها حقّ المعرفة، حتى يكونَ على بصيرةٍ من الامر، و انتفاعٍ من العمر، و يُتاحَ له أن يقفَ على حقيقةِ هذه الحياةِ وابعادها واطوارها وما يُضربُ بها وما ينفعُ، اذ بهذه المعرفةِ يتمكّنُ من أن يتذرّعَ بحياته الى ما طُلبَ منه، وان ينالَ ما أُعدَّ له من خيرٍ وسعادةٍ خالدين، وان يبتعدَ عمّا أنذرَ من شقاوةٍ وسوءٍ عاقبة . وواضحٌ أنّ الحياةَ الانسانيّة - وهي الدّورةُ المحدودةُ المُتصرّمةُ التي يعيشها الانسانُ في هذه السّيارة، التي يُسمّيها القرآنُ الكريم: «الحياة الدّنيا» - تختلفُ اختلافاً كثيراً، بحسبِ اختيارِ الانسانِ نفسه، واختلافِ ما هنالك من اساليبٍ ومناهجٍ لاستيفاءِ هذه الحياة؛ فالانسانُ هو الذي يُشكّلُ حياته ويبنّيها بحسبِ اصطفايه ايّ اسلوبٍ ومنهجٍ من تلكِ الاساليبِ

والمناهج . ومن الاقسام الرئيسية للحياة الانسانية في هذه الدنيا قسمان
نُشيرُ اليهما :

١ - الحياة الغائية (وهي التي يُنظرُ اليها كغاية).

٢ - الحياة الذرية (وهي التي يُنظرُ اليها كذريعة) .

الحياة الاولى : الحياة التي يتبناها الانسان غايةً وهدفاً، حياة عمياء
حيوانية جانحة الى اللذات والتكاثر المالي والترف والبذخ . والحياة بهذه
الصفات تسيّر - بالطبع - في المسيرة المضادة للنظام الحكيم، الحاكم
على الخلق والوجود، وتُجانبُ الحق والعدل، اللذين يجريان في كل ذرة
من ذرات الكون الاعظم الفسيح .

إنّ الدنيا - وما يُتاح للانسان فيها من الحياة والموهب والفكر
والادوات والتعاليم - مزرعة للآخرة، يعني أنّ هذه الحياة الزائلة الدنيا،
مزرعة لحياة باقية عليها ومتجر لها ومربح، كما قال النبي «ص» في وصاياه
لابي ذر الغفاري : «يا اباذر! إنّك في ممرّ الليل والنهار، في آجالٍ
منقوصة، واعمالٍ محفوظة، والموت يأتي بغتة . ومن يزرع خيراً يوشك أن
يحصد خيراً، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة . ولكلّ زارع ما
زرع ..»^١.

إنّ الفطرة الانسانية - لو خلّيت وطبعها - تنزع الى اجتياز هذه المرحلة
مراعيةً للحدود والحقوق، ومُلتحمةً مع النواميس الحاكمة على سائر
اقسام العالم واجزائه . إنّ الفطرة الانسانية - بطبعها النقي الصافي -
لا تبتغي سلوك سبيل تنتهي الى الزوال، بل تطلب سلوك سبيل الخلود
والابدية . والانسان - اذا نظر بنور الفطرة - يرى نفسه محبوساً محصورةً
في دائرة لا تلائم واقع الوجود الانساني الرّحّب العميق . ولاجل ذلك فانه
يجد ويسعى لأن يحطم هذه الجدران حتى ينفذ الى العالم الفسيح .

والخالدِ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ او يَتَطَّلَعُ .

الحياة الثانية : وهناك صورةٌ اخرى من الحياة للإنسان في هذه الدنيا، غير التكاثرية وغير الترفية، وهي التي تُواكبُ نظامَ الوجود، وتُستجَابُ مع غاياتِ الخلقِ واهدافه، وتتلاحمُ مع الفطرة الانسانية تلاحماً راسخاً . وهي ما تُستعملُ كذريعةٍ ومقدمةٍ للحياة الباقية . وهذه الحياة هي التي تخلقُ الجوّ المناسبَ لرشدِ الانسان في مجموعةِ ابعادِ وجوده الباطنة الوسيعة . والحركة الانسانية في هذه الصورة من الحياة، مطابقة للنظام التكويني العام وللنواميس الالهية والفطرية . وبها يعرجُ الانسان الى علياء الكمال اللائق به، فيصلُ الى مرتبة خلافة الله تعالى، ولو في درجاتٍ مختلفةٍ وعرضٍ عريضٍ ..

وإنَّ القرنَ الكريم يُصوِّرُ أمامَ البشرية هاتين الحياتين، في لوحاتٍ حيّةٍ تُهيمنُ على النفسِ وتأخذُ بمجامعِ القلبِ . ومما يُصوِّرُ به الصورةُ الاولى من الحياة قوله تعالى : «اعلموا انما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الاموالِ واولادٍ ..» .^١

ومن الواضح أنَّ الحياة التي يصفها القرآن بانها حياةٌ زينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ في الاموالِ والاولاد، هي حياةُ الاغنياء والرأسماليين وذويهم، لأنَّ حياتهم لاتخلو من وجهين : إما غارقة في اللعب واللهو وما اليهما، وإما مُتمترجةٌ بهما أشدَّ الامتزاج . ومن البديهي أنَّ حياة كهذه تعوقُ الانسان عن اكتسابِ الملكاتِ الفاضلة، وتضعُ في سبيلِ تأهبه لحياته الاصلية العقبات . وان التشبيه القرآني، الرائق البديع، بحق هذه الحياة - الذي نذكره الآن - يُجسِّمُ أمامَ الانسان البينونة الشاسعة بين الحياتين : المتكاثرية المتفاخرة المترفة التي تستهدفُ الدنيا وزخارفها البائدة، والمتواضعة المقتصدة الاسلامية التي تستهدفُ الخلود في عرصاتِ الابد

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠ .

الجميل . يقول القرآن : « كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ، فتراه مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا .. »^١ . وهذا تصويرٌ لظاهر الحياة الدنيا الخَلَابِيَّةِ : غَيْثٌ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ نَبَاتُهُ وَرَيْعُهُ، مع أَنَّ هذا النَّبَاتَ الرَّائِعَ بِمَقْرَبَةٍ من الإصْفَارِ وَالذُّبُولِ، بعدَ ما كان أَخْضَرَ رَائِقَ الْخُضْرَةِ، حيثَ تَلْفَحُهُ رِيَّاحُ الْهَوَاجِرِ، وَتَهْبُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الْخَرِيفِ، فَتُجَفِّفُهُ وَتُبَدِّدُهُ، فتراه حُطَامًا مطروحاً على الارض، تَذُرُّوهُ الرِّيَّاحُ، وَتَحْطِمُهُ الْأَقْدَامُ .. ومن المدهشِ الْمُرْعِبِ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْتَهِي عِنْدَ هَذَا، اذْ نَشَاهِدُ الْقُرْآنَ بعدَ اعْطَاءِ ذَلِكَ التَّصْوِيرِ الْمَوْقِظِ الرَّهيبِ يَقُولُ : « .. وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ »، يعني أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْبَائِدَةَ لَا يَتِمُّ أَمْرُهَا إِلَى الْفَنَاءِ فَقَطْ - كَحُطَامِ مَطْرُوحٍ فِي مَهَبِّ الرِّيَّاحِ الذَّارِيَةِ - بَلْ تَسْتَبْتَعُ لِلْإِنْسَانِ فِي أُخْرَى حَيَاتِيَّةٍ عَذَابًا شَدِيدًا وَنَقْمَةً بَاقِيَةً وَالْمَا خَالِدًا .

ومن كلِّ هَذَا نَفْهَمُ أَنَّ حَيَاةَ الزَّيْنَةِ وَالتَّفَاخِرِ وَالتَّكَاثُرِ وَالبَدْحِ وَالتَّرْفِ، حَيَاةٌ مُنْحَرَفَةٌ عَنِ مَسِيرِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، مُتَنَكِّبَةٌ عَنِ طَرِيقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْفَضِيلَةِ، مُتَجَاوِزَةٌ سَبِيلَ الْقَصْدِ، فَانِيَّةٌ، زَائِلَةٌ، تَافَهُةٌ، سَرِيعَةُ الْمُضِيِّ، عَاجِلَةُ الْفَنَاءِ، مُنْذِرَةٌ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ وَكَأَيَّةِ الْمُنْقَلَبِ .

اجل، هذه هي واقعية الحياة التكاثرية، المُسْتَسَلِمَةَ لِلذُّبُولِ، الْبَاعِثَةَ عَلَى هَلَاكِ أَهْلِهَا وَمَعْتَنِقِيهَا الْهَآوِينَ فِيهَا، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ «ص» : « الْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا »^٢ ؛ وَالْمَوْبِقَةَ لِلْمُسْتَكْثَرِينَ مِنْهَا، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع» : « مَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ »^٣ ؛ الْمُهْلِكَةَ لِلْحَرِيصِينَ عَلَيْهَا (مَنْ حَرَصَ عَلَى الدُّنْيَا هَلَكَ)^٤ .

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠ .

٢ - البحار ٧٧ / ١٨٥ .

٣ - نهج البلاغة / ٣٤٢ : عبده ١ / ٢١٧ .

٤ - غرر الحكم / ٢٧٩ .

فالحياة التكاثرية اذاً ليست منسجمةً مع النظام العالمي البديع، ولا متلازمةً مع السنن الالهية والفطرية، فهي موجبةٌ لمسحِ انسانية الانسان وتكديرِ فطرته الصافية، وممهدةٌ لارضية فعالة لفسادِ العقل، وعمى القلب، ووهن الدين، والإخلاق الى الارض، كما سيُجيءُ الكلامُ عليها .
والذي يُستفادُ من كلام النبي «ص»: «الهالكُ من هوى فيها»^١، ومن تعبيره الآخر: «والخاترة لمن انقاد اليها»^٢، وكذلك من كلام الامام الصادق «ع»: «ومن اطمأن اليها ركبتُه الغفلة»^٣، هو أنَّ السببَ الوحيدَ لانحرافِ الانسان وسقوطه وهلاكه نفسُ الهويِّ في الدنيا بالرغبة والاخلادِ اليها وحبِّها والتهاكُّ دونها . وهي امورٌ لا تُفارقُ حياةَ التكاثر والتَّرفِ .

٢- ملامح من الحياة الاسلامية .. : إن الآيات والاحاديث الواردة في هذا القسم من الفصل، لا ترمي الى نفي الحياة المادية وشجب التمتع من الدنيا وطبائرها بصورة كلية، لا، بل هي ترمي الى صنع حياة سلمية طبيعية للناس، ليؤمنوا بالله، ويأكلوا من طيبات رزقه ويؤدوا فرائضه، ويشكروه ويُنفقوا ممَّا بأيديهم، ولا يَطغوا فيها وفي التمتع بها . وهذه الحياة هي التي يُمكن للانسان أن يتذرَّع بها الى غايات الوجود في الحياة الثانية الخالدة - كما سلف الكلام .

ومن اللاَّحِبُّ أنَّ هذه الحياة لا تكون مقصودةً بالذات، بل هي مقصودةٌ بالغير، كما جاء في كلام الامام علي «ع»: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تُخلَقْ لنفسِها»^٤ . وهي المَطْيَةُ التي على الانسان ان يركبها ليجتازَ منها

١ و ٢ - البحار ٧٧ / ١٨٥ .

٣ - البحار ٧٣ / ١٠٥ .

٤ - نهج البلاغة / ١٢٩٨ : عبده ٣ / ٢٦٢ . يقول الشيخ محمد عبده المصري في شرح الكلام المذكور: «خلقت الدنيا سبيلاً الى الآخرة، ولو خلقت لنفسها كانت دار خلد» .

نظرة الى الفصل الحادي عشر..

الى ما بعدها من الحياةِ والفُرصِ والدَّرجاتِ، كما جاء في كلام النبيِّ «ص»: «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيَّتَانِ»^١. وهي المزرعةُ ليومِ الحِصادِ (الآخرة). وهي المتجرُ والمربحُ، (إنَّ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَن صَدَقَهَا.. ومتجرُ اولياءِ الله، اكتسبوا فيها الرَّحمةَ، ورَبِحُوا فيها الجَنَّةَ)^٢. وواضح أن «لا تجارةَ كالعملِ الصَّالحِ، ولا ربحَ كالثَّوابِ»^٣.

والانسانُ لا يَتَمَتَّعُ بحياةٍ انسانيةٍ سليمةٍ، نزهةٍ من الطَّغيانِ والظُّلمِ والحرصِ، إلا اذا نَظَرَ الى حَيَاتِهِ كقَنْطَرَةٍ للعبورِ الى مقصدٍ عالٍ، فيأخذُ ما يَحْتَاجُ اليه ويَدَعُ ماوراءه، وَيَتَزَوَّدُ بما يأخذُ، كما يقولُ الامامُ عليٌّ «ع»: «... فليكنْ حظُّك من الدُّنْيَا قَوَامَ صُلبِكَ، وامسكْ نَفْسِكَ، والتَّزَوَّدْ لمعادِكَ»^٤.

والمؤشَّراتُ الاقتصاديةُ في الاسلامِ، إنما وُضِعَتْ لتأمينِ حياةٍ كهذه حياةٍ بلاغٍ ومطيَّةٍ، وهي الممدوحةُ. ودنيا البلاغِ التي يدعُو الى تبنِّيها الاسلامُ لكلِّ النَّاسِ، ليست امرأً فردياً لهذا او ذاك، بل هي تخطيطٌ لحياةِ الافرادِ والمجتمعاتِ. وفي هذه الحياةِ لا يجدُ الفقرُ مذهبَه في النَّاسِ، ولا يجدُ التَّكاثرُ لِتَغْلُغِلِهِ في النَّفوسِ سبيلاً، بل يعيشُ الكلُّ في مستوًى من العيشِ والاستهلاكِ صالحٍ. فلا تبقى أفواهٌ مفتوحةٌ بلازاد، ولا يأخذُ اناسٌ فوقَ بلاغِهِم وحاجتِهِم، (فلا تَحْمِلَنَّ على ظَهْرِكَ فوقَ بلاغِكَ فيكونَ ثقلاً ووبالاً عليك)^٥. ويُنْفِقُ كلُّ انسانٍ فضلَ مالِهِ، (طوبى لمن أنفقَ الفضلَ من مالِهِ)^٦.

١ - الخصال ١ / ٤٨.

٢ - نهج البلاغة / ١١٤٨: عبده ٣ / ١٨٢.

٣ - نهج البلاغة / ١١٣٩: عبده ٣ / ١٧٧.

٤ - البحار ٧٨ / ٢٣.

٥ - تحف العقول / ٥٦. من حديثِ الامامِ عليٍّ «ع».

٦ - تحف العقول / ٢٨. من حديثِ النبيِّ «ص»:

فالمسلمُ المؤمنُ بالرسالةِ المحمّديّة، يحيا هذه الحياة، فيكُدُّ لأن يكسبَ المالَ لِسَدِّ عَوَزه وللانفاقِ على غيره، رافعاً كَلَه عن الناس، مُكْتفياً بالكفاف، مُتَجَنِّباً التَّرَفَ والبَذخَ والظُّلْمَ والتَّقْتِيرَ والاسرافَ، مُتَرْفِلاً في حُلِّ السَّكِينَةِ والوَقَارِ، بارّاً على إِخوانِهِ، وَصُولاً لِإِحْبَابِهِ، مفيداً لمجتمعه، مُهْتَمّاً بِأَمْرِ أُمَّتِهِ، «سهلاً، لِيناً، عَفِيفاً، مسلماً، تَقِيّاً، نَقِيّاً، بارّاً، طاهراً، مطهراً، صادقاً، خالصاً، سليماً، صحيحاً، لبيباً، صالحاً، صبوراً، شكوراً، ورِعاً، عابداً، زاهداً، رحيماً، عالماً، فقيهاً»^١. وهذه هي ملامحُ من الحياةِ الاسلاميّةِ وصورتها الحسنة .

تذكير هام

إِعلم، أَنَّ مِنْ أَهمِّ عوامِلِ تحريفِ الكَلِمِ الدِّينِيِّ عن مواضعه، وتشويهِ تعاليمه الاقتصادية، تجزئة اقسامِ الدِّينِ والنَّظَرِ الى كل جزءٍ منفكاً عن سائرِ الاجزاء كما مرَّ الكلامُ عنه . وهذه الكيفيّةُ تنتهي الى أن لا يُعْرَضَ الدِّينُ وتعاليمه بصورةِ نظامٍ كاملٍ (منظومٍ) مرتبطِ الاجزاء متلاحمها . ومن جرّاء هذه التجزئة نُشاهدُ أَنَّ الاخلاقَ الاسلاميّة تُفصلُ عن اقتصاده، واقتصاده يُفصلُ عن توحيدِهِ، وعن مفهومِهِ عن الدُّنيا وحياتها، وتوحيدُهُ يُفصلُ عن برامجِهِ السِّياسِيَّة، وسياسته تُفصلُ عن مؤشِّراتِهِ الاجتماعيَّة، وعن احكامِهِ في القسطِ والعدالة، وبعضُ هذه يُفصلُ عن تعريفِهِ للانسان ومفهومِهِ عنه، وكذلك عمّا يدعو اليه، من المعادِ والاعتقادِ به والاستعدادِ له ..

وعلى هذا المسلكِ فإنَّ قسماً كبيراً من المباني والتعاليمِ الاسلاميّة، التي تُعدُّ الحجرَ الاساسيَّ لمذهبِ الاسلامِ الاقتصاديّ، يُطرَحُ جانباً،

١ - مكارم الاخلاق / ٥٣٦، من وصايا النبي «ص» لعبدالله بن مسعود.

نظرة الى الفصل الحادي عشر..

باسم الامور والمسائل الاخلاقية (والاوامر والنواهي الارشادية والتنزيهية، كما جاءت في المصطلح)، وبالتالي ينحط المستوى الاقتصادي في المجتمع الاسلامي الى حد يخرج عن كونه اسلامياً قرآنياً، فلاترى فيه أثراً للعدالة الاجتماعية، وللقسط والعدل الاسلاميين المعروفين. حيث تظهر الفواصل الفادحة بين الافراد والقطاعات في مستوى لا يقره الاسلام المحمدي بوجه. وعند ذلك تفرغ الحياة من محتواها الاسلامي ومن الانسانية والمعنوية اللازمتين له. ويضع ذلك في مسيرة المجتمع التكاملية عقبات، فيتحوّل المجتمع الاسلامي الى مجتمع غير اسلامي، حيث يسوده النفع والضرر الماديان، وتستولي عليه الارستقراطية المشؤومة، وينتشر فيه الاستضعاف ويعلو عليه الاستكبار الاقتصادي. وهو اضر وأشأم من الاستكبار السياسي، كما يعلمه الاحرار والناهبون. نعم، يتحقق كل ذلك، والناس يظنون أنهم يعيشون في مجتمع اسلامي وتحت ظل الاسلام ولوائه، وأنهم يوفون ما لهم من حقوق، وما لكادحيهم من أجور. وهذا من أفدح الاضرار اللاحقة بالاسلام وبتعاليمه، وبالمسلمين وبيئاتهم^١. ولقد دلت التعاليم الاسلامية على أن الاستكبار الاقتصادي اضر على الأمة والاسلام من سائر الوان الاستكبار، حيث عدت المتكاثرين ملهين مجانبين للالتزام، وعدت الاغنياء شرراً الأمة وشرراً اشرارها، ولم تعد الحكام والطواغيت السياسيين شرراً وشرراً اشرارها. وهذا موضوع هام مصيري يجب أن يعيه الناس كل الوعي.

وبعد الاشارة الى هذا الموضوع المصيري الهام، نقول: إن

١ - إن الاسلام يجب أن تقطع عنه يد الجهلاء، والعلماء، والمدسوسين، والسذج، والرجعيين المتخلفين، والاغنياء المتكاثرين، حتى يوعى وعياً مجموعياً (منظوماً)، وحتى يتبلور مفهومه عن الانسان وحياته، بصورة تناسب تعاليم الاسلام.

الانسان بما أنه كائن مركَّب، من جسدٍ وروحٍ، فله حياتان: مُتَصَرِّمَةٌ وقارةٌ. وليس من حَيَاتِهِ المُتَصَرِّمَةِ في يده شيءٌ الا ساعته الحاضرة. ومن هنا يدعو الاسلام الانسان لَان يَتَأَمَّلَ في احوالِ نَفْسِهِ، ولَا ن يَضَعُ لافعاله وتروكه مُؤشراً رابحاً له في حَيَاتِيهِ. فكلُّ مِنَ الاحكامِ الاسلامِيَّةِ له مضمونان مُندمجان:

١ - مضمونٌ معاشيٌّ.

٢ - مضمونٌ معاديٌّ.

فالعملُ المعاشيُّ يَتَضَمَّنُ في باطنه جوهرًا معاديًّا، كما أن الحَصِيلَةَ المعاديَّةَ ليست الا الصورةُ الباقيةُ للعملِ المعاشيِّ وجزاءه (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ).^١ فالعملُ المعاشيُّ في نظرِ الاسلامِ يَجِبُ أَنْ يَقَعَ على صورةٍ تكونُ عوناً لامرٍ معاديٍّ مطلوبٍ وسُلماً للوصولِ اليه، فعلى هذا لا يُمكنُ أَنْ يَكُونَ غيرَ مطابقٍ لمقاييسِ العَدَالَةِ والحقِّ والقسطِ.

ومن اللاَّحِبُ أَنْ الاحكامَ والتعاليمَ الاقتصاديةَ الاسلاميةَ ايضاً، لا تُشَدُّ عن هذا المُخَطَّطِ، فلا يَسَعُنَا ان نَنظُرَ الى المِلْكِيَّةِ وَقَداسَتِها من غيرِ أَنْ نلاحظَ ما هناك من الطُّقوسِ والمُؤشَّراتِ، ومن غيرِ أَنْ نَعِي مفهومَ الاسلامِ عن الحَيَاةِ والانسانِ والمالِ. اَبْصَحُّ أَنْ يَسْتَدِلُّ مُسْتَدِلُّ بِقَداسَةِ المِلْكِيَّةِ في الاسلامِ، من غيرِ ان يُعيرَ لسائرِ النِّدَاءاتِ الاسلامِيَّةِ لُصْنَعِ الفردِ المسلمِ والمجتمعِ الاسلاميِّ اَيَّ سَمْعٍ؟ اَيْمِكُنُ أَنْ يَكُونَ المسلمُ الملتزمُ مؤمناً ببعضِ الاسلامِ كافرًا ببعضه الآخر؟..

اجل، إِنَّ الاسلامَ، مع ما يُثبِتُ من الحُرْمَةِ للمِلْكِيَّةِ - على حدودِها المقرَّرةِ في «علمِ الفقه» - فهو يَجِبُهُ الرُّكُونُ الى الدُّنيا بجمعِ المالِ اِكْثَرَ

١ - سورة الزَّلْزال (٩٩): ٧ - ٨.

نظرة الى الفصل الحادي عشر ..

مَمَا يَحْتَاجُ اليه الانسان، للانفاق على نفسه او على غيره .^١ وهذا ما يدُلُّ عليه العقل ايضاً، لانه يحيا حياةً مُتَصَرِّمَةً. ولأجلِ أَنْ يَنْتَبِهَ الانسانُ لِتَصَرُّمِ أَيَّامِهِ الْقَلِيلَةِ قَدْ عَبَّرُوا عَنْهَا بِسَاعَةٍ، سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعَتَيْنِ، سَاعَةٍ مَضَتْ وَسَاعَةٍ لَمْ تَأْتِ (الدُّنْيَا يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ، بَلْ سَاعَةٌ بَيْنَ سَاعَتَيْنِ)^٢. وبهذا التَّعْبِيرِ وَامْتِثَالِهِ يَحُضُّونَ الْإِنْسَانَ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ صَلْتَهُ الزَّمَانِيَّةَ الْمُتَصَرِّمَةَ الذَّاتِ، بِأَيَّامِهِ وَبِالْعَالَمِ وَبِحَيَاتِهِ الدُّنْيَا فِيهِ، لَيْسَتْ إِلَّا صَلَّةً يَوْمٍ بَلْ سَاعَةٍ. وَمَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ أَوْ سَاعَةٌ، كَيْفَ يُخَلِّدُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَرْكُنُ إِلَيْهَا رُكُونَ السَّاكِنِينَ الْأَمْنِيِّينَ؟ وَكَيْفَ يَدَّخِرُ لَهَا أَدْخَارَ الْمُتَكَاثِرِينَ وَالْمُتَرَفِّينَ؟ وَكَيْفَ يَظْلِمُ أَجْرَاءَهُ وَعُمَّالَهُ؟ وَكَيْفَ يَغْفُلُ جِيرَانَهُ الْمُحْتَاجِينَ؟ وَكَيْفَ لَا يَنْفِقُ فَضْلَ مَالِهِ؟ وَكَيْفَ يَتَقَاعَسُ عَنْ آدَاءِ الْحَقِّ وَرِعَايَةِ الْعَدْلِ؟ وَكَيْفَ يَتَمَرَّغُ فِي النَّعِيمِ وَفِي مَجْتَمَعِهِ بَطُونُ غَرْتِي وَكَابَادُ حَرِّي؟ وَكَيْفَ يُعَدُّ لِابْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ عَيْشًا رَغَدًا، وَالْحَالُ أَنْ فِي الْمَجْتَمَعِ ابْنَاءٌ وَبَنَاتٌ كَثِيرِينَ لَا طَمَعَ لَهُمْ فِي حَيَاةٍ زَهِيدَةٍ وَفِي لُمَاظَةٍ مِنَ الْعَيْشِ تَافِهَةٍ؟ أَهَكَذَا تَكُونُ سِيرَةُ مَجْتَمَعٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُقِرُّ بِمُضْمُونِ مَعَادِيٍّ لِعَمَلِهِ الْمَعَاشِيِّ، وَيَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ سَيُوجِهُ «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا»^٣، «وَتُوفِّيَ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يُظْلَمُونَ»^٤، «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ..»^٥، «وَيَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا

١ - ولذلك جاء في الحديث عن الامام الصادق «ع» أنه قال: «قال رسول الله «ص»: الفقر خير للمؤمن من الغنى الآمن حمل كلاً وأعطى في نانية» - (سفينة البحار ٢ / ٣٢٦)، فينتهي الامر في جمع المال بلا حاجة اليه والامساك عليه، الى حدِّ يُعَدُّ الْفَقْرُ الْمَذْمُومُ الَّذِي كَادَ أَنْ يَكُونَ كَفْرًا خَيْرًا مِنْهُ.

٢ - البحار ٧٣ / ١١٢؛ ولاحظ الآيات: ٤٥ من سورة يونس؛ و٣٥ من سورة الأحقاف.

٣ - سورة آل عمران (٣): ٣٠.

٤ - سورة النحل (١٦): ١١١.

٥ - سورة الانعام (٦): ١٣٢.

اعمالهم؟!١

فالمطاردتان الجبارتان اللتان قام بهما الاسلام في وجه التكاثر والحياة التكاثرية من جهة، وفي وجه الفقر والحياة البائسة من جهة أخرى، ليستا الا لتحويل عرصة الحياة الانسانية من معملٍ معاشيٍّ سافل، الى مَرَبِحٍ معاديٍّ عالٍ، حتى لا تنقضي تلك الساعة في يَمَلِكُها الانسان التي اِحْدَى المتاهتين، لا في الفقر فيسفل، ولا في التكاثر فيطغى، لا في فجوات الفقر المدقع، ولا في غمرات التكاثر الملهي، بل امرين امرين، حتى تضحى حياته مطيةً ومركباً تسيّر به الى تلك الغايات المنشودة من الحياة ..

٣ - لا امان للاغنياء والمترفين : لقد قلنا - فيما سلف - انّ التعاليم الاسلامية المختلفة، ترمي الى غرض تحويل الدنيا - بما فيها من المواهب والامكانيات والاموال - من دنيا تكاثرية مترفة ملعونة، الى دنيا سالمة مشرقة، يعيش فيها كلُّ الناس في ظلّ العدالة والحق والقسط؛ فانّ الله تعالى، خلق الخلق فقدر ارزاقهم وقسم معايشهم، فاذا اكتفى كلُّ احدٍ برزقه وقسمه، تسع الارزاق والاقسام الجميع، والافلا، كما هو مشاهد اليوم .
ولقد سلك الاسلام للوصول الى ذلك الهدف المنشود سبيلاً مركباً من امرين : تضيقٍ وتوسيعٍ .. اما التضييق، فبتجسيده في حياة المتكاثرين والمُتَرَفِّين، بردها الى حياةٍ مقتصدةٍ امتلاكاً^٢ ومقتصدةٍ استهلاكاً^٣ ولو

١ - سورة الزلزال (٩٩) : ٦.

٢ - كما يقول القرآن الكريم : «... كي لا تكون دولة بين الاغنياء منكم» - (سورة الحشر - ٥٩ - ٧)، ويقول الامام الصادق «ع»، «المال أربعة الف، واثنا عشر الف درهم كنز، ولم يجتمع عشرون الفاً من حلال، وصاحب الثلاثين الفاً هالك؛ وليس من شيعتنا من يملك مئة الف درهم» - (تحف العقول / ٢٧٩). وهذه المقادير تُقدَّر في كلِّ زمانٍ بميزانه. راجع ايضاً: الفصلين ٢٣ و ٢٤، من هذا الباب .

١ - كما يقول القرآن الكريم: «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ» - (سورة طه - ٢٠ - ٨١).

باستعمال الحديد إن كان لازماً (وأنزلنا الحديد) .
واما التوسيع، فبتجسيده في حياة البؤساء والمحرومين
والمساكين، بردها الى حياة متوسطة كافية، بل بردها الى حياة الآخرين
والحاقها بها في مستوى موحد، كما يقول الامام الصادق «ع» بحق من
يأخذ الزكاة: «.. وما أخذ من الزكاة فضة على عياله، حتى يلحقهم
بالناس»^١.

فلامجال في حقل التعاليم الاسلامية لآية صورة من صور تبرير
اغتصاب حقوق الناس وازراقهم، وابقائهم في الفقر والعوز، وقرار
الفروق الباهظة بينهم في المعيشة، بأي اسم كانت وباي شكل وقعت^٢.
فهذا الدين يقف بجانب المحرومين لاستيفاء حقوقهم وتأمين
حاجياتهم، حتى يحصلوا على معيشة بلاغية كافية، متقاربة لمعيشة
الآخرين، وينالوا ما يعينهم على التدين والتقوى، ويعيقهم عن الانحراف
العقيدى والجهل والردى. فمن واجب الحكم الاسلامي وعلماء الدين،
أن يجدوا ويجتهدوا ويجاهدوا لتركيذ نظام اقتصادي كهذا لاغير.
وواجب الشعب الاسلامي أن لا يخضعوا لاي نظام اقتصادي غير هذا.

تنبيه هام

يجب أن لا يذهب على الباحث الاسلامي، من اقتصادي او اخلاقي،

ويقول الامام الصادق «ع»: «.. وأمرهم أن يأكلوا منه قسداً، ويشربوا منه قسداً..»، الى آخر
الحديث - (المستدرک ٢ / ٤٢٣). راجع ايضاً: الفصل ٢٤، من هذا الباب.

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩: راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب، وفصول «مستوى العيش للجماهير»، من
الفصل ٢٧ الى الفصل ٣١، من الباب ١٢.

٢ - راجع ايضاً: فصول «مستوى العيش للجماهير»، من الباب ١٢.

أَنَّ ذَمَّ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلدُّنْيَا وَحَثُّهَا عَلَى رَفْضِهَا لَيْسَ يَعْنِي الْإِهْمَالَ وَالْكَسَلَ وَالْعَطْلَ وَتَرْكَ الْجِتْهَادِ وَالْعُزُوفَ عَمَّا فِيهَا، مِنْ نَعْمِهَا وَطَيِّبَاتِهَا، بَلْ يَعْنِي تَحْرِيرَ الْقَلْبِ عَنْ حُبِّهَا وَالتَّفَانِي فِيهَا، وَالتَّلَاقِي بِهَا وَالاخْلَادِ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا زَائِلَةٌ مَائِلَةٌ، وَلَيْسَ حُبُّ الزَّائِلِ مِنْ شَأْنِ الْعَاقِلِ . وَأَمَّا الْجِتْهَادُ وَالسَّعْيُ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَاقْتِنَائِهِ لِمَقَاصِدِ صَالِحَةٍ وَخَيْرَةٍ، فَقَدْ دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا جَادًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِدُنْيَاهُ وَمَعِيشَتِهِ وَمَعِيشَةِ مَجْتَمَعِهِ، كَأَنَّهُ يَعِيشُ أَبَدًا؛ غَيْرَ أَنَّ اللَّازِمَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرُنَ سَعْيَهُ وَاجْتِهَادَهُ فِي الدُّنْيَا وَطَلْبِهَا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ :

١ - أَنْ لَا يَجْعَلَ قَلْبَهُ - وَهُوَ مَحَلُّ الْحُبِّ الْإِلَهِيِّ الْبَاقِي - مَحَلًّا حُبِّ الدُّنْيَا، فَلَا يَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ وَيَقْتَنِي مِنْهَا لَغَرَضٍ ذَاتِيٍّ، بَلْ لِأَغْرَاضٍ تَبَعِيَّةٍ صَالِحَةٍ .

٢ - أَنْ لَا يَأْخُذَهَا مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ .

٣ - أَنْ لَا يُمَسِكَ الْأَمْوَالَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ الْكِفَافِ، بَلْ يُنْفِقُ مَا يَقْتَنِيهِ حَتَّى يَكُونَ مَذْخُورًا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِكِي يُرَدَّ إِلَيْهِ فِي الْعَالَمِ الْبَاقِي^١، وَحَتَّى يَرْتَفَعَ بِاجْتِهَادِهِ وَانْفَاقِهِ مَسْتَوَى حَيَاةِ الْآخِرِينَ، وَتَعُمُّ الطَّيِّبَاتُ وَالرِّفَاهُ غَيْرَهُ وَغَيْرَ عَائِلَتِهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَيَتَقَدَّمَ مَجْتَمَعُهُ فِي الْمَجَالَاتِ عَامَّةً^٢ .

١ - وَيَالَهُ مِنْ تِجَارَةٍ رَابِحَةٍ، حَيْثُ تَحَوَّلَ الْأَمْرُ الزَّائِلَ الدَّائِرَ (الْمَالُ) إِلَى أَمْرٍ بَاقٍ خَالِدٍ، كَمَا يَقُولُ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع»، فِيمَا كَتَبَهُ إِلَى الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ «... فَإِنَّكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ...» - (نهج البلاغة / ١٠٦٩ ؛ عبده ٣ / ١٤٢) .

راجع أيضاً: الفصل ٤٣، من هذا الباب.

الفصلُ الثاني عشر

الاسلام والنظام التّكاثريّ الاترافيّ، كفاح رحب (٥)

- التّضادّ بين الحياتين : التّكاثريّة والاسلاميّة

الكتاب

- ١ .. فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَقٍ *^١
- ٢ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، نُوفِّ اليهِم أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^٢
- ٣ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ *^٣

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٠٠ .

٢ - سورة هود (١١) : ١٥ - ١٦ .

٣ - سورة الشورى (٤٢) : ٢٠ .

الحديث

- ١ النبي «ص»: «بَشُرُوا أُمَّتِي بِالسَّنَاءِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ . وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْآخِرَةِ .^١
- ٢ الامام علي «ع»: «.. إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِدْوَانٍ مَتَفَاوَتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا . وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمِاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ؛ وَهِيَ بَعْدُ ضَرَّتَانِ .^٢
- ٣ الامام علي «ع»: «مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ .^٣
- ٤ الامام السجاد «ع»: «.. وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ إِلَّا كَكَفَّتَيِ الْمِيزَانِ، فَأَيُّهُمَا رَجَحَ ذَهَبَ بِالْآخِرِ .^٤
- ٥ الامام الصادق «ع»: «.. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهَا (الدُّنْيَا) شَيْئًا إِلَّا نَقَصَ حِظَّهُ فِي الْآخِرَةِ .^٥

١ - مجمع البيان ٥ / ١٤٨ .

٢ - نهج البلاغة / ١١٣٣؛ عبده ٣ / ١٧٣ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٩٦؛ عبده ٣ / ٢٠٨ . جاء هذا الكلام في البحار (٧٣/١١٩)، عن «روضة الواعظين» هكذا: «حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الآخرة حلاوة الدنيا».

٤ - البحار ٧٣ / ٩٢

٥ - البحار ٧٣ / ١٢٧، عن «امالي الطوسي».

نظرة الى الفصل

بعد ما رأينا تصويرَ الحياتين - التكاثرية والاسلامية - في الفصل السابق، لا يعسرُ علينا أن نفهم التّضادَّ الاساسيَّ بينهما، إذ التّصويرُ بنفسه يكفي ذلك .

والذي يُهمُّنا الآن أن نُلْفِتَ الانظارَ الى أن الدُّنيا وحياتها وما فيها من انواعِ النِّعمِ والمواهبِ والامكانياتِ، إن استُخدمتْ لغاياتٍ سالحة، فهي دنيا مزرعةٍ ووسيلةٍ وبلاغٍ، ولا تضادَّ بينها وبين الحياة الأخرى، بل هي طريقُ تلك الحياة السَّرمديَّةِ وسببُ لاكتسابها . والمعاشُ بهذا الوصفِ معاشٌ معاديٌّ والدُّنيا دُنيا أُخرويَّة . وبهذا المنهجِ يَجْمَعُ الاسلامُ بين الزُّهدِ وعِمارةِ الدُّنيا : فَاجْعَلْ هَمَّكَ اللّهُ واطاعةَ امرِهِ والنَّفْعَ لعبادِهِ، ثُمَّ عِشْ، وَاسْعَ .. وَنَزَّهْ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّ الدُّنيا وَالْإِخْلادِ اليها، فَإِنَّها لَيْسَتْ بِدارِ خلودٍ .

الفصل الثالث عشر

الاسلام والنظام التكاثريّ الاترافيّ، كفاح رجب (٦)

- التكاثر والاستغلال

* نُشيرُ في هذا الفصل الى عدّةٍ من الامور التي يُستغلُّ بها

الجماهير:

أ- اتّخاذ الناس سخريةً

الكتاب

١ .. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ *

الحديث

١ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١١٠.

الفصل الثالث عشر: الاسلام والنظام التكاثري .. (٦)

- ١ النبي «ص» - فيما وصّى به علياً «ع» عند وفاته، كما رواه الامام الصادق :
يا علي! .. ولا تُسخرَ على مسلمٍ، يعني الاجير.^١
- ٢ الامام علي «ع» : لا تُسخرُوا المسلمين فتذلوهم ..^٢
- ٣ الامام علي «ع» : .. ولكنني آسى أن يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها،
فيتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا ..^٤

ب - بخس الناس اشياءهم

الكتاب

- ١ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ..^٥
- ٢ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين *^٦

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» - اسماعيل بن عبدالله القرشي قال : أتى الى أبي -

١ - الكافي ٥ / ٢٨٤ .

٢ - البحار ١٠٣ / ١٧٢ .

٤ - نهج البلاغة / ١٠٥٠ : عبده ٣ / ١٣١ - ١٣٢ .

٥ - سورة الاعراف (٧) : ٨٥ .

٦ - سورة الشعراء (٢٤) : ١٨٣ .

عبدالله «ع» رجلٌ فقال له : يا ابن رسولِ الله رأيتُ في منامي كأنني خارجٌ من مدينةِ الكوفةِ في موضعٍ أعرفُهُ، وكانَ شَبْحاً من خَشَبٍ - او رجلاً مَنحوتاً من خَشَبٍ^١ - على فرسٍ من خَشَبٍ، يَلُوحُ بسيفه، وأنا [أ] شاهِدُهُ، فزِعاً مرعوباً. فقال «ع»: «انت رجلٌ تريدُ اغتيالَ رجلٍ في معيشته، فاتقِ اللهَ الذي خَلَقَكَ ثم يُميتُك!». فقال الرَّجُلُ : أشهدُ أنك قد أوتيتَ علماً واستنبطته من معدِنه؛ أخبرك يا ابن رسولِ الله عما [قد] فسرتَ لي، إن رجلاً من جيرانني جاءني وعرضَ عليّ ضيَعته، فهِمَمْتُ أن أملكها بوكسٍ كثيرٍ، لما عرفتُ أنه ليس لها طالبٌ غيري. فقال ابو عبدالله «ع»: «وصاحبك يتولانا ويبرأ من عدونا؟» فقال : نعم يا ابن رسولِ الله رجلٌ جيّدُ البصيرة، مُستَحْكَمُ الدين . وانا تائبٌ الى الله عزّ وجلّ واليك ممّا هَمَمْتُ به ونويته؛ فأخبرني يا ابن رسولِ الله لو كان ناصباً حلّ لي اغتياله؟ فقال : «أدّ الامانةَ لمن ائتمنك وارادَ منك النصيحةَ ، ولو الى قاتلِ الحسين «ع».»^٢

ج - الأكل والمأكل الاقتصاديان

الكتاب

١ .. لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ..^٣

١ - الترديد من الراوي - (مرآة العقول).

٢ - الكافي ٨ / ٢٩٣. وفي استعمال كلمة «الاغتيال» في كلام الامام الصادق «ع» نكتة هامة، حياتية واقتصادية، يُفيد لتبيينها الرجوع الى الفصل ٣٢، من هذا الباب، والنظرة اليه .

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٨٨.

الحديث

١ النبي «ص»: اذْكُرُ اللَّهَ الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي .. لَمْ يُغْلِقْ بَابَهُ دُونَهُمْ
فِيَأْكُلَ قَوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ ..^١

* هذا الكلام النبوي مَقْطَعٌ من حديثِ رواه الامامُ جعفرُ
الصَّادِقُ «ع» عن النَّبِيِّ «ص». وجاء في أوّله من قولِ الامامِ
الصَّادِقِ: «نُعِيْتُ إِلَى النَّبِيِّ «ص» نَفْسُهُ وَهُوَ صَاحِبُ لَيْسَ بِهِ وَجَعٌ ..
فنادى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَأَمْرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْإِنصَارِ بِالسَّلَاحِ وَاجْتَمَعَ
النَّاسُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ «ص» الْمَنْبِرَ، فَغَضِبَ إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ قَالَ: "أَذْكُرُ
اللَّهَ الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِي ..".»

ومما هو واضح، أَنَّ انساناً عظيماً ومصالحاً الهياً ونبياً خاتماً
كرسولِ الاسلام، اذا أوصى الأمة بتلك الصّورة المُحَشَّدة - وهو
يُوصي وصاياها الاخيرة - يَعِيدُ إِلَى بَيَانِ أُمُورٍ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَرْجَعُ إِلَى
صَلَاحِ الْأُمَّةِ وَتَقْوِيمِ شُؤُونِهَا. ونُشَاهِدُ أَنَّهُ «ص» يَطْرَحُ فِي هَذِهِ
الْوَصِيَّةِ مَسَائِلَ مَعْدُودَةً، مِنْهَا الصَّلَةُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ -
وَمَا هِيَ إِلَّا الصَّلَةُ الْآكِلِ وَالْمَأْكُولِ كَمَا جَاءَ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ -
وَلَيْسَتْ حَصِيلَةً تَلِكِ الصَّلَةِ إِلَّا سَحَقَ الضَّعِيفِ وَدَحَضَ حَقُوقَهُ.
وَيَجْعَلُ النَّبِيُّ الْمُرْشِدُ الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى عَاتِقِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ،
فَيُعَدُّهُ مَسْئُولاً مُؤَاخِذاً أَمَامَ هَذِهِ الصَّلَاتِ. وَفِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ يَقُولُ
أَيْضاً قَوْلَتَهُ الْعَظِيمَةَ الْحَاسِمَةَ، فِيمَا يَرْجَعُ إِلَى الْحَاكِمِ الْإِسْلَامِيِّ:
«وَأَنْ لَا يُفْقِرَهُمْ فَيُكْفِرَهُمْ»^٢، فَلَا يُعَدُّ الْفَقْرَ أَمْرًا مُقَدَّرًا، وَلَا يَجِيءُ فِي
كَلَامِهِ بِكَلِمَةِ «الْفَقْر»، بَلْ يَقُولُ «الْإِفْقَار» - مِنْ الْفِعْلِ الْمَتَعَدِّيِّ مِنْ

باب الافعال - يعني أَنَّ الوالي هو الَّذِي يُفْقِرُ النَّاسَ بسوءِ سياستهِ
الماليَّةِ وبجُنوحِهِ الى اصحابِ الاموالِ واطلاقِ سراحِهِم
لِامْتِصاصِ النَّاسِ، في مُخْتَلِفِ المجالاتِ، كالاستيرادِ والانتاجِ
والتَّوزيعِ والتَّسعيرِ والتَّطْفِيفِ والاحتكارِ.. والنَّبِيُّ «ص» يَشْجُبُ
هذا السلوكِ، وَيُعَدُّ الكُفْرَ والالْحَادَ والخروجَ عن الدِّينِ نتيجةً لهذا
الفقرِ المفروضِ على الفقراءِ والمحرومينِ (وَأَن لا يُفْقِرَهُم
فَيُكْفِرَهُم). وهكذا فَلْيَكُنْ كَلَامُ الدَّاعِي الالهيِّ، البشيرِ النَّذيرِ..

٢ الامام علي «ع»: .. يأكلُ عزيزها ذليلها، وكبيرها صغيرها ..^١

٣ الامام السجاد «ع» - فيما رواه زُرارةُ بنُ أوفى، من تصنيفه النَّاسَ على سِتِّ
طبقاتٍ، قال: دخلتُ على عليِّ بنِ الحسينِ «ع» فقال: يا زُرارةُ! النَّاسُ
في زماننا على سِتِّ طبقاتٍ: اسدٍ، وذئبٍ، وثعلبٍ، وكلبٍ، وخنزيرٍ، وشاةٍ ..
واما الشَّاةُ فالذين تُجَزُّ شعورُهُم، ويؤكَلُ لحومُهُم، ويُكسَّرُ عظمُهُم ..^٢

د - الاحتيال في البيع والشراء

الكتاب

١ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ *^٣

١ - تحف العقول / ٥٧.

٢ - البحار ٧٠ / ١٠ - ١١: الخصال ١ / ٣٣٩.

٣ - سورة المُطَفِّينِ (٨٣): ٢ - ٣.

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ (التَّجَارِ) ضَيْقًا فَاحْشَاءً، وَشُحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرُوءٍ لِلْعَامَّةِ ..^١

٢ الامام السجاد «ع» - فِي حَدِيثِ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى: .. وَأَمَّا الذَّنْبُ فَتَجَارُكُمْ، يَذْمُونَ إِذَا اشْتَرَوْا، وَيَمْدَحُونَ إِذَا بَاعُوا ..^٢

الفتا نظر

يُشِيرُ هَذَا التَّعْلِيمُ السَّجَّادِيَّ، إِلَى أَنَّ صِلَةَ الْمُسْتَوْرِدِينَ وَالنَّاسِ، صِلَةُ الذَّنْبِ وَالشَّاةِ. وَيُوضِحُ لَنَا جَانِبًا وَاحِدًا مِنْ جَوَانِبِ «الاسْتِغْلَالِ الْاِقْتِصَادِيَّ»، وَهُوَ ذَمُّ السَّلْعِ وَالْبِضَائِعِ عِنْدَ الشَّرَاءِ لِبَخْسِ الثَّمَنِ، وَمَدْحُهَا عِنْدَ الْبَيْعِ لِلرَّتْفَاعِ بِالسَّعْرِ. وَهَذَا الْاِسْتِغْلَالُ كَانَ لَهُ فِي زَمَنِ الْاِمَامِ السَّجَّادِ «ع» (يَعْنِي النِّصْفَ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْاَوَّلِ لِلْهَجْرَةِ)، إِطَارٌ مَحْدُودٌ لَا يُقَاسُ بِالْاِقْتِصَادِ الْمَعَاصِرِ. مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَدَى ذَلِكَ الْاِسْتِغْلَالُ الْمَالِيَّ الْمَحْدُودَ - كَمَا وَكَيْفًا - فِي تِلْكَ الْاَزْمِنَةِ، الْاِمَامَ الْمَعْصُومَ عَلَى أَنْ يُسَمِّيَ التَّاجِرَ وَالْمُسْتَوْرِدَ ذَنْبًا، وَأَنْ يُعَدَّ الصَّلَاتِ الْاِسْتِيرَادِيَّةَ فِي الْمَجْتَمَعِ صَلَاتِ الْاَكْلِ وَالْمَأْكُولِ.

وَإِذَا كَانَ الْاِمْرُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، فَكَيْفَ تَكُونُ نَظْرَةُ الْاِسْلَامِ إِلَى الصَّلَاتِ الْاِسْتِيرَادِيَّةِ وَالتَّجَارِيَّةِ التَّكَاثَرِيَّةِ - فِي هَذَا الزَّمَانِ -

١ - نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ - البحار ٦٧ / ٢٢٥؛ الخصال ١ / ٣٣٩.

التي تَسْحَقُ دُخُولَهَا الباهظة جماهيرَ النَّاسِ؟ وَتَصُبُّ اموالَ المحرومين وحصيلاتِ كُدُودِهِمْ فِي اكياسِ المتكاثرين من المستوردين كالسَّيْلِ، فماذا يكونُ حُكْمُهَا فِي الاسلام؟ ولقد مرَّ بنا الكلامُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ: «يَأْكُلُ قُوْبُهُمْ ضَعِيفَهُمْ»^١. وهذا التَّعبيرُ اقتصاديٌّ لا محالة، اذ من الواضح أَنَّ هذه القُوَّةَ والضعفَ تَرَجُّعُ عمدتُهُما الى الضَّعْفِ والقُوَّةِ الاقتصاديَّين، ولا سيَّما مع التَّعبيرِ بالأكل .

نَعَمْ، إِنَّ الاسلامَ يَرْفُضُ هذه الخسائرَ الانسانيةَ والمفاسدَ الاجتماعيةَ، ولا يُقْرِّها باسمِ الملكِيَّةِ وَقَدَّاسَتِهَا، او الاستيرادِ الحُرِّ وجوازِهِ، او ايِّ اسمٍ آخَرَ.

راجع ايضاً بهذا الصدد: الفصل الثامن، من هذا الباب، فقرة

«د».

هـ - التّطفيّف في المكيال

الكتاب

- ١ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّينَ *^٢
- ٢ أَوْفُوا الكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ *^٣

١ - الكافي ١ / ٤٠٦.

٢ - سورة المُطَفِّينَ (٨٣) : ١.

٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٨١ - ١٨٢.

الحديث

١ النبي «ص»: إِذَا طُفِّفَتْ أُمَّتِي مِكيَالَهَا وَمِيزَانُهَا وَاخْتَانُوا وَخَفَرُوا الذِّمَّةَ وَطَلَبُوا بِعَمَلِ الآخِرَةِ الدُّنْيَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ، وَيُتَوَرَّعُ مِنْهُمْ ١.

٢ الامام علي «ع»: .. وَإِذَا طُفِّفَتِ الْمَكَايِيلُ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ وَالنَّقْصِ .. ٢.

* من الواضح أَنَّ هذه الاعمال تصدُرُ من اصحاب الاموال والمستغنين - بحسب الاغلب - فتضُرُّ بالجماهير عامَّةً وتجرُّ اليها الفقر والإقلال .

٣ الامام الباقر «ع»: .. أَنْزَلَ فِي الْكَيْلِ: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ»؛ وَلَمْ يَجْعَلِ الْوَيْلَ لِأَحَدٍ حَتَّى يُسَمِّيَهُ كَافِرًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» ٣.

و- الاستفادة على حساب بيت المال

الكتاب

١ - البحار ١٠٣ / ١٠٨، عن «نوادير الراوندي».

٢ - البحار ١٠٣ / ١٠٧، عن «امالي الطوسي».

٣ - تفسير «نور الثقلين» ٥ / ٥٢٧.

١ .. وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ..^١

الحديث

١ النبي «ص» - فيما وصّى به معاذ بن جبل، لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : .. وَأَنْفِذْ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ، وَلَا تَحَاشَ فِي أَمْرِهِ وَلَا مَالِهِ أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِوَلَايَتِكَ وَلَا مَالِكَ ..^٢

٢ الامام علي «ع» : .. يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ ..^٣

٣ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى بعضِ عُمَّالِهِ : أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ! كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَابًا وَطَعَامًا، وَأَنْتِ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا، وَتَشْرَبُ حَرَامًا، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمُؤْمِنِينَ الْمَجَاهِدِينَ الَّذِينَ آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ ..^٤

ز - اغتصاب المواهب العامّة

الكتاب

١ - سورة النساء (٤) : ١٦١.

٢ - تحف العقول / ٢٥.

٣ - نهج البلاغة ٥١: عبده ١ / ٣٠.

٤ - نهج البلاغة / ٩٥٧: عبده ٣ / ٧٤.

الفصل الثالث عشر: الاسلام والنظام التكاثري .. (٦)

- ١ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانِكِهِين *^١
- ٢ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ.^٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: .. فالأمطارُ هي التي تُطَبَّقُ الارضَ .. وبها يَسْقُطُ عن النَّاسِ في كثيرٍ من البُلدانِ مَوْنَةٌ سِيَّاقِ المَاءِ من موضعٍ الى موضعٍ، وما يَجْرِي في ذلك بينهم من التَّشَاجُرِ والتَّظَالُمِ، حتى يَسْتَأْثِرَ بالماءِ ذُوو العِزَّةِ والقُوَّةِ، ويُحْرَمُهُ الضُّعْفَاءُ.^٣

ح - ظلم الأجراء والفلاحين

الكتاب

- ١ وما ظَلَمْنَاهُمْ ولكنْ كَانُوا انْفَسَهُم يَظْلِمُونَ *^٤

١ - سورة الدُّخَانِ (٤٤) : ٢٥ - ٢٧.

٢ - سورة الواقعة (٥٦) : ٤٥.

٣ - البحار ٣ / ١٢٦.

٤ - سورة النحل (١٦) : ١١٨.

الحديث

- ١ النبي «ص»: من ظَلَمَ أَجيراً أَجرَهُ، أَحَبَطَ اللهُ عَمَلَهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ؛
ورِيحُهَا يُوجَدُ من مَسِيرَةِ خَمْسِ مِئَةِ عامٍ.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: وَصَّى رَسولُ اللهِ عَلِيّاً عِنْدَ وفاتِهِ فَقالَ : يا عَلِيُّ: لا يُظَلِّمُ
الفَلَّاحُونَ بِحَضرتِكَ ..^٢

وعى توحيدى هام

ربما يخطرُ ببالِ بعض، من الذين يُشاهدون الحرمانَ والعوزَ
والفاقةَ وانواعَ البؤسِ والمرضِ والشقاءِ في المعذَّبين
والمضطهدين والمساكين والبؤساء، وفي الذين رُضتْ عظامُهم
تحت نيرِ الاستغلالِ والامتصاصِ، ولا يدرون عللَ هاتيكِ الاصليةِ -
من السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والتربويةِ والسلوكيةِ - أنَّ
هذه كلها انما تتكوَّنُ بسببِ اقدارِ اللهِ التي جرتْ على حسابِ
المذكورين، من غيرِ أيِّ دخلٍ للانسانِ نفسه، او بيئته، او ابناءِ
نوعه، او حكومته، او علماءِ دينه وكيفيةِ وعيهم فيها؛ وهذا وهمٌ
باطل، اذِ الاقدارُ لا تظلمُ الناسَ نقيراً، بل انما الناسُ يظلمُ بعضهم
بعضاً، فما ظلمتُهُمُ الاقدارُ، ولكن كانوا انفسَهُم يظلمون .

ط - بيع الحاضر لباد

١ - ثواب الاعمال / ٣٣١ .

٢ - الكافي / ٥ / ٢٨٤ .

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: قال رسول الله «ص» في حديث: لا يبيع حاضر لباد، والمسلمون يرزق الله بعضهم من بعض^١.

* قالوا في تفسير قول النبي «ص»: «لا يبيع حاضر لباد».. ان الفواكه وجميع اصناف الغلات اذا حملت من القرى الى السوق فلا يجوز ان يبيع اهل السوق لهم من الناس، بل ينبغي ان يبيعه حاملوه من القرى والسواد^٢.

٢ النبي «ص»: لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض^٣.

ي - تلقي الركبان

١ الامام الصادق «ع»: لا تلق، فان رسول الله «ص» نهى عن التلقي^٤.

٢ الامام الصادق «ع»: لا تلق ولا تشترا تلقى ولا تأكل منه^٥.

يا - الزيادة في الاجارة الاولى

١ الامام الصادق «ع» - في الرجل يستاجر الدار ثم يواجرها باكثر مما

١ و ٢ - الوسائل ١٢ / ٣٢٧.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٢٨.

٤ و ٥ - الوسائل ١٢ / ٣٢٦.

استأجرها؟ قال: لا يصلح ذلك إلا أن يحدث فيها شيئاً^١.

يب - الزيادة في حقوق الاراضي

١ الامام الصادق «ع»: وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ! .. وَلَا يُزَادُ عَلَى أَرْضٍ وَضَعْتَ عَلَيْهَا^٢.

١ و ٢ - الكافي ٥ / ٢٧٣ و ٢٨٤.

نظرة الى الفصل

لا يَشْكُ أَيُّ نَابِهٍ، فِي أَنَّ «الاستغلال»، أَحَدُ ذَرَائِعِ الْمُتَكَاتِرِينَ لِاقْتِنَاءِ الْمَالِ الْكَثِيرِ وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ . فَلَاتَكَاتِرَ بِدُونِ اسْتِغْلَالِ، إِلَّا مِنْ أَصَابِ كَنْزًا أَوْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِ ذَهَبًا! وَإِنَّ الَّذِينَ يُسِنِدُونَ ثِرْوَاتِهِمُ الطَّائِلَةَ إِلَى سَعِيهِمْ وَقَدَرَتِهِمُ الْفِكْرِيَّةَ وَنَبُوغِهِمُ الْاِقْتِصَادِيَّ، فَالصَّحِيحُ - فِي الْاِغْلَبِ - أَنَّ ذَلِكَ بِمَعْنَى نَبُوغِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ طُرُقِ الْاِسْتِغْلَالِ وَالِاسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ، إِمَّا اسْتِغْلَالِ الْاِفْرَادِ، وَإِمَّا اسْتِغْلَالِ الظُّرُوفِ . وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنِ الْاِنتَاجِ وَالِاسْتِيرَادِ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي قَدْ تَخْفَى مَلَامِحُهُ .

وَيَلْزَمُ الْمُسْتِغْلِينَ أَنْ يُمَهِّدُوا السَّبِيلَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ بِالتَّنْذُرِ إِلَى مَا يُوَصِّلُهُمُ إِلَيْهَا، إِذِ النَّاسُ لَا يَحْتَمِلُونَ أَعْبَاءَ الْاِسْتِغْلَالِ بِبِسَاطَةٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِخْضَاعِهِمْ لِذَلِكَ . وَلَا بُدَّ لِإِخْضَاعِ النَّاسِ لِذَلِكَ مِنْ الْوَانِ مِنَ التَّأْمُرِ، مِنْهَا اسْتِئْصَالُهُمُ الْاِقْتِصَادِيَّ حَتَّى يَرْتَضُوا بِمَا يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ . وَمِنْهَا طَحْنُهُمُ السِّيَاسِيَّ حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى مَا يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ . وَمِنْهَا - وَهُوَ أَخْفَى تِلْكَ الْاَلْوَانِ وَاشْدُّهَا تَأْثِيرًا - دَفْعُهُمْ إِلَى تَبْنِيِ افْكَارٍ وَتِصَوْرَاتٍ تُسَوِّقُهُمْ إِلَى قَبُولِ الْاِسْتِغْلَالِ وَالْخُضُوعِ لِسُلْطَانِهِ، فَلِذَلِكَ يَسْعَى اَوْلَايْكَ وَيَدْفَعُونَ النِّفَقَاتِ لِاجْلِ اِيْهَامِ النَّاسِ بِمِزَاعِمَ فَاسِدَةٍ تُحَضِّرُهُمْ لِلِاسْتِسْلَامِ وَقَبُولِ الْاِسْتِغْلَالِ وَالظُّلْمِ، فَيَبْشُرُونَ هُنَا وَهَنَا، بِشَكْلِ وَاَسْعِ :

١ - أَنَّ الْفَقْرَ تَقْدِيرُ الْهَيِّ لِاسْبِيْلِ إِلَى دَفْعِهِ .

٢ - أَنَّ الْاِغْنِيَاءَ لَا دَخَلَ لَهُمْ فِي فِقْرِ الْفُقَرَاءِ وَاحْتِيَاجِ الْمُحْتَاجِينَ

أَبْدًا .

٣ - يَجِبُ الْاِسْتِسْلَامُ لِلْفَقْرِ، دُونَ أَنْ يُفَكَّرَ الْفَقِيرُ بِأَنَّ لَهُ حَقًّا مُضِيْعًا،

وعليه اخذه واستيفأؤه .

٤ - صحيحٌ أن يكونَ النَّاسَ متفاوتين في الامتلاكِ والاستهلاكِ والتَّعَمُّمِ والرِّفاهِ بدرجاتٍ كبيرةٍ باهظةٍ جداً .

٥ - أنَّ الغنيَّ اذا أعطى شيئاً لبائسٍ وسدَّ عوزَ محتاجٍ ، فقد تفضَّلَ عليه، وعلى الآخذ أن يشكره لأنه أطعمه واعطاه من ماله (لا من مالِ الله الذي خولَّه آياه، فهم فيه سواءٌ - كما جاء في القرآن الكريم^(١)).

٦ - أن حضورَ الفقيرِ في المجتمعِ وعمقه، امرٌ لا يُعارضُه الاسلامُ بل يُبرِّره ..^٢ وامثالُ هذه الاوهامِ الفكريةِ والأخطاءِ العقائديةِ .

وقد تردُّ امثالُ هذه الفكرةِ في اذهانِ القاصرين والبسطاء، قصوراً في فهمِ الدينِ وحكمةِ الخلقِ ومجاري الميزانِ والعدلِ . والذي أشرنا اليه بعضُ من الواقعِ لا كُله، لأنَّ لإشاعةِ امثالِ هذه الفكرةِ في النَّاسِ - ولا سيَّما المحرومينِ - مغازيَ أخرى. وهناك اياتٍ تسعى لذلك الهدفِ ضدَّ الانسانيِّ وضدَّ الاسلاميِّ، ولا تخفى على النَّابهين . ونحن نوقظُ الافكارَ لما هناك من غفلةٍ او تمويهٍ او دجلٍ ، حتى يتجلى الواقعُ في هذه المرحلةِ الحساسةِ من الزَّمنِ، فيوطئُ لفهمِ الحكمةِ القرآنيةِ في صنعِ المجتمعِ ودفعه الى التوازنِ والعدلِ والرُّقيِّ والتَّقدمِ والايمانِ الصادقِ الجليلِ .

إنَّ لله تعالى في أطوارِ خلقه شؤناً . ولقد سلفَ أن قلنا إنَّ الله خلقَ الخلقَ فقسَّمَ معيشتهم وقَدَّرَ ارزاقهم - كما ورد في القرآن والحديث - غيرَ أنَّ كيفيةَ ايصالِ الرِّزقِ الى العبادِ متفاوتة، لما هناك من الحكمةِ والتدبيرِ والافاضةِ في التَّسبيبِ . فمِن النَّاسِ مَنْ يرزُقُه اللهُ ويُمَوِّلهُ ويغنيه ويجعلُ

١ - سورة النحل (٦) : ٧١ .

٢ - هذا لازمٌ إشاعاتهم وإعلاماتهم، لأنَّ هؤلاء يعلمون أنَّ الاسلامَ يُقرُّ الحرِّيةَ في الامتلاكِ . والحرِّيةَ في الامتلاكِ اذا لم تُحدَّ (كمًا وكيفًا وتنفيذًا) تمهِّدُ للتكاثرِ . والتكاثرُ من عمدةِ اسبابِ الفقرِ والحرمانِ - كما رأيت الاحاديث التي تُصرِّحُ بهذا المعتقدِ الموضوعيِّ .

نظرة الى الفصل الثالث عشر..

رزقه في يده، من غير واسطة، بحسب الظاهر. ومنهم من يرزقه بواسطة آخرين، ويجعل رزقه في يد من هو مكلف بايصاله اليه واعطاء حقه له كَمَلًا، وإن كان الكل من الله تعالى^١. وذلك التوسيط أمر منوط بالحكمة والتدبير لا المحاباة والآثرة، كما جاء في الحديث، فيما خاطب به الامام جعفر الصادق «ع» أبان بن تغلب: «أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه؟ لا...»^٢. بل هناك تكليف وامتحان وتقدير ونظم. وهذا ما يصرح به الحديث، كما يقول الامام الصادق «ع»: «إن الله - تبارك وتعالى - أشرك بين الاغنياء والفقراء في الاموال، فليس لهم أن يصرّفوها الى غير شركائهم»^٣.

فعلى هذا الاساس، يتضح أن لله تعالى في تقسيمه المعيشة وايصاله الرزق الى ايدي الناس طريقين، مباشراً وغير مباشر. ففي هذا الضوء، لا يوجد في الناس من كتب عليه الفقر والمسكنة كتقدير ازلي، بحسب التشريع الالهي. فمن وجد في الناس فاقداً لرزق او مسكن او معيشة، فليس هذا من تقدير العزيز العليم، القادر الرحيم الحكيم، لأنه خلاف التقدير والعدل والرحمة والحكمة، بالضرورة العقلية والنقلية، بل هو من غضب الغاصبين وذنوب الظالمين، كما قرأت نبذة من احاديث هذا الموضوع، في فصول هذا الكتاب، وتقرأ.

فمن يجنح الى التكاثر او المتكاثرين، ويغفل او يتغافل عن وعي الحكمة التكوينية والتشريعية، فيتوهم شخصياً، او يعلم للناس أن الفقر أمر محتوم فرضه الله على الفقراء فرضاً^٤، وعليهم أن يقاروا على ذلك،

١ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧.

٢ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٣ - الوسائل ٦ / ١٥٠.

٤ - بين التقدير الالهي الاولّي، والذي يجري على الناس لظلم بعضهم بعضاً فرق، كما في القتل والفقر شبيه القتل ونظيره - كما اشرنا اليه سابقاً - ففي الظلم والقتل يكون اختيار الظالم له علة

فهو مضادٌ للدينِ وتعاليمه، لِأَنَّ النَّاسَ أَمَّا أَحْتَاَجُوا وَافْتَقَرُوا وَجَاعُوا وَعَرُوا بِذُنُوبِ الْاَغْنِيَاءِ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ النَّبِيِّ الْاَعْظِيمِ «ص»؛ وَالْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ «ع»، وَالْاِمَامِ الصَّادِقِ «ع» - كَمَا اوردنا اَحَادِيثَهُمْ - كَرَارًا. وَلِأَنَّ الْاِمَامَ عَلِيَّ بْنَ اَبِي طَالِبٍ «ع» يَدْعُو اِلَى عَدَمِ الْقَرَارِ عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَسَغْبِ مَظْلُومٍ،^١ وَلِأَنَّهُ يَقُولُ مَا هُوَ مَعْنَاهُ، اِنْ كَانَ الْحُكْمُ قَرَأْنِيًّا لَا يُوجَدُ فِي الْمَجْتَمَعِ فَقِيرٌ وَلَا عَائِلٌ مَحْتَاجٌ.^٢

تذييلان

١- في الأكل والمأكل الاقتصاديين

إِنَّ اِقْتِصَادَ الْاَكْلِ وَالْمَأْكُولِ،^٣ الْمَبْتَنِي عَلَى أُسُسِ التَّكَاتُرِ وَالتَّعَدِّي وَالتَّمْوِيهِ (والتَّسْتَرِّ بِاسْمِ الدِّينِ فِي الْجَمْعَاتِ الدِّينِيَّةِ)، اَمْرُنَا شَىءٌ مِنْ اُمُورِ، مِنْهَا خُلُقِيَّاتٌ خَاصَّةٌ بِهَذَا الْاِقْتِصَادِ وَاهِلِهِ، كَالشَّقَاوَةِ وَالْقَسَاوَةِ وَالْبُخْلِ وَالْحَرَصِ وَمَوْتِ الْاِحْسَاسِ وَفَقْدِ الضَّمِيرِ. وَمِنْ هُنَا تُسْحَقُ عَوَاطِفُهُمُ الْاِنْسَانِيَّةُ فَلَا يُوجَدُ لَدَيْهِمْ رَحْمٌ اَوْ شَفَقَةٌ اَوْ جُودٌ اَوْ سَمَاحَةٌ اَوْ اِيثَارٌ. وَإِنَّ الْجُنُوحَ اِلَى الْمَعْنَوِيَّاتِ لَدَيْهِمْ يُعَدُّ - فِي الْاِغْلِبِ الْاِغْلَبِ - سَبَبًا مِنْ اَسْبَابِ الْاِسْتِغْلَالِ وَمُبَرَّرًا لِضَرْبَاتِهِمُ الدَّامِغَةِ عَلَى هَيْكَلِ الْجُمَاهِيرِ، وَعَامِلًا لِتَسْكِينِ ضَمَائِرِهِمْ - اِنْ كَانَتْ هُنَاكَ ضَمَائِرٌ - يَقُولُ الْاِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّجَادِ «ع»: «.. النَّاسُ فِي زَمَانِنَا عَلَى سِتِّ طَبَقَاتٍ: اَسَدٌ، وَذَنْبٌ، وَتَعَلْبٌ،

لتقديره . وكلما سُجِبَتِ الْعَلَّةُ سُجِبَ الْمَعْلُولُ . وَالْاَمْرُ بِاِقَامَةِ الْعَدْلِ وَمُكَافَحَةِ الظُّلْمِ وَالْفَقْرِ، يَكُونُ مِنْ بَابِ سُجِبِ الْعَلَّةُ، فَافْهَمِ .

١ - نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده ١ / ٣٢.

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ٣١.

٣ - أنظر من الفصل، الى فقرة «ج» واحاديثه .

نظرة الى الفصل الثالث عشر..

وكلب، وخنزير، وشاة...» - الى آخر حديثه الشريف المنقول في المتن .
يُشير الامام المعلم في حديثه هذا الى تلك العلاقات اللانسانية والظالمة
الاجتماعية في الاموال والحقوق، ويصور تلك العلاقات الجائرة بتلك
الصورة الجليلة، حتى يُوقف البشرية المضطهدة عليها وعلى سلبياتها .
وهذا مع ان التاريخ لم يسمح للائمة الطاهرين «ع» بمجال لان يبنوا
مجتمعا اسلاميا قرانياً، ولان يعملوا على تطبيق الاقتصاد الاسلامي، ولان
يحولوا المجتمع الانساني الى بيت واحد كبير، ولان يحكموا الصلات
الانسانية والاخوية بين الجماهير والشعوب، الصلات الداعية الى
«المواساة»، الباعثة على «المساواة»، غير ان تعاليمهم كلها لا ترمي الى
غرض غير هذه المذكورات .

فالدين الاسلامي المحمدي لا يقر اقتصاداً يؤدي الى اكل القوي
للضعيف، والى كون بعض الناس اسداً وذبياً ضارياً وكلباً بالنسبة الى
المحرومين والمغلوبين الاقتصاديين . ان دين محمد «ص»، لا يرى حياة
مجتمع حياة اسلامية اذا كانت مليئة بالعدوان المالي والمعيشي، ينغمس
جمع من اهلها في النعيم، وتغمر اطفالها النعومة والترّف، مع انه توجد هناك
بطون غرثى واكبأد حرّى، وآناس لاعهد لهم بالشبع ولا طمع لهم في
معيشة بسيطة زهيدة، واجساد نحيفة وعظام مرضوضة تحت نير الكدح
والعمل، ومساكين يعيشون - او قل : يموتون تدريجاً - في الخرائب
والاكواخ . وهذا يعم - مع الأسف - البلدان الاسلامية كلها، وسكانها
مسلمون، يدعون الاعتقاد بالاسلام ويتبنون هذا الدين، مع انه ورد عن نبي
الاسلام «ص»: «من أصبح لايهتّم بامور المسلمين فليس منهم»، و«ما
آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»^٢.

١ - الكافي ٢ / ١٦٤ .

٢ - الكافي ٢ / ٦٦٨ .

وهناك ملاكات في التعاليم الاسلاميّة تحضّنا على أن نكون مهتمّين
بامر جميع المستضعفين في مشارق الارض ومغاربها، فهم مخلوقوا الله،
المحرومون، المضطهدون .

٢- في استغلال الناس وبخسهم حقوقهم واشياءهم

من اهم اهداف الانبياء، إمحاء الاستغلال بكل ماله من الصّور
العينيّة والمظاهر الملموسة . وإنّ اهميّة هذا الهدف تبلغ الى درجة كان
الانبياء يدعون الناس اليه بعد الدّعوة الى معرفة الله وعبادته . ومن هنا
صار القسط وتجسيده هو المظهر الاجتماعيّ للشريعة التوحيدية والدليل
على تطبيقها : «والى مدين اخاهم شعيباً قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من
إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان ..»^١، «ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقسط ..»^٢.

ولقد جاءت في آية اخرى، أنّ النبيّ شعيباً «ع» بعد أن دعا الناس الى
عبادة الله واقام البيّنة والحجة على دعواه وركّز موقعه الالهيّ، عمد الى
موضوع القسط بالامر بايفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس
اشياءهم : «والى مدين اخاهم شعيباً قال: يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله
غيره، قد جاءكم بينة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ..»^٣.

هذه الآيات تُوضّح بجلاء، أنّ الإقدام على تصحيح الصّلات
الاقتصادية وتركيز نظام عادل، كان امراً تكليفيّاً واجباً في رسالة الانبياء
والمرسلين، وكان في مقدّم حركاتهم الرّسالية ونشاطاتهم الاعلامية . وهو
من لوازم عبودية الله، ومن التمهيدات الاصلية لصنع المجتمع

١ و ٢ - سورة هود (١١) : ٨٤ - ٨٥.

٣ - سورة الاعراف (٧) : ٨٥.

نظرة الى الفصل الثالث عشر ..

التَّوْحِيدِيَّ . اذ الفساد الاقتصادي من اهم مناشئ الفساد الاجتماعي .
ولذلك جاء النهي عن الفساد متصلًا بالنهي عن الاستغلال ببخس الناس
اشياءهم وحقوقهم في قوله تعالى، في سورتي «هود» و«الشعراء» :
«وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»^١ . ولقد أكد
المعنى المراد بذكر كلمتين لمعنى واحد : «لا تعثوا» و«مفسدين» . وهذه
الحكمة البيانية تُفيدُ عمق الفساد الناشئ من الاستغلال وبخس حقوق
الآخرين . وإنَّ تعبير «في الارض» ، ترسم اتساع رقعة الفساد الاقتصادي
وذيوعه هنا وهناك حتى يغمُر الارض ، لِأَنَّهُ يُمَهِّدُ لِسَائِرِ الْوَانِ الْفَسَادَ ، كما
جاء بيانه في فصول هذا الكتاب .

وبما أنَّ الامام عليَّ بن ابي طالب «ع» كان يَحْذُو حَذْوَ الْاَنْبِيَاءِ «ع» ،
فقد أقدم من أول امره في خلافته، على مجابهة الفساد الاقتصادي، فقال
قولته الرنانة المشهورة : «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَ النَّسَاءِ وَمَلَكَ بِهَ الْاِمْاءُ
لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً؛ وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجورُ عَلَيْهِ أَضِيقُ»^٢ .
وبعد الامعان في ابعاد الحياة الانسانية، يتضح جلياً أنَّ الثورة
الاجتماعية المصلحة لا تتحقق الا اذا عمت جميع نواحي حياة الانسان
المادية والمعنوية وصححت الصلات الاقتصادية ايضاً . ولقد جاء في
القرآن الكريم، النهي عن نقص المكيال والميزان في مواضع متعدده، مع
انه ليس باهم مصاديق الظلم الاقتصادي . وهذا إن دل على شيء، فيدل
على اهمية الثورة الاقتصادية الكبيرة في منطقي الدين ومنهجه الثوري .
ثم إنَّ بخس الناس اشياءهم، يشمل الوان الاستغلال - ضرورة افادة
الجمع المضاف العموم، كالمحلّي بال التعريف - ولعله يعم - مناطاً -
اعمال العمال وأجورهم ايضاً فلايجوز أن تبخس . ولو قوع البخس

١ - سورة هود (١١) : ٨٥ ، وسورة الشعراء (٢٦) : ١٨٣ .

٢ - نهج البلاغة / ٦٦ : عبده / ١ / ٤٢ .

والاستغلالِ سببانِ اساسيَّانِ اشارت اليهما الآياتُ القرآنيَّةُ :

١ - الصَّلَاتُ الاقتصاديَّةُ الفاسدةُ .

٢ - نفسُ المفسدين الاقتصاديَّين، العائنين، المُخسرين .

الفصلُ الرَّابِعُ عشر

الاسلام والنظام التّكاثريّ الاترافيّ، كفاح رجب (٧)

- التّكاثر والاستضعاف

أ- الاستضعاف الاقتصاديّ

الكتاب

- ١ فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما نراك إلا بشراً مثلنا، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ..^١
- ٢ .. ولا أقول للذين تزددري أعينكم، لن يؤتيهم الله خيراً ..^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : أترجو أن يُعطيك الله اجر المتواضعين، وانت عنده من

١ و ٢ - سورة هود (١١) : ٢٧ و ٣١.

المتكبرين؟ وتطمع - وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة - أن
يوجب لك ثواب المتصدقين ..؟^١

٢ الامام علي «ع» : .. لقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هارون - صلى الله
عليهما - على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي، فشرطا
له ان اسلم، بقاء ملكه ودوام عزه، فقال : «ألا تعجبون من هذين، يشرطان
لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا القي
عليهما أساور من ذهب؟!» اعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف
ولبسِه ..^٢

٣ الامام علي «ع» : .. وأما الاغنياء من مترفة الأمم، فتعصبوا لآثار مواقع
النعم، فقالوا : «نحن اكثر اموالاً واولاداً، وما نحن بمعذبين»^٣.

ب - الاستضعاف الثقافي

الكتاب

- ١ قالوا: يا شعيب! ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ..^٤
- ٢ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم:

١ - نهج البلاغة / ٨٧١ : عبده ٣ / ٢٣ .

٢ - نهج البلاغة / ٧٩٠ : عبده ٢ / ١٦٨ - ١٦٩ .

٣ - نهج البلاغة / ٧٩٩ : عبده ٢ / ١٧٥ .

٤ - سورة هود (١١) : ٩١ .

- ١ اتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه؟ قالوا: انا بما ارسل به مؤمنون *
- ٣ قالوا: انؤمن لك واتبعك الارذلون؟ *
- ٤ .. يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا انتم لكانا مؤمنين *

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: ألا! فالحذر، الحذر، من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم.. فإنهم قواعد اساس العصبية، ودعائم اركان الفتنة.. وهم اساس الفسوق، واحلاس العقوق؛ اتخذهم ابليس مطايا ضلال، وجنداً بهم يصول على الناس، وتراجمة ينطق على السنتهم، استراقاً لعقولكم، ودخولاً في عيونكم، ونفتاً في اسماعكم، فجعلكم مرمى نبهه، وموطئ قدمه، وماخذيده. فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم، من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته .. واستعيذوا بالله من لوائح الكبر، كما تستعيذون [به] من طوارق الدهر.. *

الفات نظر

لقد جاء في مقال كتبه بعض العلماء^٥ عن «المستضعفين في القرآن» ووقوف الكتاب السماوي بجانبهم، مايلقي ضوءاً على

١ - سورة الاعراف (٧) : ٧٥.

٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ١١١.

٣ - سورة سبأ (٣٤) : ٣١.

٤ - نهج البلاغة / ٧٨٥ - ٧٨٦: عبده / ٢ / ١٦٦ - ١٦٧.

٥ - وهو العالم الفاضل، السيد محمد حسين فضل الله اللبناني.

مارمناه من عقد هذا الفصل، يعني عملية تغلب المستكبرين والطواغيت الاقتصاديين على هؤلاء المضطهدين اقتصادياً وثقافياً، وجعلهم في حضيض الدُّل والاستعباد، فنورد للمناسبة مقاطع منه: «لقد تحدث القرآن الكريم عن المستضعفين، من خلال واقع الاضطهاد الذي يمارسه الطغاة والمستكبرون ضد الفئات الضعيفة التي لا تملك من اسباب القوة المادية، الوسائل الفعالة للمقاومة، فتستسلم وتستكين لما يريد هؤلاء من شؤون العقيدة والحياة من دون اعتراض او مناقشة؛ بل القضية كل القضية عندهم فيما يعرض عليهم، ان ذلك هو عقيدة السادة الاقوياء فلنعتقدها، وان هذه هي شريعتهم فلنسر عليها، وانها ارادتهم فلننفذها.

«انها قضية القوة والضعف، عندما يتحركان في الحياة من موقع الاستغلال والسيطرة، بعيداً عن المبادئ الاساسية التي تحكم السلوك الانساني، فتخطط له طريقته في العلاقات العامة والخاصة، وفي طبيعة التعامل، الامر الذي يجعل من حركة الحياة تعبيراً عن حركة الاقوياء. اما الضعفاء فانهم لا يمثلون الا الصدى الواهن الضعيف الذي يستمد وحيه وفعالته من وحي الاقوياء، ولا ينطلقون الا من خلال الارادة المسحوقة المقهورة تحت ضغط ارادة الطغاة، فتتعطل ازاء ذلك كل حيوية الطاقات التي يملكونها، والفعاليات الكبيرة التي يمكن ان يتحركوا من خلالها في عملية بناء وتفجير. وقد لا يقتصر الامر على شعور الضعفاء بالانسحاق والتضاؤل امام الارادة القوية القاهرة، بل هناك القناعة الطاغية التي تعيش في وعي الاقوياء بان الضعفاء لا يملكون امر تقرير مصيرهم، او اختيار قناعاتهم، او التحرك في حياتهم الا من خلال ما يقررونه او يختارونه لهم في شؤون الايمان والحياة والمصير.

الفصل الرابع عشر: الاسلام والنظام التكتائري .. (٧)

ولذلك فهم يُؤكِّدون لهم قَداسةَ المركزِ الذي يَضَعون انْفُسَهم فيه، وَيَزْرَعُونَ في داخِلِهِمُ الاوهامَ الكبيرةَ حَوْلَ الاسرارِ العميقةِ الغامضةِ التي يَمْلِكُونها على اساسِ علاقتِهِم بِالآلهةِ،^١ بالمستوى الذي يَجْعَلُهُم في موقعِ الآلهةِ الصَّغارِ، الذي يَجِبُ على النَّاسِ تقديمُ فروضِ الطَّاعةِ العمياءِ لهم. وبذلك يَتَحَوَّلُ انسحاقُ الضُّعفاءِ الى عبادةٍ ذاتيةٍ يَشْعُرُونَ فيها أَنَّهُم يُمارِسُونَ قناعاتِهِم الرُّوحيةَ، والتي تَمْنَحُهُم السَّعادةَ في الدُّنيا والآخرةَ .

«وهذا هو أخطرُ انواعِ الاستغلالِ، لِأَنَّهُ يُوحى للضعفاءِ بأنَّهُم لا يَخضعون للقويِّ من خلالِ قوَّتِهِ لِيَعيشُوا الشُّعورَ بالاستغلالِ من خلالِ ذلك .. بل يَعتَقِدُونَ بأنَّهُم يَخضعون لِلسَّرِّ الالهيِّ المُودِعِ فيه، مما يُعطلُّ كُلَّ انتفاضةٍ او تمردٍ في داخِلِهِم، وكلَّ حركةٍ ترمي الى انقاذِهِم من هذا الواقعِ، لِأَنَّهُم يَعتَبِرُونَ ذلك كُفْراً او هَرطَقَةً او تحطيماً للقَداساتِ الرُّوحيةِ والعاطفيةِ المرتبطةِ بالتُّراثِ المغموسِ بالاسرارِ .

«تلك هي بعضُ ملامحِ الصُّورةِ في البداية، فيما نلتقيه من مفاهيمِ الضَّعفِ والقوَّةِ، من خلالِ القرآنِ الكريمِ، فكيف نَسْتَطِيعُ أن نَسْتُوضِحَ الصُّورةَ كاملةً؟

«هذا هو ما نُحاولُ أن نَسْتَعْرِضَهُ من خلالِ الآياتِ القرآنيةِ، التي عالجتْ موضوعَ الضُّعفاءِ والمستضعفينِ في مواجهةِ الأقوياءِ والمستكبرينِ .

«المستضعفون في مواكبِ الانبياءِ : لقد واجهَ الانبياءُ - منذُ البداية - اعتراضاتِ الاقوياءِ والمُتَرَفِّينِ والمستكبرينِ، على الجماعاتِ الفقيرةِ الضَّعيفةِ «المردولةِ» اجتماعياً، التي تُعتبرُ

١ - او بالدين ورجالِهِ ومُؤسَّساتِهِ ونفقَاتِهِ (المفروضةِ عليه)، في المجتمعاتِ الدِّينيةِ ..

القاعدة العريضة للدَّعَوَاتِ الرَّسَالِيَّةِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنَ الْانْبِيَاءِ . وَ كَانَتْ هَذِهِ الْاِعْتِرَاضَاتُ تَتَحَرَّكُ مِنْ مَوْقِعِ الْاِحْتِقَارِ لِهَذِهِ الْفِئَاتِ الْمُسْتَعْبَدَةِ الَّتِي لَا تُمَثِّلُ أَيَّ حَجْمٍ كَبِيرٍ فِي الْمَقَائِيسِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِلقُوَّةِ، مِمَّا يَمْنَعُ الْفِئَاتِ الْقَوِيَّةَ الْمُتَقَدِّمَةَ مِنَ الْاِنْتِمَاءِ إِلَى هَذِهِ الدَّعَوَاتِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَرَاكِزِهِمُ الْعَالِيَةِ الَّتِي تَحْتَفِظُ لِكُلِّ اَوْضَاعِهِمْ، بِمَسْتَوَى مُتَمَيِّزٍ عَنِ الْآخَرِينَ ..

«وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْمَوْقِفِ النَّبَوِيِّ، عَلَى هَذَا الْجَانِبِ، بَلْ دَفَعَ الْقَضِيَّةَ فِي اتِّجَاهٍ اقْوَى؛ فَقَدْ كَانَ رَدُّ الْفِعْلِ لَدَى الْانْبِيَاءِ تَجَاهَ هَذِهِ الْاِعْتِرَاضَاتِ، هُوَ الْاِيْحَاءُ الْحَاسِمُ لِلْمُعْتَرِضِينَ بِأَنَّ الْاِنْسِجَامَ مَعَهُمْ يُفْقِدُهُمْ مَوَاقِعَهُمُ الرَّسَالِيَّةَ أَمَامَ اللَّهِ، وَيُعْطِلُ دَوْرَهُمْ وَيُلْغِي مُهِمَّتَهُمْ، لِأَنَّهُ يُحَوِّلُهُمْ إِلَى اِشْخَاصٍ يَبْحَثُونَ عَنِ النَّجَاحِ مِنْ خِلَالِ الْمَوَاقِعِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، لَا مِنْ خِلَالِ الْمَوَاقِعِ الرَّسَالِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُهُمْ بَعِيدِينَ عَنِ اللَّهِ فِي اَوْضَاعٍ غَرِيبَةٍ لَا طَعْمَ لَهَا وَلَا لَوْنَ ..

«وَخِلَاصَةُ الْفِكْرَةِ الَّتِي نَسْتَوْحِيهَا مِنْ قِصَّةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَوْكِبِ الْانْبِيَاءِ، أَنَّ الْفِئَاتِ الْمُسْتَضْعَفَةَ فِي الْمَجْتَمَعِ هِيَ الْقَاعِدَةُ الصُّلْبَةُ الْكَبِيرَةُ لِلدَّعَوَاتِ الْخَيْرَةِ، وَلِلرَّسَالَاتِ الْاِلَهِيَّةِ، لِأَنَّهَا تَلْتَقِي بِتَطَلُّعَاتِهَا وَمَطَامِحِهَا وَأَمَانِيَّهَا فِي الْحَيَاةِ، فَتُحْسُّ - مِنْ خِلَالِهَا - بَعْدَةَ اِنْسَانِيَّتِهَا الْمَقْهُورَةِ الْمَهْدُورَةِ إِلَيْهَا وَتَرْتَفِعُ بِهَا إِلَى الْقِمَمِ الْكَبِيرَةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَعْمَلُ الْآخَرُونَ مِنَ الطُّغَاةِ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ إِلَى اِبْقَائِهَا فِي الْحَضِيضِ . وَلِأَنَّهَا لَا تَعِيشُ التَّعْقِيدَاتِ النَّفْسِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ وَالْمَادِّيَّةَ الَّتِي تَحْجُبُهَا عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْاِيْمَانِ بِهَا، مِمَّا يَجْعَلُهَا بَعِيدَةً عَنِ مَوَاقِعِ التَّعْنُتِ وَالتَّعْصَبِ الْاَعْمَى، فِي الْحَالَاتِ الَّتِي تَرْتَفِعُ عَنْهَا الضُّغُوطُ الْمَبَاشِرَةُ

التي يُمارسها الأقوياء ضدها .
«وعلى ضوء هذا، فإن المهمة الكبيرة التي تنتظر الدعاة الى الله، هي الاهتمام بالعمل في اوساط المستضعفين . وذلك بتفجير الطاقات الكبيرة الموجودة في داخلهم، ومحاولة الانفتاح على آمالهم وآلامهم في صعيد الواقع، لإبعادهم عن استغلال تيارات الكفر والضلال لهم .. والإيحاء لهم بروح الاحترام لإنسانيتهم ولاوضاعهم الخاصة والعامة، ورفض التمييز الطبقي الاجتماعي الذي يخضع التقييم لعوامل طارئة لا يؤمن فيها الاسلام ..
«إن علينا أن نستفيد من الانبياء، كيف انطلقوا من مواقع المستضعفين، بعيداً عن كل اوضاع المترفين، فاستطاعوا أن يمنحوا رسالاتهم قوة دفع عظيمة لا تختنق بمواقع الترف ونزواته، بل تخلق مع النور السابح في اجواء الحياة، المتفجر من ينابيع الفطرة السليمة للمؤمنين ..»^١.

تنبيه

يَجِبُ علينا - كل الوجوب - أن لا نغفل عن أن الاوضاع في المجتمعات الاسلامية ايضاً، لا تفرق عما جاء في المقال المذكور بصدد المجتمعات الجاهلية، وإن افرق الاسم والشكل . وذلك

١- ولاهمية هذا الكلام، وسمو دعوته وايقاظه، وتطابقه التام مع الاتجاه القرآني في الموضوع، نكرره نحن ايضاً: «إن علينا أن نستفيد من الانبياء، كيف انطلقوا من مواقع المستضعفين، بعيداً عن كل اوضاع المترفين، فاستطاعوا أن يمنحوا رسالاتهم قوة دفع عظيمة لا تختنق بمواقع الترف ونزواته، بل تخلق مع النور السابح في اجواء الحياة، المتفجر من ينابيع الفطرة السليمة للمؤمنين».

ومن الأحب، أن الانطلاق من مواقع المستضعفين والبعد عن كل اوضاع المترفين، امر لا يجسده صرف الشعار، مع الانحياز الى الفئة الثانية والاهمال في امر الفئة الاولى .

لعدم تَغْلُغِ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَاخْلَاقِهِ وَانْسَانِيَّاتِهِ وَاحْكَامِهِ فِي أَجْوَاءِ حَيَاةِ الْاَغْنِيَاءِ وَالمُتْرَفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَدَمِ اصْطِبَاغِهَا بِصِبْغَةِ تَلْكَمُ التَّعَالِيمِ - فِي الْاَعْمِ الْاَغْلَبِ - فَنَحْنُ إِذَا لَحَظْنَا الْاِسْتِضْعَافَ وَالمُسْتِضْعَفِينَ فِي تَلْكَ المَجْتَمَعَاتِ وَوَقَّفْنَا عَلَى اَحْوَالِ المَحْرُومِينَ وَالمَقْهُورِينَ، وَآمَعْنَا النِّظْرَ فِي ذَلِكِ التَّعَامُلِ غَيْرِ الْاِسْلَامِيِّ - بَلْ ضِدَّهُ - الَّذِي يَقُومُ بِهِ اَغْنِيَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْاَقْوِيَاءُ مَعَ مُسْتِضْعَفِيهِمْ، نَرَى الْاَمْرَ يُوَافِقُ مَا مَرَّ فِي الْمَقَالِ عَنِ الْجَاهِلِيِّينَ، الْبُعْدَاءِ عَنِ تَعَالِيمِ الْمُرْسَلِينَ .

وَذَلِكَ لِأَنَّ هُنَاكَ اَيْضاً تُشَاهَدُ قَنَاعَةٌ طَاغِيَةٌ تَعِيشُ فِي وَعْيِ الْاَغْنِيَاءِ وَالْاَقْوِيَاءِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ، بَأَنَّ الضُّعْفَاءَ لَا يَمْلِكُونَ اَمْرَ تَقْرِيرِ مَصِيرِهِمْ وَ.. اِلَّا مِنْ خِلَالِ مَا يُقَرَّرُونَهُ اَوْ يَخْتَارُونَهُ لَهُمْ فِي شُؤْنِ الْاِيْمَانِ وَالحَيَاةِ وَالمَصِيرِ . وَهَؤُلَاءِ الْاَغْنِيَاءُ الْكِبَارُ اَيْضاً يُؤَكِّدُونَ لِلضُّعْفَاءِ قَدَاسَةَ مَرْكَزِهِمْ عَلَى اَسَاسِ عِلَاقَاتِهِمْ بِالَّذِينَ وَعِلْمَانِهِ، وَدَفَعِهِمُ النِّفَقَاتِ لَهُمْ وَالمَاهِيِ الْاَغْيَضُ مِنْ فَيْضِ، مِمَّا اَمْتَصَّوهُ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ .

وَهَذَا مِنْ اَخْطَرِ اَنْوَاعِ الْاِسْتِغْلَالِ، حَيْثُ يُوحِي لِلضُّعْفَاءِ بِأَنَّهَمْ يَخْضَعُونَ لِمَوْقِعِ الْهَيِّ مَقْدَسِ، وَلَا شَخَاصٍ مَقْدَسِينَ، مِمَّا يُعْطَلُ كُلُّ اِنْتِفَاضَةٍ اَوْ تَمَرُّدٍ فِي دَاخِلِهِمْ وَكُلِّ حَرَكَةٍ تَرْمِي اِلَى اِنْقَاذِهِمْ مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ السَّاحِقِ .

وَلَقَدْ جَرَّأَ هَؤُلَاءِ الْمُتَمَيِّزِينَ الظَّالِمِينَ عَلَى اِسْتِمْرَارِهِمْ فِي الظُّلْمِ وَالْاِمْتِصَاصِ، اقْتِرَابُ الْعِلْمَاءِ مِنْهُمْ وَقَبُولُ النِّفَقَاتِ مِنْ اَيْدِيهِمْ، مَعَ أَنَّ التَّعَالِيمَ رَدَّعَتْهُمْ عَنْ هَذَا وَأَمَرَتْهُمْ بِاِبْعَادِهِمْ وَتَرْكِ مَخَالَطَتِهِمْ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَرْمِي اِلَى هَذَا الْغَرَضِ بِاِبْرَادِ قِصَصِهِمْ فِي الْغَابِرِينَ، وَأَنَّ سِيرَةَ الْاَنْبِيَاءِ وَالْاَوْصِيَاءِ تَرَفُّضُ هَذَا

الاقتراب رفضاً

من الموقظِ جداً، بعد الوقوفِ على كلامِ عالمٍ معاصرٍ يفهمُ حياةَ الانسانِ الحديثِ، ويعي العصريّة، ويُلَبّي نداءَ القرآنِ في «الانطلاقِ من مواقعِ المستضعفينِ والابتعادِ عن كلِّ اوضاعِ المترفينِ، أن نَقِفَ على كلامِ عالمٍ زاهدٍ قد سبقَ على هذا العصرِ بقرون، حتى نَلْمَسَ باليدِ، أن أمرَ «مقاطعةِ الاغنياء» واجبٌ لا يُمكنُ أن يظفرَ أيُّ داعٍ او عالمٍ او مصلحٍ او ثائرٍ، بأيِّ اصلاحٍ او تغييرٍ، بدونِ تجسيدهِ الفعليِّ الشاملِ الصريحِ. فاليك كلامَ الشيخِ الجليلِ الزاهدِ، ابي محمّدِ الحسنِ بنِ ابي الحسنِ الديلميِّ، من علماءِ القرنِ السابعِ :

«وَأَعْلَمُ! أَنَّ إِحْيَاءَ دِينِ اللَّهِ، وَإِعْزَازَ كَلِمَتِهِ، وَامْتِثَالَ أَوْامِرِ الرُّسُلِ وَالشَّرَائِعِ، وَنَصْرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَانْتِشَارَ دَعْوَتِهِمْ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ «ص»، لَمْ تَقُمْ إِلَّا بِأَوْلَى الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ . أَوْلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، وَبَيَّنَّ لَكَ أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ لِانْكَارِ الشَّرَائِعِ، هُمُ الْإِغْنِيَاءُ الْمُتْرَفُونَ وَالْأَشْرَافُ الْمُتَكَبِّرُونَ ..»^١

١ - راجع : الفصل ٢٣، من هذا الباب.

١ - ارشاد القلوب / ٢٢٣ - ٢٢٤. راجع ايضاً: الفصل ٢٢ و الفصل ٥٠، من هذا الباب .

نظرة الى الفصل

لعلّ الفصول السّالفة قد توفّقت الى الآن - بما فيها من الآيات والاحاديث - لآن يُشرّح جسد النظام التّكاثريّ الاترافيّ^١. وإنّ ثقافة الاسلام الاقتصاديّة هي بذاتها تُشرّح هذا الجسد وتكشّف الغطاء عن مضاعفاته السرطانيّة المهلكة للفرد، المُدمّرة للمجتمع، وتسلّط الأضواء على تأثيراته السيّئة على العقل والقطرة والقلب والضمير والاخلاق والدين والثّقافة والفنّ والحكم والسياسة والادارة والتقنين والقضاء والدّفاع، وعلى كيان الانسان وشخصيّة المجتمع.

ومن الجليّ أنّ الاستكبار والاستضعاف متلازمان، فلا يُستضعف قومٌ الاّ بايدي مستكبريهم، وأنّ الاستكبار الاقتصاديّ يُمهّد ارضيّة الاستكبار الاخلاقيّ والنفسيّ، كما أنّ الفقر والاستضعاف يُمهّدان ارضيّة الاستضعاف الفكريّ والخلقيّ. ولقد اوضحنا في الفصل السّابق، عند ماتكلّمنا عن صلة التّكاثر والاستغلال، أنّ المُستغلّين يعمدون الى الذرائع التي تُوصّلهم الى غاياتهم. ومن تلك الذرائع هو الاستضعاف نفسه. فإنهم يستضعفون الناس ويستخفون بقيمهم، ويتهمون الثوّار المُحقّين والاحرار النّابيين باتّهامات واهية؛ كلُّ ذلك لاجل ان يصفو الجؤلهم ولاهدافهم الاستغلاليّة والتّكاثريّة والاترافيّة، ولئلا يتلاطم الهدوء الذي فرضوه قسراً على الاذهان والافكار.

١ - ولنا الى تمام الفصول التي عقّدناها لهذا الكفاح الرّحب (وهي ١٥ فصلاً)، كلامٌ حول هذا التّشريح، مُستقن من القرآن والحديث، كما هو منهُج كتاب «الحياة» وجوهرة ولُبّاه، وإن كُنّا غير محتاجين - بعد نفس الآيات والاحاديث الواردة في تلك الفصول - الى شيء.

نظرة الى الفصل الرابع عشر ..

وهذا الاستضعافُ الَّذِي يَضْرِبُونَهُ كِمِعْوَلٍ هَدَّامٍ عَلَى شَخْصِيَّةِ
الجماهيرِ وعقولِها لِكَيْلا تَهْتَدِيَ الى رُشْدِها الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ
والحقوقيّ، يَسْعَوْنَ لتطبيقه في البُعدين :

١ - الاقتصاديُّ .

٢ - الثقافيُّ .

أما في البُعدِ الأوَّل، فيزْدُرُونَ المؤمنين الخُلَصَ الصَّامدين، مِمَّنْ يَقُومُ
في وجههم، فيُعَيِّرُونَهُم بالفقرِ وقِلَّةِ المالِ وفقدِ سائرِ الادواتِ الحياتيةِ .
وأما في البُعدِ الثاني، فيُجَابِهونَ جمعاً آخرَ من الصَّامدين ويُصَغِّرُونَ
قِيَمَهُم الدِّينِيَّةَ والاخلاقِيَّةَ (الَّتِي يَتَوَفَّرُونَ عليها، الى حدِّ يُضْحُونَ في
سبيلِ تركيزِها النَّفُوسَ وَيَبْذُلُونَ الدِّمَاءَ)، فيقولون لهم : نحنُ لَنَنْفَقُهُ ما
تقولون !

وهذا الواقعُ الاجتماعيُّ المرُّ، قد شَرَحَهُ كلامُ اميرالمؤمنين في وصفِ
موسى «ع» وهارونَ «ع» ودخولِهما على فرعون - الَّذِي نقلناه في الفصل
- احسنَ شرحٍ، فراجعُه وَاقْرَأْهُ بامعانٍ، وراجع : «نهج البلاغة» وَاقْرَأْ
هناك تمامَ كلامه .

والَّذِي نَسْتَفِيدُهُ كنتيجةٍ لهذه المباحثِ والمُطالعاتِ، أَنَّ الانسانَ
المسلمَ الصَّالحَ، لا يُرَبِّي في حِضْنِ التَّكاثُرِ والِاتِرافِ والرَّأسماليَّةِ
والاستكبارِ الماليِّ والاقتصاديِّ . وكذلك المجتمعُ المسلمُ الصَّالحُ لا يَجِدُ
سبيلاً الى الوجودِ مع حاكميَّةِ المناهجِ الماليَّةِ التَّكاثريَّةِ .

وأما الزَّعمُ الَّذِي يَقُولُ بأنَّه مِنَ الممكنِ أَنْ يكونَ التَّكاثُرُ حاضراً في
مجتمعٍ دونَ أَنْ يكونَ حاكماً وسائداً، فهذا اما غَفْلَةٌ او تَغافلٌ، لِأَنَّ ذلكَ مِنَ
المحالاتِ، كما اشرنا اليه في المقدِّمة، وأوضحناه في الفصلِ العشرينِ،
من هذا الباب، فراجع .

الفصل الخامس عشر

الاسلام والنظام التكاثريّ الاترافي، كفاح رجب (٨)

- التكاثر تصاعد بلا نهاية

الكتاب

١ .. قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ*^١

الحديث

١ النبي «ص»: يا ابن مسعود! اجسادهم لا تشبع، وقلوبهم لا تخشع.. يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِي وَسُنَّتِي وَمِنْهَا جِي وَشَرَائِعِي، إِنَّهُمْ مِنِّي بُرَاءً، وَأَنَا مَهْمُ بَرِيءٌ.^٢

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٩.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٦ - ٥٢٨.

- ٢ الامام علي «ع»: مَنْ كَانَ يَسِيرِ الدُّنْيَا لَا يَقْنَعُ، لَمْ يُغْنِهِ مِنْ كَثِيرِهَا مَا يَجْمَعُ^١.
- ٣ الامام علي «ع»: الحريصُ لا يكتفي^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَجْزِيهِ، كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ. وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَجْزِيهِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْئًا يَكْفِيهِ^٣.
- ٥ الامام السجاد «ع»: .. التَّعَبُ وَالتَّصَبُّ خُلِقَا فِي الدُّنْيَا وَلَا هَلْ الدُّنْيَا. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهَا حَفَنَةً إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْحَرَصِ مِثْلَهَا^٤.
- ٦ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام الصادق : مَثَلُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا كَمَثَلِ دُودَةِ الْقُرْزِ، كُلَّمَا أَزْدَادَتْ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا، كَانَ أَبْعَدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ، حَتَّى تَمُوتَ غَمًّا^٥.
- ٧ الامام الصادق «ع»: إِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ يُغْنِيكَ، فَادْنِي مَا فِيهَا يُغْنِيكَ. وَإِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ لَا يُغْنِيكَ، فَكُلْ مَا فِيهَا لَا يُغْنِيكَ^٦.
- ٨ الامام الصادق «ع»: مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ^٧.

١ و٢ - غرر الحكم / ٢٨٠ و ١٦.

٣ - الكافي ٢ / ١٤٠.

٤ - الخصال ١ / ٦٤.

٥ - الكافي ٢ / ١٣٤.

٦ و٧ - الكافي ٢ / ١٣٩ و ١٣٦.

نظرة الى الفصل

إِنَّ عَمَلِيَّةَ الْإِكْتَارِ مِنَ الْمَالِ لَهَا مَنْشَأُ نَفْسَانِي - كما سَلَفَ الْقَوْل -
فهذه الحالة تُنْبَعِثُ من باطنِ الانسان، وتكونُ كغُدَّةٍ سرطانيةٍ ما تزال تنمو
ولا تعرفُ حداً للنُّمُو. وهي في الواقعِ تنشأُ من فقرِ النَّفسِ، حيثُ إنَّ النَّفسَ
في هذه الحالة لا تجدُ لها غنىً ولا تقنَعُ بكفافٍ وفوقِ كفافٍ، بل تَطْلُبُ
الاکتَرَفَ فالاكثَر، فهي مُكَبَّلَةٌ باغلالِ الطَّمَعِ والحرصِ، وكلِّما أُعْطِيَتْ من
الدُّنيا والاموالِ حَفْنَةٌ أُعْطِيَتْ من الحرصِ مِثْلِيَّهَا.

ولقد وصف النبيُّ الهادي «ص» احوالَ هؤلاء جسماً وروحاً، بأنَّ
«اجسادهم لا تشبع وقلوبهم لا تخشع»^١. وقد أُشيرَ في الكلامِ النَّبويِّ الى
التَّفَاعُلِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْجِسْمِ وَالرُّوحِ في حالةِ الحرصِ التَّكاثِرِيِّ، والى
أَنَّ عَدَمَ شَبَعِ الْجِسْمِ التَّكاثِرِيِّ يُلَازِمُ عَدَمَ خَشْوَعِ الْقَلْبِ (التَّفَرُّعِ)، ثُمَّ
يُصْرِّحُ «ص» باوصافٍ تُلَازِمُ تلكَ الحالةَ حتَّى يَنْتَهِيَ الى اظهارِ البراءةِ من
اصحابِها: فيقول «ص»: «يا ابنَ مسعود! يدعون أَنَّهُم على ديني وسُنَّتِي
ومنهاجي وشرائعي، إِنَّهُم مِنِّي بُرَاءً، وَأَنَا مِنْهُم بَرِيءٌ»^٢.

وهذا اعلانُ النَّبِيِّ «ص» للبراءةِ من اصحابِ الاموالِ المتكاثرينِ
والمُتَرَفِّينَ؛ فليكنْ هو ايضاً اعلانُ الاقتصَادِ الْإِسْلَامِيِّ وَعِلْمَاءِ الدِّينِ
للبراءةِ مِنَ التَّكَاثِرِ وَالتَّكَاثِرِيِّينَ وَالرَّأْسَمَالِيِّينَ وَالمُتَرَفِّينَ مِنْ اصحابِ
الثَّرَوَاتِ وَالغِنَى، احياءً لِسُنَّةِ النَّبِيِّ «ص» وَمِنْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَاِنْقَاذاً لِاقَالِيمِ
الْقِبْلَةِ مِنْ اِي اسْتِسْلَامٍ اَوْ تَدَهُوْرٍ، وَصِيَانَةً لِمُعْتَقَدِ الشَّبَابِ وَالنَّابِهِيْنَ، وَ
حِمَايَةً لِلْمَحْرُومِيْنَ وَ..

١ و ٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٨.

تذييل وتفصيل

ربما يتوهم بعض المذاهب الاقتصادية أن رشد النظم الرأسمالية وكذلك سقوطها وتلاشيها إنما يرتبط بعوامل مادية صرفة غير ذي صلة بالعامل الانساني ونوعية تصورات الانسان. اما الموضوع على اساس التصور الاسلامي فيكون مستنداً الى امور، منها معتقد الانسان وتصوره عن العالم، ومنها تغيير للنفس يحصل باسبابه. والذي يرجع من هذا الموضوع الى البحث الحاضر، هو أن تضخم النظام التكاثري وتصاده إنما ينبعث من الطلب التكاثري والرأسمالي. وهذا الطلب منشأه نفس الطالب واخلاقه مما يرتبط بتثقيفه وتصوره عن العالم والانسان والحياة. واذ سقط الانسان في هاوية هذا الطلب المتصاعد، يشتد حرصه ورغبته الى الاكثار من المال دوماً. وبذلك يخرج عن دائرة الفطرة الانسانية ويتعد عن الواقع الانساني، ويضر بسلامة المجتمع، ويعارض طبيعة الحياة، اذ الحياة بطبيعتها تدور حول محور العدل والقصد. فالطلب التكاثري المتصاعد يضر:

- ١ - بالانسان نفسه .
- ٢ - بفطرة الانسان المتعادلة .
- ٣ - بسلامة المجتمع الانساني وصلاته .
- ٤ - بالعدالة والقصد .
- ٥ - بالسلام الاجتماعي والامن .
- ٦ - بواقعية المال وكونه قواماً .
- ٧ - ببقاء الدين في المجتمع وتغلغله في أنحاءه .
- ٨ - بنمو الثقافة واعتلائها .
- ٩ - بالكفاح ضد الفقر والحرمان .

١٠ - بقداسة العدل العالمية .

والسبب الوحيد لشجب هذه السلبيات وانقاذ الناس المحرومين من مخالف هذا الخطبوط - أخطبوط التكاثر المالي - هو إيقاف الناس على واقع الامور، حتى يعرفوا ما لهم مما عليهم، ويميزوا الايدي التي تعمل لهم من التي تعمل عليهم .

فيجب على المصلحين النابهين، من الذين يحبون الانسان بصدق، ويفقهون الدين بوعي، ويعملون على انقاذ الانسان عن طريق تطبيق الدين باخلاص، ان يجدوا ويثابروا :

١ - على تثقيف الناس المحرومين وتوعيتهم .

٢ - على ايضاح مفسد التكاثر وآثاره المدمرة .

٣ - على تعريف الناس بعوامل التكاثر ورشده المختلفة .

٤ - على تعريف الجماهير بعوامل سقوط التكاثر وتدميره .

٥ - على اعلام الناس بمحاربة الاسلام الحاسمة للتكاثر والغنى الوافر . وفي ختام هذا البحث نشير الى نبذة من مظاهر التكاثر المتصاعد في اقتضاب :

١ - سيادة اصابة المال والمنافع المادية، والتضحية بالقيم

الاخلاقية، والدينية، والاجتماعية، والانسانية في سبيلها .

٢ - توسع الاستثمار والظلم المتزايد يوماً فيوماً، ونهب الاموال

والثروات العامة .

٣ - تقليل الاجور وتضييق دائرة العيش على الكادحين والعمال

والفلاحين وضعفاء الناس، حتى يضطروا الى قبول اجور زهيدة لاعمال كثيرة ومتعبة .

٤ - التدخل في التسعير والاحجاف به كل يوم اكثر من ذي قبل .

٥ - حصر الاموال والمناجم والاستفادة منها في ايدي حفنة،

نظرة الى الفصل الخامس عشر ..

وتحويل الملكيات الصغيرة الى ملكيات كبيرة، وتأسيس المؤسسات الاقتصادية الانحصارية والاسواق المشتركة، حتى ينتهي الامر الى دعم المعسكر التكتاري الامبريالي والرأسمالي ليبلغ العالم باجمعه، بحيث لو جمعت عنده الدنيا بما فيها لا تكفيه ولا تغنيه .

شرح لحديثين :

الاول - الحديث الباقرى، الذي نقلناه في الفصل : «مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما ازدادت على نفسها لفاً كان ابعدها من الخروج حتى تموت غماً». إن هذا الحديث يرسم واقع النظام التكتاري، ومع النظر الى تجانس السنن الحاكمة على حياة الفرد والمجتمع وتمثلها، يدلنا على حركة المجتمع ببيان رمزي، فاليك البيان :

١ - النظام التكتاري = الفيلجة (بيت الحرير الذي تنسجه دودة القز).

٢ - المتكاثرون = دود القز .

٣ - الصلات التكتارية = الخيوط المميته التي تنسجها الدود وتتغلف

فيها .

٤ - رشد النظام المذكور = توفر تلك الخيوط، الذي يؤدي الى دفن

الدود فيها .

فعلى هذا، إن نظام الاقتصاد التكتاري، الرأسمالي، الربوي، هو فيلجة وخيوط تنسج بايدي المتكاثرين . وإن انماء هذا النظام حركة انتحارية تسوقه الى الموت في الخيوط التي نسجها هو بنفسه، ويوجب استبداله وفناءه : «ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وانتم الفقراء، وإن

تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^١. إِنَّ الْبُخْلَ وَتَرَكَ
الانفاق (لحبّ المال وجمعه)، احدُ ذمائمِ الاخلاق، وقد عدّته الآيةُ
القرآنيّةُ سبباً لضررينِ عظيمين :

١ - الضّررُ الشّخصي، يعني أنّ بخلَ البخيل، إنّما هو بخلٌ عن نفسه،
فهو اقدامٌ على حسابِ النفس .

٢ - الضّررُ الاجتماعي، فإنّه يُوجِبُ استبدالَ النظامِ الاجتماعيّ
وفناءَ النظامِ الموجود . وإنّ هذه التّعبيّرة العميقة في الآية : «فإنّما يبخلُ
عن نفسه»، تُشيرُ الى الضّررِ الأوّلِ بالصّراحةِ والى الثاني ضمناً . وقد
صرّحَ بالضّررِ الثاني في أخرياتِ الآية كما هو واضح . وفي الحديث
نُكّتانِ أخريان :

الاولى : أنّ العملَ الذي تَفَعَّلَهُ دودةُ القُرْ عملٌ طبيعيٌّ منشأهُ غريزةُ
الحشرة، كمان أنّ الحركةَ التّكاثريةَ لِإنماءِ المالِ منشأها خصلةُ حبِّ
المالِ والتّكاثر (وإن كان ما يكفيك لا يُغنيك، فكلُّ ما فيها لا يُغنيك)^٢.

الثانية : أنّ حركةَ دودةِ القُرْ، التّابعةَ لادراكِها الغريزيّ، ليست لنفسيّ
ذاته وفنائه، بل هي في زعمها حركةٌ للرّشدِ والتّكاملِ وصُنعِ بُنيانٍ لِإدامةِ
الحياة؛ ثمّ إنّ هذا البُنيانَ يتحوّلُ قبرا لها من حيث لا تُشعُرُ به . وإنّ
الحالةَ التّكاثريةَ ايضاً هكذا؛ فإن المتكاثرَ يرى النظامَ التّكاثريّ بُنياناً
مرصوحاً لِإدامةِ حياةٍ آمنة، ويعدُّ سعيه التّكاثريّ خُطوةً يُقدّمُها لتكامله
ورشدِهِ المُبقي له ولخلوده المنشود (يَحَسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)^٣، لكنّ سُنَّةَ
اللّهِ العادلةَ التي تَسوّدُ الكائناتِ والمجتمعاتِ، وقانونَ القصدِ والتّوازنِ
الحاكمِ على حياةِ الفردِ والمجتمعِ، تُبدّلُ هذا البُنيانَ المرصوصَ الى قبرٍ

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨ .

٢ - الكافي ٢ / ١٣٩، من حديثِ الامامِ الصّادق «ع» .

٣ - سورة الهُمزة (١٠٤) : ٣ .

يُدفنُ فيه المتكاثِرُ الضالُّ الغافل .

جبر، إنَّ النِّظامَ التَّكاثِرِيَّ هكذا يُدفنُ في حُفرةٍ حَفَرها بيده، وإنَّ المتكاثِرَ هكذا يُبيدُ حياته ويُنْفِقُ نقودَ أيامه، حيثُ يَزِيدُ دوماً على نفسه وعقله ونشاطاته من طلبِ المالِ لَفًا وشغلاً، فيكونُ أبعدَ له من الخروجِ . ولا يبقى هذا الإضرارُ منحصراً في حياته بل هو يُخاطِرُ بحياةِ المجتمعِ ايضاً؛ فالتَّكاثِرُ بمعناه موتٌ في موتٍ، وإفسادٌ في افسادٍ، موتٌ للانسانِ وللشَّخصيةِ الانسانيةِ، وإفسادٌ للمجتمعِ ولقوامه وكيانه .

الثاني - الحديثُ الصَّادِقِي : «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ» .! إنَّ هذا التَّعبيرَ الواردَ في الحديثِ : «إِزْدَادَ عَطْشًا»، يُبَيِّنُ أصليْنِ :

- ١ - أنَّ رَشْدَ النِّظامِ التَّكاثِرِيَّ امرٌ طَبِيعِيٌّ وضروريٌّ له .
 - ٢ - أنَّ هذا الرشدَ عملٌ انتحاريٌّ يُوجِبُ فناءَ النِّظامِ (حتى يَقْتُلَهُ) .
- ولقد جاءَ هذا المعنى في القرآنِ الكَرِيمِ بصورةِ أصلٍ كليٍّ : «ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»^٢ - راجع ايضاً : الفصلُ الثاني، فِقرة «ب»، العنوانُ الثاني .

تنبيه وتفريق

إنَّ الماترياليةَ الماركسيَّةَ تَعْتَقِدُ أنَّ رَشْدَ النِّظامِ الرِّأسماليِّ امرٌ جبريٌّ، وهو يُوجِبُ اسْتِفْحَالَ التَّنَاقُضِ في صميمِ المجتمعِ، وذلك يُؤدِّي الى انهدامِ النِّظامِ الرِّأسماليِّ، حيثُ «يَتَزَايِدُ البُؤْسُ، وشَبَكَاتُ الاحتكارِ، وفِظائِعُ الاستعمارِ، وجيوشُ العاطلينِ من العملِ». ففي هذا المذهبِ إنَّ الرِّأسماليةَ تَحْفِرُ قَبْرَها بيدها . لكن بينَ هذا وبينَ ما نقلناه عن الاسلامِ

١ - الكافي ٢ / ١٣٦ .

٢ - سورة النساء (٤) : ٢٩ .

واستنبطناه من القرآن والحديث فرق، إذ التَّصَوُّرُ الإسلاميُّ في نفسِ الموضوع (فناء النُّظامِ التَّكاثريِّ واستبداله بيدِ نفسه) يَتَميِّزُ عن غيره بامورٍ، واليك نبذةٌ منها:

١ - أنَّ الإسلامَ قد عمَدَ الى بيانِ هذا الموضوعِ وتفهمِهِ النَّاسَ قَبْلَ اربعةَ عشرَ قرناً .

٢ - أنَّ الإسلامَ ببياناتِهِ الجامعةِ وتعابيرِهِ الشاملةِ لـ«التَّكاثريِّ» و«الإترافِ» واناطتِهِ الموضوعَ بامورِ انسانيةٍ وخلقِيَّة، قد أغرقَ في الكِفاحِ وجَعَلَهُ رَحْباً شاملاً لا يَشُدُّ منه جانب .

٣ - أنَّ الرَّأْيَ الماركسيَّ يُعَدُّ رَشْدَ النُّظامِ الرَّأسماليِّ تابِعاً جبرياً للعواملِ الماديَّةِ وتكاملِ وسائلِ الانتاجِ . والإسلامُ يرى لرشدِ النُّظامِ التَّكاثريِّ التَّصاعديِّ عاملاً آخرَ نفسياً ايضاً، وهو طَبْعُ الانسانِ المُحِبِّ للمالِ وجمعِ الكثيرِ منه، «وإن كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ مَا لَا يَكْفِيكَ، فَإِنَّ كُلَّ مَا فِيهَا لَا يَكْفِيكَ»^١.

هذه الخصلةُ كانت راسخةً في طبعِ الانسانِ من أقدمِ عصورِ التاريخِ الى الآن . وهي تَظْهَرُ وتَجَلِّي في كلِّ دورةٍ بصورةٍ تُلَاقِ الطُّروفَ الاجتماعيَّةَ والاجواءَ الثقافيَّةَ والارضياتِ الاقتصاديَّة . وهي التي سَبَبَتْ - عَبْرَ التاريخِ - أن تُوجَدَ هناك طبقتان : مُتَرَفَّةٌ ومحرومة، مُسْتَغَلَّةٌ ومُسْتَغَلَّةٌ، إحداهما عُرِفَتْ باسمِ «المستكبرين» والأخرى باسمِ «المستضعفين» الاقتصاديَّين . ولقد قابلتا وجابهتا - و ما تزالا مجابهتين - في صورٍ واشكالٍ متنوِّعةٍ ومختلفة .

٤ - أنَّ استِفْحالَ التَّضادِّ بين الرَّأسماليِّين والعُمالِ يُؤدِّي - في المعتقدِ الماركسيِّ - الى انهدامِ النُّظامِ الرَّأسماليِّ، أمَّا في التَّصوُّرِ الإسلاميِّ فينهارُ النُّظامُ التَّكاثريُّ لهذه الامور:

١ - الكافي ٢ / ١٣٨ - ١٣٩، من حديثِ الامامِ عليٍّ «ع».

نظرة الى الفصل الخامس عشر..

(١) - الظلم الاجتماعي (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)١.

(٢) - الانحراف عن مسير المشيئة الالهية والعدل الكلي الحاكم على العالم (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون)٢.

(٣) - الطغيان والخروج عن قانون التوازن والقصد، السائد على واقعية الفرد وهوية المجتمع (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون)٣.

٥ - أن وسائل الانتاج والشرائط الاقتصادية تسود- في المعتقد المذكور- حياة الانسان الفردية والاجتماعية، وأن الانسان ليس الآداة طيعة لحركة المجتمع الجبرية الخاصة لوسائل الانتاج. أما في التصور الاسلامي فالانسان حر ملتزم مسؤول. والمجتمع مكلف يجب على افراده أن يمهدوا الارضية لقيام الناس بالقسط،^٤ بالوان التمهيد الصالح، كتوزيع المال وانفاقه، واخراج الحقوق اللازمة الكثيرة - الظاهرة والباطنة - من المال. ولذلك نشاهد أن القرآن الكريم يخاطب الجميع ويجعل المسؤولية على عاتق الجميع في خطاباته: «أنفقوا»، «لا تطغوا»، «لا تقتلوا انفسكم».

٦ - أن التصور الاسلامي - على خلاف المعتقد الماركسي -

١ - سورة الانبياء (٢١) : ١١.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٦٥.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٦٤.

٤ - وليس دين الاسلام بالذي يكتفي، في هذا المنطلق الحياتي الهام، بالتذكير والوعظ والشعار، او باخراج النصب المحدودة من الاموال الطائلة والدخول النادرة، بل يعيد الى تعديل الامتلاك وتقريب الاستهلاك ونفي كون المال دولة، بفضل احكامه المختلفة، من الاولى والثانوية او الولائية والحكومية، في حين أنه لا ينسى «الحديد المنزل»، اذا مست حاجة الحركات التغييرية اليه: وهي تمس وتمس ..

لَا يَجْعَلُ عِلَّةَ هَلَاكِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ امْرَأً وَاحِدًا مَادِّيًّا اِقْتِصَادِيًّا، بَلْ يُعَدُّ لِهَلَاكِ الْاَفْرَادِ وَاسْتِبْدَالِ النُّظْمِ السَّائِدَةِ اسْبَابًا مُخْتَلِفَةً كَمَا يَلِي :

(١) - الكفر .

(٢) - الشرك .

(٣) - الفسادُ الخَلْقِيُّ، المؤدِّي الى الظلم .

(٤) - الفسادُ الثَّقَافِيُّ، المؤدِّي الى الظلم .

(٥) - الفسادُ السِّيَاسِيُّ، المؤدِّي الى الظلم .

(٦) - الفسادُ اِقْتِصَادِيًّا، المؤدِّي الى الظلم .

(٧) - العَدْوَانُ المَالِيُّ، المُسَارِقُ لِلظُّلْمِ .

(٨) - الضَّعْفُ الدَّفَاعِيُّ، البَاعِثُ عَلَى قَبُولِ الظُّلْمِ .

وما الى ذلك، غيرَ أَنَّ السَّبَبَ اِقْتِصَادِيًّا بِاشْكَالِهِ هُوَ مِنْ اَهَمِّ الْعَوَامِلِ وَالْاَسْبَابِ، وَلَا جُلِّ ذَلِكَ كَانَ الدُّعَاةُ الْاَلِهِيَّةُ يَدْعُونَ النَّاسَ مِنْ اَوَّلِ اَمْرِهِمْ اِلَى اِقَامَةِ الْقِسْطِ وَعَدَمِ الظُّلْمِ وَالْحَيْفِ .

ومعلومٌ أَنَّ لاسبابِ الفسادِ تاثيراتٍ متقابلة، وَأَنَّ الفسادَ فِي جانبٍ يُوجِبُ الفسادَ فِي سائرِ الجوانبِ .